



وقائع ومجوت

السِّيُوحُ الإمامة الأولى والثاني

لمنعمت تحت شعاع

النبوّة والإمامة صنوان لا يفترقان

وبعنوانك

منهج الإمامة في تربية الفرد والامة

لجزء السابع

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٤ م

الترقيم الدولي المعياري للكتاب

ISBN : 9789922263359

العتبة العباسية المقدسة. اسبوع الامامة الدولي (الثاني : 2024 : كربلاء، العراق)، مؤلف.
وقائع وبحوث اسبوع الامامة الدولي الثاني : المنعقد تحت عنوان النبوة والامامة صنوان لا يفترقان :
وبعنوان منهاج الأئمة في تربية الفرد والأمة-الطبعة الأولى-كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة،
1445 هـ. = 2024.

8 مجلد : ايضاحيات : 24 سم

يتضمن ارجاعات بليوجرافية.

النص باللغة العربية : ومستخلصات باللغة العربية والانجليزية.

ISBN : 9789922263359 (v. 7)

1. اهل بيت الرسول عليهم السلام (شيعة)-مؤتمرات. أ. العنوان.

LCC: BP193 .A83 2023 VOL. 07

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
الفهرسة أثناء النشر



٢٣٩،٠٦

و ٤٩٨ وقائع وبحوث اسبوع الامامة (٢٠٢٦:٢ : كربلاء)

وقائع وبحوث اسبوع الامامة الثاني : تحت شعار

النبوة و الامامة صنوان لا يفترقان / مجموعة مؤلفين -. ط ١ .

- كربلاء : العتبة العباسية المقدسة ، ٢٠٢٦

ج٧ (٥٩٢ ص.) : ٢٤٤ سم.

١. السيرة النبوية الشريفة - بحوث . ٢. الامامية (الشيعة).

٣. علي بن ابي طالب (ع)-الامام الأول بحوث . أ. العنوان .

رقم الإيداع

٢٠٢٦ / ٣٥١٢

المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (٣٥١٢) لسنة ٢٠٢٦



اسم الكتاب

وقائع وبحوث اسبوع الامامة
الدولي الثاني

المراجعة العلمية

اللجنة العلمية المشرفة
على اسبوع الامامة الدولي

الناشر

العتبة العباسية المقدسة

الاعداد والتحرير

اللجنة التحضيرية المشرفة
على اسبوع الامامة الدولي

الاشراف العام

اللجنة العليا المشرفة
على اسبوع الامامة الدولي

التصميم والاخراج الطباعي

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

الجزء
السابع

الطبعة
الاولى

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م



مؤتمر الإمام الكاظم عليه السلام

مرويات الامام الكاظم عليه السلام في كتاب المكاسب
المحرمة للشيخ الانصاري ودورها في عملية استنباط
الحكم الشرعي دراسة تربوية في ضوء منهج
الاستنباط عند الامامية
أ.م.د. الشيخ محمود العيداني

ملخص البحث

يُعَدُّ الشيخ الأنصاري أستاذاً لجميع من جاء بعده من الفقهاء والمجتهدين ومنهم المعاصرون؛ فقد فتح بتحقيقاته وأبحاثه آفاقاً لم تفتح من قبله في جميع ما ورده من مجالات علمية، لا سيما في مجال الفقه والأصول؛ ما جعل المعنيتين بالدراسات الحوزوية يختارون -بحق- كتابه (المكاسب المحرمة) منهجاً دراسياً وتربوياً لطلبتها في ما يسمى بمرحلة السطوح العليا، التي تعنى بتعليم عملية الاستنباط وفنائها وتربية مهاراتها. وقد نقل عليه السلام الكثير من مرويات الامام الكاظم عليه السلام كعناصر في عملية الاستنباط في مجالي الحكمين: التكليفي والوضعي، ما أفرز مادةً علميةً غزيرةً للباحث عن دور هذه المرويات في استنباط الحكم الشرعي.

إلا أن ما يقتضيه الفن والتحقيق أن يكون توضيح دور هذه المرويات -إذا ما أردنا أن يكون لها دورٌ تربويٌّ تعليميٌّ- في ضوء منهج خاصٍّ لعملية الاستنباط هو المنهج الذي يتنهجه الإمامية في ممارساتهم المختلفة لهذه العملية بصورة منضبطة، ما يستدعي اكتشاف هذا المنهج قبل بيان دور المرويات، حتى إذا تمت عملية الاكتشاف هذه على أسسٍ فنيةٍ وبادوات بحثية مناسبة لنوع البحث والهدف منه، وفي ضوء العناصر الثلاثة الفاعلة

في هذا الاكتشاف لكي يكون اكتشافاً منهجياً وفنياً بدوره، أعني: الهدف من عملية الاستنباط أولاً، والعلم المعني بتوفير أدوات الاستنباط وآلياته، أعني: علم الأصول ثانياً، وثالثاً وأخيراً: واقع العمليات الكثيرة التي نشاهدها لهذه العملية من قبل المختصين من الطراز الأول على مختلف الأزمنة ومختلف المدارس الفقهية والأصولية المختصة، كان تشخيص دور تلك المرويات عمليةً منهجيةً منظّمةً واضحة المعالم والخطوط.

إنّ بيان دور المرويات في ضوء المنهج المكتشف يضع بين يدي الباحث والمهتم بعملية الاستنباط بصورة منضبطة، بل حتّى الممارس لهذه العملية، الكثير من الأدوات البحثية والمهارات والفنيات الدخيلة في إدارة هذه العملية بصورةً فنيةً صحيحة، بل يكشف له موقع كلّ عنصرٍ من عناصر هذه العملية من بدايتها وحتّى أدائها للهدف منها، وهو تشخيص الموقف الشرعي إزاء المسألة محل البحث.

الكلمات المفتاحية: مرويات الامام الكاظم (عليه السلام)، كتاب المكاسب المحرمة، الشيخ الأنصاري، منهج استنباط الحكم الشرعي عند الامامية، الحكم التكليفي، الحكم الوضعي.



المقدمة

يُعَدُّ الشيخ الأنصاري استاذاً للفقهاء والمجتهدين المعاصرين؛ فقد فتح بتحقيقاته وأبحاثه آفاقاً لم تفتح من قبله في جميع ما ورده من مجالات علمية، لا سيما في مجال الفقه والأصول؛ فقد أبدع في هذين المجالين، فجاء بما لم يجيء به من سبقه من محققي المذهب، حتى إنه ابتكر الكثير من مهارات الاستنباط وأداوته، بل تجاوز ذلك إلى مسألة إبداع مصطلحات جديدة في الفقه والأصول، ووضع عدداً غير قليل من المصطلحات في مجالات عدة.

إبداع الرجل وتسلّطه على الفقه والفقاهة جعلت الحوزة تتخذ كتابه (الرسائل) المعروف بفرائد الأصول، وكتابه الآخر المعروف بالمكاسب منهجاً دراسياً لطلبتها في ما يسمى بمرحلة السطوح العليا، والكتابان بحثان فاخران زاخران بمعلومات لا بدّ منها للوصول إلى مرحلة الاجتهاد. وكتاب المكاسب كتابٌ فقهي استدلالي ذو أقسامٍ ثلاثة: المكاسب المحرمة، البيع، ثم الخيارات، والقسم الأول يتناول فيه المصنّف ما يحرم التكبّس والتجارة فيه من المكاسب، فوقع البحث والتحقيق في خصوص هذا المجال، حيث تناول كلّ مسألة من المسائل بطريقة بحثية تحقيقية دقيقة تأخذ بنظر الاعتبار منهجاً خاصاً لعملية الاستنباط في جميع المسائل بلا اختلاف، تلك التي تقع في مجال تحديد الحكم التكليفي وتلك التي تقع في مجال تحديد الحكم الوضعي كما يعرفه المتخصصون في هذا المجال. ولا يخفى أن الروايات لها أهميتها العظيمة في عملية الاستنباط لتحديد الحكم الشرعي؛ كونها تلو النصّ القرآني في تسلسل العناصر الدخيلة في هذه العملية، وفي هذا السياق تأتي الروايات الكثيرة التي نقلها المصنف في كتابه المكاسب المحرّمة، ومنها ما روي عن الإمام الكاظم (عليه السلام).

ومن جملة ما يلزم البحث فيه في كتاب المكاسب المحرّمة هو ما نحن بصدده من بحث؛ حيث استقرأ مرويات الامام الكاظم عليه السلام في كتاب المكاسب المحرّمة، ومحاولة تحديد دور هذه المرويات في تحديد وتشخيص الحكم الشرعي التكليفي أو الوضعي حسب ما وردت هذه الروايات فيه. إلا أنّ أهمية ما نحن فيه من البحث لا تقتصر على تحديد دور المرويات المزبورة في تحديد الحكم الشرعي، بل الأهم من ذلك أن يكون ذلك التحديد قائماً على أساس علمي ومعايير تابعة لمنهج خاص صارم دقيق لعمليات الاستنباط وآلياتها وأدواتها، ما يعني ضرورة تحديد منهج دقيق واضح لعملية الاستنباط التي يمارسها فقهاء الامامية اعلی الله شأنهم على اسس منهجية وأدوات بحثية صارمة ودقيقة أيضاً، ليكون تحديد الدور في ضوء هذا المنهج الدقيق، فيتضح تماماً أهمية الروايات وما تقوم به من دورٍ مهم في عملية الاستنباط.

العملية المتقدمة-أعني: تحديد الادوار في ضوء منهج الاستنباط- من الواضح أنها عملية غاية في الدقة والأناقة؛ حيث تحديد المنهج أولاً، ثم محاكمة الادوات المختلفة لعملية الاستنباط في ضوء هذا المنهج ثانياً، وهو ما سنراه في هذا البحث بصورة مختصرة؛ حيث تشخيص مراحل عملية الاستنباط التي مارسها الفقيه في مجالي الحكمين: التكليفي والوضعي، وبحسب ما سنقدمه من أدلة على تحديد كل واحدة من المراحل الخمسة التي سنتناولها بعونه تعالى.

لا شك في أن تناول المادة العلمية بالشكل الذي نحاول عرضه هنا له تمام الأثر في وضع النقاط على الحروف لا في مجال تحديد دقيق لدور ما يدخل في عملية الاستنباط من عناصر مختلفة فقط، بل لذلك تمام الاثر في توجيه ما ينتظر أو ينسب من دور لكل واحد من تلك العناصر، ليكون

كل ذلك طريقا واضحا وسيلا بينا لعملية تعليم عملية الاستنباط وإعداد وتربية من رام التخصص في هذه العملية؛ فإن المهم تعلم مراحل عملية الاستنباط والوقوف على منهج هذه العملية عند الامامية، المنهج الثابت الذي لا يميل هنا او هناك كما سنرى بعونه تعالى، ولا ريب في أن عملية التربية والتعليم أمران مهمان غاية الاهمية وهدفان ساميان من اهداف البحث العلمي تسعى له الامم على اختلاف توجهاتها.

لكل ما تقدم من أهداف لا شك في ضرورة اختيار منهج علمي سليم مناسب يكون الطريق فيه الى تحديد الاهداف طريقا فنيا واضحا غاية الوضوح من جهة، فتحدد ملامح الأدوات البحثية اللازمة لسلوك الطريق الفني الصحيح للهدف الفني الصحيح من جهة ثانية، ما ألزما برسم الخارطة التي سترها في ما يأتي من مباحث اخترناها للبحث الحاضر.

من الواضح أننا لا نحتاج هنا الى الخوض في التعريف بالامام الكاظم عليه السلام ولا بالشيخ الانصاري ولا بكتابه الماتع (المكاسب المحرمة)؛ فإن ذلك واضحٌ بيّن لا يحتاج الى مزيد كلامٍ لما اخترناه من مخاطبين بهذا البحث، فيكون الخوض في ذلك قبيحا والعياذ بالله. ولهذا كله، سيكون البحث على مبحثين، نتناول في أولهما توفير الضوء الذي لا بد منه في توضيح دور مرويات الامام الكاظم عليه السلام في تحديد الحكم الشرعي التكليفي أو الوضعي، ونعني بذلك: منهج الاستنباط عند الامامية، فنحدد بكل وضوح معالم هذا المنهج وخطوطه الكلية، متعرضين في هذا السياق الى زاويتين لا بد من الفصل والتمييز بينهما في عملية تحديد هذا المنهج بصورة علمية دقيقة، علاوة على بعض النقاط المنهجية المهمة ذات العلاقة، وكل ذلك بطريقة عملية تطبيقية واضحة ولا لبس فيها؛ حيث عرض نموذجين لممارسة منضبطة لعملية الاستنباط

يتناول أولهما اصطیاد وتبيين المنهج في مجال استنباط الحكم التكليفي، فيما يتناول ثاني النموذجين ذلك في مجال الحكم الوضعي.

فإذا تحقق ذلك وتوفر الضوء اللازم والمعايير العلمية في المحاكمات، انتقلنا حينها الى توضيح دور مرويات الامام الكاظم (عليه السلام) في ذلك الضوء، فننقل ما قاله استاذ الفقهاء والمجتهدين في ذلك المجال، لنحدد بعدها تلك المرويات من الكتب الحديثية والروائية التي ذكرت فيها، ليكون المقام الاخير لتحديد الدور الذي تلعبه تلك المرويات في تحديد الحكم الشرعي، وبالدقة: المرحلة التي يقع فيها كل واحد من الروايات المنقولة من مراحل عملية الاستنباط.

من الواضح أن جميع ما تقدم مما ينبغي التعامل معه طبق المنهج العلمي المناسب من جهة، وطبق اللغة العلمية التخصصية من جهة ثانية، وطبق تحديد المستندات والمدارك اللازمة لجميع العمليات التي سنحتاج اليها في مسيرتنا العلمية من جهة ثالثة، كل ذلك بطريقة نحاول بها تحقيق الاهداف المرجوة من هذا البحث بإذنه تعالى.

المبحث الأول

منهج الاستنباط عند الامامية

تمهيد في نقاط

النقطة الأولى: أهمية الكلام في منهج الاستنباط في المقام

بما تقدم من مطالب في المقدمة، أظن أن أهمية الكلام في منهج الاستنباط في المقام قد اتضحت بشكل واضح بين، لا سيما مع ما تقدم من أن تحديد المنهج سيكون بعرض ممارسة تطبيقية لعملية الاستنباط في المجالين: الحكم التكليفي والحكم الوضعي؛ فيرى القارئ عناصر هذه العملية وفتاياتها وآلياتها المختلفة التي يستفيد منها الفقيه وهو يارس هذه العملية بصورة عملية تطبيقية واقعية، ويرى موقع كل واحد من العناصر من عملية الاستنباط ومراحلها.

لا ندعي هنا أن ما سنعرضه من ممارسة سيقدم عرضاً كاملاً لجميع ما يحتاجه الفقيه من عناصر وفتايات للاجتihad، إلا أنه سيسهم -قطعاً- في الوصول إلى الهدف بصورة كبيرة ملموسة، وسيكون من جملة ما يتميز به هذا البحث؛ حيث الخروج عن الكلام العام المجمل الفضفاض عن عملية الاستنباط والاجتهاد، وورود خضم هذه العملية؛ حيث استعراض مفصل لمراحل الممارسة الفقهية المنضبطة، مع الدليل الكافي على كل واحدة من هذه المراحل ولو بصورة مجملة.

وينبغي التنبيه هنا، على أن الكلام إنما هو في الهيكلية العامة والخُطوط الكلية لعملية الاستنباط، لا في جزئيات وتفاصيل كل مرحلة من المراحل التي تمر بها هذه العملية؛ فإن ذلك تابعٌ لخصوصيات كل مسألة يبحث الفقيه عن حكمها، كما سيتبين بالتفصيل بعونه تعالى، فنقول:

إنَّ عمليّة استنباط الأحكام الشرعيّة بكلا نوعيّها: ما كان بغرض تشخيص الحكم التكليفيّ، وما كان بغرض تشخيص الحكم الوضعيّ، تابعةً لطريقةٍ فنيّةٍ دقيقةٍ خاصّة، ذات مراحلٍ كليّةٍ مشخّصةٍ ومرتبّيةٍ، وذات هيكليةٍ عامّةٍ ثابتةٍ، ينبغي أن تُتّبَع في كلّ عمليّة استنباطيّةٍ منضبطةٍ، بخلاف ما قد يتوهّمه البعض؛ من أنّ القضية إنما هي مراجعة القرآن الكريم وكُتِب الروايات، والنظر فيها، فإن وُجد ما يدلُّ على الحرمة، أخذنا به، وإن وُجد ما يدلُّ على عدمها، أخذ به، بل المسألة على خلاف هذا جدًّا، وهذا ما قد يَغفَل عنه غير المتخصّص طبعاً بمقتضى عدم تخصّصه في هذا المجال.

النقطة الثانية: الحكم الشرعي وانقسامه إلى الحكم التكليفي والحكم الوضعي

أولاً: حقيقة الحكم الشرعي وماهيّته

نزلت الشريعة الإسلامية من أجل هداية الانسان، وإنقاذه، وإخراجه من الظلمات إلى النور، فهي الطريق -الذي شخّصه تعالى إلى النعيم في الدنيا وفي الآخرة، وكما أن الطريق العاديّ لا بد فيه من علامات مرورية؛ تُوجّه السائر نحو وجهته وغايته بما أمكن من الأمان والسهولة واليسر، فهكذا الشريعة؛ فإنها لما كانت الطريق إلى النعيم، كان لا بد من علامات موجهة للانسان في هذا الطريق، وإلا، كيف يمكنه أن يسير كما خطّط له تعالى، فيتخلص مما فيه مفسدة، ويعمل بما فيه مصلحة فيصل الى النعيم؟! وهذه العلامات والموجهات هي ما نطلق عليه (الأحكام الشرعيّة)؛ فهي التشريعات والقوانين التي يصدرها الشارع من أجل توجيه الانسان في حياته، وتنظيمها بما يضمن حياة شريفة كريمة في الدنيا، وفوزاً في الآخرة، وحياة نعيم.

وعلى هذا، فالحكم الشرعي هو التشريع الصادر من الله تعالى؛ لتنظيم حياة الانسان وتوجيهه في ما يصادفه من مواقف مختلفة متنوعة في كل لحظة من لحظات حياته.^(١)

ثانيا: إنقسام الحكم الشرعي إلى التكليفي والوضعي

ولما كانت الأحكام الشرعية الوسيلة التي يتخذها الشارع لتوجيه حياة الإنسان وحركاته وسكناته، فإنها لابد من أن تنقسم إلى قسمين رئيسيين؛ باعتبار أن التوجيه يمكن أن يكون بصورة مباشرة؛ بحيث يتعلق بأفعال الانسان مباشرة، فيكون توجيهها مباشرا، ويمكن أن يكون توجيهها بصورة غير مباشرة؛ بأن يكون هناك واسطة بينها وبين التعلق بأفعال الانسان، فهي توجه أفعاله ومواقفه وتفاصيل حياته، ولكن بصورة غير مباشرة؛ وذلك بتنظيمها لما يمرّ به الانسان من أوضاع وحالات.

فأما ما تعلق بأفعال الانسان وكان توجيهه مباشرا من الأحكام، فإنه يسمى الأحكام التكليفية، وهي الأحكام الخمسة المعروفة، فهي توجه سلوك الإنسان عبر تكليفه وتوجيهه التوجيه العملي المباشر؛ وذلك بتعلقها مباشرة بعمله وفعله وسلوكه.

وأما ما لم يكن له توجيه مباشر بل بالواسطة، فإنها الأحكام الوضعية، وهي جميع الأحكام غير التكليفية، من قبيل: الزوجية، والملكية، والصحة، والبطلان، والجزئية، والشرطية، وغيرها.

فالزوجية تنظم وضع العلاقة بين الشخصين المتزوجين، والملكية تنظم وضع العلاقة بين الشخص والعين أو المنفعة، وهكذا، ومن الواضح أن هذه الأحكام لا توجه فعل الانسان بصورة مباشرة، وإنما عبر تنظيمها لأوضاع الأمور والأشياء المحيطة به والبيئة التي يعيش فيها إن صح التعبير.

وهذه الأحكام الوضعية يترتب عليها- في كثير من الأحوال- أحكام تكليفية؛ وهذا واضح؛ إذ الغرض من هذه الوضعية- كما تقدم- التوجيه غير المباشر لأفعال الإنسان وسلوكه؛ وذلك بأن يكون الوضعي موضوعا للتكلفي؛ كما في الزوجية، التي هي حكم وضعي كما تقدم، إلا أنها بنفسها إذا تحققت، ستكون موضوعا مأخوذاً في أحكام تكليفية متعددة، من قبيل: وجوب الانفاق على الزوجة من قبل الزوج، ووجوب التمكين للزوج على الزوجة، وغير ذلك من الأحكام الوضعية التي تكون موضوعاً للأحكام التكليفية.^(٢)

النقطة الثالثة: زاويتان مختلفتان للنظر إلى عملية الاستنباط

قبل الدخول في تحديد منهج الاستنباط عند الإمامية وتشخيص مراحل عملية الاستنباط، وترتيبها، وتسلسلها، والوقوف على الطريقة التي تتفاعل فيها في ما بينها المستلزمة لاختلاف النتيجة النهائية عندهم، إليك هذه النقطة المنهجية الفنية الغاية في الأهمية؛ بحيث يتضح بها الكثير من الإشتباكات، ويزول بها الكثير من الضبابية وسوء الفهم، لا سيما من قبل من لا خبرة له في عالم الفقه والفقاهة والاستنباط:

يمكن أن يُنظر إلى عملية الاستنباط المنضبطة وسيرها من زاويتين مختلفتين، أدى الخلط بينهما من قبل غير المتخصصين إلى سوء فهم من هنا، وحملات تهكم واستهجانٍ من هناك، إليك هاتين الزاويتين بصورةٍ مختصرةٍ جداً، بحيث يتضح لك ما سيعقب الكلام من مراحل عملية الاستنباط بصورة واضحة لا لبس فيها، فيتضح المنهج الاستنباطي لذي عَيْنين، وهو الهدف كما قلنا.

الزاوية الأولى: زاوية كون عملية الاستنباط مزاولة لعملية بحث علمي

أو قل: عملية تفكير باحثٍ عن حجة. والمقصود بالنظر من هذه الزاوية: النظر إلى عملية الاستنباط من زاوية كونها عملية بحث علمي، أي: عملية تفكير منطقيّة منضبطة يمرُّ بها الفقيه خلال ممارسته لعملية تشخيص الموقف إزاء المسألة محلّ البحث، من بداية تعرّضه للسؤال عن الموقف الشرعيّ إزاء تلك المسألة أو اختياره للبحث فيها، وانتهاءً بتشخيصه لهذا الموقف، أو قل: الهدف من عملية الاستنباط هنا هو مزاولة عملية بحث علمي لتشخيص الموقف الشرعي أو الحجة عليه؛ إذ تمرُّ هذه الممارسة البحثية بمراحلٍ مشخصةٍ محدّدةٍ مترتبةٍ ترتباً منطقياً عقلانياً منضبطاً، تفرّضه الطُروف العلميّة المنطقيّة الفنيّة الموضوعيّة الشرعيّة كلّها؛ إذ تتفق على هذه المراحل، وعلى هذا الترتيب.

عندما نقول: عملية الاستنباط بحث علمي، وهو الامر الذي لا ينبغي الشك فيه لأي عاقل، فإننا نعرّف ضمناً بلزوم وجود مراحلٍ مشخصةٍ متسلسلةٍ لعملية التفكير الممارسة هنا؛ فإنّه الحدّ الفاصل بين ما يسمّى البحث العلمي وبين غيره من عمليات بحثٍ ارتجاليةٍ غير منضبطة، أو قل: عمليات تفكيرٍ عبثية، وهو ما تراه في ما يقوله المتخصصون في (المناهج العلميّة)؛ إذ تقف هناك على أنّ البحث لن يكون علمياً إلا إذا كان طبق منهج علمي، وهذا بدوره لن يتحقق إلا بأن تكون مراحل هذا العمل والبحث والتفكير معيّنة سلفاً. (٣)

أضف إلى هذا أنّ هذه المراحل، بالترتيب المشخّص الذي سنذكره، هو الذي يُثبت ويشهد به واقع عمليات الاستنباط والاستدلال الكثيرة التي نمرّ بها في مختلف المسائل، وفي مختلف العصور، بل حتّى عند المذاهب الإسلاميّة كما يأتي بالتفصيل بعد قليل.

إنَّما نتكلَّم هنا-طبعاً-عَن ممارساتِ استنباطيَّةٍ منضبطةٍ، وليس ما أصبحنا نراه هنا وهناك من مُمارساتٍ مُشوَّهةٍ غير مُنضبطةٍ من قَبْل بعض المتطفِّلين على هذه العمليَّة والعياذ بالله.

وكذا إنَّ العمليَّة بمراحلها التي سنذكرها، هي ما قامت عليه الكلمات الكثيرةُ المنتشرةُ في العديد من أبواب الفقه والاستدلال، وَعَن أعظم فقهاءنا ومحقِّقينا ومتخصِّصينا كما سيأتي من كلماتهم، التي لا فرق في ما تقدَّمه من خطوطٍ عامَّةٍ وأساسٍ لعمليَّة الاستنباط بين أن تكون لحكم تكليفيٍّ، وبين عمليَّة استنباط حكمٍ وضعيٍّ.

علاوة على ما تقدم، فإن المنطق يقتضي المراحل التي ستأتيك كما سنقول بإذنه تعالى.

الزاوية الثانية: زاويةُ كون عمليَّة الاستنباط مستندا للافتاء طبق (حجة شرعيَّة)

وأما الزاوية الثانيةُ التي يمكن النظرُ من خلالها إلى عمليَّة الاستنباط، فهي زاوية كون هذه العملية مستنداً لإعمال الدليل الشرعي وتوظيفه في المسار الصحيح ليكون هو الدليل الحجة الذي يستند إليه الفقيه في فتواه؛ بحيث يكون هو الحجة في ما بينه وبين ربِّه على الموقف الشرعي الذي يشخصه للوقائع المختلفة. أو قل: الهدف من عملية الاستنباط هنا هو تشخيص الموقف الشرعي والحجة الشرعية عليه على أساس الزاوية الأولى (مزاولة عملية البحث العلمي).

نعني هنا بالدقة: الترتيب المنطقي الفني المنضبط بين الحجج والأدلة، التي يمكن أن تكون مستنداً صحيحاً مُعتبراً شرعاً للفقيه في تشخيص الموقف المطلوب طبق عملية البحث العلمي التي مارسها، وهو ما اعتدنا سماعه وعهدنا العمل به من الجميع في علم الأصول وعلم

الفقه؛ من تقديم للحُجَج بعضها على بعضٍ حسب الظروف والحالات المختلفة التي يمرُّ بها الفقيه خلال ممارسته لعملية الاستنباط، من قبيل: تقديم الدليل الاجتهادي (المحرز) على الدليل الفقاهتي (غير المحرز)، وتقديم الخاص والمقيّد من الأدلة على العام والمطلق منها، ومن قبيل: تقديم بعض الأدلة على بعضها في المرحلة الواحدة من مراحل عملية الاستنباط، كما هو الثابت في علم الأصول؛ من تقديم الأصل العملي السببي والموضوعي على الأصل العملي السببي والحكمي مثلاً، ومن قبيل تقديم الروايات المتعارضة تعارضاً غير مستقرّ أو مستقرّ على بعضها البعض وفق ما يتبنّاه الفقيه في بحوثه الأصولية المختلفة، وسيأتي جميع ذلك بالتفصيل بعد قليل بعونه تعالى، ويتبين بمجرد بيان مراحل عملية الاستنباط من الزاوية الأولى المتقدمة الذكر.

ومن المهم الالتفات هنا إلى أنّ مسير عملية الاستنباط من كلّ من الزاويتين يُخالف مسيرها من الزاوية الأخرى، ويعاكسها في الاتجاه تماماً؛ فبينما سترى أنّ هذا المسير طبقاً للزاوية الأولى سيبدأ من تشخيص الأصل العملي الجاري في المسألة محلّ البحث، سترى أنّ مسيرها طبقاً للزاوية الثانية سينتهي بهذه المرحلة؛ بمعنى: أنّ الفقيه لن يعتمد على الأصل العملي وما يقتضيه إلا في نهاية المطاف طبقاً للزاوية الثانية، وفي حالة فقدان الدليل المحرز على خلاف هذا المقتضي، وهو ما سيأتي بالتفصيل.

ملاحظة منهجية مهمة: لا خلاف في البين

إلا أنّ الذي ينبغي الانتباه إليه في المقام، هو أنّ الاختلاف في الاتجاه بين السّيرين المتقدّمي الذكر لا يعني أبداً التصادم والتضادّ والتخاصم بينهما، بل كلا السّيرين في خدمة هدف واحدٍ فاردٍ هو الهدف الأسمى من الممارسة الفقهية كلّها، ألا وهو تشخيص الموقف الشرعي من المسألة محلّ

البحث طبقَ حُجَّةَ شرعيَّة، وهو ما ستشاهده بصورة عملية تطبيقية في ما يأتي بيناً واضحاً بعونه تعالى بالتفصيل.

وقد صار عدم الالتفات الى الزاويتين المتقدمتين من قبل غير المتخصصين سبباً الى سوء فهم كلمات الاعلام القليلة النادرة الواردة في مراحل عملية الاستنباط؛ فإذا ورد أن مهمة الفقيه في المرتبة الأولى البحث عن دليل محرز خاص على الحكم الشرعي، وإلا عن دليل عام عليه، وفي حالة عدمها يكون المرجع ما يقتضيه الأصل العملي، فإن المنظور بهذا الكلام ليس مزاوله عملية الاستنباط طبق الزاوية الأولى، وإنما طبق الثانية كما بينا بالتفصيل.

وهكذا الأمر لو رأينا علماً ما يبين العملية طبق ما قدمناه من البدء بالأصل العملي؛ فإنه لا يخالف ما تقدم عن العلم السابق أبداً، وإنما هو يتكلم طبق الزاوية الأولى، بينما ذاك طبق الثانية كما قلنا؛ إذ لا شك في أن الكل يرون ما تقدم طبق الزاوية الثانية.

المطلب الأول: منهج استنباط الحكم التكليفي عند الامامية

أولاً: مراحل عملية استنباط الحكم التكليفي طبق الزاوية الأولى

وليكن الكلام كله هنا- كما تقدم- بصورة تطبيقية ومن خلال نموذج من نماذج عملية الاستنباط في مجال الحكم التكليفي، ليتضح المراد ويتحقق الهدف بأجلى صورة ممكنة.

ولنختر هنا مسألة ابتلائية مهمة لا سيما في عصرنا، وهي مسألة التغني بالقرآن، فلو تغنى المكلف بالقرآن كما يتغنى بغيره من الكلمات، فهل يترتب على هذا الفعل العقاب والإثم، فيكون محرماً تكليفاً، أم لا يترتب ذلك، فيكون جائزاً باعتبار نوع الكلمات وقديسياتها؟

لابد من الانتباه هنا إلى أن الكلام كله إنما هو في الصوت فقط، لا في ما يرافقه من آلات موسيقية، فسواء كان هناك هكذا آلات مع الصوت أم

لا، فهو غناء يُبحث هنا عن حكمه التكليفي بلا علاقة له بهذه الآلات من هذه الجهة. وأمّا الآلات واستعمالها، فقضية لها حكمها الخاص بها؛ فاستعمال الطبل أو العود-مثلاً-حين الغناء لا علاقة له في ما نحن فيه من حكم وبحث بالغناء، بل كلُّ له حكمه الخاص الذي تراعى فيه عملية استنباطية مستقلة للحكم التكليفي للعنوان الخاص محل البحث.

ولنبداً ببيان عملية استنباط الحكم التكليفي للتغني بالقرآن طبق الزاوية الأولى، وهي الزاوية التي ننظرُ منها إلى عملية الاستنباط بما أنّها عملية تفكيرٍ منطقيٍّ منضبطٍ يمارسها الفقيه لتشخيص الموقف الشرعي من المسألة محلّ البحث، فكيف يفكر الفقيه خلال هذه الممارسة؟ وما هي المراحل التي يمرُّ بها تفكيره هذا منذ نقطة البداية والانطلاق، وحتى نقطة الانتهاء بتشخيص ذلك الموقف، سواءً أكان الحكم، أم الوظيفة العملية تجاهه فيما لو لم يتمكن الفقيه من تشخيصه؟

وسنفترض أن الفقيه أراد أن يستنبط حكم ما نحن فيه من التغني بالقرآن مثلاً من حيث التكليف-استحقاق الإثم وعدم استحقاقه-وكذا سيكون الكلام كله هنا افتراضياً لأجل الاطلاع والتوضيح، فلا تقل هنا: ولكن، لا وجود لهكذا رواية. ولا تقل هناك: ولكن، ثبت إجماع على...، أو: ولكن الدليل قام على كذا، أو غير ذلك من أقوال في الجزئيات وفي عناصر عملية الاستنباط، فتفتك المراحل، ويفتك الفن، وتفتك متعة الرحلة. سنبنّ منهج الاستنباط ومراحل عملية الاستنباط أولاً، لنذكر الدليل على كلّ واحدة من هذه المراحل حسب ما نذكره من تسلسلٍ ثانياً.

المرحلة الأولى: تشخيص مقتضى الأصل العمليّ الجاري في المسألة الفقيه-شأنه شأن غيره من المفكرين العقلاء-ينطلق ممّا يعيشه من مشكلةٍ يراود إيجاد الحلّ لها، أي: باعتبار الهدف الذي يسعى للوصول إليه،

وبما أنَّ ممارسةَ عمليَّة الاجتهاد والاستنباط كلَّها إنّما هي بهدف تشخيص الموقف الشرعيّ من المسألة محلّ البحث طبق حُجّة شرعيّة مقبولة شرعاً، فالمفروض أنّه يبدأ تفكيره طبق ما يمرُّ به من حالة نفسيّة وعقليّة، وليس بمعزل عن هذه الحالة، وهذا أمرٌ واضحٌ لا شكَّ فيه، ولا شبهةَ تعرّيه. وبما أنَّ هدفَ الفقيه الأعلى هو - كما تقدّم - (الفتوى طبق حُجّة شرعيّة)، أو قل: (العلم بالأحكام الشرعيّة الفرعيّة عن أدلّتها)، فهذا يعني أنّه مُلزمٌ بالبحث عن الفتوى طبق ما جعله الشارعُ حُجّة في الحالة التي يعيشها الفقيه ويمرُّ بها، نعم، على الفقيه أن يكون دقيقاً في تشخيص هذه الحالة، فلا يُفتي طبق ما جعل حُجّة في حالة معيّنة إلاّ بعد بحثه، وتحقيقه، وإحرازه لتلك الحالة.

ولو تأملنا في الحالة التي يعيشها الفقيه في بداية مُمارسته لعمليّة الاستنباط في المسألة محلّ البحث (التغني بالقرآن)، لرأينا - بكلّ وضوح - أنّها (الشكّ) و(الحيرة) و(التردد)؛ إذ المفروض أنّه لا يزال بداية الطريق، وبداية الممارسة الفقهية، فمع غُصّ النظر عمّا جاء في المسألة من أدلّة، فقد يكون الحكم (الجواز)، كما قد يكون الحكم (الحُرمة).

ولو رجعنا إلى علم الأصول؛ باعتباره العلم المعنويّ بتهيئة أدوات الاستنباط وقواعده و(عناصره المشتركة)، والعلم المسؤول عن تشخيص القواعد الكلية الحاكمة على عمليّة التفكير الاستنباطي، لرأينا أنّ الشارع قد شخّص هذه الحالة حلاًّ محدّداً وطريقةً خاصّةً لتشخيص الموقف طبق حُجّة، وهو العمل على طبق ما يُسمّى بالأصل العمليّ (الدليل الفقاهتي)؛ فهو المرجعُ في حالات الشكّ في الحكم الواقعيّ، وهو الحالة التي يمرُّ بها الفقيه فعلاً ما دام في بداية انطلاقه في العمليّة، وهو ما يجبُ أن يتمسك به الفقيه ما دام موضوعه - وهو جريان الدليل الفقاهتي - متحقّقاً فعلاً، وأعني بالموضوع الشكّ في الحكم الواقعيّ.



وبما أنّ الكلام في حكم تكليفيّ، فلا بد من تشخيص مقتضى الأصل العملي الذي يجري في هذا المجال من الحكم، أعني: التكليفي، وهنا نقول: أكثر الموارد التي يريد فيها الفقيه تشخيص هذا الحكم، يكون الأصل الجاري فيها هو (أصالة البراءة) الجارية في حالات الشك البدويّ؛ باعتبار أن أكثر هذه الحالات هي من حالات الشك البدوي غير المقرون بيقين سابق ولا المقرون بالعلم الاجمالي، فيكون المرجع أصالة البراءة كما هو المعلوم عند المتخصّصين.

نعم، في بعض الحالات الخاصة يجري هناك تعارض وتصادم بين الاصول العملية المختلفة التي يحتمل جريانها في المرحلة الاولى من مراحل عملية الاستنباط، بحيث تكون الغلبة في بعض الاحيان لغير أصالة البراءة من الاصول العملية، من قبيل الاستصحاب الذي يجري مع حالة متيقنة سابقة على الشك، كما سيأتي تفصيله وتطبيقه في آخر الروايات التي ستكون مادة للبحث العلمي في هذا البحث بعونه تعالى.

وعليه، فلنفترض أننا نتكلم عن أكثر الموارد شيوعاً في استنباط الحكم الشرعي حيث لا حالة متيقنة سابقة، بل الوجود محض الشك البدوي، كما في ما اخذناه مثلاً هنا وهو مسألة التغني بالقرآن، ففي هذه الحالة يكون الكلام في الحكم التكليفيّ للتغني بالقرآن، ويكون المرجع بالنسبة الى الاصول العملية في المرحلة الاولى من مراحل عملية الاستنباط - كما تُقَّح في علم الأصول - هو البراءة، والجواز، وعدم الإثم.

وكما ترى، فإننا تمسكنا في المقام بما جعله الشارع حجة في الحالة التي يمرُّ بها الفقيه، وهي الشك، والحجة في هذه الحالة هي الأصل العمليّ، وهو أصالة البراءة، التي قام عليها الدليل في علم الأصول.

هذه بداية الطريقة الأصولية المنطقية لعملية الاستدلال الفقهيّ، فهي تبدأ - أبداً - بالانطلاق ممّا يقتضيه الأصل العمليّ الجاري في المسألة محلّ البحث؛ إذ هو بداية الطريق لتحقيق الهدف: تشخيص الموقف طبق حجة شرعية.

ولسنا هنا في مقام إقامة الدليل بالتفصيل على ما تقدّم؛ ولكن، بصورة عامة: المعين على إثبات المراحل وتسلسلها بصورة عامة خمسة أمور:

الأول: الهدف من عملية الاستنباط

عملية الاستنباط ومرآحها ما هي إلا الطريق إلى الوصول إلى الهدف باستعمال الأدوات الصحيحة، وما دامت كذلك، فإنها لا يمكن أن تكون صحيحة فنية إلا بأخذ الهدف بنظر الاعتبار؛ فإنها طريق إلى هذا الهدف لا عملية اعتباطية بلا هدف.

وما دام الهدف - كما تقدّم - تشخيص الفتوى طبق حجة، فلا بد من لحاظ الحالة التي يعيشها الفقيه وهو يمارس عملية الاستنباط في هذا التشخيص والطريق، وهذا ما يجعلنا نذكر الأمر الثاني في المقام.

الثاني: علم الأصول

علم الأصول هو العلم الذي يحكم كل جزئية من عملية الاستنباط، ويلزم الفقيه بطريقة تعامل خاصة مع الأحداث والعناصر المختلفة التي يمر بها خلال هذه العملية.

ومن هنا، فإن علم الأصول هو المرجع في تعيين مراحل عملية الاستنباط؛ إذ هو من يعين الحجة التي يلزم الفقيه الأخذ بها في كل مرحلة من مراحل عمله الدقيق، وهو البحث العلمي.

الثالث: الممارسات العملية للاستنباط

ونعني هنا: مراجعة الواقع الخارجي لآلاف العمليات الفقهية الاستنباطية من قبل المتخصصين في هذه العملية بحق، الموثقة في مختلف الكتب الاستدلالية المختلفة على طول التاريخ، لا سيما لعلمائنا المتأخرين والمعاصرين.

الرابع: علم المنطق

حيث الطريق الى اثبات الموقف بدليل لا بد من أن يبدأ بتشخيص ما يقتضي الحجية الشرعية، ليتلى ذلك بالبحث عن عدم المانع من عمل هذا المقتضي، فالأصل في المقام يقتضي الحجية، ما يعني ضرورة البحث عما يحتمل كونه مانعاً من العمل من هذا المقتضي كما سيأتي الآن.

الخامس: درء محذور تحصيل الحاصل

وأما خامس هذه الأمور، فهو محذور تحصيل الحاصل؛ إذ الالتزام بما ندعيه من منهج ومراحل لعملية الاستنباط هو السبيل الوحيد الى عدم الوقوع في محذور تحصيل الحاصل؛ على ما سنذكره بالتفصيل في ما يأتي من صور وحالات لعملية الاستنباط وما يتوفر فيها من عناصر مختلفة، منها صورة انعدام العام او المطلق أو الخاص المخالف لمقتضى الأصل العملي الجاري في المسألة محل البحث.

هذه أمورٌ خمسة ينبغي أخذها بنظر الاعتبار ونحن نحاول إثبات أصل التسلسل بين مراحل عملية الاستنباط.

والآن نقول:

من الواضح أن حالة الفقيه وهو يستهدف تحديد موقف الشريعة من المسألة محل البحث هي التردد والشك، فإذا كان الهدفُ تحديدَ هذا الموقف طبقَ حُجّة شرعية، فإنَّ علم الأصول يحدّد الحُجّة في هذه الحالة بالأصل العملي؛ إذ هو المرجعُ في حالة الشك، ما يعني: أن الانطلاق لا بدّ من أن يكون طبقَ ما جعله الشارع حُجّة حين الشك، وهو في المقام أصالة البراءة كما تقدّم.

ننقل هنا بعضاً من كلمات أعظم المحققين تثبت ما تقدم، علماً بأنّ هناك عدداً لا يُحصى من الكلمات التي ذكرها الفقهاء في مقامات كثيرة من عمليات استدلالهم، تصرّح كلّها بأنّ اللازم في عملية الاستنباط هو تنقيح الأصل العملي قبل أي شيء ليكون نقطة الانطلاق في العملية كلها، ثم

النظرُ في ما تقتضيه الأدلة المحرزة في المقام، وإليك بعض تلك الكلمات: قال استاذ الفقهاء والمجتهدين الشيخ الانصاري في مكاسبه في بحث ولاية الفقيه: (مقتضى الأصل عدم ثبوت الولاية لأحد بشيء من الأمور المذكورة، خرجنا عن هذا الأصل في خصوص النبي والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين بالأدلة الأربعة).^(٤)

وقال المحقق النراقي في المستند: (الكلام في المشتبه يقع في مواضع أربعة: أولها: في طهارة كل جزء على البدلية.

وثانيها: في تطهير الجميع وزوال النجاسة المتحققة. . . .

أما الأول، فلا كلام فيه؛ لطهارة كل جزء بالأصل، وتطهره قطعاً بالغسل. وما في كلامهم من أنه يجب غسل كل جزء، فهو لتحصيل العلم بطهارة الجميع.

وأما الثاني، فهو الذي يذكرونه في بحث إزالة النجاسات، ويذكرون أنه لا يطهر بغسل جزء منه، بل يتوقف على غسل الجميع، والحكم في هذا وسابقه باقٍ على ما يقتضيه الأصل والقاعدة).^(٥)

فانظر إلى قوله: (باق)، الصريح في أنه قد جرى تنقيح الأصل وما يقتضيه قبل ذلك، وإلا، لم يصدق أنه (باق).

وهكذا التعبير بقوله (القاعدة)؛ فإن من الواضح أن القاعدة إنما هي ما ينطلق منه ويبنى عليه بلا أدنى شك.

وقال المحقق الهمداني في مصباح الفقيه: (وحيث إن أخبار الباب في غاية الكثرة والاختلاف، فالأولى أولاً تأسيس ما يقتضيه الأصل).^(٦)

وقال أيضاً: (وحيث إن تعارضهما بالإطلاق، فيتساقطان، فنبقى نحن ومقتضى القاعدة والأصل الجاري في المقام، وهو يقتضي. . .).^(٧)

والكلمتان واضحتان في ما ادّعيانه أيضاً.

وفي حاشية المكاسب للآخوند: (لا يبعدُ تعيُن قيمة بَلَد المطالبة؛ فَإِنَّهُ محلّ الخروج عَمَّا عليه، والوفاء بها في ذمّته، بناءً على المشهور، من بقاء اشتغال ذمّته بالمثل مع تعذُّره، وعدم تبدّل الاشتغال به بالاشتغال بالقيمة، وكذا على ما قرّبناه من بقاء العَيْن على العُهدَة؛ فَإِنَّهُ محلّ العموم بها هو قضِيّة كون العَيْن مضمونةً وفي العُهدَة، ولو مُنِعَ عَنْ أَنَّهُ لم يُعلم استقرارُ سيرة العمل على ذلك، فلا بدّ من الرجوع إلى ما يقتضيه الأصل، وقد مرَّ تحقيقه).^(٨)

وكلمة (الرجوع) واضحة الدلالة على ما نحن فيه.

وقال المحقق الخوئي رحمه الله: (فكلما شككنا في نفوذ شرط وخيار، فالأصل يقتضي نفوذه، فان مقتضى عدم النفوذ هو الحكم بما نشك في انشائه فالأصل عدمه كما لا يخفى. هذا ما يقتضيه الأصل الذي لا بد من الرجوع إليه عند الشك.

ثم إن الشرط قد يرجع إلى الخيار وقد لا يرجع، ويتضح ذلك بما سنذكره وإذا عرفت ذلك فنقول لا بد من تحقيق معنى الشرط وما يجوز جعله في العقود وما لا يجوز ليتضح ما هو الضابط في المقام، أعنى: ما يدخل فيه الخيار وما لا يدخل فيه الخيار حتى نرجع في غيره إلى الأصل).^(٩)

إلى غير ذلك من الكلمات الكثيرة جداً، التي لا يفرّق فيها كون الكلام في حكم تكليفيٍّ أم وضعيٍّ كما يعرفه المتخصّصون.

لا يقتصر الأمر هنا على الإماميّة، وإنّما يعمُّ ذلك العامّة أيضاً، وهذا واضحٌ لا حاجة إلى ذكر دليلٍ عليه؛ فإنَّ الهدف من عمليّة الاستنباط لما كان عندهم - كما عندنا - هو (الإفتاء طبق حُجّة)، فهذا يكفي دليلاً، وإن اختلفت مصاديقُ الحُجّة بيننا وبينهم أحياناً، وعلاوةً على ذلك، نذكر الدليلَ على ذلك من كلماتهم أيضاً:

قال الغزاليُّ في المُستَصفى: (وأما العقلُ، فنعني به: مستندُ النَّفي الأصليِّ للأحكام، فإنَّ العقلَ قد دلَّ على نفي الحَرَج في الأقوال والأفعال، وعلى نفي الأحكام عنها من صورٍ لا نهاية لها.

أما ما استثنته الأدلة السمعية من الكتاب والسنة، فالمُستثناءُ محصورةٌ وإن كانت كثيرة، فينبغي أن يرجع في كلِّ واقعة إلى النفي الأصليِّ والبراءة الأصلية. ويعلم أنَّ ذلك لا يغيَّرُ إلَّا بنصٍّ أو قياسٍ على منصوصٍ، فيأخذ في طلب النصوص، وفي معنى النصوص الإجماعُ وأفعالُ الرسول، بالإضافة إلى ما يدلُّ عليه الفعلُ على الشرط الذي فصلناه).^(١٠)

وفي التيسير: (وأن يكونَ عارفاً بالدليل العقليِّ، أي: البراءة الأصلية، والتكليف به (في الحجية، كما تقدّم أنَّ استصحابَ العدم الأصليِّ حجة) فيتمسك به، إلى أن يصرف عنه دليلٌ شرعيّ).^(١١)

ومثل ما تقدم في حاشية العطار^(١٢)، وفي تقرير السيوطي^(١٣)، وفي شرح أصول البزدوي^(١٤) وغيرها من الكتب الأصولية المعتمدة.

المرحلة الثانية: البحث عن عامٍّ أو مُطلقٍ مخالفٍ لمقتضى الأصل العملي وبعد أن اتَّضحَت المرحلة الأولى من مراحل عملية الاستنباط، واتَّضح أنَّ الفتوى هي جواز التغني بالقرآن طبقاً لمقتضى الأصل العمليِّ وأصالة البراءة، ولما كنَّا لا زلنا في ممارسة عملية البحث عن (فتوى طبق حجة مُعتبرة شرعاً)، فإنَّ المنطق والعقل يقتضيان سؤالاً بسيطاً في المقام، وهو: هل يمكنُ للفقهاء الآن أن يُفتيَ بالجواز وعدم الإثم بمقتضى الأصل العمليِّ المزبور، ما دام هو الأصل الجاري في المرحلة الأولى من مراحل عملية الاستنباط؟

ويمكن صياغة السؤال المتقدم بعبارة أخرى أكثر تخصصاً بأن نقول: ما تقدم من مقتضى الأصل إنما هو (مقتضى) كما عبرتم، ولا يكون هذا

حجة إلا مع عدم المانع من عمل الاصل العملي وتأثير مقتضاه، فهل انعدم المانع في ما نحن فيه؟

ونلاحظ أن السؤال سؤال منطقي اقتضته طبيعة الحالة التي يعيشها الفقيه من جهة، وما يقتضيه المنطق من جهة أخرى؛ حيث البحث عن عدم المانع لكي يصح التمسك بالأصل العملي كحجة شرعية، وليست أمراً ارتجالياً على غير هدى ولا بصيرة.

وجواب السؤال المنطقي المتقدم نجده في علم الأصول أيضاً، بل هي وظيفته؛ مادام العلم الباحث عن (أدلة الفقه) و(العناصر المشتركة) و(القواعد العامة) الحاكمة على عملية الاستنباط والاستدلال كما تقدم، فهو المسؤول عن تشخيص الجواب الصحيح في المقام كما تقدم.

ولو رجعنا إلى هذا العلم، لكان الجواب واضحاً كما يذكر في علم الأصول، وهو: لما كان عملك وهدفك -أيها الفقيه- هو الإفتاء على طبق (الحجة) -الأمر الذي تتفق عليه كلنا- فلا بد وأن يكون ما تستند إليه مما حَكَمَ الشارعُ بكونه حجةً يصحُّ التمسُّكُ به في إسناد الحكم إلى الله تعالى، والكلُّ يعرف أن الأصل العملي لا يكون حجةً إلا في حالة تحقق موضوعه، وموضوعه -كما يعرف الجميع- هو (الشك في الحكم الواقعي)، وإلا، كان التمسُّك بالأصل والإفتاء على طبقه خطأً فاحشاً، وإفتاءً بغير حجة شرعية والعياذُ بالله. ^(١٥)

الكلمة المتقدمة على اختصارها، تعني: أن المرحلة الثانية من مراحل عملية الاستنباط منطقياً وفنياً وعقلائياً وشرعياً، هي البحث عن تمامية دليل يرفع موضوع الأصل العملي.

ولا فرق هنا بين أن يكون هذا الدليل مما يثبت خلاف مقتضى الاصل العملي، أعني: (حرمة) التغني بالقرآن، أو كان مما يثبت مقتضى الأصل المتقدم، أعني: مما يثبت جواز التغني بالقرآن، كما لا فرق بين أن

يكون هذا الدليل المحرز عاماً أو خاصاً، وكذا لا فرق بين أن يكون هذا الدليل المحرز القاطع للعمل بالأصل العملي قطعياً أو ظنياً؛ إذ لا تأثير أبداً لنوع هذا الدليل في المقام كما هو واضح؛ إذ يكفي كون الدليل محرزاً مخالفاً أو موافقاً لمقتضى الأصل العملي؛ لرفع موضوع جريان هذا الأصل وقطع العمل به كما هو أوضح من أن يخفى؛ بناءً على أن حجية الأصل إنما هي بتمامية موضوعه وهو الشك كما قلنا، فإن توفر هكذا دليل، تركنا مقتضى الأصل العملي، وصرنا -لو كنّا نحن والمرحلة الثانية- إلى الحرمة؛ إذ مع الدليل المحرز الاجتهادي الراجع للشك، كيف تصلّ النوبة إلى مقتضى الأصل العملي؟!

وبناءً على هذا الذي تقدّم، فإنّ المرحلة الثانية -كما رأينا بمقتضى الفنّ والمنطق والعقل والشرع- هي البحث عن دليل محرز حجة يمنع من العمل بمقتضى الأصل العملي، ليثبت حرمة العمل أو جوازه، وهو التغني بالقرآن في ما نحن فيه.

وإن شئت، فعبر بما يأتي:

إنّ حجية الأصل العملي في المرحلة الأولى إنما هي حجية اقتضائية، أي: الأصل يقتضي الحجة، والمقتضي لا يؤثر تأثيره (ألا وهو ثبوت الوظيفة العملية بمقتضاه، أي: الجواز وعدم الإثم في المقام)، إلّا بعد ثبوت عدم مانع يمنع من عمله وتأثيره كما هو المعروف، من أنّ العلة إنما هي مجموع ثلاثة أمور: المقتضي، وعدم المانع، وتحقيق الشرط.

وعلى هذا، فينبغي هنا البحث عن عدم المانع من عمل المقتضي، وهو ما نحن فيه من مرحلة ثانية.

إلّا أنّ ما ينبغي الالتفات إليه ونحن نصل إلى هذه المرحلة الثانية، أمران: الأول: أنّ الفقيه في هذه المرحلة لا يبحث عن أي دليل يمنع من العمل

بمقتضى الأصل العمليّ، وإنّما يبحث عن نوع خاصّ من الأدلّة المحرّمة أو المحلّلة، وأقصد: أنّه يبحث عن دليل (مطلق) أو (عامّ)، وهو المسمّى في كلمات المتخصّصين باسم (العامّ الفوقانيّ)، و(العموم الفوقانيّ)، الكلمة الواضحة جدّاً في تقدّم هذه المرحلة على غيرها من المراحل القادمة لعملية الاستنباط، وليس عن دليل خاص.

وأما الدليل على هذا الأمر، فهو:

أولاً: إنّ مقتضى استقراء الواقع من عمليّات الاستنباط من الفقهاء الفحول بمختلف طبقاتهم؛ يكفي في إثبات ذلك ملاحظة مُصطلّحين متّفقٍ عليهما بينهم كما تقدّم، وهما: مصطلح (العامّ الفوقانيّ)، ومصطلح (العموم الفوقانيّ)، اللذان يعدّان من المصطلحات الشائعة بينهم في مختلف ما يمارسونه من عمليّات استنباط، عندما يواجههم تعارض بين خاصّين في مورد من الموارد؛ حيث تكون النوبة عندهم في حالة تعارض الخاصّين وتساقطهما هي الرجوع إلى هذا العامّ، ما يعني بكلّ وضوح -كونه المرجع والمرحلة التي تسبق مرحلة التعارض هذه.

قال في المعجم الأصولي:

(العموم الفوقانيّ):

عندما تستقرّ المعارضة بين دليلين اجتهاديين، ولم يكن ثمة مرجّح من المرجّحات المنصوصة أو غير المنصوصة لو كنّا نقول باعتبارها، وكنّا نقول بعدم التّخير أو التوقّف، إمّا مطلقاً أو حينما لا يكون التعارض بين الأخبار، فإنّ القاعدة العقلية تقتضي التساقط، أي: سقوط كلا الدليلين المتعارضين عن الحجّية، وحينئذ، لو كان في البين عموم أو إطلاق من الآيات أو الروايات، ولم يكن ذلك العموم أو الإطلاق طرفاً في المعارضة، فإنّه يكون مرجعاً في تحديد الحكم الشرعيّ.

وهذا العمومُ أو الإطلاقُ هو المعبرُ عنه بالعمومِ الفوقانيّ، فالملقودُ من العمومِ هو الأعمُّ من العامِّ الاصطلاحيِّ والإطلاق، ومنشأُ التعبيرِ عنه بالفوقانيّ هو مرجعيّته بعد سقوط طَرَفَيِ التعارضِ عَنِ الحجيّةِ، فكأنّه في رُتبةِ الفوقيّةِ بالنسبةِ إليهما، فحينَ لا يُجدي الرجوعُ إليهما نظراً إلى تعارضهما، يكونُ هو المرجعُ.

ومثالُ ذلك: لو وَرَدَ دليّان: أحدهما: يقتضي لزومَ التكفيرِ بشاةٍ عند استعمالِ المحرمِ للطيبِ، والآخر: يقتضي عدمَ لزومِ التّكفيرِ، واستحكمتِ المعارضةُ بينهما، وليس من مرجّحٍ لأحدهما، فإنَّ القاعدةُ تقتضي سقوطَهما عَنِ الحجيّةِ، وحينئذٍ لو وَرَدَتِ روايةٌ معتبرةٌ مفادها: أنَّ كُلَّ مَنْ ارتكب واحداً من تروكات الإحرامِ، فإنَّه يكونُ ملزماً بالتكفيرِ بشاةٍ، فإنَّ هذه الروايةُ تكونُ عموماً فوقانيّاً؛ لأنّها لم تقع طَرَفاً في المعارضة، وهو ما يبرّرُ عدمَ سقوطها عَنِ الحجيّةِ، وبذلك تكونُ هي المرجعُ في تحديدِ حكمِ مَنْ استعملَ الطيبَ حالَ الإحرامِ).^(١٦)

وكذا تعبّرُهم بكونِ المرجعِ بعد التّساقطِ في الخاصّينِ هو العامُّ، كما في قولِ المحقّقِ الخوئيّ: (وعلى تقديرِ التعارضِ والتساقطِ، يرجعُ إلى العُموّاتِ والمُطلقاتِ الدالّةِ على صحّةِ العقود، وقد عرفت ذلك كلّهُ في ما تقدّم).^(١٧) وقلنا- ونعيد القول -: لا فرق في البينِ بينَ أن يكونَ الشاهدُ من كلامِ وارِدٍ في الحكمِ التكليفيِّ أو الحكمِ الوضعيّ؛ ما دام محققاً للهدفِ من ورائه، وهو إثباتُ كونِ المرحلةِ الثانيةِ من مراحلِ عمليّةِ الاستنباطِ هي (العامُّ الفوقانيّ). والكلماتُ المشابهةُ كثيرةٌ غايةً في الكثرةِ عَن فطاحلِ عمليّاتِ الاستنباطِ والاستدلالِ ومتخصّصيها.^(١٨)

ثانياً: أنَّ تقديمَ البحثِ عَنِ العامِّ والمطلقِ على البحثِ عَنِ الخاصِّ والمقيّدِ المخالفِ أو الموافق لمقتضى هذا الأصلِ، عمليّةٌ عقليّةٌ يمارسها

جميع العقلاء في عمليات استدلالهم؛ لاحظ مثلاً ما يقوم به المحامون والقضاة- وهم أقرب الناس إلى عالم الاستدلال والاستنباط- ترى أنهم يتسلسلون في ذلك حسب ما تقدّم هنا، وهذا ما يفعله الأطباء أيضاً في تشخيصهم للأمراض إن سألتهم.

الثاني: أن الفقيه في هذه المرحلة لا يبحث عن أي دليل (مطلق) أو (عام) يمنع من العمل بمقتضى الأصل العملي، وإنما يبحث عن نوع خاص من هذين هو المخالف لمقتضى الأصل العملي، وإليك تفصيل ذلك ضمن العنوان الآتي:

ملاحظة منهجية مهمة

مراجعة ما ورد من كلمات الاعلام المتقدمة وغيرها في مجال استنباط الحكم التكليفي والحكم الوضعي يشير بكل صراحة الى أنهم حين البحث في هذه المرحلة الثانية، فإنهم يقدمون البحث في عمومات وإطلاقات تخالف مقتضى الأصل العملي الجاري في المسألة لا تلك التي توافقه، بل لا يتكلمون في هذا الموافق ولا حتى يشيرون إليه، فيبحثون في كونه حجة في نفسه سنداً ودلالة؛ ويمكن أن يكون ذلك بأحد توجيهين:

الأول: فرضهم عدم جريان الموافق وتحقيقه في الموارد كلها إلا ما ندر مما يذكرونه في هذه الحالات النادرة، وهذه كلمات الشيخ الأنصاري الآتية كلها تدل على ذلك.

الثاني: أنه لا فائدة فنياً ومنهجياً من البحث عن الموافق لمقتضى الأصل؛ إذ الموقف الفقهي والشرعي ثابت بهذا المقتضى وكفى به دليلاً لا يقل عن الدليل المحرز من حيث الحجية والاثبات، فالبحث عن دليل موافق سيعد من تحصيل الحاصل ونحن في هذه المرحلة، نعم، لو وجد المخالف، سيكون البحث عن الموافق موجهاً في هذه

الحالة؛ إذ لا حجية للأصل العملي مع وجود المخالف؛ إذ هو المانع من عمله، فيتوجه الجهد حينئذ الى البحث عما يخالف ويعارض هذا المانع لتحديد قدرته على المنع كما هو واضح منهجيا.

فانتبه الى هذه النقطة المنهجية المهمة، التي سنعتمدها ونحن ندرس مرويّاته (عليه السلام) في ضوء منهج الاستنباط؛ فإنك ستري أننا سنشير الى المرحلة الثالثة بكونها البحث عما يخالف مقتضى الاصل العملي الجاري في المسألة، وإذا ما رأيتنا لا نشير الى أي عموم أو اطلاق موافق لمقتضى الاصل العملي، فاعلم أننا افترضنا أن الواقع خال من هكذا دليل، وسنعيد التنبيه على هذه النقطة لأهميتها في البحث الاتي حين استعراض الروايات بعونه تعالى، وكذا سيأتي مزيد تفصيل في النقاط المنهجية التي سنذكرها بعد استعراض منهج الاستنباط.

المرحلة الثالثة: البحث عن عامٍّ أو مُطلقٍ معارض للعام أو المطلق المتقدم
وفي حالة ما إذا تم دليل من النوع السابق في المرحلة الثانية، فإنه إنما يقتضي الحجية كما هو واضح بعد تماميته سنداً ودلالة كما هو المفروض، فتصل النوبة الى البحث عن تماميته بالنسبة الى وجود أو عدم وجود ما يعارضه في رتبته كما تقدم.

وفي هذه المرحلة لنفترض وجود المعارض العام أو المطلق، وفي حالة تمامية هذا بدوره في نفسه سنداً ودلالة، يقع التعارض بينه وبين سابقه المخالف لمقتضى الاصل العملي، فننتقل الى المرحلة الثالثة الاتية.

المرحلة الرابعة: تشخيص الموقف من تعارض العمومات والاطلاقات
وإذا ما افترضنا تمامية العمومات والاطلاقات في المرحلتين الثانية والثالثة، فإنه لا بد في هذه الحالة من تشخيص الموقف من هذا التعارض حسب ما شخص في علم الاصول من قواعد وضوابط.

المرحلة الخامسة: البحث عن مخصّص أو مقيد لما تم من العمومات والاطلاقات في المرحلة السابقة

من اللازم التنبيه مرة أخرى هنا على أن ما نذكره من المراحل إنما هو محض فرضيات الهدف منها التوضيح للخطوط العامة لمنهج الاستنباط، ولو شئنا التفصيل لاحتجنا الى مزيد كلام وتوضيح، فانتبه.

وبصورة عامة وعادة وغالبا وواقعا، فإن ما سيتم في المراحل المتقدمة من مراحل عملية الاستنباط إما ما دل على الحرمة كما هو الواقع في ما نحن فيه من مسألة التغني بالقرآن، وإما الجواز، فيكون هذا العموم أو الاطلاق بدوره مما يقتضي الحجية، فيجب البحث عما يمكن أن يكون مانعا من العمل بهذا المقتضي، فإن كان الجواز-وهو النادر-كانت المرحلة الخامسة البحث عن دليل خاص على الحرمة لا على الجواز؛ فإنه المانع المتصور في المقام كما هو واضح، وإن كان الحرمة-وهو الأعم الأغلب-كانت المرحلة الخامسة البحث عن دليل خاص على الجواز لا على الحرمة؛ فإنه المانع المتصور في المقام.

المرحلة السادسة: البحث عن معارض للمخصّص أو المقيد وإذا ما افترضنا تمامية المخصّص والمقيد سواء أكان المجوز في بعض الحالات أو المحرم في الحالات الأخرى من حيث السند والدلالة، فإن النوبة تصل الى البحث عن معارضه في رتبته أعني: الخاص، فإذا افترضنا تمامية هذا المعارض في نفسه أيضا، وقع التعارض بين الخاصين، فننتقل الى المرحلة التالية حيث تشخيص الموقف من التعارض؛ بغية تعيين الدليل الحجة شرعا.

المرحلة السابعة: تشخيص الموقف من تعارض الخاصين ولما كنّا نعيش حالة تعارض بين الأدلة (الروايات كما هو المفروض في

المقام)، فإنَّ المتعيَّن في مثل هذه الحالة الخوضُ في تشخيص الموقف من التعارض، العمل الذي هو من اختصاص علم الأصول، وما ينقِّحه الفقيهُ الأصوليُّ فيه أيضاً، لنجده يقول: لا بُدَّ من تشخيص نوع التعارض أولاً قبل كلِّ شيء؛ فإنَّ كان (مستقراً)، أعملنا قواعده التي يرتضيها الأصوليُّ ويبنى عليها، من إعمال المرجِّحات بنوعيهما: الداخليِّ السنديِّ- من الأكثرية، والأعدلية، والأوثقية مثلاً- والخارجيِّ- من موافقة الكتاب ومخالفة العامة مثلاً أولاً، أو ما يذهب إليه المجتهد في المقام- فإنَّ نفعنا تلك المرجِّحات، فرجَّحت كفةً واحد من المتعارضين، كان العملُ على طبقه والافتاء بمفاده.

وأما إذا لم تُقدِّمنا المرجِّحات- والكلام كُلُّه افتراضيٌّ- وصلت النوبةُ إلى ما يختاره المجتهدُ في الأصول أيضاً من الموقف من المتعارضين تعارضاً مستقراً ولم تفد معهما المرجِّحات، من التساقط، كما عليه المشهور، أو غير ذلك، من التخيير أو التوقُّف مثلاً.

وسيايُ مزيدُ كلام عن قوانين التعارض بعد قليل في الملاحظات المنهجية الكلية بعونه تعالى.

ملاحظة منهجيةٌ محوريةٌ تتعلق بالطريقة الفنية للاستنباط

كما تقدم، فإن المراحل المتقدمة قد أخذ فيها تمامية الدليل الذي يبحث عنه في كل مرحلة من المراحل؛ وكان ذلك ضرورياً لبيان الخطوط العامة لمنهج الاستنباط عند الامامية، إلا أن اللازم التنبيه على نقطة منهجية مهمة قبل الخوض في دراسة الروايات محل الكلام على المنهج المذكور؛ إذ يمكن أن تكون مراحل عملية الاستنباط أقل من سبع مراحل، وإليك التوضيح ضمن الكلام عن الحالتين الاليتين كنموذج:

الأولى: حالة عدم العام او المطلق المخالف لمقتضى الأصل العملي

ما تقدّم إنّما هو الخطوط العامّة للاستنباط وطريقته ومنهجيته كما قلنا، إلا أنّ المراحل قد تختلف في حالة خاصة هي ما إذا لم يكن عمومات وإطلاقات تقتضي الحرمة في المرحلة الثانية؛ فإنّ المرحلة الثالثة في مثل هذه الحالات هي البحث عن أيّ دليل محرز على خلاف مقتضى أصالة البراءة، وهو الدليل المحرز (الخاص) على الحرمة لا عن أي دليل آخر؛ وذلك لعين ما تقدم في تقديمهم للعام المخالف في البحث في المرحلة الثانية دون الموافق.

وفي هذه الحالة، إذا لم يتم الدليل من هذا النوع، فإنّ للفقهاء أن ينهي عملية استنباطه بالافتاء بالجواز تكليفاً؛ إذ غاية ما في الأمر وجود دليل محرز عليه، فيكون هذا من تحصيل الحاصل بعد أن كان مقتضى الأصل العملي الجاري في المسألة البراءة كما قلنا.

وأما إن تم الدليل الخاص على الحرمة في هذه المرحلة الثالثة، فتكون الرابعة في البحث عن معارضه، فإن وجد، انتقلنا الى المرحلة الخامسة الاخيرة وهي تشخيص الموقف من التعارض^(١٩)، وهذه الحالة مما سنراه عملياً حين استعراض الروايات في البحث التالي بعونه تعالى.

الثانية: حالة عدم العام او المطلق الموافق لمقتضى الأصل العملي

قلنا: المرحلة الثالثة في حالة ثبوت العام او المطلق في الثانية هي مرحلة البحث عن معارضه في رتبته، فإن كان، كانت المراحل كما تقدم، وأما إذا لم يتوفر، فمن الواضح أن المرحلة البعيدة لن تكون كما تقدم تشخيص الموقف من تعارض العمومات والاطلاقات، وإنما ستكون في الخاص المعارض للعموم المخالف الذي افترضنا تماميته في المرحلة الثانية؛ إذ هو المانع من حجية ما تم من العموم في المرحلة السابقة، لننتقل الى البحث في الخامسة عن معارضه في حالة تماميته، فإن وجد، انتقلنا الى المرحلة السادسة الاخيرة وهي تشخيص الموقف من التعارض^(٢٠).

تطبيق المراحل على النموذج المختار من التغني بالقرآن

هذا هو المنهج الذي يتبعه الامامية في عمليات استنباطهم المختلفة، ولو رجعنا الى ما اخترناه نموذجا لكانت مراحل عملية الاستنباط كما يلي:

المرحلة الأولى: الأصل العملي الذي يقتضي البراءة والجواز.

المرحلة الثانية: الدليل المحرز على حرمة الغناء مطلقا (عمومات وإطلاقات حرمة الغناء).

وهذه الأدلة تشمل التغني بالقرآن في ما نحن فيه؛ بعد الاتفاق على أن التغني بالقرآن (غناء) في الحقيقة كما يتضح من كلمات الفقهاء في المقام.

المرحلة الثالثة: الدليل المحرز على جواز الغناء مطلقا (عمومات وإطلاقات جواز الغناء).

ومن الواضح ان لا دليل في المقام من هذا القبيل.

المرحلة الرابعة: الدليل الخاص المحرز على جواز التغني بالقرآن

من قبيل ما ادعاه البعض، وهو ما رواه ثقة الاسلام الكليني في الكافي، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، (قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إذا قرأت القرآن فرغت به صوتي، جاءني الشيطان، فقال: إنما تراني بهذا أهلك والناس؟ قال: يا أبا محمد: اقرأ قراءة بين القراءتين: تسمع أهلك، ورجع بالقرآن؛ فإن الله - عز وجل - يحب الصوت الحسن يرجع فيه ترجيعاً) ^(٢١).

فيمكن للبعض الاستدلال بهذا الحديث الشريف على جواز الغناء بالقرآن.

المرحلة الخامسة: الدليل المحرز الخاص على حرمة التغني بالقرآن

ويذكر الفقيه هنا بعض الروايات الدالة على الحرمة في ما نحن فيه.

المرحلة السادسة: تشخيص الموقف من التعارض

وهذا الكلام كما يأتي في مسألة التغني بالقرآن مثلاً، فإنه يأتي أيضاً في مسألة غناء المغنية في الأعراس أو في الأعياد مثلاً، وكذا في مسألة الحداء

للإبل، وهكذا في كلِّ مورد يدَّعى جَوَاز الغناء فيه؛ إذ لا فرق بين ما نحن فيه من مسألة التغني بالقرآن وغيرها ممَّا ضربناه مثالا.

ثانياً: مراحل عملية استنباط الحكم التكليفي طبق الزاوية الثانية

بما تقدّم من مراحل عملية الاستدلال الفقهي للحكم التكليفي للتغني بالقرآن من زاوية كونها عملية تفكيرٍ منظّم يارسها الفقيه ويسيرُ على طبقها لتشخيص الحكم الشرعيّ أو الموقف العمليّ إزاءه، يتّضح المرادُ من الزاوية الثانية التي يُمكن النظرُ من خلالها لهذه العملية، وهي زاوية الحجّة التي يمكن الإفتاء على طبقها من قبل الفقيه؛ فبينما بدأنا رحلة الاستدلال الفقهيّ طبق الزاوية الأولى من عملية تنقيح الأصل العمليّ، لنتقلّ بعده إلى الدليل المحرز بأنواعه، ثم تشخيص العلاقة بين هذه الأدلة والموقف منها، وجدنا أنّ المسيرَ من حيث الحجية كان عكس ذلك؛ فإنّه لما يتمّ آخر هذه الرحلة من مرحلة، بمعنى: أنّ رحلة عملية الاستدلال الفقهيّ كعملية بحث وتفكير منطقيّ بدأت من الأصل العمليّ، ومنه إلى المطلق والعامّ المخالف، ثم الموافق، لنشخص الموقف من التعارض في حالة تحقّقه، ومنه إلى الخاصّ والمقيّد لما تم من عام في المراحل السابقة، ومنه إلى المعارض لهذا الخاصّ والمقيّد، ومنه إلى علاج التعارض وبيان الموقف منه، بينما كان هذا كله طبق الزاوية الأولى، بدأنا الرحلة من حيث الحجية على العكس من ذلك؛ فبدأنا بتقديم الخاصّ والمقيّد في حالة وجوده وتمايّته على العامّ، ثمّ العامّ والمطلق في حالة وجوده وتمايّته على الأصل العمليّ، ثمّ تقديم الأصل العمليّ الجاري في محلّ البحث أخيراً، ومستقرّاً، ومقاماً، فإنّه لا حجية للأصل مع وجود المطلق والعامّ، ولا حجية للمطلق والعامّ مع وجود الخاصّ والمقيّد، وهكذا، فلا يجوز الإفتاء إلّا بما انتهينا إليه من الدليل كما اتّضح بما لا مزيد عليه.

هذه هي مراحل عمليّة الاستنباط للحكم التكليفي كما يارسها
الفقيه المنضبط من الزاويتين بصورة عامة، وهذا ما سيكون الضوء
في تحديد دور مرويات الامام الكاظم (عليه السلام) في كتاب المكاسب المحرمة في
تحديد الحكم الشرعي التكليفي.

المطلب الثاني: منهج استنباط الحكم الوضعي عند الامامية

بما تقدم من بيان مفصل لمنهج الاستنباط في مجال الحكم التكليفي عند
الامامية، يصبح الكلام عن هذا المنهج في مجال الحكم الوضعي واضحاً
الى حد بعيد؛ فالترتيب هو الترتيب، والأدلة على ذلك هي الأدلة، ولربما
يكون الاختلاف بين المقامين ما ننطلق منه من أصل عملي؛ فإنه في الحكم
الوضعي في الغالب في المعاملات من حيث الصحة والفساد هو أصالة
الفساد؛ فإنه بعد إجراء المعاملة-البيع مثلاً - على المبيع، نشكّ في حدوث
النقل والانتقال في متعلّق البيع، فهل انتقلت السلعة إلى المشتري وخرجت
من ملكيّة البائع؟ وهل انتقل الثمن من ملكيّة المشتري إلى البائع أم لا؟
لو شككنا في حدوث ذلك، فإن الأصل يقتضي عدم الحدوث، فهو الحالة
المتيقّنة السابقة التي لا نقضها إلا باليقين، والمفروض أننا الآن ونحن في
بداية الطريق شاكون في الصحة وعدمها.

هذه بداية عملية الاستنباط من حيث زاويتها الأولى: البحثية، فهي
تبدأ - أبداً - بالانطلاق مما يقتضيه الأصل العملي الجاري في محل البحث،
وباتّضاح البداية يتضح سائر المراحل؛ فهل يمكن للفقيه الآن أن يفتي
بالفساد بمقتضى الأصل العملي المزبور؟ هذا ما يجيبنا عليه علم الأصول
حيث يقول: إن الإفتاء لابد وأن يستند إلى حجة، والأصل العملي لا يكون
حجة إلا بعد البحث وعدم الظفر بدليل محرز رافع للشك، وإلا، كان
التمسك بالأصل والإفتاء على طبقه خطأ فاحشاً، وإفتاء بغير حجة.

وأما المرحلة الثانية هنا، فهي ما تقدم في الحكم التكليفي من مرحلة البحث عن العمومات والاطلاقات المخالفة لمقتضى الأصل العملي الذي اقتضى الفساد، أي: عن المصححة للمعاملة، وهي تلك التي يسمونها الأدلة الإيضائية العامة، كقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾^(٢٢)، وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ﴾^(٢٣)، وغيرهما من الآيات والروايات التي تنطبق على محل البحث.

وهنا نقطة منهجية مهمة لها تأثيرها البارز على عملية الاستنباط ومنهجها، وهي: إن هذه المرحلة هي التي يسمونها بمرحلة مقتضي الصحة؛ فإن هذه العمومات والاطلاقات لكي تجري لابد من كون المبيع مالا محترما شرعا بوجود المنفعة المحللة المقصودة فيه، وإلا، لم تجر من الأساس.

فإذا افترضنا تمامية هذا الشرط، تكون المرحلة الثالثة البحث في ما يعارض هذه العمومات والاطلاقات في رتبها، أي: بعمومها واطلاقها. وإذا ما افترضنا تمامية هكذا دليل في المرحلة الثالثة، كانت الرابعة تشخيص الموقف من التعارض؛ حيث تشخيص نوع التعارض أولا من كونه مستقرا أو غير مستقر، ثم اعمال قواعد وضوابط كل واحد من هذين القسمين لتشخيص الموقف النهائي من المسألة في رتبة الدلالة العامة، لتكون الخامسة البحث عن دليل مخصص أو مقيد لما تم من العمومات والاطلاقات في المراحل المتقدمة من عملية الاستنباط، وفي حالة وجوده وتمايمته يبحث في السادسة عما يعارضه في رتبته، لتكون السابعة تشخيص الموقف من التعارض فيما لو تحقق المعارض، وأيضا حيث تشخيص نوع التعارض أولا من كونه مستقرا أو غير مستقر، ثم اعمال قواعد وضوابط كل واحد من هذين القسمين لتشخيص الموقف النهائي من المسألة، وكما قلنا هناك في المنهج في التكليفي.

وكما ترى، فإن المراحل هي المراحل، وكما قلت لك: الأدلة على ذلك هي الأدلة المتقدمة في التكليفي ذاتها.

ومن المهم هنا الالتفات الى أن ما ذكرناه من نقاط منهجية تتعلق بعملية الاستنباط ومراحلها في الحكم التكليفي تأتي في الوضعي طابق النعل بالنعل، فانتبه، فلن نعيد ذلك هنا. ^(٢٤)

وبعد تشخيص منهج الاستنباط في مجالي الحكمين: التكليفي والوضعي، أصبحنا الان على أهبة الاستعداد لتحقيق الهدف؛ حيث تشخيص دور مرويات الامام الكاظم عليه السلام الواردة في كتاب المكاسب المحرمة في تحديد الحكم الشرعي.



المبحث الثاني

دور مرويات الامام الكاظم عليه السلام في كتاب المكاسب المحرمة في تشخيص الحكم الشرعي

ان استقراء لكتاب المكاسب المحرمة لأستاذ الفقهاء والمجتهدين عليه السلام تضع ايدينا على ست عشرة رواية من روايات للإمام الكاظم عليه السلام، وقع بعضها عنصرا من عناصر استنباط الحكم الشرعي التكليفي، فيما وقع بعضها الاخر عنصرا من عناصر استنباط الحكم الوضعي، فتعال معي لنقف عند كل واحدة من هذه الروايات بالتفصيل طي ثلاث نقاط، فنذكر كلام استاذ الفقهاء والمجتهدين في الكتاب وهو يتناول هذه المرويات في النقطة الاولى^(٢٥)، لننتقل منها الى نقل الرواية من الكتب التي نقلتها في النقطة الثانية، لنقوم في النقطة الثالثة بالعمل الرئيس في المقام، حيث تحديد دور كل واحدة من هذه الروايات في تشخيص الحكم الشرعي في المجال الذي وردت فيه، وسيكون ذلك طي المطالب الاربعة الاتية:

المطلب الأول: ما ورد في النوع الاول مما يحرم التكسب به: ما يحرم التكسب به لكونه من الاعيان النجسة.
وفيه روايتان.

المطلب الثاني: ما ورد في النوع الثاني مما يحرم التكسب به: ما يحرم التكسب به لتحريم ما يقصد به شأنًا.
وفيه روايتان ايضا.

المطلب الثالث: ما ورد في النوع الرابع مما يحرم التكسب به: ما يحرم التكسب به لكونه عملاً محرماً في نفسه.
وفيه إحدى عشرة رواية.

المطلب الرابع: ما ورد في خاتمة كتاب المكاسب.
وفيه رواية واحدة.

نقطة منهجية مهمة قبل الخوض في التفاصيل

ومن المهم هنا اعادة التذكير بنقطة منهجية مهمة قبل الخوض في التفاصيل، وهي ما ستراه ونحن نتعرض الى دور مروياته عليه السلام في تشخيص الحكم؛ إذ تقدم في عرض هذا المنهج أن هذه المرحلة هي مرحلة البحث عن عمومات وإطلاقات تشخص الحكم لتكون مانعا عن التمسك بالأصل العملي ومن حجيته، إلا أن مراجعة ما ورد من كلمات الاعلام المتقدمة وغيرها يشير الى أنهم حين البحث في هذه المرحلة الثانية يقدمون البحث في عمومات وإطلاقات تخالف مقتضى الأصل العملي الجاري في المسألة لا الموافق له، بل لا يتكلمون في هذا الموافق ولا حتى يشيرون إليه؛ وما ذلك إلا بسبب فرضهم عدم جريانه وتحقيقه في الموارد كلها إلا ما ندر مما يذكرونه في هذه الحالات النادرة، ولهذا، سترى أننا سنعبّر عن هذه المرحلة بمرحلة البحث عن هذا النوع الخاص لا عن غيره الموافق لمقتضى الأصل، فانتبه جيدا.

المطلب الأول: ما ورد في النوع الاول مما يحرم التكسب به: ما يحرم التكسب به لكونه من الاعيان النجسة
الرواية الأولى: ما ورد في صحة البيع ممن يستحل الميتة في حالة اختلاط المذكى بالميتة

النقطة الأولى: كلام الشيخ الانصاري عليه السلام في كتاب المكاسب تناول الشيخ الانصاري فرعين في مسألة بيع الميتة، أحدهما ما لو اختلط المذكى بالميتة فيعبا صفقة واحدة؛ ذاكرا ما ورد عن الامام الكاظم عليه السلام مما دل على عدم البأس في هذه المعاملة فيما لو يبيع ممن يستحل أكل الميتة.
قال عليه السلام: (كما لا يجوز بيع الميتة منفردة، كذلك لا يجوز بيعها منضمّة إلى مذكى، ولو باعها، فإن كان المذكى ممتازاً، صحّ البيع فيه وبطل في الميتة،

كما سيجيء في محلّه، وإن كان مشتبهاً بالميتة، لم يحز بيعه أيضاً؛ لأنّه لا ينتفع به منفعة محلّلة؛ بناءً على وجوب الاجتناب عن كلا المشتبهين، فهو في حكم الميتة من حيث الانتفاع، فأكل المال بإزائه أكل للمال بالباطل، كما أنّ أكل كلّ من المشتبهين في حكم أكل الميتة.

ومن هنا، يعلم أنّه لا فرق في المشتري بين الكافر المستحلّ للميتة وغيره. لكن، في صحيحة الحلبي وحسنه: إذا اختلط الذكيّ بالميتة، بيع ممّن يستحلّ الميتة^(٢٦)، وحكي نحوهما عن كتاب عليّ بن جعفر^(٢٧).

النقطة الثانية: ما نقل من الرواية في الكتب الروائية

والرواية التي اشار اليها الشيخ عليه السلام هنا هي المقصودة بقوله: (وحكي نحوهما عن كتاب عليّ بن جعفر)، وهي التي نقلها في الوسائل في الباب السابع من ابواب ما يكتسب به، وهو: باب حكم بيع الذكي المختلط بالميت والنجس بالميتة والعجين بالماء النجس ممّن يستحل الميتة، فقال بعد أن نقل الرواية الواردة عن: (علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام)، أنّه سُئل عن رجل كان له غنم وبقر، وكان يدرك الذكي منها فيعزله، ويعزل الميتة، ثم إنّ الميتة والذكي اختلطا، كيف يصنع به؟ قال: يبيعه ممّن يستحل الميتة ويأكل ثمنه؛ فإنّه لا بأس)، ثم قال: (ورواه علي بن جعفر في كتابه) عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام مثله^(٢٨).

والوارد في كتاب (مسائل علي بن جعفر) الجامع لما رواه عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام في الحديث رقم (٢٠): (وسألته عن رجل كانت له غنم، وكان يعزل من جلودها الذكي من الميت، فاختلطت، فلم يعرف الذكي من الميت، هل يصلح له بيعه؟ قال: يبيعه ممّن يستحل بيع الميتة منه، ويأكل ثمنه، ولا بأس)^(٢٩).

النقطة الثالثة: دور رواية الامام الكاظم عليه السلام في المقام في ضوء منهج

الاستنباط

ولتوضيح دور رواية الامام الكاظم عليه السلام في المقام في ضوء ما تقدم من منهج الاستنباط والطريقة الفنية له، نقول:

من الواضح أن الكلام في المقام في حكم وضعي هو الصحة وعدمها، وقد تقدم في البحث السابق أن المنطلق هنا هو أصالة الفساد بمقتضى الاستصحاب، فننتقل الى المرحلة الثانية من مراحل العملية؛ حيث البحث عن تمامية العمل بعمومات الصحة وإطلاقاتها، وهذه-كما تقدم- فرع كون المبيع مالا شرعا بوجود المنفعة المحللة المقصودة، وهو ما يعبر عنه بمقتضى الصحة، ولما كان المختار في الاصول هو منجزية العلم الاجمالي لوجوب ترك جميع أطرافه^(٣٠)، فالمفروض-على هذا-عدم جواز استعمال المختلط بالمذكي-كما ذكرنا- للمستحل وغيره.

وعلى هذا، فلا تجري عمومات الصحة وإطلاقاتها في المرحلة الثانية لتثبت الصحة، ما يعني أننا لا زلنا على مقتضى الأصل العملي الذي انطلقنا منه في المرحلة الاولى من مراحل العملية.

وهنا يأتي دور ما نبهنا عليه في ما تقدم من نقاط منهجية ذكرناها بعد عرض منهج الاستنباط في مجال الحكم التكليفي، وقلنا إنه يجري في الوضعي أيضا، وهو أن المرحلة الثالثة في حالة عدم تمامية عمومات الصحة وإطلاقاتها ستكون للدليل الخاص على صحة المعاملة، ويأتي هنا دور الروايات الثلاثة المتقدمة الذكر، ومنها روايتنا محل الكلام؛ حيث كانت تدل على جواز البيع من المستحل للميتة.

وأما المرحلة الرابعة، فإنها لما يعارض هذه الروايات ويثبت البطلان في ما نحن فيه، وهنا يأتي دور عمومات وإطلاقات حرمة بيع الميتة^(٣١)؛ فإنها تامة سواء أكانت الميتة معلومة بالتفصيل أم بالاجمال؛ بأن اختلطت بالمذكي على وجه كانت الشبهة فيه محصورة كما في ما نحن فيه.

وإذا ما ذهبنا الى المرحلة الخامسة من مراحل عملية الاستنباط في المقام؛ حيث تشخيص الموقف من التعارض، فإن من الواضح أن التعارض بين العمومات والاطلاقات المحرمة في المرحلة الرابعة وبين الروايات الثلاث المجوزة في المرحلة الثالثة هو تعارض غير مستقر؛ بعد أن كان يمكن للعرف الجمع في العمل بالفريقين من الروايات بتقييد وتخصيص تلك الاطلاقات والعمومات، لتكون الفتوى على هذا-وببركة رواية الامام الكاظم عليه السلام وأختيها- هي الصحة.

إلا أن المصنف يذكر هنا عنصرا جديدا من عناصر الاستنباط بما يمثل مفاجأة في ما نحن فيه قبل أن ينهي كلامه وتحقيقه في المسألة محل البحث، ويأتي ذلك في سياق إشكاله عليه السلام على صاحب الكفاية-المحقق السبزواري- في ذهابه الى الجواز تمسكا بالأخبار الثلاثة؛ فقد ذكر أن الخروج عن مقتضى اطلاقات الحرمة وعموماتها بمقتضى الجمع العرفي المتقدم فرع تامة هذه الأخبار الثلاثة سندا ودلالة ومنها رواية الامام الكاظم عليه السلام، والحال انها ليست تامة مع وجود ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام من عدم جواز بيع المذكي المختلط بالميتة حتى من المستحل لها، وهي الرواية المروية في الجعفریات عن أمير المؤمنين عليه السلام (انه سئل عن شاة مسلوخة وأخرى مذبوحة عن عمى على الراعي أو على صاحبها، فلا يدري الذكية من الميتة، قال: يرمي بها جميعا الى الكلاب)^(٣٢)؛ فإن هذه الرواية تدل على عدم جواز بيع الذكي المختلط بالميتة على مستحل الميتة؛ بتقريب: أنه لو كان يجوز

ذلك، لدل امير المؤمنين عليه السلام السائل عليه، ولما أمر برميها الى الكلاب.
وإن سألت: وما موقع هذا العنصر الجديد من مراحل عملية
الاستنباط ومنهجه؟

قلنا: موقعه المرحلة الرابعة من مراحل هذه العملية؛ فقد تقدم أن هذه
المرحلة خاصة بكل دليل محرز خاص ببطان بيع (الميتة) ومنه ما نحن
فيه طبعاً، ما يعني أن التعارض الآن مع وجود هذا العنصر الجديد ليس
بين إطلاقات وعمومات الحرمة في المرحلة الرابعة والروايات الثلاثة
الخاصة في الثالثة فقط، بل بين إطلاقات وعمومات الحرمة في المرحلة
الرابعة يضاف إليها الرواية الخاصة الجديدة على الحرمة، أعني: رواية أمير
المؤمنين عليه السلام في المرحلة الرابعة والروايات الثلاثة الخاصة في الثالثة، ما يعني
ضرورة إعادة الحسابات بالنسبة الى تشخيص الموقف من هذا التعارض
في المرحلة الخامسة التي يقع على عاتقها تشخيص الموقف من التعارض
بشكله الجديد، فإن النسبة بين هذه الرواية الجديدة المحرمة والروايات
الثلاثة المجوزة هي التعارض المستقر بعد ورودهما في موضوع واحد
وعنوان فارد، ولو تنازلنا عن تقدم هذا العنصر الجديد، فلا أقل من
التساقط، فلا يبقى مقيد او مخصص لعمومات الحرمة وإطلاقاتها، أعني:
أخوات رواية أمير المؤمنين المحرمة؛ ويتعين حينئذ المصير إلى ما تقتضيه
من حرمة البيع على المستحل وغيره بلا أدنى فرق يذكر؛ إذ هذه العمومات
والإطلاقات تعد عموماً فوقانياً في مرحلتها بالنسبة إلى رواية الجعفرات
من جهة والروايات الثلاثة المجوزة من جهة أخرى؛ وذلك بملاحظة
مفاد كل واحدة من هذه الروايات.

وبهذا، يتضح ان التمييز بين ما اختاره المحقق السبزواري من جواز البيع
على المستحل للميتة في ما نحن فيه وبين ما اختاره المصنف من بطلان هذا

البيع من حيث الصحة والسقم، هو تمامية الرواية الأخيرة التي ذكرها المصنف عليه السلام عن الجعفریات عن أمير المؤمنين عليه السلام سنداً ودلالة في نفسها، فإن تمت في هاتين الجهتين، كان ما ذهب اليه المصنف عليه السلام هو الصحيح بمقتضى منهج الاستنباط الذي تقدم بصورة تطبيقية، وإن لم تتم إما سنداً وإما دلالة، كان ما ذهب اليه السبزوای هو الصحيح^(٣٣)؛ وما ذلك إلا لدور ما روي من الروایات الثلاث على الصحة في المقام كما قلنا، والتي منها رواية الامام الكاظم عليه السلام.

هذا هو دور الرواية محل الكلام في ضوء منهج الاستنباط عند الامامية.

الرواية الثانية: ما ورد في صحة بيع الدهن المتنجس لغير الاستصباح

النقطة الأولى: كلام الشيخ الانصاري عليه السلام في كتاب المكاسب

تناول الشيخ الانصاري عليه السلام مسألة بيع الدهن المتنجس، وفصل فيها كثيراً جداً، وكان من جملة هذه التفصيلات مسألة بيع هذا الدهن لغير الاستصباح الوارد في الروایات من المنافع المحللة المقصودة، ذكراً رواية عن الامام الكاظم عليه السلام تفيد الجواز، فقال: (ثم على تقدير جواز غير الاستصباح من الانتفاعات، فالظاهر جواز بيعه لهذه الانتفاعات، وفاقاً للشهيد والمحقق الثاني قدس سرهما).

قال الثاني في حاشية الإرشاد في ذيل قول العلامة رحمه الله: إلا الدهن للاستصباح: إن في بعض الحواشي المنسوبة إلى شيخنا الشهيد أن الفائدة لا تنحصر في ذلك؛ إذ مع فرض فائدة أخرى للدهن لا تتوقف على طهارته، يمكن بيعها لها، كأنخذ الصابون منه، قال: وهو مروى، ومثله طلي الدواب. أقول: لا بأس بالمصير إلى ما ذكره شيخنا، وقد ذكر أن به رواية^(٣٤)، انتهى.



والرواية إشارة إلى ما عن الراوندي في كتاب النوادر بإسناده عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، وفيه: سُئِلَ عليه السلام عن الشحم يقع فيه شيء له دم فيموت؟ قال عليه السلام: تبعه لمن يعمل له صابوناً... الخبر» (٣٥).

النقطة الثانية: ما نقل من الرواية في الكتب الروائية

والوارد في كتاب الراوندي ما نقله الشيخ عدا كلمة (الزيت) التي أبدلت بكلمة (الشحم)، فالظاهر وقوع السهو من قلمه الشريف. (٣٦)

النقطة الثالثة: دور رواية الامام الكاظم عليه السلام في المقام في ضوء

منهج الاستنباط

ولتوضيح دور رواية الامام الكاظم عليه السلام في المقام في ضوء منهج الاستنباط والطريقة الفنية له كما فعلنا مع أختها المتقدمة، نقول:

من الواضح أن الكلام في المقام في حكم وضعي هو الصحة وعدمها ايضاً، وقد تقدم في البحث السابق أن المنطلق هنا هو أصالة الفساد بمقتضى الاستصحاب، فننتقل الى المرحلة الثانية من مراحل العملية؛

حيث البحث عن تمامية العمل بعمومات الصحة وإطلاقاتها، وهذه-كما تقدم- فرع كون المبيع مالاً شرعاً بوجود المنفعة المحللة المقصودة، وهو ما يعبر عنه بمقتضي الصحة، والمفروض في ما نحن فيه أننا بنينا على حلية استعمال المتنجس في غير ما ورد حليته في الروايات من الانتفاعات، وعليه، فمقتضي الصحة تام، فتجري عمومات الصحة وإطلاقاتها في المرحلة الثانية، فننتقل الى الثالثة حيث البحث عن معارض لهذه العمومات والاطلاقات في رتبها، ولو بحثنا، لم نجد أثراً لهذا الدليل، ما يعني ما قلناه في النقاط المنهجية لعملية الاستنباط؛ من انعدام المرحلة الرابعة التي كانت تشخيص الموقف من تعارض العامين، لتعطي دورها الى البحث عن مخصص أو مقيد لتلك العمومات والاطلاقات يكون هو في المرحلة الرابعة من مراحل هذه العملية في هذه الحالة.

ولو رجعنا وبحثنا عن المقيد والمخصص، لما وجدنا له عينا ولا أثرا، ما يعني أن الفتوى في المقام هي الصحة؛ لتامة المقتضي وعدم المانع، أما المقتضي، فهو ما قدمناه في المرحلة الثانية من المنفعة المحللة المقصودة التي تجري فيها عمومات الصحة وإطلاقاتها، وأما عدم المانع؛ فلعدم مخصص أو مقيد لهذه العمومات والاطلاقات.

فإن قلت: فما دور رواية الامام الكاظم عليه السلام في المقام إذن؟

قلنا: الرواية تمثل دليلا خاصا على الصحة محلها المرحلة الخامسة من مراحل عملية الاستنباط، فيكون الدليل على الصحة في ما نحن فيه العمومات والاطلاقات في المرحلة الثانية يضاف إليها رواية الامام الكاظم عليه السلام في الخامسة كدليل خاص على الحكم.

رد توهمين في المقام

ولابد من الإشارة الى توهمين في المقام يتعلقان بدور الرواية وردهما:

الأول: عدم الحاجة الى رواية الامام عليه السلام في إثبات الصحة بعد تمامية المقتضي وعدم المانع كما تقدم؛ فإن الحكم هو الصحة حتى لو افترضنا عدم الرواية من الأساس!

ورده: بل الحاجة متحققة مهمة؛ فإن الخاص أقوى دلالة من العام من جهة، أضف الى ذلك أن الخاص يمكنه الوقوف والصمود أمام أية رواية قد تفترض على الحرمة في المرحلة الثالثة من مراحل عملية الاستنباط كما قد اتضح في الرواية السابقة. الثاني: وأما التوهم الثاني؛ فقد يقال فيه: إن الرواية واردة في أمر خاص هو ما ذكر فيها من الشحم أو الزيت، فيما الكلام عن أمر عام هو مطلق الدهن المتنجس، ولو غرضنا النظر عن هذا الاشكال، يبقى أنها واردة في البيع لأجل عمل الصابون من المتنجس بينما الكلام في البيع لمطلق المنفعة المحللة المقصودة غير الاستصباح!

ورد هذا التوهم بنكتة منهجية عرفية دقيقة، وهي أن العرف لا يفهم أية خصوصية لما ورد في الرواية في الجهتين المتقدمتي الذكر في التوهم، فلا الشحم أو الزيت له خصوصية، ولا عمل الصابون له خصوصية بحيث نقف في مفاد الرواية عليهما، وإنما أخذنا في الرواية على نحو الطريقة كما يقال في عالم الفقه، أو قل: لمجرد المثال للمتنجس ولما يمكن أن يستفاد منه، فالرواية على هذا عامة شاملة لكل متنجس ولكل منفعة محللة مقصودة. (٣٧)

المطلب الثاني: ما ورد في النوع الثاني مما يحرم التكسب به: ما يحرم التكسب به لتحريم ما يقصد به شأنًا وبالذقة في القسم الأول من الأقسام الثلاثة التي تناولها المصنف في هذا النوع، وهو: ما لا يقصد من وجوده على نحوه الخاص إلا الحرام، وهنا روايتان عنه عليه السلام:

الرواية الأولى: ما ورد في حرمة بيع الدراهم المغشوشة

النقطة الأولى: كلام الشيخ الانصاري رحمته الله في كتاب المكاسب

وفي هذا المقام يقول الشيخ في مكاسبه: (وهي أمور: ...

ومنها: الدراهم الخارجة المعمولة لأجل غش الناس إذا لم يفرض على هيئتها الخاصة منفعة محللة معتد بها مثل التزيّن أو الدفع إلى الظالم الذي يريد مقداراً من المال كالعشّار ونحوه بناءً على جواز ذلك وعدم وجوب إتلاف مثل هذه الدراهم ولو بكسرها من باب دفع مادة الفساد كما يدلّ عليه قوله عليه السلام في رواية الجعفي - مشيراً إلى درهم: اكسر هذا؛ فإنّه لا يحلّ بيعه ولا إنفاقه (٣٨).

وفي رواية موسى بن بكير^(٣٩): قَطَّعَهُ نصفين، ثُمَّ قال: ألقه في البالوعة؛
حتَّى لا يباع شيء فيه غشٍّ». ^(٤٠)

النقطة الثانية: ما نقل من الرواية في الكتب الروائية
والمنقول في الوسائل تعابير مختلفة لما نقله الشيخ من مضمون في رواية
موسى بن بكير، منها: «قال: كنّا عند أبي الحسن عليه السلام وإذا دنانير مصبوبة
بين يديه، فنظر إلى دينار، فأخذه بيده، ثُمَّ قَطَّعَهُ بنصفين، ثم قال لي: ألقه
في البالوعة؛ حتَّى لا يباع شيء فيه غشٍّ». ^(٤١)

النقطة الثالثة: دور رواية الامام الكاظم عليه السلام في المقام في ضوء منهج الاستنباط
ولتوضيح دور رواية الامام الكاظم عليه السلام في المقام في ضوء منهج
الاستنباط والطريقة الفنية له، نقول:

الكلام في المقام في حكم وضعي ايضاً هو الصحة وعدمها، وقد تقدم
في البحث السابق أن المنطلق هنا هو أصالة الفساد بمقتضى الاستصحاب،
فنتقل الى المرحلة الثانية من مراحل العملية؛ حيث البحث عن تمامية
العمل بعمومات الصحة وإطلاقاتها، وهذه - كما تقدم - فرع كون المبيع
مالاً شرعاً بوجود المنفعة المحللة المقصودة، وهو ما يعبر عنه بمقتضى
الصحة، والمفروض في ما نحن فيه أننا بنينا على أن ليس للدرهم المغشوش
منفعة محللة مقصودة، وإلا، خرج عما نحن فيه من هذه المسألة، وعليه،
فالعمومات والإطلاقات لا تجري في المرحلة الثانية من مراحل عملية
الاستنباط، ما يعني بالتبع أننا لا زلنا على مقتضى الأصل العملي من فساد
المعاملة وبطلانها.

وهنا يأتي دور ما نبهنا عليه من نقطة منهجية بالنسبة الى مراحل عملية
الاستنباط؛ من أن البحث في المرحلة الثالثة عند عدم تمامية العمومات
والإطلاقات على صحة البيع سيكون عن دليل خاص على هذه الصحة،

ولو بحثنا عن هكذا نوع من الأدلة، لما وجدنا له عينا ولا أثرا، ومعنى هذا أنه لا دليل على الصحة لا من عموم وإطلاق ولا من خصوص، فلا مانع من عمل مقتضى الاصل العملي المفيد للبطلان، ما يعني أن الفتوى هي البطلان اعتمادا على مقتضى الاصل العملي، لا أية حاجة لمواصلة عملية الاستنباط؛ إذ هي من تحصيل الحاصل؛ إذ غايته الدليل الخاص أو العام على البطلان، وهو ما ثبت ببركة الأصل العملي كما رأينا.

وأما رواية الامام الكاظم (عليه السلام) في المقام، فتعد دليلا محرزا خاصا على البطلان يقع في المرحلة الرابعة من مراحل عملية الاستنباط، وبوجودها لن يكون الاعتماد على الاصل العملي كحجة شرعية موجهة كما تقدم؛ إذ ترفع موضوع جريان هذا الاصل كما تقدم بالتفصيل. (٤٢)

الرواية الثانية: ما ورد في التفصيل في حكم بيع السلاح على أعداء الدين وأما الرواية الثانية في هذا النوع، فهي في القسم الثالث من الاقسام الثلاثة التي تناولها المصنف في هذا النوع الثاني، وهو ما يحرم لتحريم ما يقصد منه شأنا، بمعنى: ان من شأنه أن يقصد منه الحرام، من قبيل بيع السلاح على أعداء الدين.

النقطة الأولى: كلام الشيخ الانصاري (رحمته الله) في كتاب المكاسب قال (رحمته الله): (ورواية علي بن جعفر، عن أخيه (عليه السلام) قال: سألته عن حمل المسلمين إلى المشركين التجارة، قال: إذا لم يحملوا سلاحاً، فلا بأس). (٤٣)

النقطة الثانية: ما نقل من الرواية في الكتب الروائية والوارد في الوسائل: (علي بن جعفر في كتابه) عن أخيه موسى (عليه السلام) قال: سألته عن حمل المسلمين إلى المشركين التجارة، قال: إذا لم يحملوا سلاحاً، فلا بأس). (٤٤)

وهو عين الوارد في مسائل علي بن جعفر. (٤٥)

أي: بما هو أعم من مسألة بيع سلاح، فيتعرض الى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾؛ ذاهبا الى أن ما نحن فيه لا يصدق عليه الإعانة، لا من حيث الشرط (المقدمة)، ولا من حيث الشروط (ذي المقدمة).^(٤٦)

هذا بالنسبة الى الآية المباركة، وأما بالنسبة الى الروايات، فلو لاحظنا الروايات التي استفاد منها المصنف في المقام، لوجدنا أن لها موضوعها الخاص هو (بيع السلاح)، ما يعني أنها ليست من النمط المطلوب في المرحلة الثانية؛ فإنها ليست من قبيل الحرمة المطلقة المطلوبة في هذه المرحلة الثانية، كتلك التي تثبتها الآية الكريمة لو كانت قد تمت.

وعلى هذا، فلا دليل عاماً أو مطلقاً يجري في المرحلة الثانية من مراحل عملية الاستنباط، ما يعني أن النوبة هنا تصل الى ادلة الحرمة الواردة في خصوص بيع السلاح لتكون في المرحلة الثالثة كما نبهنا عليه في النقاط المنهجية لمراحل عملية الاستنباط؛ لما كررناه أكثر من مرة؛ من كون هذه الروايات هي التي ينتظر منها ان تكون مانعا من عمل مقتضي الاصل العملي الجاري في المرحلة الاولى من مراحل العملية، ولورجعنا الى هذه الروايات نفسها، لوجدنا ان لها مستويين على الرغم من أنها تعد خاصة حتى مع لحاظ مستويها لما تقدم قبل قليل من ضيق موضوعها المأخوذ فيها، وهو (بيع السلاح):

الأول: ما قيد الحرمة بحالة قيام الحرب، كرواية الحضرمي^(٤٧)، ورواية هند السراج^(٤٨).

الثاني: ما لم يقيد الحرمة بحالة قيام الحرب، من قبيل ما نحن فيه من رواية علي بن جعفر، عن أخيه عليه السلام قال: (سألته عن حمل المسلمين إلى المشركين التجارة، قال: إذا لم يحملوا سلاحا فلا بأس).^(٤٩)

وهذه ظاهرة بمفهوم شرطها في الحرمة مطلقا كما ترى.

هذا ما يكمن في المرحلة الثالثة من مراحل عملية الاستنباط، وهذه كما ترى بمستوياتها تقطع العمل بالاصل العملي في المرحلة الاولى من مراحل العملية. وعلى هذا، فاللازم الان الانتقال الى المرحلة الرابعة حيث البحث عن معارض الروايات المقدمة، وقد نقل المصنف من هذه الروايات مكاتبة الصيقل: (اشترى السيوف وأبيعها من السلطان، أجائز لي يبيعها؟ فكتب: لا بأس به^(٥٠))، وهذه ظاهرة في الجواز مطلقا كما ترى؛ إذ لم تقيد بحالة قيام الحرب.

ومع افتراض تمامية جميع هذه الروايات في نفسها في المرحلتين كما هو الظاهر من كلام الشيخ الانصاري-الذي لم يناقش في اية واحدة منها، تقع المعارضة بين الروايات المحرمة في المرحلة الثالثة والمجوزة في الرابعة، فنحط الرحال في المرحلة الخامسة الاخيرة حيث تشخيص الموقف من التعارض. ولو تأملنا في نوع التعارض في المقام، لرأينا أنه من نوع التعارض غير المستقر؛ إذ مقتضى قواعد الجمع العرفي هو حمل المطلق-جوازا ومنعاً- على ما قيد الحرمة بحالة قيام الحرب؛ فإن هذا الأخير قرينة تعيّن المراد من تلك المطلقات بنوعيتها: المحرم والمجوز، لتكون النتيجة-حسب الروايات-الحرمة حال قيام الحرب فقط.

وعلى هذا، فإن رواية الامام الكاظم عليه السلام على الرغم من كونها محرمة لبيع السلاح مطلقا بلا تقيد بقيام الحرب، فإنها قد قُيدت ببركة ما ورد مقيدا الحرمة بقيام الحرب، الأمر نفسه الذي جرى على الروايات المجوزة مطلقا. وبعبارة أخرى: ما ورد مقيدا للحرمة في حالة الحرب في المرحلة الثالثة يعد قرينة لتحديد المفاد النهائي لما ورد من الروايات مطلقا في الحرمة في المرحلة الثالثة أو في الجواز في المرحلة الرابعة، فيكون النصر لهذا المقيد، حيث الجواز في حالة عدم قيام الحرب والحرمة في حالة قيامها.

هذا هو دور رواية الامام الكاظم (عليه السلام) في المقام.

المطلب الثالث: ما ورد في النوع الرابع مما يحرم التكسب به: ما يحرم التكسب به لكونه عملاً محرماً في نفسه

الرواية الأولى: ما ورد في أن النفخ يمكن تصوّره في النقش حتى بدون ملاحظة محلّه

وقد ذكرت هذه الرواية بالدقة في المسألة الرابعة من المسائل التي تناوّلها المصنف في هذا النوع، وهي مسألة التصوير، حيث الكلام عن حرمة تصوير ذوات الارواح.

النقطة الأولى: كلام الشيخ الانصاري رحمته الله في كتاب المكاسب وهنا قال رحمته الله: (تصوير صور ذوات الأرواح حرام إذا كانت الصورة مجسّمة بلا خلافٍ فتوى ونصاً).

وكذا مع عدم التجسّم... للروايات المستفيضة: ... وقد يستظهر اختصاصها بالمجسّمة؛ من حيث إنّ نفخ الروح لا يكون إلّا في الجسم، وإرادة تجسيم النقش مقدمة للنفخ ثم النفخ فيه خلاف الظاهر. وفيه: أن النفخ يمكن تصوّره في النقش بملاحظة محلّه، بل بدونها؛ كما في أمر الإمام عليه السلام الأسد المنقوش على البساط بأخذ الساحر في مجلس الخليفة).^(٥١)

النقطة الثانية: ما نقل من الرواية في الكتب الروائية وهذا المضمون الذي نقله المصنف نُقل عن الامام الهادي عليه السلام مرة، وعن الامام الكاظم عليه السلام مرة أخرى، ومن هذا الباب سنعد الرواية واردة في ما وقع لإمامنا الكاظم عليه السلام، فتكون مما نتكلم عنه في هذا البحث.

والرواية محل الكلام نقلها الصدوق في الامالي، قال: (وحدثني الشيخ أبو جعفر قراءة عليه، قال: حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمته الله، قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار وسعد بن عبد الله

جميعاً، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن علي بن يقطين، عن أخيه الحسين، عن أبيه علي بن يقطين، قال: استدعى الرشيد رجلاً يبطل به أمر أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام ويقطعه ويخجله في المجلس، فانتدب له رجل معزم، فلما أحضرت المائدة عمل ناموساً على الخبز، فكان كلما رام خادماً أبي الحسن عليه السلام تناول رغيف من الخبز طار من بين يديه، واستفز هارون الفرح والضحك لذلك، فلم يلبث أبو الحسن عليه السلام أن رفع رأسه إلى أسد مصوّر على بعض الستور، فقال له: يا أسد الله، خذ عدوّ الله. قال: فوثبت تلك الصورة كأعظم ما يكون من السباع، فافترست ذلك المعزم ...). (٥٢)

النقطة الثالثة: دور رواية الامام الكاظم عليه السلام في المقام في ضوء

منهج الاستنباط

ولتوضيح دور رواية الامام الكاظم عليه السلام في المقام في ضوء منهج الاستنباط والطريقة الفنية له، نقول:

الكلام في المقام يشبه الى حد بعيد ما تقدم في الرواية السابقة مباشرة؛ فإنه في حكم تكليفي لا وضعي ايضاً، وكما كانت المراحل في تلك المسألة خمسة لعدم دليل عام أو مطلق على الحرمة في المرحلة الثانية، فإنها هنا كذلك؛ إذ ليس من عام أو مطلق اعم من العنوان المأخوذ في ما نحن فيه من (تصوير ذوات الارواح تصويراً غير مجسم)، ما يعني أن النوبة هنا تصل الى ادلة الحرمة الواردة في خصوص ما نحن فيه من موضوع وعنوان، ولو رجعنا الى هذه الروايات نفسها، لوجدنا ان لها مستويين على الرغم من أنها تعد خاصة حتى مع لحاظ مستويها لما تقدم قبل قليل من ضيق موضوعها المأخوذ فيها، وهو (التصوير):



الأول: ما لم يرد فيه الأمر بالنفخ

حيث مجموعة من الروايات المحرمة لتصوير ذوات الارواح، الشاملة بعمومها أو اطلاقها لما نحن فيه من غير المجسم. مثل قوله عليه السلام: «نهى أن يُنقش شيء من الحيوان على الخاتم» ^(٥٣)، وغيرها. ^(٥٤) وكما ترى، فإن هذه الرواية وما شابهها شاملة بإطلاقها لما نحن فيه من غير المجسم.

الثاني: ما أمر فيه بنفخ تصوير ذوات الارواح

وهذه من قبيل ما ورد في عدة أخبار: (من صَوَّر صورة، كلفه الله يوم القيامة أن ينفخ فيها، وليس بنافخ) ^(٥٥)

بتقريب: إن هذه الروايات مطلقة شاملة حتى للتصوير غير المجسم. إلا أن التقريب المتقدم قد يشكل عليه بأن التصوير وإن كان لغة شاملاً للمجسم وغيره، إلا أن المراد به في هذه الرواية هو المجسم فقط لا المجسم وغيره كما ادعي من الاطلاق؛ بقرينة: أن نفخ الروح المأمور به في الرواية لا يمكن إلا فيما كان مجسماً، وأمّا ما لم يكن كذلك، فكيف يُنفخ فيه؟! فهو غير ممكن؛ لعدم قابلية المحلّ.

هذا هو الاشكال المطروح في المقام، فيأتي كلام المصنف الذي نقلناه في النقطة الأولى؛ حيث دفع هذا الاشكال بأن النفخ يمكن تصوّره في النقش غير المجسم بملاحظة محلّه، بل بدونها، وهو ما استند فيه المصنف الى روايتنا محل الكلام؛ إذ في هذه الرواية أمر الإمام عليه السلام الأسد المنقوش على البساط بأخذ الساحر في مجلس الخليفة؛ بتقريب: إن مَنْ يستطيع النفخ، فإنّه لا بد أن يستطيع ذلك سواء أكان النقش مجسماً أو غير مجسّم، وحتى النقش غير المجسم قابل للنفخ ممّن يستطيعه، والدليل عليه، ما حصل للإمام الكاظم عليه السلام في ما نقلناه من الرواية،



وعلى هذا، فالتعنيف والتشنيع صحيحان حتى في حالة كون الصورة غير مجسّمة، فاطلاق الرواية إذن باق على حاله من هذه الجهة، فيصحّ الاعتماد عليها لحزمة التصوير في هذه الجهة الثانية أيضاً.

هذا كله بالنسبة الى المرحلة الثالثة من مراحل عملية الاستنباط، فالدليل الخاص على الحرمة في المقام تام، وإذا ما انتقلنا الى المرحلة الرابعة من مراحل العملية حيث البحث عن معارض خاص للروايات المتقدمة الذكر في رتبها، ما وجدنا ما يكون كذلك، ما يعني أن الفتوى هي الحرمة في ما نحن فيه؛ للدليل الخاص عليها، وهو ما قطع العمل بالأصل العملي الذي كان يقتضي الجواز والاباحة.

هذا هو دور رواية الامام الكاظم (عليه السلام) في المقام. (٥٦)

الرواية الثانية: ما ورد في حرمة اقتناء ما حرم تصويره بمعنى وجوب اعدام ما حرم تصويره وإخراجه عن كونه (تصويراً).

النقطة الأولى: كلام الشيخ الانصاري (رحمته الله) في كتاب المكاسب وهنا قال (رحمته الله) في سياق ذكر أدلة حرمة الاقتناء: (فالمحكي عن شرح الإرشاد للمحقق الأردبيلي أن المستفاد من الأخبار الصحيحة وأقوال الأصحاب عدم حرمة إبقاء الصور، انتهى. وقرّره الحاكي على هذه الاستفادة (٥٧). ومن اعترف بعدم الدليل على الحرمة، المحقق الثاني في جامع المقاصد، مفرّعاً على ذلك جواز بيع الصور المعمولة، وعدم لحوقها بآلات اللهو والقمار وأواني النقدين (٥٨)، وصرّح في حاشية الإرشاد بجواز النظر إليها (٥٩). لكن ظاهر كلام بعض القدماء حرمة بيع التماثيل وابتاعها... .

ويمكن أن يستدلّ للحرمة مضافاً إلى أن الظاهر من تحريم عمل الشيء مبغوضية وجود المعمول ابتداءً واستدامة... وما عن قرب الإسناد بسنده عن علي بن جعفر (عليه السلام) عن أخيه (عليه السلام) قال: سألته عن التماثيل هل يصلح أن يلعب بها؟ قال: لا. (٦٠)



ثم ان المصنف رد الاستدلال بهذه الرواية قائلاً: (وأما رواية علي بن جعفر، فلا تدلّ إلّا على كراهة اللعب بالصورة، ولا نمنعها، بل ولا الحرمة إذا كان اللعب على وجه اللهو).^(٦١)

النقطة الثانية: ما نقل من الرواية في الكتب الروائية والوارد في قرب الاسناد عين ما نقله المصنف.^(٦٢)

النقطة الثالثة: دور رواية الامام الكاظم (عليه السلام) في المقام في ضوء منهج الاستنباط

ولتوضيح دور رواية الامام الكاظم (عليه السلام) في المقام في ضوء الطريقة الفنية للاستنباط، نقول:

الكلام في المقام يشبه الى حد بعيد ما تقدم في الروايتين السابقتين؛ فإنه في حكم تكليفي لا وضعي ايضاً، وكما كانت المراحل في تلك المسألتين خمسة لعدم دليل عام أو مطلق على الحرمة في المرحلة الثانية، فإنها هنا كذلك؛ إذ ليس من عام أو مطلق اعم من العنوان المأخوذ في ما نحن فيه من (اقتناء ما حرم إيجاده من التصاوير)، ما يعني أن النوبة هنا تصل الى ادلة الحرمة الواردة في خصوص ما نحن فيه من موضوع وعنوان، ويأتي هنا ما تقدم عن المصنف بأنه يمكن أن يستدلّ للحرمة بجميع الروايات الواردة في تحريم التصوير؛ بتقريب أن الظاهر من تحريم عمل الشيء مبغوضية وجود المعمول ابتداءً واستدامة.

وعلاوة على تلك الروايات، فإنه قد يستدل بها ورد عن إمامنا الكاظم (عليه السلام) في قرب الإسناد بسنده عن علي بن جعفر (عليه السلام) قال: (سألته عن التماثيل هل يصلح أن يلعب بها؟ قال: لا)، بتقريب: أن المنع من اللعب إنما هو لوجوب اعدام هذه التماثيل ومبغوضية أصل وجودها.

وعلى هذا، فمحل هذه الرواية المرحلة الثالثة من مراحل عملية الاستنباط؛ بعد عدم العام المحرم كما قلنا.

إلا أن المصنف رحمته الله رد الاستدلال بالحرمة في هذه المرحلة برواية الامام الكاظم عليه السلام محل الكلام؛ وذلك بأمرين:

الأول: إنها ظاهرة في الكراهة لا الحرمة، فإن الوارد فيها هو قوله عليه السلام: «لا»، ومعناه: «لا يصلح»؛ فإنه الوارد في السؤال، وهذا التعبير: «لا يصلح» لا يظهر منه الحرمة بل الكراهة.

الثاني: إننا حينما نبحث في أي مسألة من المسائل الداخلة في أي عنوان من عناوين البحث، من قبيل: ما يحرم لكونه عملاً محرماً في نفسه، أو اقتناء التصاوير، فإننا نبحث عن تشخيص الحكم الأولي لهذا العنوان الخاص، أي عن عمل التصاوير مثلاً بما هو عمل للتصاوير لا بما هو مثلاً استعمال لطین غصبي هل يحرم ام لا؟ وكذلك في المقام، فإننا نبحث عن الحكم الأولي للاقتناء ووجوب الاعدام، ولوجود الصورة بما هو وجود للصورة وبهذا العنوان الخاص ما حكمه؟

والان نقول: ولو تأملنا في الرواية، وجدنا إنها وإن كانت تتكلم عن التماثيل، ولكن لا من حيث وجودها واقتنائها، وإنما من حيث اللعب بها، فأجاب الإمام عليه السلام بما أجاب به، فيكون الجواب-على هذا-اجنبياً عما نحن فيه. إذا اتضح ذلك، فإنه لا يكفي ان تكون هناك رواية تقول بحرمة اللعب بالتماثيل كما لو كان ذلك اللعب على وجه لهوي مثلاً، أو كان مقابل المال بحيث كان قماراً، فإن اللعب حينئذ يكون حراماً، إلا أن هذا لا يعني ان وجود التماثيل بنفسه حرام ويحرم اقتناؤها؛ فإن اللعب بالتماثيل شيء، ووجودها شيء آخر، فما دلّ على حرمة الأول لماذا يدلّ على حرمة الثاني؟! ولأي وجه؟! وعلى هذا، فالاستدلال بالرواية محل الكلام غير تام.

هذا ما يمكن ذكره في مجال دور الرواية محل الكلام.

الرواية الثالثة والرابعة والخامسة: ما ورد في جواز اقتناء ما حرم تصويره وما ذكره في هذا المطلب هو تتممة ما ذكرناه في المطلب السابق؛ إذ هو بالدقة عين ما تقدم في ذلك المطلب؛ أعني الكلام عن جواز اقتناء ما حرم تصويره؛ فقد كان الكلام في المطلب السابق في الروايات الخاصة على حرمة الاقتناء في المرحلة الثالثة من مراحل عملية الاستنباط، وأما في ما نحن فيه، فإن الكلام في ما يمكن أن يكون معارضا لتلك الأدلة التي رددنا الاستدلال بها كلها، ولكن، لو سلم تمامية ذلك الاستدلال، فتصل النوبة الآن إلى المرحلة الرابعة من مراحل عملية الاستنباط، حيث البحث عما يثبت جواز الاقتناء وعدم وجوب الإعدام يعارض تلك الأدلة، وهي روايات عديدة منها ثلاثة عن إمامنا الكاظم (عليه السلام).

النقطة الأولى: كلام الشيخ الأنصاري (رحمته الله) في كتاب المكاسب

قال (رحمته الله): (ولو سُلمَ الظهور في الجميع، فهي معارضة بما هو أظهر وأكثر، مثل: صحيحة الحلبي ... ورواية علي بن جعفر عن أخيه (عليه السلام): عن الخاتم يكون فيه نقش تماثيل طير أو سَبُع، أَيْصَلِي فيه؟ قال: لا بأس. وعنه، عن أخيه (عليه السلام): عن البيت فيه صورة سمكة أو طير يعبث به أهل البيت، هل يَصَلَّى فيه؟ قال: لا، حَتَّى يُقَطَّعَ رأسه ويفسد).^(٦٣)

وقال (رحمته الله) مستدلاً برواية ثالثة في السياق نفسه: (وعن قرب الإسناد، عن علي بن جعفر، عن أخيه (عليه السلام)، قال: «سألتُه عن رجل كان في بيته تماثيل أو في ستر ولم يعلم بها وهو يصلي في ذلك البيت، ثم علم، ما عليه؟ قال (عليه السلام): ليس عليه فيما لم يعلم شيء، فإذا علم، فليَنزِعِ الستَ، وليكسر رؤوس التماثيل»^(٦٤)؛ فإنَّ ظاهره أنَّ الأمر بالكسر، لأجل كون البيت ممَّا يُصَلَّى فيه؛ ولذلك لم يأمر (عليه السلام) بتغيير ما على الستَ واكتفى بنزعه).^(٦٥)

النقطة الثانية: ما نقل من الروايات الثلاثة في الكتب الروائية والرواية الأولى نقلها في الوسائل بلفظ: (وسألته عن الخاتم يكون فيه نقش تماثيل سبع أو طير أيصليّ فيه؟ قال: لا بأس).^(٦٦)

وأما الثانية، فقد نقلت في كتاب مسائل علي بن جعفر بها لفظه: (وسألته عن البيت قد صور فيه طير أو سمكة أو شبهه يعبث به أهل البيت هل تصلح الصلاة فيه؟ قال: لا، حتى تقطع رأسه، أو تفسده، وإن كان قد صلى، فليس عليه إعادة).^(٦٧)

وفي الوسائل بلفظ: (عن علي بن جعفر، عن أخيه موسى عليه السلام قال: سألته عن البيت فيه صورة سمكة أو طير أو شبهها، يعبث به أهل البيت، هل تصلح الصلاة فيه؟ فقال: لا، حتى يقطع رأسه منه، ويفسد، وإن كان قد صلى، فليس عليه إعادة).^(٦٨)

وأما الثالثة، ففي قرب الاسناد: (وسألته عن رجل كان في بيته تماثيل أو في ستر ولم يعلم بها وهو يصليّ في ذلك البيت، ثم علم، ما عليه؟ قال: ليس عليه فيما لا يعلم شيء، فإذا علم، فلينزع الستر، وليكسر رؤوس التماثيل).^(٦٩) وهو عين ما نقله في الوسائل.^(٧٠)

النقطة الثالثة: دور روايات الامام الكاظم عليه السلام في المقام في ضوء منهج الاستنباط

وأما دور روايات الامام الكاظم عليه السلام المتقدمة، فقد قلنا: إن المصنف إنما ذكرها معارضا لما تقدم من أدلة وروايات في المرحلة الثالثة من مراحل عملية الاستنباط التي ردها كلها، وإنما يذكر روايات الجواز فيما لو سلم تمامية الأدلة المحرمة في تلك المرحلة، فهي -على هذا- في المرحلة الرابعة من مراحل عملية الاستنباط.

أما الرواية الأولى، فإنها واضحة الدلالة على الجواز.

وأما الثانية؛ فمن باب أن التأمل في السؤال يوضح لنا أن السائل -وهو أخو الإمام عليه السلام والعظيم المنزلة عنده كما هو المعروف عن علي بن جعفر- كان قد ارتكز في ذهنه -وهذا ما نفهمه من السؤال- أن وجود التمثال في نفسه ليس فيه اشكال، ولذا نراه يسأل عنه من جهة أخرى غير الوجود في نفسه، وهي: «من حيث الصلاة»، وقد أقره الإمام عليه السلام على ذلك ولم يتعرض لتصحيح فهمه هذا لو كان خطأ.

وأما الثالثة، فالكلام فيها عين الكلام في سابقتها، بل هي أظهر؛ بقرينة قوله: «يعتب به أهل البيت»، وأما قوله عليه السلام: «يقطع رأسه ويفسد»، فلا يستفاد منه حرمة الوجود في نفسه؛ بل هو واضح الظهور في كون الاشكال فيه إنما هو من ناحية الصلاة ولأجلها.

ومع وجود هذه الروايات المجوزة في المرحلة الرابعة وتلك المحرمة في الثالثة على تقدير تماميتها كما قلنا، لا بد من الذهاب إلى المرحلة الخامسة من مراحل عملية الاستنباط حيث تشخيص الموقف من التعارض، فما هي نتيجة هذا التشخيص؟

والجواب:

الصحيح في حلّ هذا التعارض، هو حمل ما سلّمنا ظهوره في حرمة الاقتناء من الروايات على كون تلك الحرمة إنما هي لأجل الصلاة، كما هو واضح جداً في روايات الجواز، فهذه الروايات تكون قرينة على تعيين المفاد النهائي من تلك، هذا أولاً.

ثم لا بد من حمل هذه الحرمة -أعني: من أجل الصلاة- على الكراهة -ثانياً- بعد ورود الكثير من الروايات الواضحة الدلالة في كراهة الصلاة في بيت يصلّى فيه.

ويؤيد الكراهة لأجل الصلاة، الجمع بين اقتناء الصور والتماثيل في البيت وبين اقتناء الكلب والإناء المجتمع فيه البول الجائزين إجماعاً، أو بين اقتناء الصور والتماثيل في البيت ووجود الجنب فيه والمجمع على جواز وجوده أيضاً، فلا بد من حمل اقتناء الصور والتماثيل على الكراهة لوحدة السياق. أضف الى ذلك أنه لا بد من حمل الكراهة على إنها لأجل الصلاة لا لنفس وجود الصور بما هو وجود واقتناء للصور؛ لتلك الروايات الكثيرة التي ذكرناها قبل قليل.

وبهذا تكون النتيجة النهائية لهذا البحث الثاني من بحثي مسألة التصوير، هي ان اقتناء الصور ووجودها جائز بلا أي اشكال، وهو جائز بلا كراهة.

نعم، هذا هو حكم اقتناء الصور ووجودها من حيث العنوان الأوّل، وقد يطرأ عليه عنوان آخر يغيّر الحكم، كما في اللعب بها بالقمار، فيكون وجودها من هذه الحيشة محرّماً، فيجب افسادها لكونها آلة من آلات القمار لا لكونها صوراً في نفسها كما قلنا، أو من حيث وجودها في بيت يصلي فيه، فيكون وجودها مكروهاً.

وبهذا، يظهر ما للروايات الثلاثة من دور مهم غاية في الاهمية في ما نحن فيه؛ إذ لولاها ولولا ما مثلها، كانت النتيجة حرمة الاقتناء لأدلة المرحلة الثالثة، نعم، كما قال المصنف: لو سلمنا دلالة تلك في الحرمة طبعاً. الروايتان السادسة والسابعة: ما ورد في حرمة الغشّ

النقطة الأولى: كلام الشيخ الانصاري رحمته الله في كتاب المكاسب قال رحمته الله في سياق ذكره للروايات الدالة على حرمة الغش تكليفاً: (ورواية موسى بن بكير عن أبي الحسن عليه السلام: أنّه أخذ ديناراً من الدنانير المصبوبة بين يديه، ثم قطعها بنصفين^(٧١)، ثم قال لي: ألقه في البالوعة حتى لا يباع بشيء، فيه غشّ.. الخبر^(٧٢)).

وقوله: (فيه غش) جملة ابتدائية، والضمير في (لا يباع) راجع إلى الدينار^(٧٣).

ثم قال عليه السلام مباشرة: (وفي رواية هشام بن الحكم، قال: كنت أبيع السابريّ في الظلال، فمرّ بي أبو الحسن عليه السلام فقال: يا هشام، إنّ البيع في الظلال غش، والغش لا يحل).^(٧٤)

النقطة الثانية: ما نقل من الرواية في الكتب الروائية

أما الرواية الأولى، فإنها عين ما تقدم في الرواية رقم (٣) من هذه الروايات، فلا نحتاج الى تكرار الفاظها ومصادرها، وما وقع من اختلاف هنا، فإنه من سهو قلمه الشريف عليه السلام.

وأما الرواية الثانية، ففي الوسائل: (وعن علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم قال: كنت أبيع السابري في الظلال، فمرّ بي أبو الحسن الاول موسى عليه السلام، فقال لي: يا هشام، إنّ البيع في الظلال غش، والغش لا يحل).^(٧٥)

النقطة الثالثة: دور روايتي الامام الكاظم عليه السلام في المقام في ضوء

منهج الاستنباط

الكلام في ما نحن فيه عن حكم تكليفي ايضاً، فهل يحرم الغش حرمة تكليفية؟

والجواب:

واضح اننا ننطلق من اصالة البراءة التي تقتضي الجواز وعدم الحرمة كما تقدم مراراً، لننطلق منها الى المرحلة الثانية حيث البحث عن عمومات واطلاقات تثبت الحرمة التكليفية، وهنا نقول:

لو افترضنا أن هناك عمومات واطلاقات من هذا القبيل تشمل الغش باطلاقها وعمومها، فإنها ستكون في المرحلة الثانية من المراحل، وأما إن لم يكن- كما هو الظاهر مما ذكره المصنف؛ إذ لم يتعرض لأي دليل من هذا

القبيل واكتفى بما كان موضوعه (الغش)- فإن المرحلة الثالثة في هذه الحالة- كما تقدم- ستكون للدلالة الخاصة على الحرمة، أعني تلك التي أخذ فيها عنوان (الغش)، وهنا بالضبط يأتي دور الروايات التي ذكرها المصنف في المقام، ومنها روايتا الإمام الكاظم (عليه السلام) المتقدمتا الذكر.

من الواضح أننا بعد ذلك لابد لنا من البحث في المرحلة الرابعة عن دليل خاص على الجواز يكون معارضا لتلك الروايات في هذه المرحلة، وهذا ما ليس له وجود في المقام، ليكون الحكم هنا الحرمة للروايتين محل الكلام وغيرهما الكثير الوارد في حرمة الغش؛ فإنها خير دليل محرز يقطع العمل بالأصل العملي.

وبهذا، يتبين دور الروايتين في المقام.

الروايتان الثامنة والتاسعة: ما ورد في الحرمة العرضية لا الذاتية للغناء

النقطة الأولى: كلام الشيخ الانصاري (رحمته الله) في كتاب المكاسب

قال (رحمته الله) في سياق تعرضه لمذهب المحدث الكاشاني والمحقق السبزواري، اللذين ذهبا الى حرمة الغناء العرضية لا الذاتية كما يعبرون، التي ترجع في حقيقتها الى تخصيص الحرام منه بما اشتمل على محرم من خارج؛ مثل اللعب بآلات اللهو، ودخول الرجال على النساء، والكلام بالباطل، وإلا فهو في نفسه غير محرم^(٧٦):

(نعم، بعض كلماتها ظاهرة في ما نسب إليهما من التفصيل في الصوت الهوي، الذي ليس هو عند التأمل تفصيلاً، بل قولاً بإطلاق جواز الغناء، وأنه لا حرمة فيه أصلاً، وإنما الحرام ما يقترن به من المحرمات، فهو على تقدير صدق نسبته إليهما في غاية الضعف، لا شاهد له يقيد الإطلاقات الكثيرة المدعى تواترها، إلا بعض الروايات التي ذكرها:

منها: ما عن الحميري- بسند لم يُعَدَّ في الكفاية إلحاقه بالصحيح- عن

علي بن جعفر عن أخيه عليه السلام قال: سألته عن الغناء في الفطر والأضحى والفرح، قال: لا بأس ما لم يُعص به.

والمراد به ظاهراً ما لم يصِر الغناء سبباً للمعصية ولا مقدّمة للمعاصي المقارنة له. وفي كتاب علي بن جعفر، عن أخيه، قال: سألته عن الغناء هل يصلح في الفطر والأضحى والفرح؟ قال: لا بأس ما لم يَزْمَر به. ^(٧٧)

النقطة الثانية: ما نقل من الرواية في الكتب الروائية والرواية الأولى عين ما أورده في قرب الاسناد. ^(٧٨)

وأما الثانية، فالوارد في مسائل علي بن جعفر: (وسألته عن الغناء، أيصلح في الفطر والأضحى والفرح يكون؟ قال: لا بأس ما لم يَزْمَر به). ^(٧٩)

النقطة الثالثة: دور روايتي الامام الكاظم عليه السلام في المقام في ضوء منهج الاستنباط الكلام هنا في الحكم التكليفي لفعل هو (الغناء)، وهو حسب تعريف المشهور: مد الصوت المشتمل على الترجيع المطرب، أو قل: الصوت اللهوي، وليس استماعه؛ فهو يحتاج إلى كلام مستقل بعد عدم التلازم بين حكم الغناء وحكم استماعه، فحتى لو كان الحكم حرمة الغناء، فإنه لا يستلزم حرمة الاستماع، فحال الغناء هنا حال الغيبة التي يعقد الكلام في حكم استماعها مستقلاً عن حكمها نفسها.

كما أن الكلام إنما هو في الصوت فقط لا فيه باعتبار ما يرافقه من آلات موسيقية، فسواء كان هناك هكذا آلات مع الصوت أم لا، فهو غناء يبحث هنا عن حكمه بلا علاقة له بهذه الآلات من هذه الجهة. وأما الآلات، فلها حكمها الخاص بها، فاستعمال الطبل أو المزمار أو أية آلة موسيقية أخرى حين الغناء لا علاقة له في ما نحن فيه من حكم وبحث بالغناء، بل كل له عنوانه الخاص الذي ينبغي البحث عن حكمه بصورة مستقلة تماماً.

المنطلق هو أصالة البراءة كما تقدم؛ فإن الكلام في حكم الغناء التكليفي فعلاً، ولا بد بعد ذلك من البحث في المرحلة الثانية من مراحل عملية الاستنباط من دليل محرز عام أو مطلق على خلاف ما يقتضيه هذا الأصل يثبت الحرمة، فهل هناك دليل محرز من هذا النوع على حرمة عنوان (الغناء) العام المطلق أم لا؟

والجواب: بل هناك الكثير من الروايات التي ادعي تواترها، من قبيل: ما ورد مستفيضاً في تفسير (قول الزور) في قوله تعالى: ﴿وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾^(٨٠)، ففي صحيحة الشحام^(٨١)، ومرسلة ابن أبي عمير^(٨٢)، وموثقة أبي بصير^(٨٣) المرويات عن الكافي، ورواية عبد الأعلى المحكية عن معاني الأخبار^(٨٤)، وحسنة هشام المحكية عن تفسير القمي^(٨٥) رحمه الله: تفسير (قول الزور) بالغناء.

ورواية عبد الأعلى قال: «سألت ابا عبد الله عليه السلام عن الغناء، وقلت: إنهم يزعمون أن رسول الله، رخص في أن يقال: جئناكم جئناكم، حيونا حيونا نحيكم، فقال: كذبوا، ان الله تعالى يقول: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ هُودًا لَنَتَّخِذَنَّهُمْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ *﴾ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون ﴿﴾^(٨٦)، ثم قال: ويل لفلان مما يصف، رجل لم يحضر المجلس...»^(٨٧).

وغير هذه الروايات الكثير المستفيض في دلالة على حرمة الغناء مطلقاً في نفسه. وبهذه العمومات والاطلاقات ينقطع العمل بالأصل العملي الذي كان يقتضي الجواز كما قلنا بعد سلامتها في نفسها سنداً ودلالة بعدم المعارض لها في مستواها من العموم والاطلاق في المرحلة الثالثة من البحث وعملية الاستنباط، فتصل النوبة إلى المرحلة الرابعة من مراحل عملية الاستنباط، وهي البحث عن دليل خاص محرز مخصص أو مقيد للعمومات والاطلاقات

المتقدمة، وهذا هو محل الكلام في أي دليل قد يذكر لجواز نوع ما من الغناء، وهنا بالضبط تأتي الروايتان المذكورتان عن إمامنا الكاظم (عليه السلام) وكذا غيرهما من الروايات المماثلة إن كانت؛ فإن الظاهر من الرواية الأولى عنه (عليه السلام) هو أن الغناء نفسه ليس حراماً، نعم، لو صار سبباً أو مقدمة للمعاصي المقارنة له، كما لو كانت مطالبه سبباً لتهييج الشهوة، أو أي باطل آخر، فهو حرام، وهو ما يسمى بالحرمة العرضية لا الذاتية للغناء.

وكذا بالنسبة إلى الرواية الثانية؛ فإن ظاهرها يدل إما على عدم حرمة الغناء إلا إذا قارنه اللعب بالمزمار وهو المحرم، وإما على عدم الحرمة إلا إذا كان الغناء بالمزمار ونحوه من آلات الغناء، وأما لو خلا عن ذلك وكان بكيفية ثانية خالية عن ذلك كما هو المفروض في محل البحث كما قلنا، فهو (غناء) حلال.

وكذا روايات أخرى كما قلنا، من قبيل: رواية أبي بصير، قال: «سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن كسب المغنيات، فقال: التي يدخل عليها الرجال حرام، والتي تدعى إلى الأعراس لا بأس به، وهو قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾». (٨٨)

وكذا روايته الأخرى: عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «قال (عليه السلام): أجر المغنية التي تزف العرائس ليس به بأس، ليست بالتي يدخل عليها الرجال» (٨٩). فإن ظاهر الثانية وصريح الأولى أن حرمة الغناء منوطة بما يقصد منه، فإن كان المقصود إقامة مجلس اللهو، حرم، وإلا فلا.

والسؤال في هاتين الروایتين وإن كان عن الأجر، إلا أنه لما كان في مقابل الغناء، فمعنى كون الأجر لا بأس به: هو أن مقابله لا بأس به أيضاً؛ وإلا، لما جاز أخذه كما هو واضح.

وهذه الروایات هي التي تمسك بها بعض الفحول من قبيل المحقق السبزواري والمحدث الكاشاني في ذهابهما الى ما يسمى بالحرمة العرضية، أو قل: عدم حرمة الغناء في نفسه. وليس أوضح في بيان دور هذه الروایات من كلام العلمين: السبزواري والكاشاني في المقام:

قال السبزواري رحمته الله بعد استعراض روايات جواز التغني بالقرآن وبعض روايات حرمة: (وحيث نقول: يمكن الجمع بين هذه الأخبار والأخبار الكثيرة الدالة على تحريم الغناء بوجهين:

أحدهما: تخصيص تلك الأخبار بما عدا القرآن، وحمل ما يدل على ذم التغني بالقرآن على قراءة تكون على سبيل اللهو، كما يصنعه الفساق في غنائهم). (٩٠)

وعلى هذا، فالتغني بالقرآن غناء، إلا أنه لما لم يكن على سبيل اللهو، كما يصنعه الفساق في غنائهم، فإنه خارج عن أدلة الحرمة.

وقال رحمته الله تتمّة لكلامه: (وثانيهما: أن يقال: المذكور في تلك الأخبار الغناء، والمفرد المعرف باللام لا يدل على العموم لغة، وعمومه إنما يستنبط من حيث أنه لا قرينة على إرادة الخاص، وإرادة بعض الأفراد من غير تعيين ينافي غرض الإفادة وسياق البيان والحكمة، فلا بد من حمله على الاستغراق والعموم، وههنا ليس كذلك؛ لأن الشائع في ذلك الزمان الغناء على سبيل اللهو من الجوّاري المغنيات وغيرهن، في مجالس الفجور والخمور وغيرها، فحمل المفرد على تلك الأفراد الشائعة في ذلك الزمان غير بعيد.

وفي عدّة من تلك الأخبار إشعارٌ بكونه لهوًّا باطلاً، وصدق ذلك في القرآن والدعوات والأذكار المقروءة بالأصوات الطيبة المذكورة للآخرة، والمهيّجة للأشواق إلى عالم القدس، محلّ تأمّل.

فإذن: إن ثبت إجماعٌ في غير الغناء على سبيل اللهو، كان متّبعا، وإلّا، بقي حكمه على أصل الإباحة، وطريق الاحتياط واضح).^(٩١)

وقال الكاشاني في الوافي بعد نقل الاخبار في الجواز: (والذى يظهر من مجموع الاخبار الواردة فيه، اختصاص حرمة الغناء وما يتعلق به من الاجر والتعليم والاستماع والبيع والشراء كلها، بما كان على النحو المتعارف في زمن بنى امية وبنى العباس، من دخول الرجال عليهن، وتكلمهن بالباطيل، ولعبهن الملاهي، من العيدان والقصب وغيرها، دون ما سوى ذلك من انواعه، كما يشعر به قوله: - ليست بالتى يدخل عليها الرجال....

وعلى هذا، فلا بأس بسماع التغني بالاشعار المتضمنة لذكر الجنة والنار، والتشويق الى دار القرار، ووصف نعم الملك الجبار، وذكر العبادات، والترغيب في الخيرات، والزهد في الفانيات، ونحو ذلك، كما اثير إليه في حديث الفقيه بقوله: فذكرتك الجنة؛ وذلك لأن هذا كله ذكر الله تعالى، وربما تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله تعالى.

وبالجملة لا يخفى على ذوى الحجى، بعد سماع هذه الاخبار تمييز حق الغناء من باطله، وان اكثر ما يتغنى به المتصوفة في محافلهم من قبيل الباطل).^(٩٢)

وفي الصافي للكاشاني ايضا: (المستفاد من هذه الروايات جواز التغني بالقرآن والترجيع به، بل استحبابها، فما ورد من النهي عن الغناء - كما يأتي في محله إن شاء الله - ينبغي حمله على حُون أهل الفُسوق والكِبائر، وعلى ما كان معهوداً في زمانهم ﷺ في فساق الناس وسلاطين بني أمية وبنى العباس).^(٩٣)

هذا ما يمكن ان يذكر من روايات في المرحلة الرابعة من مراحل عملية الاستنباط، وهذا هو دورها المرتقب منها، ومن الواضح أن البحث لا بد

ان يكون الان في تمامية هذه الروايات في نفسها أولا سنداً ودلالة قبل أن نتقل الى المرحلة الخامسة من مراحل عملية الاستنباط حيث البحث عن دليل خاص معارض لها، وهذا ما يتعرض له المصنف قائلًا:

(وانت خبير بعدم مقاومة هذه الأخبار للاطلاقات؛ لعدم ظهور يعتد به في دلالتها... خصوصاً مع معارضته بما هو كالصريح في حرمة غناء المغنية ولو لخصوص مولاها، كما تقدم من قوله ﷺ: قد يكون للرجل الجارية تلهيه وما ثمنها الا كثمن الكلب، فتأمل.

وبالجملة، فضعف هذا القول بعد ملاحظة النصوص، أظهر من أن يحتاج إلى الإظهار).^(٩٤)

ولوبينا على هذا الذي ذهب اليه المصنف، فإن جميع ما ذكرناه في المرحلة الرابعة من مراحل عملية الاستنباط ومن ضمنه روايتا الامام الكاظم ﷺ سيكون اجنبيا عن المقام؛ وما ذلك الا لعدم تماميتها دلالة كما ادعى المصنف. نعم، لو كانت قد تمت دلالة وسندا، فإنها ستكون خير المقيّد والمخصص لعمومات الحرمة واطلاقاتها في المرحلة الثانية، فينتقل البحث حينها الى البحث عما يعارضها في مستواها الخاص طبعاً في المرحلة الخامسة كما قلنا، وهذا ما ليس له وجود، فلا تصل النوبة الى المرحلة السادسة حيث تشخيص الموقف من التعارض كما تقدم.^(٩٥)

هذا دور ما نحن فيه من الروايتين عن الامام الكاظم ﷺ في اثبات الحكم الشرعي.

الرواية العاشرة: ما ورد في حرمة المغالبة بغير عوض في غير ما نُصّ على جواز المسابقة فيه

وبالدقة في المسألة الخامسة عشرة من المسائل التي تناوّلها المصنف في هذا النوع، وهي مسألة القمار.

النقطة الأولى: كلام الشيخ الانصاري رحمته الله في كتاب المكاسب

قال رحمته الله في المسألة الرابعة من المسائل التي تعرض لها في القمار، وهي: (المغالبة بغير عوض في غير ما نصّ على جواز المسابقة فيه): (والأكثر - على ما في الرياض^(٩٦) - على التحريم، بل حكى فيها عن جماعة^(٩٧) دعوى الإجماع عليه، وهو الظاهر من بعض العبارات المحكية عن التذكرة؛ فعن موضع منها: أنه لا تجوز المسابقة على المصارعة بعوض ولا بغير عوض عند علمائنا أجمع؛ لعموم النهي إلا في الثلاثة: الخف والحافر والنصل... وظاهر المسالك^(٩٨) الميل إلى الجواز، واستجوده في الكفاية^(٩٩)، وتبعه بعض من تأخر عنه^(١٠٠)، للأصل، وعدم ثبوت الإجماع، وعدم النص عدا ما تقدم من التذكرة من عموم النهي، وهو غير دال....

وقد يستدل للتحريم أيضاً بأدلة القمار؛ بناء على أنه مطلق المغالبة ولو بدون العوض، كما يدل عليه ما تقدم من إطلاق الرواية بكون اللعب بالنرد والشطرنج بدون العوض قماراً....

ويمكن أن يستدل على التحريم أيضاً بما تقدم من أخبار حرمة الشطرنج والنرد؛ معللة بكونهما من الباطل واللعب، وأنّ كلّ ما ألهى عن ذكر الله عزّ وجلّ فهو الميسر، وقوله عليه السلام في بيان حكم اللعب بالأربعة عشر: لا نستحب^(١٠١) شيئاً من اللعب غير الرهان والرمي^{(١٠٢)-(١٠٣)}

النقطة الثانية: ما نقل من الرواية في الكتب الروائية

ورواية الأربعة عشر في كلامه عليه السلام هي رواية واردة عن الامام الكاظم عليه السلام؛ فقد أوردها علي بن جعفر في مسائله، وهي: (وسألته عن اللعب بأربعة عشر وشبهها، هل يصلح؟ قال: لا نستحب شيئاً من اللعب غير الرهان والرمي).^(١٠٤)

النقطة الثالثة: دور رواية الامام الكاظم عليه السلام في المقام في ضوء منهج الاستنباط

ولتوضيح دور رواية الامام الكاظم عليه السلام في المقام في ضوء الطريقة الفنية للاستنباط، نقول:

لما كان الكلام في حكم تكليفي، فإن المنطلق هو البراءة كما أسلفنا، فتصل النوبة الى المرحلة الثانية من مراحل عملية الاستنباط حيث البحث عن عمومات واطلاقات تدل على الحرمة تقطع العمل بالأصل العملي وتثبت الحرمة، ويأتي هنا دور بعض ما يمكنه ان يقوم بذلك الدور مما أخذ فيه عنوان عام جدا شامل لما نحن فيه بناء على ذلك.

فإذا كانت العمومات في المرحلة الثانية تامة سنداً ودلالة-وقد رأينا أن المحققين يناقشون في دلالتها على الحرمة في ما نحن فيه-تصل النوبة الى المرحلة الثالثة، حيث البحث عما يعارضها في رتبها، وهو ما لا أثر له في المقام، لتكون المرحلة التالية في هذه الحالة كما تقدم للبحث عن مخصص أو مقيد يثبت جواز ما نحن فيه من عنوان، وواضح من كلام من ذهب الى التجويز أنه إنما ذهب اليه لا لروايات دلت على الجواز، وإنما لعدم دليل على الحرمة بعدم تمامية جميع ما يذكر في المرحلة الثانية من مراحل عملية الاستنباط من أدلة عليها، أعني: الحرمة.

وأما ما ذكره المصنف من رواية الامام الكاظم عليه السلام الواردة في لعبة (الاربعة عشر)؛ فإن قلنا إنها إنما حرمت ما نحن فيه بعنوان عام ومطلق، فسيكون محلها المرحلة الثانية مع جميع ما يذكر هنا من أدلة على الحرمة منها الاجماع والروايات المختلفة، وإن قلنا إنها دليل خاص على الحرمة ورد في العنوان المبحوث عنه في هذه المسألة، فإن محلها المرحلة الخامسة من مراحل عملية الاستنباط على فرض تمامية دليل خاص على الجواز في المرحلة الرابعة،

وحيث أننا افترضنا عدم هكذا دليل في هذه المرحلة، فإن الحرمة تثبت ببركة عمومات الحرمة واطلاقاتها في المرحلة الثانية، وكذا بالدليل الخاص عليها مما نقل من الرواية عن مولانا الكاظم (عليه السلام) في المرحلة الخامسة. ومن الواضح أن هذا المدعى فرع تامة رواية الاربعة عشر سنداً ودلالة، وهنا يقول (عليه السلام): (لكن، قد يشكل الاستدلال في ما إذا تعلّق بهذه الأفعال غرض صحيح يخرج عن صدق اللهو عرفاً، فيمكن إناطة الحكم باللهو، ويحكم في غير مصاديقه بالإباحة). (١٠٥)

وعلى هذا، فالعمومات والاطلاقات على الحرمة غير تامة دلالة، فلا تفيد الحرمة في ما نحن فيه، وأما الرواية محل الكلام، فدورها اثبات الحرمة في نطاق ضيق هو ما لو صدق عنوان اللهو، وأما إذا-تعلّق بهذه الأفعال غرض صحيح يخرج عن صدق اللهو عرفاً، فإنه مباح، وإباحته للأصل العملي في المرحلة الاولى من مراحل عملية الاستنباط، ولما يفترض من أدلة مجوزة في المرحلة الرابعة من مراحل العملية إن كانت. هذا هو دور الرواية في ما نحن فيه.

الرواية الحادية عشرة: ما ورد في حرمة اللهو

النقطة الأولى: كلام الشيخ الانصاري (عليه السلام) في كتاب المكاسب

قال (عليه السلام): (اللهو حرام ... والأخبار الظاهرة في حرمة اللهو كثيرة جداً....). وفي رواية علي بن جعفر (عليه السلام)، عن أخيه، قال: سألته عن اللعب بالأربعة عشر وشبهها، قال: لا نستحب شيئاً من اللعب غير الرهان والرمي.... هذا، ولكن الإشكال في معنى اللهو؛ فإنه إن أُريد به مطلق اللعب كما يظهر من الصحاح والقاموس؛ فالظاهر أن القول بحرمة شاذّ مخالف للمشهور والسيرة؛ فإنّ اللعب هي الحركة لا لغرض عقلائي، ولا خلاف ظاهراً في عدم حرمة على الإطلاق.

نعم، لو خُصَّ اللّهُو بما يكون عن بَطَرٍ، وفَسَّر بشدّة الفرح كان الأقوى تحريره، ويدخل في ذلك الرقص والتصفيق والضرب بالطشت بدل الدفّ وكلّ ما يفيد فائدة آلات اللّهُو.

ولو جعل مطلق الحركات التي لا يتعلق بها غرض عقلائي مع انبعائها عن القوى الشهوية، ففي حرمة تردد). (١٠٦)

النقطة الثانية: ما نقل من الرواية في الكتب الروائية

ورواية الاربعة عشر في كلامه ﷺ هي الرواية الواردة عن الامام الكاظم (عليه السلام) التي تقدم العمل عليها في المطلب السابق، وهي ما أورده علي بن جعفر في مسائله، وهي: (وسألته عن اللعب بأربعة عشر وشبهها، هل يصلح؟ قال: لا نستحب شيئاً من اللعب غير الرهان والرمي). (١٠٧)

النقطة الثالثة: دور رواية الامام الكاظم (عليه السلام) في المقام في ضوء منهج الاستنباط ولا نحتاج لتوضيح دور رواية الامام الكاظم (عليه السلام) في المقام في ضوء الطريقة الفنية للاستنباط، الا للرجوع والتأمل في ما تقدم في الرواية السابقة مباشرة؛ فإن الكلام في حكم تكليفي لعنوان هو (اللّهُو)، فالمنطلق هو البراءة كما أسلفنا، فتصل النوبة الى المرحلة الثانية من مراحل عملية الاستنباط حيث البحث عن عمومات واطلاقات تدل على الحرمة تقطع العمل بالأصل العملي وثبت الحرمة، ويأتي هنا دور بعض ما يمكنه ان يقوم بذلك الدور مما أخذ فيه عنوان عام جدا شامل لما نحن فيه من عنوان (اللّهُو) بناء على ذلك.

فإذا كانت العمومات في المرحلة الثانية تامة سنداً ودلالة-وسياًتي الان التنبيه على المناقشة في حرمة عنوان (اللّهُو) على اطلاقه على لسان المصنف نفسه-تصل النوبة الى المرحلة الثالثة حيث البحث عن عام او مطلق مجوز يعارض ذاك، وحيث إن المفروض عدم هكذا معارض،

تصل النوبة كما تقدم الى البحث عن مخصص أو مقيد يثبت جواز ما نحن فيه من عنوان في المرحلة الرابعة.

وأما ما ذكره المصنف من رواية الامام الكاظم عليه السلام الواردة في لعبة (الاربعة عشر)؛ فإن قلنا إنها إنما حرمت ما نحن فيه بعنوان عام ومطلق، فسيكون محلها المرحلة الثانية مع جميع ما يذكر هنا من أدلة على الحرمة منها الاجماع والروايات المختلفة، وإن قلنا إنها دليل خاص على الحرمة ورد في العنوان المبحوث عنه في هذه المسألة، فإن محلها المرحلة الخامسة من مراحل عملية الاستنباط على فرض تمامية دليل خاص على الجواز في المرحلة الرابعة، وحيث أننا نفترض عدم هكذا دليل في هذه المرحلة، فإن الحرمة تثبت ببركة عمومات الحرمة واطلاقاتها في المرحلة الثانية، وكذا بالدليل الخاص عليها مما نقل من الرواية عن مولانا الكاظم عليه السلام في الخامسة.

وكما ترى، فإن هذا عين ما تقدم في الرواية السابقة، ولكن ما يضاف هنا، هو ما ذكره المصنف بعد ذلك من مناقشته في مقدار دلالة هذه الرواية وغيرها على الحرمة؛ فإن الإشكال في معنى اللهو محل الكلام؛ فإنه إن أُريد به (مطلق اللعب) كما يظهر من الصحاح والقاموس؛ فالظاهر أن القول بحرمة بهذا الشمول شاذّ مخالف للمشهور والسيرة؛ فإنّ اللعب هو الحركة لا لغرض عقلائي، ولا خلاف ظاهرًا في عدم حرمة على الإطلاق.

نعم، لو خُصَّ اللهو بمساحة خاصة من اللعب، وهو اللعب الذي يكون عن بطرٍ، وفُسّرنا هذا البطر بشدة الفرح، كان الأقوى تحريمه لما تقدم من الأدلة ومنها رواية الامام الكاظم عليه السلام؛ فإنه المقدار المتيقن دخوله في تلك الأدلة، وبالتالي، هو المقدار المتيقن خروجه من مقتضى أصالة البراءة في المرحلة الاولى من مراحل عملية الاستنباط، ليبقى ما يشك في دخوله في عمومات أدلة الحرمة واقعا تحت أصالة البراءة، فيفتى بجوازه.

وإذا ما كان هذا هو القدر المتيقن دخوله في أدلة الحرمة؛ فإنه يدخل في ذلك بنظر المصنف الرقص والتصفيق والضرب بالطشت بدل الدفّ وكلّ ما يفيد فائدة آلات اللهو.

وبناء على ما تقدم، فلو جعل (اللهو) مطلق الحركات التي لا يتعلق بها غرض عقلائي مع انبعاثها عن القوى الشهوية، كان في حرمة ترده؛ ويبقى تحت أصالة البراءة القاضية بجوازه. وعليه، فالرواية محل الكلام وإن كان دورها إثبات حرمة اللهو، إلا أن اللازم تقييده من حيث الدلالة بما قلنا.

المطلب الرابع: ما ورد في خاتمة كتاب المكاسب وفي خاتمة كتاب المكاسب، تعرض المصنف لمجموعة من المسائل المهمة ذات العلاقة بالمكاسب المحرمة، ومنها: جوائز السلطان وعماله، فتكلم عن حكمها مستفيدا مما روي عن الإمام الكاظم عليه السلام.

الرواية الواردة في هذه الخاتمة: ما دل على كراهة أخذ جوائز السلطان

النقطة الأولى: كلام الشيخ الانصاري عليه السلام في كتاب المكاسب

قال عليه السلام في هذا السياق: (أمّا الاولى [أن لا يعلم بأن للجائر مالا حراما يحتمل كون الجائزة منه]، فلا إشكال فيها في جواز الأخذ وحلية التصرف؛ للأصل، والإجماع، والأخبار الآتية، لكن، ربما يوهم بعض الأخبار أنّه يشترط في حلّ مال الجائر ثبوت مال حلال له، مثل ما عن ...

وأما الثانية، [ان يعلم بوجود مال محرم للجائر لكن لا يعلم بكون الجائزة منه]، فإن كانت الشبهة فيها غير محصورة، فحكمها كالصورة الأولى، وكذا إذا كانت محصورة بين ما لا يبتلي المكلف به وبين ما من شأنه الابتلاء به ... ثمّ إنّ صرح جماعة بكراهة الأخذ، وعن المنتهى الاستدلال له باحتمال الحرمة، وبمثل قولهم عليه السلام: دع ما يريبك ... وما عن الإمام الكاظم من

قوله ﷺ: لولا أني أرى من أزوجه بها من عزاب آل أبي طالب لئلا ينقطع نسله، ما قبلتها أبداً). (١٠٨)

النقطة الثانية: ما نقل من الرواية في الكتب الروائية

والوارد من هذه الرواية في الوسائل: (وعنه، عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن الحسن المدني، عن عبد الله بن الفضل، عن أبيه- في حديث- إن الرشيد أمر بإحضار موسى بن جعفر ﷺ يوماً، فأكرمه، وأتى بها بحقة الغالية، ففتحها بيده، فغلفه بيده، ثم أمر أن يُحمل بين يديه خلَعٌ وبدرتان دنائير، فقال موسى بن جعفر ﷺ: والله، لولا أني أرى من أزوجه بها من عزاب بني أبي طالب لئلا ينقطع نسله، ما قبلتها أبداً). (١٠٩)

النقطة الثالثة: دور رواية الامام الكاظم ﷺ في المقام في ضوء منهج الاستنباط قلنا في ما تقدم من استعراض منهج الاستنباط بداية البحث: أكثر الموارد التي يريد الفقيه تشخيص الحكم التكليفي فيها، فإن الاصل الجاري في تلك المسائل هو (أصالة البراءة) الجارية في حالات الشك البدوي؛ باعتبار أن أكثر هذه الحالات هي من حالات الشك البدوي غير المقرون بيقين سابق ولا المقرون بالعلم الاجمالي، فيكون المرجع اصالة البراءة كما هو المعلوم عند المتخصصين، ولكن، في بعض الحالات الخاصة يكون هناك تعارض وتصادم بين الاصول العملية المختلفة التي يحتمل جريانها في المرحلة الاولى من مراحل عملية الاستنباط، بحيث تكون الغلبة في بعض الاحيان لغير اصالة البراءة من الاصول العملية، من قبيل الاستصحاب الذي يجري مع حالة متيقنة سابقة على الشك، كما سيأتي تفصيله وتطبيقه في آخر الروايات التي ستكون مادة للبحث العلمي في هذا البحث، وهذا محل الوفاء، فنقول:

محل الكلام بالدقة هو: حكم التصرف في المأخوذ من السلطان الجائر في حالة ما إذا لم يكن هناك علم بوجود مال حرام للجائر يحتمل الأخذ

كون الجائزة منه، وعندما نقول: (عدم العلم بـ...)، فالمقصود أنه ليس في المقام علم لا سلباً ولا إيجاباً، نعم، قد يكون هناك احتمال بوجود المال الحرام، إلا أنه مجرد احتمال، إلا أن هذا الاحتمال موجود حتى في أموال العدول من المؤمنين كما هو واضح.

وهذه الصورة يمكن أن تنحل إلى حالتين؛ فإن عدم العلم بوجود مال حرام للجائر يحتمل الأخذ كون الجائزة منه قد يكون بسبب عدم مال محرم للجائر من الأساس، كما أنه قد يكون من جهة العلم بوجود مال حرام للجائر إلا أن الأخذ لا يحتمل انطباق ذلك المال الحرام على الجائزة، والكلام في الحالتين واحد.

وقد ذهب المصنف هنا إلى جواز الأخذ والتصرف في هذه الصورة مستدلاً بثلاثة أدلة، هي: الأصل والإجماع، والأخبار الخاصة، إلا أن المهم تشخيص المراد بتلك الأدلة، وتشخيص محلها من عملية الاستنباط، فهو الهدف.

تشخيص مقتضى (الأصل) الجاري في المسألة محل البحث وقد ذهب المصنف في ما نقلناه عنه هنا إلى أن الأصل يقتضي الجواز في المقام، إلا أن المهم هو تشخيص المراد من (الأصل) الذي ورد على لسانه قدس سره الشريف؛ طلباً للحقيقة من جهة، ولتعلم الصنعة كما يقولون من جهة أخرى؛ إذ أن عناصر عملية الاستنباط -ومنها رواية الامام الكاظم (عليه السلام) - ستختلف دوراً ومحلاً بناء على تشخيص المراد من الأصل.

احتمالان في المقصود من (الأصل) في المقام

الاحتمال الأول: الأصل العملي

ولا بد أن يكون المراد من الأصل العملي في المقام -إذا كان هو المقصود من كلمة (الأصل) - البراءة؛ فإنها هي التي تقتضي الجواز. ولكن، قد يشكل على المصنف في خصوص المقام بأن الأصل العملي في المسألة محل البحث ليس هو البراءة؛ فإن هناك أصولاً عدة حاکمة عليها بحيث لا يكتب لها البقاء بل لتلك الأصول؛ فإن تلك الأصول حاکمة والبراءة محكومة بحكومة الأصل الموضوعي على الأصل الحكمي كما هو المعروف في علم الأصول؛ فاستصحاب عدم طيب نفس المالك السابق بالتصرف في ماله، وكذا استصحاب عدم مالكية الجائر، أصلاً موضوعياً حاکماً على أصالة البراءة يثبتان حرمة التصرف في الجائزة محل الكلام. كما أن هناك أصلاً عملياً آخر يختص بإثبات حرمة التصرفات المتوقفة على الملك، وهو استصحاب عدم انتقال المال من ماله وعدم دخوله في ملك المجاز له.

وبالجملة: مقتضى الأصول الموضوعية هو عدم جواز التصرف، فلا يبقى مجال للأصل الحكمي وهو البراءة. ولو تم هذا الاشكال، فلا يمكن أن يكون المراد بالأصل الذي جاء في كلام المصنف وذكر أنه يقتضي الجواز هو أصالة البراءة، فلا بد أن يكون المراد به معنى آخر غير الأصل العملي.

الإحتمال الثاني: القاعدة

وقد شاع في بعض الموارد استعمال كلمة (الأصل) في (القاعدة) و(العموم) لا العملي، والأقوى أن المراد من الأصل في المقام هو (قاعدة اليد)؛ فإنها الجارية في المقام بعمومها وإطلاقها بحيث تشمل الجائر وجوائزه. ولكن، أين هو محل هذه القاعدة من مراحل عملية الاستنباط؟

إذا قبلنا بأن الأصل العملي في المقام يقتضي الحرمة كما مضى في الاحتمال الأول، فإن المرحلة الثانية هي البحث عن دليل عام مطلق على خلاف مقتضى الأصل العملي كما نبهنا عليه سابقاً؛ فإنه المانع المتصور عن عمل الأصل العملي في الحجية، وبناء على ما هذا، اتضح محل قاعدة اليد في المقام؛ وأنها تمثل الدليل العام المطلق الجاري في المرحلة الثانية من مراحل عملية الاستنباط.

بهذا يتضح دور (الأصل) الذي يقتضي الجواز، وأما الإجماع والأخبار الدالة على الجواز - ومنها رواية الامام الكاظم عليه السلام محل الكلام - فلما كانت أدلة خاصة على الجواز في المقام، فإنها تلعب دور الدليل في المرحلة الرابعة من مراحل عملية الاستنباط، فعلى فرض وجود دليل على الحرمة في المقام ينحصر قاعدة اليد في المرحلة الرابعة، فإنه لا يجري إلا بعد تقدمه على هذين الدليلين الدالين على الجواز، أعني: الإجماع والأخبار الخاصة.

وعليه، فلا بد من البحث في المرحلة الرابعة عن مخصص لتلك القاعدة بحيث يصلح للتخصيص وإثبات الحرمة في المقام.

وهنا، يأتي دور ما قدمه المصنف في المقام بقوله: (لكن، ربما يوهم بعض الأخبار أنه يشترط في حل مال الجائر ثبوت مال حلال له، مثل ما عن الاحتجاج عن الحميري)، فهل يمكن الاستدلال بالرواية في المقام؟ وهل هي متقدمة على الدليلين الخاصين في المرحلة الرابعة والدليل العام في الثانية التي تقتضي جميعها الجواز كما تقدم؟

والظاهر من قول المصنف: (ربما يوهم)، أنه لا يقبل بتمامية الاستدلال بالرواية، والظاهر أن ذلك من ناحية ما يلي:

١- أنها أجنبية عن المقام؛ فإن التأمل في ما جاء فيها يفضي إلى أنها واردة في صورة أخرى غير ما نحن فيه، وهي صورة - العلم بحرمة مال الجائر.

٢- وعلى فرض شمولها للمقام ولو بإطلاق مفهومها مثلاً؛ فإنها لا تصلح للدور المنتظر منها في المقام؛ إذ هي معرض عن العمل بها في الصورة الأولى التي نحن فيها؛ بعد الإجماع الذي ذكره المصنف على الجواز في هذه الصورة، فهي ساقطة سنداً بالاعراض.

٣- أنها معارضة بالأخبار الكثيرة التي تدل على الجواز في المقام صراحة، ومنها روايتنا محل الكلام. وفي حالة التعارض ووصول الكلام إلى المرحلة السادسة وهي تشخيص الموقف من التعارض بين الخاصين، فإن الموقف لن يكون في صالح رواية الإحتجاج أبداً.

لهذه الأمور الثلاثة ولربما غيرها أيضاً، رفض المصنف الاستدلال بالرواية على الحرمة في المقام.

هذا هو دور رواية الامام الكاظم (عليه السلام) في المقام؛ فهي تثبت الجواز كما قلنا. إلا أن القصة لا تنتهي بهذا الجواز؛ فإن الواضح أن البعض يستدل بهذه الرواية على الكراهة لا على محض الجواز والاباحة، فكيف كان ذلك؟ وما هو دور الرواية عنه (عليه السلام) هنا؟

والجواب طي العنوان الآتي:

الطريقة الفنية لاستنباط الحكم بالكراهة أو الاستحباب (وجهان لعملة واحدة)

ويمكن أن نذكر لاستنباط الحكم بالكراهة وجهين فنيين للاستنباط نيتجتها واحدة، وإنما عبرنا بالوجهين؛ لأنهما وجهان لعملة واحدة وطريقة فنية فاردة ليس إلا، كما سترى بنفسك من خلال عرض هذين الوجهين، وهما:

الوجه الأول

يتمثل الوجه الأول بالطريقة نفسها التي كنا نستنبط بواسطتها الحكم التكليفي، نعم، ما يجب إضافته في المقام للوصول إلى الحكم بالكراهة أو

الاستحباب، هو التأمّل في ذلك الدليل الذي أثبت الجواز؛ للوصول إلى نوع الجواز الذي أثبتته، فهل هو الجواز مع الكراهة، أم أنه الجواز مع الاستحباب، أم لا هذا ولا ذاك؟

وللوصول إلى نتيجة فنية صحيحة عبر الاستفادة من الوجه السابق، يجب على الفقيه أن يسرد جميع ما من شأنه أن يتدخل في الوصول إلى الحكم بالكراهة أو الاستحباب، فعليه أن يعالج ما قد يبرز من تعارض بين الأدلة المختلفة الدالة على الجواز من جهة والدالة على ما هو أكثر من الجواز من كراهة أو استحباب، بل وحتى على غير الجواز مما يتمثل في المرحلة الرابعة من مراحل عملية الاستنباط كما رأينا عملياً من جهة أخرى.

ولما كان هذا العمل دقيقاً جداً من ناحية، ومجهداً من ناحية أخرى، ومما يقع فيه التداخل الكبير والعويص في بعض الأحيان بين الأدلة والعناصر المختلفة لعملية الاستنباط من ناحية ثالثة، لهذه وغيرها من الأسباب، يبرز الوجه الثاني لعملية الاستنباط في المقام كحل أمثل لتجاوز تلك الصعوبات، فما هو الوجه الثاني؟ وكيف يمكنه أن يتجاوز الصعوبات المختلفة التي قد يقع فيها الفقيه من خلال تعامله مع الوجه الأول؟

الوجه الثاني

وأما الوجه الثاني لعملية استنباط الحكم بالكراهة أو الاستحباب، فيمكن اعتباره خطوة ثانية متأخرة على عملية استنباط الحكم بالجواز والإباحة.

وتفصيل ذلك:

لكي يصل الفقيه إلى الحكم بالكراهة أو الاستحباب، لا بد -له من أن يمارس عمليتين فئيتين للاستنباط، تتمثل الأولى في ما كنا نمارسه عادة من عملية استنباط الحكم التكليفي بالجواز، تلك التي ذكرناها أول الوجه الأول. ومن خلال تلك الطريقة، فإذا ان وصل الفقيه إلى الحرمة أو الجواز.

فإذا كان قد وصل إلى الحرمة، فلا كلام حينئذ، فلا كراهة ولا استحباب كما هو واضح، وأما إذا وصل إلى الجواز، فتنتهي بذلك عملية الاستنباط الأولى، لتكون الفتوى حالياً بالإباحة التكليفية، التي يمكن أن تجتمع مع الكراهة في بعض الأحيان ومع الاستحباب أحياناً أخرى.

ولكي يشخص الفقيه أن ذلك الجواز وتلك الإباحة من نوع الجواز الكراهتي، فلا بد له من أن يقوم بعملية استنباط أخرى مكملة لتلك العملية، إلا أن هذه العملية الثانية لن تؤثر على الحكم بالإباحة طبعاً، بل غاية الهدف منها هو تشخيص ما زاد على الإباحة من كراهة أو عدمها، كما سيوضح من خلال البيان الآتي:

عملية الاستدلال الجديدة لا تختلف عن غيرها من عمليات استنباط الحكم التكليفي الأخرى في خطوطها العامة الكلية، نعم، هناك فرق أساسي بين هذه العملية وتلك العمليات يتمثل في أن جميع العمليات التي يزاوها الفقيه في هذه العملية الثانية تدور حول محور واحد هو الجواز؛ إذ المفروض أن الفقيه قد انتهى من عملية الاستنباط الأولى ووصل إلى الجواز، كما سنرى الآن بالتفصيل، فلا تنس رجاء.

أما المرحلة الأولى، فهي تنقيح الأصل العملي الجاري في المقام.

ولما كان الفقيه قد وصل إلى الجواز والإباحة في عملية الاستنباط الأولى كما قلنا قبل ذلك، وحيث أن الحكم بالكراهة أو غيرها (حكم شرعي لا بد له من دليل كغيره من الأحكام، فإننا نشك في أن الحكم بالكراهة أو الاستحباب في المسألة محل البحث) وهي أخذ الهدية والتصرف بها في ما نحن فيه) هل شرع أم لا؟ والأصل يقتضي عدم التشريع، فلا كراهة ولا استحباب، هذا إذا لم نقل بجريان البراءة عن الكراهة كما تجري عن الحرمة والوجوب كما يطرح في كتب الأصول.

وعلى هذا، فالأصل يقتضي عدم الكراهة، فلا بد لمن يذهب إلى خلاف مقتضى الأصل من كراهة أو استحباب من إبراز دليل دال عليهما بحيث يقطع العمل بالأصل العملي في المقام وهو الاستصحاب السابق كما هو واضح.

وبهذا، يصل الدور إلى المرحلة الثانية من مراحل عملية الاستنباط في المقام، حيث البحث عن عام أو مطلق يثبت الكراهة كما في ما نحن فيه، وهنا يأتي دور الأدلة العامة التي ذكرها الذاهبون إلى الكراهة في المقام إن توفر هذا النوع من الأدلة العامة كما هو الظاهر مما تقدم من أدلة عمّن ذهب إلى الكراهة.

وأما المرحلة الثالثة، فهي البحث عن عام او مطلق ينفي الكراهة ليعارض العمومات السابقة، والمفروض أنه عدم، فتصل النوبة في المرحلة الرابعة الى البحث عن مخصص أو مقيد لتلك الأدلة العامة المطلقة المثبتة للكراهة يثبت عدم الكراهة في المسألة محل البحث بالخصوص.

فإذا لم يوجد هكذا دليل، كانت الفتوى الكراهة طبقاً للدليل العام في المرحلة الثانية؛ إذ يكفي ذلك الدليل العام والمطلق على الكراهة، وأما إذا وجد الخاص على عدم الكراهة في الرابعة، وصلت النوبة إلى المرحلة الخامسة حيث البحث عن معارض لذلك المخصص أو المقيد يثبت الحكم بالكراهة (أو الاستحباب لو كان البحث في الحكم بالاستحباب) في المسألة محل البحث بخصوصها.

فإذا لم يوجد هكذا دليل، حكمنا بعدم الكراهة طبقاً للمخصص أو المقيّد في الرابعة، وأما إذا وجد، وصلت النوبة إلى المرحلة السادسة من مراحل عملية الاستنباط حيث البحث عن حل للتعارض وإعطاء النتيجة طبقاً لذلك الحل.

وكما ترى، فإن جميع العناصر التي استعملها الفقيه في هذه العملية الثانية للاستنباط تدور حول الحكم بالجواز وتؤدي دورها في أجوائه وسياقه؛ إذ المفروض وصول الفقيه كما قلنا في عملية الاستنباط الأولى إلى الحكم بالجواز والإباحة، فكان الغرض من هذه العملية الثانية هو أمر زائد على ذلك، وهو الحكم بالكراهة.

والذي نراه في هذه العملية، أنها قضت على الكثير من الصعوبات التي كان على الفقيه مواجهتها والتعامل معها في الوجه الأول لعملية الاستنباط؛ حيث نرى أن هذا الوجه قد أقصى جميع العناصر التي لها علاقة بالحكم بالحرمة، وهو أمر غاية في الأهمية والفاعلية كما هو واضح.

إلا أن قضاء هذا الوجه الثاني على الكثير من الصعوبات التي يواجهها الفقيه كما تقدم، لا يعني أبداً: أنه خال من التعقيد والدقة، بل شأن هذا الوجه شأن غيره من عمليات الاستدلال التي لا تخلو أبداً من الدقة والتحقيق والبحث والتعامل مع عناصر متنوعة وكثيرة لعملية الاستنباط، فقد رأينا أن تلك العملية عملية كاملة من عمليات الاستنباط احتوت على جميع أنواع عناصر تلك العملية؛ فقد كان هناك حضور للأصل العملي الذي ينبغي للفقيه أن ينقحه قبل الشروع بالعملية من خلال أبحاثه في علم الأصول، وكذا العام أو المطلق الذي يبحث عنه في المرحلة الثانية من عملية الاستنباط، وكذا هناك المخصص والمقيد، وهناك المعارض، وهناك التعارض وتشخيص نوعه، وهناك أيضاً حل التعارض على فرض وقوعه، فالعملية عملية استنباط كاملة لا يستهان بها أبداً.

والظاهر من قول المصنف الآتي بعد ذكر الأمور الرافعة للحكم بالكراهة: (وهذه الفروع كلها بعد الفراغ عن إباحة أخذ الجائزة...) (١١٠)، أنه يعتمد على هذا الوجه الثاني من الوجهين المتقدمين.

وبعد هذه الجولة الطويلة في عملية الاستنباط ومراحلها، يتضح دور ما أبرزه القائلون بالكراهة في المقام من العناصر المختلفة، ومنها رواية الامام الكاظم (عليه السلام) بناء على ما اختاره المصنف من الوجه الثاني؛ فإننا اذا اعتبرناها من جملة العمومات والاطلاقات المثبتة لكراهة الأخذ، كانت في المرحلة الثانية كغيرها من العمومات والاطلاقات الماثلة، وإن قلنا إنها دليل خاص ظاهر في الكراهة، كان موقعها المرحلة الخامسة من مراحل العملية كما تقدم قبل قليل في بيان الوجه الثاني.

خاتمة البحث

هذا هو جميع ما استطعنا اصطياده من مرويات للإمام الكاظم (عليه السلام) في كتاب المكاسب المحرمة لأستاذ الفقهاء والمجتهدين، الشيخ الانصاري (رحمته الله)، وقد تبين دورها الفاعل في عملية استنباط الحكم التكليفي مرة والحكم الوضعي مرة أخرى، كل ذلك طبق معيار ومنهج واضح لعملية الاستنباط عند الامامية طبق ما اكتشفناه من هذا المنهج على أسس ومبانٍ واضحة قام عليها الدليل من هدف عملية الاستنباط أولاً، وعلم اصول الفقه ثانياً، وما استعرضناه من كلمات الفطاحل والمتخصصين من واقع عمليات الاستنباط الموجودة والمبثوثة في ثانياً جميع الكتب الاستدلالية المفصلة ثالثاً، وعلم المنطق رابعاً، ودرء محذور تحصيل الحاصل أخيراً.

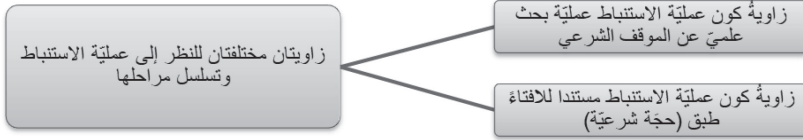
ان بيان دور هذه المرويات بهذه الطريقة الخاصة، أعني: في ضوء منهج الاستنباط كما جاء في هذا البحث، رأينا ما له من الاهمية والضرورة؛ فعلاوة على اكتشاف المنهج الذي يحتاجه الممارس لعملية الاستنباط بصورة منهجية فيما لو اراد لهذه العملية ان تكون منضبطة دقيقة وصحيحة وفنية، فإنه يوفر للممارس لهذه العملية الكثير من الأدوات البحثية الفنية الصحيحة التي لا بد منها في هذه الممارسة.

لا ننسى هنا ما تقدمه هذه الطريقة من وضوح تام لموقع كل واحد من عناصر عملية الاستنباط على اختلاف أنواعها، فلا تختلط الأوراق على الممارس لعملية الاستنباط، فالاصل العملي له موقع محدد مشخص، والعمومات والاطلاقات على اختلاف دلالاتها لها موقعها الخاص، والأدلة الخاصة على اختلاف دلالاتها لها موقعها الخاص أيضا في ضوء هذا المنهج، فلا يحصل التداخل من جهة، ويعرف الممارس تمام المعرفة من اين يجب عليه ان ينطلق فلا ينشغل بغير هذا المنطلق وهو في بداية رحلة الاستنباط، وكذا يعرف كل مرحلة من المراحل وتسلسلها، فلا يضيع جهد هنا في غير محله، ولا يذهب وقت سدى هناك.

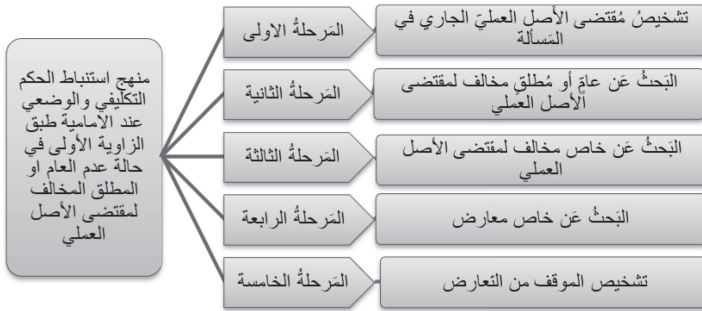
اضف الى جميع ذلك، ان ما طرحناه في البحث يوفر منهجا علميا دقيقا يمكنه ان يقدم مادة علمية تدريسية تعليمية تصلح ان تكون بديلا ناجعا للمطولات من الكتب الدراسية؛ إذ من الواضح الذي لا شك فيه أن كتاب المكاسب على سبيل المثال قد وضع منهجا دراسيا لهدف خاص هو تعليم عملية الاستنباط وخطوطها العامة وفنياتها ومهاراتها على مستوى ما يسمى بالسطوح العليا كما هو المعروف عند طلاب الحوزة العلمية المباركة، فإذا كان طرح المادة العلمية الموجودة في هذا الكتاب يجري طبق المنهج الذي طرحناه في البحث، فمن الجلي ما سيقدمه هذا المنهج من خدمة لذلك الهدف بطريقة فنية منهجية تختصر الكثير الكثير من الجهود والوقت من جهة، وتضع بين يدي الطالب كما هائلا من فنيات عملية الاستنباط ومهاراتها بطريقة واضحة بينة تعليمية من جهة أخرى.

مخططات توضيحية

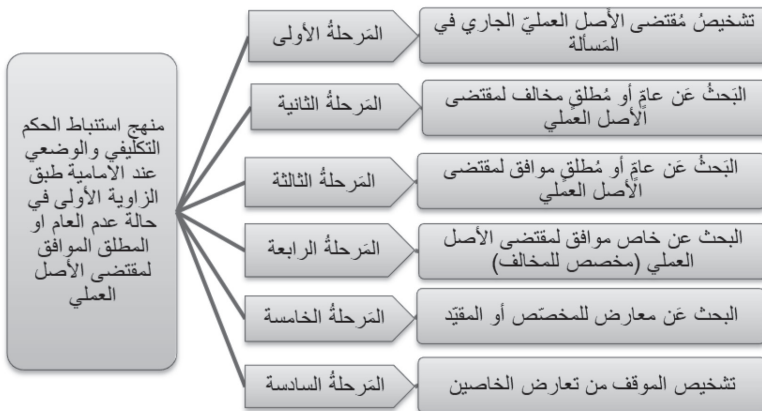
هذا ما اردنا طرحه في هذا البحث، بأمل أن يكون قد حقق الاهداف المرجوة التي شخصناها قبل ان نبدأ فيه بطريقة فنية ومنهجية صحيحة ودقيقة، وإليك هنا بعض المخططات لتوضيح بعض ما تقدم.



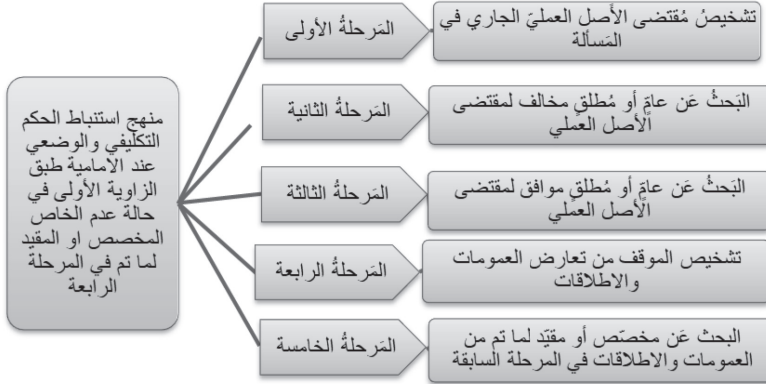
هذا مع افتراض تحقق جميع المراحل بتوفر الادلة المطلوبة فيها.



وعليه، فلو لم يتوفر خاص في المرحلة الثالثة، فإن للفقيه أن ينهي عملية استنباطه اكتفاء بالأصل العملي؛ إذ غايته توفر عام أو خاص موافق له، فهذان هما الدليل على الفتوى بعد عدم حجية الأصل، ولكن، ستبقى الفتوى هي هي، وهي البطلان والفساد.



سقطت مرحلة تشخيص الموقف من تعارض العمومات والاطلاقات
بعد عدم العام الموافق للأصل العملي.



تنتهي في هذه الحالة عملية الاستنباط، فيفتي الفقيه طبقاً لما تم في المرحلة الرابعة، بلا حاجة الى البحث عن خاص موافق للعموم التام؛ إذ هو من تحصيل الحاصل.

تطبيق منهج الاستنباط على روايتي الامام عليه السلام الواردين في جواز الغناء في الفطر والأضحى والفرح

المرحلة الأولى
تشخيص مقتضى الأصل العملي الجاري في المسألة
الجواز بمقتضى أصالة البراءة

المرحلة الثانية
البحث عن عامٍ أو مُطلقٍ مخالف لمقتضى الأصل العملي
عمومات وإطلاقات حرمة الغناء

المرحلة الثالثة
البحث عن عامٍ أو مُطلقٍ موافق لمقتضى الأصل العملي
لا يوجد

المرحلة الرابعة
البحث عن مخصص أو مقيد لما تم من العمومات والإطلاقات في المرحلة السابقة
روايتا الإمام الكاظم x في جواز الغناء في الفطر والأضحية والفرح

المرحلة الخامسة
البحث عن معارض للمخصص أو المقيد
لا يوجد

بتمامية هذا، كان لابد من الفتوى بالجواز طبق روايتي الامام عليه السلام وغيرهما مما يشابههما؛ إذ هي الحجة بتخصيصها وتقييدها العمومات والإطلاقات في الحرمة في المرحلة الثانية، إلا أن المصنف أفتى بالحرمة مطلقاً؛ موجهاً ذلك بعدم ظهور يعتد به في دلالة الروايتين وغيرهما، خصوصاً مع معارضته بما هو كالصریح في حرمة غناء المغنية ولو لخصوص مولاها، ما يعني أن عملية الاستنباط ستنتهي بأربعة مراحل فقط؛ إذ لا حاجة للانتقال الى المرحلة الخامسة حيث البحث عن المعارض لتلك الروايات.

الهوامش:

- ١- ينظر: دروس في علم الأصول (الحلقة الثانية)، ص ٢٣.
- ٢- ينظر: المصدر السابق. والجدير بالذكر أن بعض الأحكام الوضعية تنتزع عن الحكم التكليفي وليست موضوعاً له؛ كما في الشرطية والجزئية؛ المنتزعتين من وجوب المركب ووجوب المقيّد، وكما في حرمة التصرف بالمال المقبوض بعقد باطل؛ المنتزعة من الحكم ببطالان العقد.
- ٣- عُرِفَ المنهَجُ في الاصطلاح العلميّ بتعاريفَ عديدةٍ، منها: (جُهدٌ منظَّمٌ وموجَّهٌ بغرض التوصل إلى حلولٍ للمشكلات). أساليب البحث العلمي، ص ٥. وينظر لتعريف المنهج العلميِّ ومقوماته أيضاً: منهجُ البحوث العلميّة للطلّاب الجامعيّين، ص ٢٤.
- ٤- المكاسب، ج ٢، ص ١٨١-١٨٢.
- ٥- مُستند الشيعة، ج ١، ص ٢٣٩.
- ٦- مصباح الفقيه، ج ٢، ص ٢٩٦.
- ٧- التنقيحُ في شرح العروة الوثقى (تقريراً لأبحاث السيد الخوئي الفقهية)، كتاب الطهارة، ج ١٠، ص ٢١٢.
- ٨- حاشية المكاسب، كتاب البيع، ج ١، ص ٣٨.
- ٩- مصباح الفقاهة (تقريراً لأبحاث السيد الخوئي الفقهية)، ج ٦، ص ٢٧٥.
- ١٠- المستصفى في علم الأصول، ج ١، ص ٣٤٣.
- ١١- تيسير الوصول إلى منهاج الأصول من المنقول والمعقول «المختصر»، ج ٦، ص ٣٠٣.
- ١٢- حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، ج ٢، ص ٤٢٢.
- ١٣- تقرير الاستناد في تفسير الاجتهاد، ص ١١٨.
- ١٤- كشف الأسرار شرح أصول البرزديّ، ج ٧، ص ١٣٩.
- ١٥- يُنظَر: بحث شرائط جريان الأصول العمليّة في الكتب الأصوليّة، من قبيل: كفاية الأصول - المقصد السابع: في الأصول العمليّة، ص ٣٣٣. فوائد الأصول (تقريراً لأبحاث الميرزا النائيني الأصولية)، ج ١، ص ٢٤٠. ج ٢، ص ٥٨. مُحاضرات في علم الأصول (تقريراً لأبحاث المحقّق الخوئي الأصوليّة)، ج ١، ص ١٩٨.
- ١٦- المُعجم الأصولي، ج ٢، ص ٣٤٨، العموم الفوقاني.
- ١٧- مصباح الفقاهة، ج ٤، ص ٩٩.
- ١٨- يُنظَر: حاشية المكاسب، ص ٩٤. هداية الطالب إلى أسرار المكاسب، ج ١، ص ٧٧. مستمسك العروة الوثقى، ج ١١، ص ١٧٢. مصباح الفقاهة (تقريراً لأبحاث المحقّق الخوئي الفقهية)، ج ١، ص ٣٢٣. ج ٢، ص ١٤٢. شرح العروة الوثقى - كتاب الحج

(تقريراً لأبحاث المحقق الخوئي الفقهية)، ج ٤، ص ٢١٩. شرح العروة الوثقى - كتاب الصلاة (تقريراً لأبحاث المحقق الخوئي الفقهية)، ج ٤، ص ٢١٦، ٥١٨. ج ٨، ص ٣٦٤. شرح العروة الوثقى - كتاب الصوم (تقريراً لأبحاث المحقق الخوئي الفقهية)، ج ٢، ص ٢٨٧. فقه الصادق، ج ١٦، ص ١١٨. مباحث الأصول، القسم الثاني - الجزء الثالث (تقريراً لأبحاث السيد الشهيد الصدر الأصولية)، ص ٣٦٧. متقى الأصول (تقريراً لأبحاث السيد محمد الروحاني الأصولية)، ج ٧، ص ٣١٧.

١٩- لمزيد تفصيلات منهجية وتطبيقات، راجع لنا: نيل المآرب في شرح المكاسب، ج ١- ج ٥، من سلسلة الفقه التعليمي، ج ١- ج ٢، فكل هذه الاجزاء تكلمت عن عملية الاستنباط ومراحلها وفتاياتها بشكل تطبيقي مبسوط جداً.

٢٠- لمزيد تفصيلات منهجية وتطبيقات، راجع لنا: نيل المآرب في شرح المكاسب، ج ١- ج ٥، من سلسلة الفقه التعليمي، ج ١- ج ٢، فكل هذه الاجزاء تكلمت عن عملية الاستنباط ومراحلها وفتاياتها بشكل تطبيقي مبسوط جداً.

٢١- الكافي، ج ٤، ص ٦٣٤- ٦٣٥.

٢٢- سورة البقرة: ٢٧٥.

٢٣- سورة النساء: ٢٩.

٢٤- لمزيد تفصيلات منهجية وتطبيقات، راجع لنا: العقل وعملية الاستنباط، فكله يعنى بهذه المسألة. شروط الاجتهاد: دراسة مقارنة، الباب الثاني: الاجتهاد: الحقيقة والممارسة، ص ١٤٠ - ٢١٨. ولنا أيضاً: الوجيزة الحقية، الفصل الثاني: المنهج العام للممارسة الفقهية، ص ١٦٠ - ١٦٠.

٢٥- والمعتمد من هذا الكتاب في هذا البحث هو كتاب المكاسب الذي قام بطبعه المؤتمر العالمي بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لميلاد الشيخ الأعظم الأنصاري، الأمانة العامة، الذي ساهم في اعداده ونشره مجمع الفكر الاسلامي، لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، الذي نشر في قم المقدسة سنة ١٤١٥ للهجرة النبوية المشرفة، وهو أكثر النسخ دقة وتحقيقاً.

٢٦- وسائل الشيعة، الباب ٧ من أبواب ما يكتسب به، الحديث ١ و ٢، مع اختلاف في اللفظ.

٢٧- كتاب المكاسب، ج ١، ص ٣٦.

٢٨- وسائل الشيعة، الباب السابع من ابواب ما يكتسب به، الحديث ٦.

٢٩- مسائل علي بن جعفر ومستدركاتهما، ص ١٠٩ - ١١٠.

٣٠- ينظر: فرائد الأصول (الرسائل)، ج ٢، ص ٢٨٢.

٣١- ولا تتوهم أنكم قلتم أن المرحلة الثالثة للدليل الخاص على البطلان فما لكم

تذكرون (عمومات واطلاقات حرمة بيع الميتة)؟! فإن هذه وإن عبرنا عنها بذلك، إلا أنها تبقى من جنس الأدلة الخاصة في ما نحن فيه؛ وما ذلك إلا بملاحظة ما أخذ فيها من عنوان خاص هو (الميتة)، فأين هذا العنوان مما لم يؤخذ فيه ذلك مما هو إطلاق وعموم حقيقي من قبيل ما يذكر في المرحلة الثانية من مراحل عملية الاستنباط من عنوان (البيع) في قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ مثلاً؟ فانتبه، ولا تغفل.

٣٢- مستدرک الوسائل، ج ٢، ص ٤٢٧.

٣٣- ويحدر الإشارة الى نقطتين في المقام:

الأولى: ان روايات حلية البيع للمستحل في المقام تدل على جواز بيع المذكى المختلط بالميتة ممن يستحلها، وبهذه الروايات ترفع اليد عن ظاهر رواية الجعفریات لو سلم لها ظهور في حرمة البيع على الإطلاق، بل يمكن أن يقال ان تخصيص الحكم بالمستحل ليس إلا لعدم رغبة غيره إليها، فيكونان مسلوبي المالية، خصوصاً إذا لم يكن المراد بالمستحل إلا مستحل الأكل فقط كما هو الظاهر دون مستحل البيع وإن كان يحرم أكله، وأما إذا وجد من يرغب إليها ويتنفع بها في غير ما اعتبرت فيه التذكية والطهارة؛ كمن يشتريهما ليتنفع بهما في مثل التسميد أو سد الساقية، أو يصرفهما في أكل السباع والطيور، أو كان المشتري ممن لا يبالي بأكل الميتة كفساق المسلمين، فيجوز بيعهما من غير المستحل أيضاً، إلا أن الجزم بذلك مشكل جداً، فلا مناص من تخصيص جواز البيع بالمستحل. ينظر: مصباح الفقاهة في المعاملات، ج ١، ص ٧٤.

الثانية: إن كتاب الجعفریات غير معتبر كلاً؛ لأن في سند الكتاب موسى بن إسماعيل، ولم يتعرضوا لوثاقته في الرجال، فلا يمكن الاعتماد عليه. ينظر: التنقيح في شرح العروة الوثقى، ج ٢، ص ٩٢.

٣٤- حاشية الإرشاد (مخطوط)، ص ٢٠٤.

٣٥- كتاب المكاسب، ج ١، ص ٩١-٩٢.

٣٦- ينظر: النوادر، ص ٥٠-٥١.

٣٧- ومن المفيد هنا التنبيه على نقطة رجالية مهمة في المقام، وإنما نذكرها في الهامش لما قد يقال من عدم دخاليتها في تحقيق الهدف من هذا البحث، وهي ترجع الى عدم اعتبار كتاب النوادر على الرغم مما ذكره المحدث النوري في مستدركه، من أن كتاب النوادر هو تأليف السيد الامام الكبير ضياء الدين أبي الرضا فضل الله بن علي الراوندي الكاشاني حفيد الحسن المثنى بن الحسن المجتبى (عليه السلام)، ووصفه العلامة في إجازة بني زهرة بالسيد الامام، وفي فهرست الشيخ منتجب الدين: علامة زمانه، جمع مع علو النسب كمال الفضل والحسب، وكان أستاذ أئمة عصره، قال أبو سعد

السمعاني في كتاب الأنساب: إنه من المشايخ، وإليه تنتهي كثيراً أسانيد الإجازات، وهو تلميذ الشيخ أبي علي بن شيخ الطائفة، وله تصانيف تشهد بفضل وأدبه وجمعه بين مورث المجد ومكتسبه ومنه انتشرت الأدعية الجليلة المعروفة بأدعية السر. ينظر: المستدرک، ج ٣، ص ٣٢٤.

والصحيح: إنه لا كلام في اعتبار الراوندي وفصله وثاقته، إلا أن المشكلة في من ذكر في سند الكتاب؛ لأن في سند هذا الكتاب من لم تثبت وثاقته، من قبيل (عبد الواحد بن إسماعيل)، ومن هو مجهول الحال كمحمد بن الحسن التميمي البكري. ينظر: مصباح الفقاهة، ج ١، ص ١٣٥.

٣٨- وسائل الشيعة، الباب ١٠ من أبواب الصرف، الحديث ٥، مع اختلاف يسير.

٣٩- كذا في النسخ، لكن في المصادر الحديثية: موسى بن بكر.

٤٠- كتاب المكاسب، ج ١، ص ١١١-١١٩.

٤١- وسائل الشيعة، الباب ٨٦ من أبواب ما يكتسب به، الحديث ٥.

٤٢- ولزيد الفائدة، يذكر أن هذه الرواية ضعيفة سنداً بموسى بن بكر؛ ففي رجال الشيخ الطوسي، ج ١، ص ١٦١: (موسى بن بكر الواسطي: أصله كوفي، واقفي، له كتاب، روى عن أبي عبد الله).

٤٣- كتاب المكاسب، ج ١، ص ١٤٨-١٤٩.

٤٤- وسائل الشيعة، الباب ٨ من أبواب ما يكتسب به، الحديث ٦.

٤٥- مسائل علي بن جعفر، ص ١٧٦، السؤال رقم (٣٢٠).

٤٦- ينظر: كتاب المكاسب، ج ١، ص ١٣٧-١٤٢.

٤٧- وسائل الشيعة، الباب ٨ من أبواب ما يكتسب به، الحديث ١ مع اختلاف بسيط.

٤٨- وسائل الشيعة، الباب ٨ من أبواب ما يكتسب به، الحديث ٢.

٤٩- وسائل الشيعة، الباب ٨ من أبواب ما يكتسب به، الحديث ٦.

٥٠- وسائل الشيعة، الباب ٨ من أبواب ما يكتسب به، الحديث ٥.

٥١- كتاب المكاسب، ج ١، ص ١٨٣-١٨٤.

٥٢- أمالي الشيخ الصدوق، ص ٢١٢.

٥٣- وسائل الشيعة، الباب ٩٤ من أبواب ما يكتسب به، الحديث ٦.

٥٤- ينظر: وسائل الشيعة، الباب ٣ من أبواب المساكن، الحديث ١.

٥٥- وسائل الشيعة، الباب ٩٤ من أبواب ما يكتسب به، الأحاديث ٦-٩.

٥٦- ومما يجدر التنبيه عليه هنا، هو أن هذه الرواية لو رُدت ولم يقبل ما استظهره الشيخ الأعظم منها، فإن ذلك لن يعني إلا عدم تمامية ما ورد من روايات محرمة قد



أخذ فيها (النفخ) كما تقدم، فيقال بعدم تمامية دلالة هذه الروايات على حرمة تصوير ذوات الارواح تصويرا غير مجسم، ويبقى كل تلك الروايات من الطائفة الأولى كما تقدم؛ فإنها شاملة بإطلاقها لما نحن فيه، فتبقى الفتوى هي الفتوى.

٥٧- حكاها في مفتاح الكرامة، ج ٤، ص ٤٩ عن مجمع الفائدة في باب لباس المصلي، والموجود فيه قوله: «وفيه من الأخبار الصحيحة عدم تحريم إبقاء الصورة» من دون نسبة إلى الأصحاب.

٥٨- جامع المقاصد، ج ١٦، ص ٤.

٥٩- حاشية الإرشاد، ص ٢٠٦.

٦٠- كتاب المكاسب، ج ١، ص ١٩٢.

٦١- كتاب المكاسب، ج ١، ص ١٩٥.

٦٢- قرب الإسناد، ص ٢٩٥، الحديث ١١٦٥.

٦٣- كتاب المكاسب، ج ١، ص ١٩٦.

٦٤- قرب الإسناد، ص ١٨٦، الحديث ٦٩٢، والوسائل، الباب ٤٥ من أبواب لباس المصلي، الحديث ٢٠.

٦٥- كتاب المكاسب، ج ١، ص ١٩٦-١٩٧.

٦٦- وسائل الشيعة، باب كراهة الصلاة في التماثيل والصور وعليها واستصحابها واستقبالها الا أن تغير أو تغطي أو تكون تحت الرجل أو يضطر إليها، الحديث ٢٣.

٦٧- مسائل علي بن جعفر، السؤال رقم (٥٠٣)، ص ٢٢٣.

٦٨- الوسائل، الباب ٣٢ من أبواب مكان المصلي، الحديث ١٢، مع اختلاف.

٦٩- قرب الإسناد، ص ١٨٦، الحديث ٦٩٢.

٧٠- وسائل الشيعة، الباب ٤٥ من أبواب لباس المصلي، الحديث ٢٠.

٧١- كذا في المصدر، وفي النسخ: فقطعها نصفين.

٧٢- كذا في أكثر النسخ، والظاهر زيادة: «الخير»؛ إذ الحديث مذكور بتمامه.

٧٣- كتاب المكاسب، ج ١، ص ٢٧٧.

٧٤- المصدر السابق.

٧٥- وسائل الشيعة، الباب ٨٦ من أبواب ما يكتسب به، الحديث ٣.

٧٦- كتاب المكاسب، ج ١، ص ٢٩٨.

٧٧- كتاب المكاسب، ج ١، ص ٣٠٣-٣٠٤.

٧٨- قرب الإسناد، ٢٩٤، الحديث ١١٥٨، وعنه في الوسائل، الباب ١٥ من أبواب ما يكتسب به، الحديث ٥.

٧٩- مسائل علي بن جعفر، ١٥٦، الحديث ٢١٩.

٨٠- سورة الحج: ٣٠.

٨١- الكافي، ج ٦، باب النرد والشطرنج، الحديث ٢.

٨٢- المصدر السابق، الحديث ٧.

٨٣- المصدر السابق، باب الغناء، الحديث ١.

٨٤- معاني الأخبار، ص ٣٤٩.

٨٥- تفسير القمي، ج ٢، ص ٨٤.

٨٦- الأنبياء: الآيات: ١٦، ١٧، ١٨.

٨٧- وسائل الشيعة، الباب ٩ من أبواب ما يكتسب به، الحديث ١٥. وقد نقل

المصنف عليه السلام تمام الخبر، فلا وجه لقوله: «الخبر».

٨٨- وسائل الشيعة، الباب ١٥ من أبواب ما يكتسب به، الحديث ١.

٨٩- المصدر السابق، الحديث ٣.

٩٠- كفاية الأحكام، ج ١، ص ٤٢٨-٤٣٤.

٩١- المصدر السابق، ج ١، ص ٤٢٨-٤٣٤. ولاحظ كيف أن المرحلة الأولى أصالة

البراءة في كلامه عليه السلام.

٩٢- الوافي، ج ١٠ (القسم الأول)، ص ٢١٨-٢٢٣.

٩٣- تفسير الصافي، ج ١، ص ٧٢.

٩٤- كتاب المكاسب، ج ١، ص ٣٠٥-٣٠٧.

٩٥- من الجدير بالذكر هنا ما ذهب اليه جمع من المحققين؛ من أن المطلقات والعمومات في المقام غير قابلة للتقييد والتخصيص؛ قال في الحقائق بعد تعرضه لمذهب السبزواري والكاشاني: (وفيه:

أولاً: إنهم وإن زعموا الجمع بين أخبار المسألة بما ذكره، إلا أن جل أخبار التحريم التي قدمناها لا يقبل ذلك؛ فإنها ظاهرة - بل بعضها صريح - في تحريم الغناء من حيث هو، لا باعتبار انضمام بعض المحرمات من خارج إليه، ولا سيما أخبار استماع الغناء وبيع المغنية وشرائها، بالتقريب بالذي قدمناه في ذيل تلك الأخبار....

وثانياً: إنه من القواعد المقررة عن أصحاب العصمة عليهم السلام في مقام اختلاف الأخبار، هو العرض على كتاب الله تعالى، والاختصاص بما وافقه، وأن ما خالفه يضرب به عرض الحائط، والعرض على مذهب العامة، والاختصاص بخلافه. ولا ريب في أن مقتضى الترجيح بهاتين القاعدتين المتفق عليهما نصاً وفتوى هو القول بالتحريم مطلقاً، وأن ما دل على الجواز يرمى به؛ لمخالفته لظاهر القرآن، وموافقته للعامة. هذا فيما كان صريحاً في

الجواز، وهو أقل قليل في اخبارهم، لا يبلغ قوة المعارضة لما قدمناه من اخبار التحريم).
الحدائق الناضرة، ج ٢٦، ص ١١٣.

وفي الجواهر: (عن قرب الاسناد: سألت عن الغناء هل يصلح في الفطر والاضحى؟
قال: لا بأس به ما لم يعص به؛ إذ هو مع وضوح قصوره عن معارضة غيره من
وجوه، فهو كالمضطرب، محمول على التقية، أو على ارادة خصوص العرس في اليومين،
أو على إرادة التغني بالشعر على وجه لا يصل إلى حد الغناء، فيكون ذلك هو المراد من
قوله: ما لم يعص به، أو غير ذلك مما هو خير من الطرح، الذي لا بأس بالتزامه إذا
أبيت الحمل، وكذلك غيره من النصوص التي قد يشم منها اختصاص حرمة الغناء
بالمقترن بالعود ونحوه لا مطلقاً؛ وذلك لقوة المعارض على وجه لا يصلح ذلك ونحوه
لمعارضته). جواهر الكلام، ج ٢٣، ص ٤٠.

٩٦-رياض المسائل، ج ٤١، ص ٢، وفيه: النسبة إلى الأشهر.

٩٧-منهم القاضي في المهذب، ج ١، ص ٣٣١، والمحقق الثاني في جامع المقاصد،
ج ٨، ص ٣٢٦.

٩٨-مسالك الأفهام (الحجيرية)، ج ١، ص ٣٠١.

٩٩-كفاية الأحكام، ص ١٣٧.

١٠٠-كالمحدث البحراني في الحدائق، ج ٢٢، ص ٣٦٦.

١٠١-وفي الوسائل: (لا يستحب). الوسائل، الباب ١٠٠ من أبواب ما يكتسب به،
الحديث ١٤، وقد اعتمد المصنف ما ورد في مسائل علي بن جعفر كما يأتي.

١٠٢-تقدم المصدر عن الوسائل ويأتي عن المسائل.

١٠٣-كتاب المكاسب، ج ١، ص ٣٨٠. ٣٨٣.

١٠٤-مسائل علي بن جعفر، ص ١٦٢، الحديث ٢٥٢.

١٠٥-كتاب المكاسب، ج ١، ص ٣٨٣. ٣٨٤.

١٠٦-كتاب المكاسب، ج ٢، ص ٤٣. ٤٦.

١٠٧-مسائل علي بن جعفر، ص ١٦٢، الحديث ٢٥٢.

١٠٨-كتاب المكاسب، ج ٢، ص ١٦٧. ١٦٩.

١٠٩-وسائل الشيعة، الباب ٥١ من أبواب ما يكتسب به، الحديث ١١.

١١٠-كتاب المكاسب، ج ٢، ص ١٧٣.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

الدخيسي، الناشر: دار الفاروق -
القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢ م.

* جامع المقاصد في شرح القواعد،
المحقق الثاني، علي بن الحسين
الكركي، مؤسسة آل البيت (عليه السلام)
لإحياء التراث، ١٤٠٨ ق.

* جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام،
محمد حسن النجفي، حققه وعلّق
عليه: الشيخ علي الآخوندي، دار
إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،
الطبعة السابعة، ١٩٨١ م.

* حاشية الإرشاد، الشهيد الثاني، زين
الدين الجبعي العاملي، الناشر: دفتر
تبليغات إسلامي حوزة علميه قم،
الطبعة الأولى، ١٤١٤ ق.

* حاشية العطار على شرح الجلال
المحلي على جمع الجوامع، العطار،
حسن بن محمد، الناشر: دار الكتب
العلمية.

* حاشية المكاسب، الميرزا علي الإيرواني،
الطبعة الحجرية، كتابفروشي نجفي
بقم، ١٣٧٩ ش.

* الخدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة،
المحقق البحراني، يوسف بن أحمد بن
إبراهيم آل عصفور، مؤسسة النشر
الإسلامي التابعة لجامعة المدرّسين في
مدينة قم المقدّسة، ١٤٠٥ ق.

* دراسات في علم الأصول (تقريراً
لأبحاث السيد الخوئي الأصولية)،
علي الهاشمي الشاهرودي، الناشر:

* أمالي الطوسي، الشيخ الطوسي، محمد
بن الحسن، دار الثقافة، ١٤١٤ ق.
* تذكرة الفقهاء، العلامة الحلي، الحسن
بن يوسف، (الطبعة الحجرية)،
المكتبة المرتضوية بقم.

* تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، محمد
محسن بن الشاه مرتضى، صحّحه
وقدّم له وعلّق عليه: الشيخ
حسين الأعلمي، مؤسّسة الأعلمي،
بيروت، لبنان، ١٩٧٩ م.

* تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي،
مؤسسة دار الكتاب بقم، ١٣٦٧
ش.

* تقرير الاستناد في تفسير الاجتهاد،
عبد الرحمن بن أبي بكر جلال
الدين السيوطي، المحقق: فؤاد
عبد المنعم أحمد، دار النشر: دار
الدعوة - الإسكندرية، الطبعة الأولى،
١٩٨٣ م.

* التنقيح في شرح العروة الوثقى (تقريراً
لأبحاث السيد الخوئي الفقهية)،
كتاب الطهارة، علي الغروي
التبريزي، دار الهادي للمطبوعات
قم، الطبعة الثالثة، ١٤١٠ ق.

* تيسير الوصول إلى منهج الأصول من
المنقول والمعقول، كمال الدين محمد
بن محمد بن عبد الرحمن، دراسة
وتحقيق: د. عبد الفتاح أحمد قطب

مؤسسة دائرة معارف الفقه الاسلامي،
مركز الغدير للدراسات الاسلامية،
قم، إيران، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

* دروس في علم الأصول (الحلقة
الثانية)، السيد الشهيد الصدر،
محمد باقر، تحقيق وتعليق مجمع
الفكر الإسلامي - قم، ١٩٩١م.

* رجال الطوسي، أبو جعفر الطوسي،
محمد بن الحسن، مؤسسة النشر
الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين
بقم المشرفة، تحقيق: جواد القيومي،
الطبعة الخامسة، ١٤٣٠ق.

* رياض المسائل في تحقيق الأحكام
بالدلائل، السيد علي بن محمد علي
بن أبي المعالي، الصغير، الطباطبائي،
تحقيق ونشر: مؤسسة النشر
الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين،
قم، الطبعة الثانية، ١٤١٦ق.

* فرائد الأصول (الرسائل)، الشيخ
الأعظم، أستاذ الفقهاء والمجتهدين،
الشيخ مرتضى الأنصاري، إعداد: لجنة
تحقيق تراث الشيخ الأنصاري، مجمع
الفكر الإسلامي، قم، ١٤١٩ق.

* فقه الصادق، محمد صادق الحسيني
الروحاني، مدرسة الامام الصادق
عليه السلام، الطبعة الثالثة، ١٤١٢ق.

* فوائد الأصول (تقريراً لأبحاث الميرزا
النائني الأصولية)، محمد علي
الكاظمي، مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجامعة المدرسين، قم.

* الكافي، الكليني، محمد بن يعقوب،

المحقق: مركز بحوث دار
الحديث، قم، الطبعة الأولى،
تاريخ النشر: ١٤٣٠ق.

* كشف الأسرار شرح أصول البرزوي،
عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء
الدين البخاري الحنفي، الناشر: دار
الكتاب الإسلامي.

* كفاية الأحكام، المحقق السبزواري،
محمد باقر بن محمد مؤمن، مؤسسة
النشر الإسلامي التابعة لجامعة
المدرسين في مدينة قم المقدسة،
الطبعة الأولى، ١٤٢٣ق.

* كفاية الأصول، الآخوند الخراساني،
محمد كاظم، مؤسسة النشر
الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين
بقم المشرفة، ١٤١٤ق.

* مباحث الأصول (تقريراً لأبحاث
ساحة آية الله العظمى الشهيد السيد
محمد باقر الصدر رحمه الله الأصولية)،
السيد كاظم الحسيني، الحائري،
الناشر: المؤلف نفسه، الطبعة الأولى،
مطبعة مركز النشر - مكتب الإعلام
الإسلامي - قم - إيران، ١٤٠٧ق.

* محاضرات في علم الأصول (تقريراً
لأبحاث السيد الخوئي الأصولية)،
محمد إسحاق الفيض، نشر دار الهادي
للمطبوعات، الطبعة الثالثة، ١٤١٠
ق.

* مسالك الأفهام في شرح شرائع
الإسلام، الشهيد الثاني، زين الدين
بن علي الجبعي العاملي، مؤسسة

* مصباح الفقيه، اغا رضا الهمداني،
تحقيق: المؤسسة الجعفرية لإحياء
التراث، قم.

* معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، محمد
بن بابويه القمي، عني بتصحيحه
وتحقيقه: الشيخ علي أكبر الغفاري،
دار المعرفة، بيروت، لبنان.

* المعجم الأصولي، محمد صنفور،
الناشر: منشورات الطيار، الطبعة
الثالثة (محققة ومزيدة)، ٢٠٠٧م.
* مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة،
السيد محمد جواد الحسيني العاملي،
(الطبعة الحجرية)، مؤسسة آل
البيت للإحياء التراث بقم.

* المكاسب، الشيخ مرتضى الانصاري،
طبعة المؤتمر العالمي بمناسبة
الذكرى المئوية الثانية لميلاد الشيخ
الأعظم الأنصاري، الأمانة العامة،
سأهم في أعداده ونشره مجمع الفكر
الاسلامي، لجنة تحقيق تراث الشيخ
الأعظم، قم المقدسة، ١٤١٥ق.

* من مسائل الفقه التعليمي (١)،
محمود العيداني، مطبعة الكوثر،
قم، ١٤٢٤.

* متقى الأصول (تقريراً لأبحاث
السيد الروحاني الأصولية)، عبد
الصاحب الحكيم، مطبعة الهادي
بقم، ١٤١٦ق.

* منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين،
ثريا عبد الفتاح ملحس، بيروت، مكتبة

المعارف الإسلامية بقم، ١٤١٤ق.
* مسائل علي بن جعفر ومستدركاتهما،
مؤسسة آل البيت للإحياء التراث
بقم، ١٤٠٩ق.

* مستدرک الوسائل، الميرزا حسين
النوري الطبرسي، مؤسسة آل البيت
للإحياء التراث بقم، الطبعة
الأولى، ١٤٠٧ق.

* المستصفي في علم الأصول، الغزالي،
محمد بن محمد بن محمد، طبعه
وصححه: محمد عبد السلام عبد
الشافى، دار الكتب العلمية، بيروت،
لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

* مستمسك العروة الوثقى، السيد
محسن الطباطبائي الحكيم، دار إحياء
التراث العربي، بيروت.

* مستند الشيعة في أحكام الشريعة،
المولى أحمد النراقي، (الطبعة
الحجرية)، منشورات مكتبة آية الله
المرعشي النجفي بقم، ١٤٠٥ق.

* مستند العروة الوثقى (تقريراً لأبحاث
السيد الخوئي الفقهية)، كتاب
الصوم، الشيخ مرتضى البروجردى،
الناشر: لطفى، المطبعة: العلمية،
قم، ١٣٦٤ش.

* مصباح الفقاهة في المعاملات
(تقريراً لأبحاث السيد الخوئي في
المعاملات)، محمد علي التوحيدى
التبريزى، مؤسسة أنصاريان
للطباعة والنشر بقم، ١٤١٧ق.

المدرسة ودار الكتاب اللبناني، ١٩٦٠ م.
* المهذب، القاضي عبد العزيز بن البراج
الطرابلسي، مؤسسة النشر الإسلامي
بقم، ١٤٠٦ ق.
* النوادر، فضل الله بن علي الراوندي
الكاشاني، الناشر: دار الكتاب، قم،
الطبعة الأولى.
* نيل المآرب في شرح المكاسب، ج ١،
محمود العيداني، الناشر: العطار،
إيران، قم، الطبعة الأولى، ٢٠١٤ م،
الثانية، ٢٠١٦ م.
* نيل المآرب في شرح المكاسب، ج ٢،
محمود العيداني، الناشر: نصايح،
إيران، قم، الطبعة الأولى، ١٣٨٣ ش.
* نيل المآرب في شرح المكاسب، ج ٣،
محمود العيداني، الناشر: مدين،
إيران، قم، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ ق.

* نيل المآرب في شرح المكاسب، ج ٤،
محمود العيداني، الناشر: العطار،
إيران، قم، الطبعة الأولى، ٢٠١٤ م.
* نيل المآرب في شرح المكاسب، ج ٥،
محمود العيداني، الناشر: نصايح،
إيران، قم، الطبعة الأولى، ١٣٨٣ ش.
* الوافي، الفيض الكاشاني، محمد محسن،
من منشورات مكتبة أمير المؤمنين
عليه السلام العامة في أصفهان، ١٤٠٦ ق.
* وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل
الشرعية، الحر العاملي، محمد بن
الحسن، المحقق: مؤسسة آل البيت
عليه السلام لإحياء التراث - قم، المطبعة:
ستاره، ١٤١٦ ق.
* هداية الطالب إلى أسرار المكاسب، الميرزا
فتح الشهيد التبريزي، مطبعة
الاطلاعات، تبريز، ١٣٧٥ ش.

مرويات الإمام الكاظم عليه السلام في تفسير الميزان عرض وتحليل

م.د. عباس خلف كامل العسكري
مركز تراث الجنوب

الملخص:

حفل التراث التفسيري بعناية الدارسين والباحثين بمرويات آل البيت عليهم السلام، التي استعان بها المفسرون في تفاسيرهم؛ لبيان معاني بعض آيات القرآن الكريم، ومنهم العلامة السيّد محمد حسين الطباطبائي الذي استعان بهذه المرويات في تفسيره (الميزان في تفسير القرآن)، وقد اخترنا منها مرويات الإمام الكاظم عليه السلام.

جاءت هذه الدراسة على مقدّمة ومبحثين: تضمّن الأول سيرة مختصرة عن حياة الإمام الكاظم عليه السلام، وكذلك عن حياة العلامة الطباطبائي صاحب الميزان، وعن كتاب الميزان، والمبحث الثاني تضمّن عرض أبرز الروايات وتحليلها.

مركز تراث الجنوب



مركز تراث الجنوب

Abstract

Interpretive heritage involved the narrations of al-albait “peace be upon them” Interpreters have used it in their interpretations to explain the meaning of some context of verses in the Holy Qur’an.

Among them is the Allama Sayyed Mohammed Hussein Tabatabai, who used these narrations in his interpretation (Al-Mizan fi Tafsir al –Que’an), from which we chose the narrations of Imam al Kadhimi “peace be upon him”.

The study consists of an introduction and two sections .The first includes a brief biography of the life of Imam al-Kadhimi, “peace be upon him”, as well as the life of Allama Tabatabai, the author of Al Mizan. The second section shows narrations that we presented and analyzed.



المقدمة:

يُعدّ القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية، ويكفيه شرفاً ورفعة، أنّه كلام الله عز وجل المنزل على صدر خير خلقه النبي محمد ﷺ؛ لهداية البشر ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿٢﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿٣﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿٤﴾ .

بُنيت هذه المدونة المقدّسة على نظام بلغ الذروة في الإتقان والإعجاز الفنّي؛ لأنّ هندسته اللغويّة لا تجارها فصاحة عربيّ، سواء أكان ذلك من ناحية البنى التركيبيّة أم من ناحية الدلالة، فكانت هذه البلاغة العظيمة والفريدة غاية الباحثين والدارسين ليستدلّوا بها على المفاهيم الدينيّة والشريعات الاجتماعيّة والفقهية، وعلى المقاصد والأبعاد الإنسانيّة.

ولكلام أهل البيت (عليهم السلام) أثر بارز في المصنّفات التفسيرية، إذ استعان المفسّرون بروايات أهل البيت (عليهم السلام) الكاشفة عن معاني آيات القرآن الكريم، وبالنظر لسعة هذا الإرث (الروائيّ، والتفسيريّ) اقتصر بحثنا على الحضور الفاعل للإمام الكاظم (عليه السلام) في تفسير الميزان، الذي يُعدّ من أهم المصنّفات في المكتبة التفسيرية المعاصرة، لمصنّفه العلامة السيّد محمد حسين الطباطبائيّ المتوفّي سنة (١٤٠٢ هـ)، قام الباحث بالقراءة الشاملة لتفسير الميزان متتبّعاً مرويات الإمام الكاظم (عليه السلام)، وتتضمّن البحث عرضها، ثمّ البدء بتحليلها على وفق السياق التفسيريّ للقرآن الكريم.



المبحث الأول

نبذة من حياة الإمام الكاظم عليه السلام، ومن صاحب الميزان

أولاً: الإمام الكاظم عليه السلام

هو السابع من أئمة أهل البيت عليه السلام، موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وُلد في يوم الأحد، وقيل: الثلاثاء السابع من شهر صفر لسنة ١٢٨ هـ، وقيل: سنة ١٢٩ هـ، في (الأبواء) وهو موضع بين مكة المكرمة والمدينة المنورة عند رحلة العودة من الحج، في أيام حكم عبد الملك بن مروان^(١).

أمه هي السيدة حميدة بنت صاعد، قيل: إنها مغربية أندلسية ترجع إلى بربر المغرب، واشتهرت باسم (حميدة المصفاة)، سمّاها بذلك الإمام جعفر الصادق عليه السلام في قوله: (حميدة مصفاة من الأدناس كسيكة الذهب)^(٢).

عُرف الإمام في بداية عمره الشريف بكنية (أبو الحسن)، وقد يكنّيه بعضهم (أبو الحسن الأول)؛ تمييزاً بينه وبين الإمامين أبي الحسن الرضا وأبي الحسن الهادي عليه السلام، وذكرت بعض المصادر الكنية على النحو الآتي، (أبو إبراهيم)، و(أبو علي)، و(أبو إسماعيل) عندما أصبح أباً لهذا وذاك من الأولاد^(٣).

أمّا أشهر ألقابه التي عُرف بها فهو (الكاظم)؛ لفرط حلمه وكظمه الغيظ، وتجاوزه عن المسيئين إليه، وفي المدينة المنورة عُرف بـ (زين المتهجّدين)، ومن ألقابه كذلك (العبد الصالح، الزاهد، الصابر، الوفي، السيّد، الطيّب، المأمون)، ثم اشتهر بعد وفاته خاصة عند أهل العراق (بباب الحوائج إلى الله)؛ لقضاء حوائج المتوسّلين به^(٤).

لقد شهد له أبوه الإمام الصادق (عليه السلام) بوفور علمه فقال عنه: (إنّ ابني هذا الذي رأيته، لو سألتَهُ عما بين دفتي المصحف لأجابك فيه بعلم) (٥)، وقال أيضاً: (فيه العلم والحكم والفهم والسخاء والمعرفة بما يحتاج الناس إليه فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم) (٦)، وقال الشيخ المفيد: (وقد روى الناس عن أبي الحسن موسى فأكثرُوا، وكان أفقه أهل زمانه) (٧).

استشهد الإمام مظلوماً في حبس السنديّ بن شاهك في يوم الجمعة الخامس والعشرين من رجب سنة ١٨١ هـ، وقيل: سنة ١٨٣ هـ (٨)، ودفن في مقابر قريش في بغداد (٩).

ثانياً: العلامة السيّد محمد حسين الطباطبائيّ

هو السيّد محمد حسين ابن السيّد محمد ابن السيّد محمد حسين الطباطبائيّ، وُلد في ٢٩ من ذي الحجة في مدينة تبريز سنة ١٣٢١ هـ، وعاش فيها إلى سنة ١٣٤٤ هـ، ثمّ ارتحل إلى النجف الأشرف؛ لتحصيل العلوم إلى سنة ١٣٥٤ هـ، ثمّ رجع إلى تبريز وعاش فيها إلى سنة ١٣٦٥ هـ، ثم ارتحل إلى قم المقدّسة.

من مؤلّفاته بالعربيّة (الميزان في تفسير القرآن) في عشرين مجلّداً، و(بداية الحكمة) في الفلسفة، و(نهاية الحكمة) في الفلسفة، و(رسالة في البرهان)، و(رسالة في المغالطة)، و(رسالة في التحليل)، و(رسالة في التركيب)، وغيرها. ومن شيوخه آية الله العظمى الميرزا محمد حسين النائينيّ، وآية الله العظمى الشيخ محمد حسين الكمبانيّ الأصفهانيّ في الفقه والأصول، والسيّد حسين البادكوبيّ في الفلسفة، والسيّد أبو القاسم الخونساريّ في الرياضيات. له إجازة في الاجتهاد والرواية من أستاذه آية الله العظمى الميرزا محمد حسين النائينيّ، وإجازة في الرواية من آية الله الشيخ عليّ القميّ عن شيخه النوريّ صاحب (المستدرک على وسائل الشيعة)، وعن الراوي المتضلع الحاج الشيخ

عبّاس القمّيّ صاحب (المفاتيح) عن شيخه النوريّ صاحب (المستدرک) بجميع طرقه المذكورة في آخر (المستدرک)، وعن رجال آخر غيرهم^(١٠). توفي يوم الأحد ١٨ من المحرم ١٤٠٢ هـ، ودفن في مدينة قم المقدّسة بجوار مرقد السيّدة معصومة بنت الإمام موسى بن جعفر عليه السلام^(١١).

ثالثاً: الميزان في تفسير القرآن

يعدّ من التفاسير القيّمة والمفيدة في العصر الحديث، فقد خدم المجتمع الإسلامي، كما خدمت التفاسير القيّمة القديمة المسلمين، بتناسبها وتلازمها مع العلوم والفلسفة، لفهم معاني القرآن في العصور السالفة.

بدأ في كتابته من خلال محاضرات عن التفسير سنة ١٣٨٥ هـ / ١٩٥٢ م، ترجم إلى الفارسية والإنكليزية، فرغ المؤلّف من تأليفه في ليلة القدر المباركة الثالثة والعشرين من ليالي شهر رمضان سنة ١٣٩٢ هـ^(١٢).

اعتمد صاحب الميزان على كتب التفسير قديماً وحديثاً، مستعيناً ببعض منها في بيان معاني الآيات، واستعان ببعض الآخر بالنقد والتحليل، قام بعرض الآراء، والموازنة بين أقوال المفسرين، اعتمد عليها في بيان لغة المفردات، كما شاع ذلك في اعتماده على (مجمع البيان) للطبرسي، و(المفردات) للراغب الأصفهاني، وعلى المأثور والأخبار من خلال (تفسير الطبري)، و(الدر المنثور) للسيوطي^(١٣).

المبحث الثاني

مرويات الإمام الكاظم عليه السلام في تفسير الميزان عرض وتحليل
لم يقتصر السيّد الطباطبائي في تفسيره لآيات القرآن الكريم على
نمط محدّد في التفسير، بل تعدّدت أبحاثه، ومنها البحث الروائي الذي
تناول روايات عديدة من أحاديث آل البيت عليهم السلام، ومنها أحاديث الإمام
الكاظم عليه السلام، ومن هنا ارتأينا أن نجعلها في هذا البحث، وهي الآتي:
في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا
إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ^(١٤).

أشار العلامة الطباطبائي في الميزان إلى جواز السجود لغير الله تعالى
إذا كان تحيةً وتكرمة، وفيه خضوع لله تعالى بموافقة أمره ^(١٥)، وفي البحث
الروائي عَضِدَ رأيه برواية وردت (في الاحتجاج عن موسى بن جعفر عن
آبائه: إنَّ يهودياً سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن معجزات النبي صلى الله عليه وآله في مقابلة
معجزات الأنبياء، فقال: هذا آدم أسجد الله له ملائكته، فهل فعل بمحمّد
شيئاً من هذا؟ فقال عليّ: لقد كان ذلك، ولكن أسجد الله لآدم ملائكته،
فإنَّ سجودهم لم يكن سجود طاعة أنَّهُم عبدوا آدم من دون الله عز وجل،
ولكن اعترافاً لآدم بالفضيلة ورحمة من الله له، ومحمّد صلى الله عليه وآله أُعْطِيَ ما هو
أفضل من هذا، إنَّ الله جلَّ وعلا صلَّى عليه في جبروته والملائكة بأجمعها،
وتُعَبَّد المؤمنون بالصلاة عليه، فهذا زيادة له يا يهودي) ^(١٦).

ذكر الإمام الكاظم عليه السلام رواية احتجاج الإمام عليّ عليه السلام مع اليهودي،
أشار فيها الإمام إلى أفضلية الرسول صلى الله عليه وآله على الأنبياء، وأنَّ سجود الملائكة
لآدم الذي أشارت إليه الآية الكريمة كان طاعة لله تعالى، وليس تعبدًا، وبين
الإمام عليّ عليه السلام، أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله أُعْطِيَ من الفضائل أكثر وأعظم من سجود
الملائكة لآدم عليه السلام، وهي الصلاة عليه من الله تعالى وملائكته، وتعبد الناس
بها، وبهذا الاحتجاج ظهر أنَّ أفضلية الرسول قائمة وثابتة على مقام آدم عليه السلام.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفْعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (١٧).

ذكر صاحب الميزان موارد الشفاعة، ومن تحقق له، وروايات الأئمة عليهم السلام فيها، ومنها ما ورد (في التوحيد: عن الكاظم عن أبيه عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، فأما المحسنون فما عليهم من سبيل، قيل: يا ابن رسول الله كيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ (١٨) ومن ارتكب الكبيرة لا يكون مرتضى؟ فقال عليه السلام: (ما من مؤمن يرتكب ذنبًا إلا ساء ذلك وندم عليه)، وقال النبي صلى الله عليه وآله: (كفى بالندم توبة) (١٩)، وقال صلى الله عليه وآله (من سرته حسنة وساءته سيئة فهو مؤمن، فمن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن، ولم تجب له الشفاعة، وكان ظالمًا) (٢٠)، والله تعالى ذكره يقول: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَیْمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (٢١)، فقيل له: يا ابن رسول الله، وكيف لا يكون مؤمنًا من لا يندم على ذنب يرتكبه، فقال: ما من أحد يرتكب كبيرة من المعاصي وهو يعلم أن سيعاقب عليه إلا ندم على ما ارتكب، ومتى ندم كان تائبًا مستحقًا للشفاعة، ومتى لم يندم عليها كان مصرًا والمصر لا يغفر له؛ لأنه غير مؤمن بعقوبة ما ارتكب، ولو كان مؤمنًا بالعقوبة لندم، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: (لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار)، وأما قول الله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ (٢٢) فإنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه، والدين الإقرار بالجزاء على الحسنات والسيئات، فمن ارتضى دينه ندم على ما ارتكبه من الذنوب لمعرفة بعاقبته في القيامة) (٢٣).

يلحظ من الرواية التي أوردها الطباطبائي في الميزان المسندة إلى الإمام الكاظم عليه السلام عن آبائه عليه السلام إقرارها بالشفاعة في يوم القيامة لأهل الكبائر التائبين، أمّا المسيئين المصّرّين على الذنب فليس لهم شفاعة، ولا يغفر لهم؛ لأنّهم غير مؤمنين بعاقبة ذنبهم يوم القيامة، فجاءت الآية مفصلة ومبيّنة لللفظة الشفاعة الواردة في سياق الآية.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٢٤).

أورد السيّد الطباطبائي في سياق تفسير معنى (الزيغ) رواية عن الإمام الكاظم عليه السلام أوردها من كتاب الكافي نقلاً عن هشام بن الحكم بقوله: (قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، إلى أن قال: يا هشام إنّ الله حكى عن قوم صالحين: أتهم قالوا: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ ، علموا أن القلوب تزيغ وتعود إلى عماها ورداها، أنّه لم يخف الله من لم يعقل عن الله، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة ينظرها ويمجد حقيقتها في قلبه، ولا يكون أحد كذلك إلا من كان قوله لفعله مصدّقاً، وسره لعلانيته موافقاً، لأنّ الله عزّ اسمه لم يدل على الباطن الخفي من العقل إلا بظاهر منه وناطق عنه) (٢٥).

اتضح من خلال الرواية التي نُقلت عن الإمام الكاظم عليه السلام أنّ الذي يعقل يخشى الميل، والانحراف عن جادة الصواب، وما أمر الله به، ومن لم يخف الله، ولم يعقل يمل قلبه عن الاستقامة، جاء مضمون الحديث مفصلاً ومبيّناً لتفسير الآية.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ (٢٦).

نزلت هذه الآية عندما وفد نصارى نجران إلى الرسول ﷺ ، أورد الطباطبائي في هذا السياق رواية مسندة (إلى موسى بن جعفر عليه السلام) في حديث له مع الرشيد، قال الرشيد له: كيف قُلتُم: إنا ذرية النبي، والنبي لم يعقب، وإنما العقب للذكر لا للإنثى، وأنتم ولد البنت ولا يكون له عقب، فقلت: أسأله بحق القرابة والقبر ومن فيه إلا ما أعفاني عن هذه المسألة، فقال: تخبرني بحجتكم فيه يا ولد علي، وأنت يا موسى يعسوبهم وإمام زمانهم، كذا أنهي إلي، ولست أعفيك في كل ما أسألك عنه حتى تأتيني فيه بحجة من كتاب الله، وأنتم تدعون معشر ولد علي أنه لا يسقط عنكم منه شيء لا ألف ولا واو إلا تأويله عنكم، واحتججتكم بقوله عز وجل: ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (٢٧)، وقد استغنيت عن رأي العلماء وقياسهم.

فقلت: تأذن لي في الجواب؟ فقال: هات، قلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ ﴾ (٢٨)، ومن أبو عيسى يا أمير المؤمنين؟ فقال: ليس له أب فقلت: إنما ألحقه بذراري الأنبياء من طريق مريم، وكذلك ألحقنا الله تعالى بذراري النبي من أمنا فاطمة، أزيدك يا أمير المؤمنين؟ قال: هات، قلت: قول الله عز وجل: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ ولم يدع أحد أنه أدخل النبي تحت الكساء عند المباهلة مع النصارى إلا علي بن أبي طالب، وفاطمة، والحسن والحسين، فكان تأويل قوله: ﴿ أَبْنَاءَنَا ﴾ الحسن والحسين، ﴿ وَنِسَاءَنَا ﴾ فاطمة، ﴿ وَأَنْفُسَنَا ﴾ علي بن أبي طالب (٢٩).

أثبت الإمام الكاظم عليه السلام من خلال المحاجة التي حصلت بينه وبين الرشيد، وبالأدلة القرآنية، بين أن آل البيت من ذرية الرسول صلى الله عليه وآله، بدليل إلحاق نبي الله عيسى عليه السلام بذراري الأنبياء عن طريق أمه السيدة مريم عليها السلام، وهو من غير أب، والدليل الآخر عن طريق آية المباهلة التي وردت فيها قوله تعالى: ﴿أَبْنَاءَنَا﴾ وهم الحسن والحسين عليهما السلام، جاءت الرواية مفصلة لما ورد في الآية الكريمة.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ ^(٣٠).

بين السيد الطباطبائي في الميزان أقدمية الكعبة، وهي أول بيت بني للعبادة من نبي الله إبراهيم عليه السلام، وفي هذا السياق أورد رواية (عن الحسن بن علي بن النعمان، قال: لما بنى المهدي في المسجد الحرام بقيت دار في تربيعة المسجد فطلبها من أربابها فامتنعوا، فسأل عن ذلك الفقهاء، فكلُّ قال له: إنه لا ينبغي أن تدخل شيئاً في المسجد الحرام غضباً، فقال له علي بن يقطين: يا أمير المؤمنين إني أكتب إلى موسى بن جعفر عليه السلام لأخبرك بوجه الأمر في ذلك، فكتب إلى والي المدينة أن يسأل موسى بن جعفر عليه السلام عن دار أردنا أن ندخلها في المسجد الحرام، فامتنع عليها صاحبها، فكيف المخرج من ذلك؟ فقال ذلك لأبي الحسن عليه السلام، فقال أبو الحسن عليه السلام: فلا بد من الجواب في هذا؟ فقال له: الأمر لا بد منه، فقال له: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم إن كانت الكعبة هي النازلة بالناس فالناس أولى بفنائها، وإن كان الناس هم النازلون بفناء الكعبة فالكعبة أولى بفنائها.

فلما أتى الكتاب إلى المهدي أخذ الكتاب فقبله، ثم أمر بهدم الدار، فأتى أهل الدار أبا الحسن عليه السلام فسألوه أن يكتب إلى المهدي كتاباً في ثمن دارهم فكتب إليه أن أوضح لهم شيئاً فأرضاهم ^(٣١).

جاء في مضمون الرواية بيان أقدمية الكعبة المشرفة، ووجودها قبل وجود البيوت المجاورة للحرم المكي، وأفتى الإمام الكاظم (عليه السلام) بجواز فناء البيوت المجاورة للحرم المكي في زمانه، وتعويض ساكنيها، وهذا المضمون جاء موافقاً لما ورد في الآية المباركة، وتبياناً لها.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنْ تَحْتَبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (٣٢).

بيّنت الآية اجتناب الكبائر، قام العلامة الطباطبائي بتفصيلها نقلاً من كتاب (المجمع: روى عبد العظيم بن عبد الله الحسيني عن أبي جعفر محمد بن علي عن أبيه علي بن موسى الرضا عن موسى بن جعفر (عليه السلام) قال: دخل عمرو بن عبيد البصري على أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، فلما سلّم وجلس تلا هذه الآية: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ (٣٣)، ثم أمسك، فقال أبو عبد الله: ما أسكتك؟ قال: أحب أن أعرف الكبائر من كتاب الله، قال: نعم يا عمرو أكبر الكبائر الشرك بالله لقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ (٣٤)، وقال: ﴿مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ (٣٥)، وبعده اليأس من روح الله؛ لأن الله يقول: ﴿لَا يَبْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٣٦).

ثم الأمن من مكر الله؛ لأن الله يقول: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٣٧)، ومنها عقوق الوالدين؛ لأن الله تعالى جعل العاق جباراً شقيّاً في قوله: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ (٣٨).

ومنها قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق؛ لأنه يقول: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ (٣٩)، وقذف المحصنات؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٤٠)، وأكل مال اليتيم لقوله: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ



أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا^(٤١) الآية، والفرار من الزحف؛ لأن الله يقول: ﴿وَمَنْ يُوَلَّهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ^(٤٢)﴾.

وأكل الربا؛ لأن الله يقول: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمُسِّ^(٤٣)﴾، ويقول: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ^(٤٤)﴾، والسحر؛ لأن الله يقول: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ^(٤٥)﴾، والزنا؛ لأن الله يقول: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا^(٤٦)﴾، واليمين والغموس؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ^(٤٧)﴾.

والغلول قال الله: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٤٨)﴾. ومنع الزكاة المفروضة؛ لأن الله يقول: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتْكُوىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ^(٤٩)﴾ الآية. وشهادة الزور وكتمان الشهادة؛ لأن الله يقول: ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ^(٥٠)﴾.

وشرب الخمر؛ لأن الله عدل بها عبادة الأوثان. وترك الصلاة متعمداً وشيئاً مما فرض الله تعالى؛ لأن رسول الله ﷺ يقول: (من ترك الصلاة متعمداً فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله). ونقض العهد، وقطيعة الرحم (٥١)؛ لأن الله يقول: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ^(٥٢)﴾.

فالرواية التي وردت عن الإمام الكاظم عليه السلام ونقلها عن الصادق عليه السلام، قامت بتفصيل الكبائر من خلال الدليل القرآني، استعان بها صاحب الميزان في بيانها، وهي: الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من

مكر الله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وقذف المحصنات، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف، وأكل الربا، والسحر، واليمين الغموس، ومنع الزكاة، وشهادة الزور، وشرب الخمر، وترك الصلاة، ونقض العهد، وقطع الأرحام، استعان بها صاحب الميزان في بيان وتفصيل معنى لفظة الكبائر التي وردت في سياق الآية.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝﴾ (٥٣).

بيّنت الآية بعدم جواز قتل المؤمن إلا قتل الخطأ، وكفارة قتل المؤمن خطأ، وبيّن المفسر الطباطبائي نقلاً عن (تفسير العياشي عن موسى بن جعفر عليه السلام) كيف تعرف المؤمنة؟ قال: على الفطرة (٥٤).

أشار الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بجوابه عن كيفية معرفة المؤمن، وهي الفطرة التي فطر الله بها الخلق، وهي عدم الانحراف، وهي بذلك بيّنت معنى المؤمن الذي ورد في سياق الآية.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝﴾ (٥٥).

جاءت الآية في سياق تحريم الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، وتعليل التحريم أورده السيّد الطباطبائي من كتابي (الكافي والتهذيب بإسنادهما عن موسى بن جعفر عليه السلام) قال: (إنَّ الله عز وجل لم يحرم الخمر لإسمها ولكن حرّمها لعاقبتها، فما كان عاقبته عاقبة الخمر فهو خمر)، وفي رواية: (فما فعل فعل الخمر فهو خمر) (٥٦).

يُن حديث الإمام الكاظم (عليه السلام) العلة التي بسببها حرم الله تعالى الخمر، وهو عاقبتها، وما تؤدّيه بشارها من فقد العقل، وانحراف في سلوكه، وكذلك تحريم كل شيء يفعل فعل الخمر.

في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٥٧).

أشار السيّد الطباطبائي إلى ما ورد (في التوحيد عن موسى بن جعفر (عليه السلام) في كلام له: ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه احتجب بغير حجاب محجوب واستتر بغير ستر مستور لا إله إلا هو الكبير المتعال) (٥٨).

جاء مضمون الرواية أن الله تعالى ليس بينه وبين خلقه حجاب يعلم ما يسيرون وما يعلنون من أعمال الخير والشر، فلم يحتجب عنه شيء، فهذا المضمون جاء تبياناً لما ورد في الآية الكريمة.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ يُؤْمَرْ بِدُيْرِهِ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (٥٩).

يُن العلامة الطباطبائي التحرف في القتال من خلال رواية عن الإمام الكاظم (عليه السلام) نقلاً عن تفسير العياشي بقوله: (وفي تفسير العياشي عن موسى بن جعفر (عليه السلام) في الآية ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ قال متطرداً يريد الكثرة عليهم، أو متحيزاً إلى فئة، يعني متأخراً إلى أصحابه من غير هزيمة، من انهزم حتى يجوز صف أصحابه، فقد باء بغضب من الله) (٦٠).

وعلق صاحب الميزان على الرواية بقوله: (تشير الرواية إلى نكتة مهمّة في لفظ الآية، وهي أن النهي إنما تعلقت في الآية على تولّي الإِدبار، وهي أعم من الانهزام، فإذا استثنى الموردان أعني التحرف لقتال والتحيّز إلى فئة، وهي غير موارد الفرار عن هزيمة، بقيت موارد الهزيمة تحت النهي، فكل انهزام عن أعداء الدين إذا لم يجوزوا الضعف عدداً حرام محرّم) (٦١).

بيّنت رواية الإمام الكاظم (عليه السلام) التي أشار إليها صاحب الميزان، وكذلك التعليق عليها من السيّد الطباطبائي، وهو النهي عن تولّي الأدبار، والتحرّف أو التحيز في قتال أعداء الدين.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللّٰهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (٦٢).

استعان صاحب الميزان في بيان الآية برواية (عن موسى بن جعفر (عليه السلام)، وعن زيد بن عليّ، وعن محمّد بن الحنفية، وعن سلمان الفارسيّ، وعن أبي سعيد الخدريّ، وإسماعيل السديّ، أنّهم قالوا في قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللّٰهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ هو عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) (٦٣). بيّنت رواية الإمام الكاظم (عليه السلام) أنّ الذي عنده علم الكتاب الذي جاء في سياق الآية، هو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (٦٤).

أورد المفسّر الطباطبائي رواية يصل سندها إلى الإمام الكاظم (عليه السلام) نقلًا عن كتاب معاني الأخبار، بقوله: (وفي المعاني بإسناده إلى عليّ بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر (عليه السلام) قال: الرغبة أن تستقبل براحتيك السماء، وتستقبل بهما وجهك، والرغبة أن تلقي كفيك وترفعهما إلى الوجه) (٦٥).

بيّن الإمام الكاظم (عليه السلام) من خلال الرواية التي جاءت في (الميزان) معنى الرغبة والرغبة، وهي الكيفية التي يكون فيها الدعاء، فجاءت الآية تبيانًا لما ورد في الآية عن معنى الرغبة والرغبة، فجاءت مجملة في كيفية الدعاء إلى الله تعالى، وعصدها الرواية الشريفة ببيان الكيفية والحركة لكل مورد، فدعاء الرغبة يناسبه بحسب وصف الإمام الكاظم (عليه السلام) استقبال السماء

بالراحتين، واستقبلهما لوجه الداعي، أمّا دعاء الرهبة، فتناسبه كيفية أخرى صورها الإمام بإلقاء الكفين ورفعها إلى الوجه.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٦٦).

وجّهت الآية إلى غَضِّ المؤمنين أبصارهم ممّا حَرَّمَ الله تعالى النظر إليه، أورد صاحب الميزان رواية يصل سندها إلى الإمام الكاظم عليه السلام نقلاً من كتاب قرب الإسناد بقوله: (وفي قرب الإسناد للحميري عن علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام قال: سألته عن الرجل ما يصلح له أن ينظر إليه من المرأة التي لا تحلّ له؟ قال: الوجه، والكف، وموضع السوار) (٦٧). بينت رواية الإمام الكاظم عليه السلام المواضع التي يجوز النظر إليها من المرأة التي لا تحلّ للرجل، وهي المواضع الثلاثة التي بيّنتها الرواية، فجاءت الرواية تفصيلاً وتبياناً لما ورد في سياق الآية.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٦٨).

بيّن العلامة الطباطبائي من الآية النصيب من الدنيا برواية يصل سندها إلى الإمام الكاظم عليه السلام نقلاً من كتاب (معاني الأخبار) بقوله: (وفي المعاني بإسناده عن موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر عليه السلام عن أبيه عن جده عن آبائه عن علي عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ قال: لا تنسَ صحّتك، وقوّتك، وفراغك، وشبابك، ونشاطك أن تطلب بها الآخرة) (٦٩).

بيّنت الرواية جواب الإمام الكاظم عليه السلام عن موارد نصيب الشخص من الدنيا، وهي خمسة موارد يتحتّم على الشخص عدم إغفالها، استعان

صاحب الميزان بهذه الرواية لبيان سياق النصيب من الدنيا الوارد في الآية. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَنَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (٧٠).

بين السيد الطباطبائي الحكمة التي اتصف بها لقمان نقلاً من كتاب (الكافي) بقوله: (ففي الكافي عن بعض أصحابنا رفعه إلى هشام بن الحكم قال: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: يا هشام إن الله قال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَنَ الْحِكْمَةَ﴾ قال: الفهم والعقل (٧١).

أشار الإمام الكاظم عليه السلام إلى معنى الحكمة التي وردت في سياق الآية، وهي الفهم، والعقل التي امتاز بهما لقمان الحكيم وعُرف بها، وأوردها صاحب الميزان لبيان هذا المعنى.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا يَكْتُبُ مُنِيرٌ﴾ (٧٢).

أورد السيد الطباطبائي من كتاب (كمال الدين وتمام النعمة) معنى النعمة الظاهرة، والنعمة الباطنة، بقوله: (وفي كمال الدين بإسناده إلى حماد بن أبي زياد قال: سألت سيدي موسى بن جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ فقال: النعمة الظاهرة الإمام الظاهر، والباطنة الإمام الغائب) (٧٣).

حصر الإمام الكاظم عليه السلام النعمة بالأئمة أثني عشر عليهم السلام، الظاهر منهم والغائب، وهو الإمام الثاني عشر الحجة المنتظر عليه السلام (٧٤)، هذه الرواية هي إحدى الروايات التي استعان بها العلامة الطباطبائي في بيان السياق التفسيري للآية.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٧٥).

في سياق هذه الآية نقل السيّد الطباطبائي رواية عن الإمام الكاظم عليه السلام بقوله: «وفي الكافي: بعض أصحابنا رفعه عن هشام بن الحكم قال: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: يا هشام إنّ الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه، فقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾» (٧٦).

يلحظ من سياق رواية الإمام الكاظم عليه السلام التي استعان بها العلامة الطباطبائي في بيان معنى البشارة التي وردت في سياق الآية، التي جاءت بمعنى أهل العقل والفهم الذين يستمعون إلى أحسن القول ويتبعونه. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٧٧).

أشار السيّد الطباطبائي في البحث الروائي نقلاً من كتاب (التوحيد) بقوله: (وفي التوحيد بإسناده عن ابن أبي عمير قال: قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: ما معنى قول رسول الله ﷺ: (اعْمَلُوا فِكْلَ مُيَسَّرَ لِمَا خُلِقَ لَهُ؟) (٧٨) فقال: إنّ الله عز وجل خلق الجن والإنس ليعبدوه، ولم يخلقهم ليعصوه، وذلك قوله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ فيسرّ كلّاً لما خلق له، فويل لمن استحَبَّ العمى على الهدى) (٧٩).

جاء حديث الإمام الكاظم عليه السلام جواباً لسؤال عن معنى قول الرسول ﷺ الذي ورد أعلاه، وجوابه مستنداً إلى سياق الآية التي مضمونها، الخلق جميعه وجد لعبادة الله تعالى.

الخاتمة

يتّضح ممّا تقدّم، وبعد الانتهاء من كتابة هذا البحث، توصّل البحث إلى نتائج عدّة، يمكن إجمالها بالآتي:

١ - تؤكد الدراسة أهميّة جمع مرويات آل البيت (عليهم السلام) التي وردت في بطون الكتب ودراستها، وبالأخص في كتب التفسير؛ لما لها من أهميّة في بيان مضامين كلام الله تعالى.

٢ - أثبت البحث أنّ مرويات الإمام الكاظم (عليه السلام) احتلّت مساحة من كتاب (الميزان في تفسير القرآن)، بلغ مجموع مرويات الإمام الكاظم (عليه السلام) (٢٦) مروية، مقسمة على أجزاء تفسير الميزان، وهي مصدر مهم في بيان بعض مضامين آيات كلام الله تعالى، استعان بها العلّامة الطباطبائي في البحث الروائي.

٣ - بعض الروايات المسندة إلى الإمام الكاظم (عليه السلام) كانت روايات تفسيرية لآية قرآنية استعان بها العلّامة الطباطبائي لتعزيد رأيه، وبعضها وردت لبيان احتجاج أو سؤال ورّد إليه.

٤ - إنّ بعض المرويات تضمّنت أحداثاً تاريخيّة استعان بها العلّامة الطباطبائي؛ لتفسير بعض الآيات.

٦ - الجانب التربوي كان حاضرًا في مرويات الإمام الكاظم (عليه السلام)، أسلوبه في الحديث هو الإيجاز في العبارة، ووضوح المعنى، ولا تعقيد فيها، غايته تصحيح مسار أفكار الناس، والرجوع إلى الدين الإسلامي، لذا فأحاديثه كانت مادة استعان بها الطباطبائي في تفسيره.



- ١- يُنظر: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ٢/ ٢١٥، وأعيان الشيعة: ٢/ ٥، وأعلام الهداية: ٩/ ٤٣، وسيرة الأئمة الاثني عشر: ٢/ ٢٠٩.
- ٢- يُنظر: عيون أخبار الرضا: ١/ ٢٤، ومنتهى الآمال في تواريخ النبي والآل: ٢/ ٢٣٩.
- ٣ يُنظر: أعلام الهداية: ٩/ ٤٤، وأعيان الشيعة: ٢/ ٥.
- ٤ يُنظر: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ٢/ ٢٣٥، وأعلام الهداية: ٩/ ٤٤-٤٦، وأعيان الشيعة: ٢/ ٥.
- ٥ قرب الإسناد: ٣٣٥.
- ٦ عيون أخبار الرضا: ١/ ٣٤.
- ٧ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ٢/ ٢٣٥.
- ٨- يُنظر: المختصر من أخبار البشر: ٢/ ١٥.
- ٩ يُنظر: مقاتل الطالبين: ٤١٨.
- ١٠ يُنظر: الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان: ٣٦-٤٣.
- ١١ يُنظر: تفسير البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن: ١/ ٢٤.
- ١٢ يُنظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: ١/ ٢٣٩، ومعجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر: ٢/ ٧٧٧.
- ١٣ يُنظر: الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان: ٥٩.
- ١٤ سورة البقرة: آية ٣٤.
- ١٥ يُنظر: الميزان في تفسير القرآن: ١/ ١٢٢.
- ١٦ يُنظر: الاحتجاج: ١/ ٢٧٨-٢٧٩، والميزان في تفسير القرآن: ١/ ١٢٤.
- ١٧ سورة البقرة: آية ٤٨.
- ١٨ سورة الأنبياء: من آية ٢٨.
- ١٩ الخصال: ١/ ١٦ باب كفى بالندم توبة، ح ٥٧.
- ٢٠ التوحيد: ٤٠٨.
- ٢١ سورة غافر: من آية ١٨.
- ٢٢ سورة الأنبياء: آية ٢٨.
- ٢٣- يُنظر: التوحيد: ٤٠٧-٤٠٨، والميزان في تفسير القرآن: ١/ ١٨١.
- ٢٤- سورة آل عمران: آية ٨.
- ٢٥- يُنظر: الكافي: ١/ ٩-١٠، والميزان في تفسير القرآن: ٣/ ٧٠.
- ٢٦- سورة آل عمران: آية ٦١.
- ٢٧- سورة الأنعام: من آية ٣٨.
- ٢٨- سورة الأنعام: من آية ٨٤، وآية ٨٥.
- ٢٩ يُنظر: عيون أخبار الرضا: ١/ ٨٠-٨١، والميزان في تفسير القرآن: ٣/ ٢٢٩-٢٣٠.
- ٣٠- سورة آل عمران: آية ٩٦.

٣١- يُنظر: تفسير العياشي: ١/ ٢٠٩، والميزان في تفسير القرآن: ٣/ ٣٥٧.

٣٢- سورة النساء: آية ٣١.

٣٣- سورة النجم: من آية ٣٢.

٣٤- سورة النساء: من آية ٤٨.

٣٥- سورة المائدة: من آية ٧٢.

٣٦- سورة يوسف: من آية ٨٧.

٣٧- سورة الأعراف: من آية ٩٩.

٣٨- سورة مريم: آية ٣٢.

٣٩- سورة النساء: من آية ٩٣.

٤٠- سورة النور: آية ٢٣.

٤١- سورة النساء: من آية ١٠.

٤٢- سورة الأنفال: آية ١٦.

٤٣- سورة البقرة: من آية ٢٧٦.

٤٤- سورة البقرة: من آية ٢٧٩.

٤٥- سورة البقرة: من آية ١٠٢.

٤٦- سورة الفرقان: من آية ٦٨، وآية ٦٩.

٤٧- سورة آل عمران: من آية ٧٧.

٤٨- سورة آل عمران: من آية ١٦١.

٤٩- سورة التوبة: من آية ٣٥.

٥٠- سورة البقرة: من آية ٢٨٣.

٥١- مجمع البيان في تفسير القرآن: ٣/ ٥٩-٦١، والميزان في تفسير القرآن: ٤/ ٣٣٣-٣٣٤.

٥٢- سورة الرعد: من آية ٢٥.

٥٣- سورة النساء: آية ٩٢.

٥٤- يُنظر: تفسير العياشي: ١/ ٢٩٠، الميزان في تفسير القرآن: ٥/ ٤٣.

٥٥- سورة المائدة: آية ٩٠.

٥٦- يُنظر: الكافي: ٦/ ١٥٧-٢٥٨، باب أن الخمر إنما حرّمت لفعلها فما فعل فعّل الخمر فهو خمر، ح/ ١-٢، وتهذيب الأحكام في شرح المقنعة: ٩/ ١٣٠، والميزان في تفسير القرآن: ٦/ ١٣٦.

٥٧- سورة المائدة: آية ١٠٥.

٥٨- التوحيد: ١٧٩، الميزان في تفسير القرآن: ٦/ ١٧٢.

٥٩- سورة الأنفال: آية ١٦.

٦٠- يُنظر: تفسير العياشي: ٢/ ٥٦، الميزان في تفسير القرآن: ٩/ ٦٠.

٦١- الميزان في تفسير القرآن: ٩/ ٦٠.

٦٢- سورة الرعد: آية ٤٣.

- ٦٣ - بحار الأنوار: ٤٠ / ١٤٥ - ١٤٦، الميزان في تفسير القرآن: ١١ / ٣٨٨.
- ٦٤ - سورة الأنبياء: آية ٩٠.
- ٦٥ - يُنظر: معاني الأخبار: ٢ / ٢٧٩، والميزان في تفسير القرآن: ١٤ / ٣١٩.
- ٦٦ - سورة النور: آية ٣٠.
- ٦٧ - قرب الإسناد: ٢٢٧، والميزان في تفسير القرآن: ١٥ / ١١٦.
- ٦٨ - سورة القصص: آية ٧٧.
- ٦٩ - معاني الأخبار: ٢ / ٢١٠، والميزان في تفسير القرآن: ١٦ / ٨٥.
- ٧٠ - سورة لقمان: آية ١٢.
- ٧١ - الكافي: ٨ / ١، والميزان في تفسير القرآن: ١٦ / ٢٢١.
- ٧٢ - سورة لقمان: آية ٢٠.
- ٧٣ - كمال الدين وتمام النعمة: ٢ / ٣٤٤، الميزان في تفسير القرآن: ١٦ / ٢٣٩.
- ٧٤ - يُنظر: كمال الدين وتمام النعمة: ٢ / ٣٤٤.
- ٧٥ - سورة الزمر: آية ١٧ - ١٨.
- ٧٦ - الكافي: ٦ / ١، باب العقل والجهل، ح / ١٢، والميزان في تفسير القرآن: ١٧ / ٢٥٢،
- ٧٧ - سورة الذاريات: آية ٥٦.
- ٧٨ - صحيح مسلم: ٤ / ٢٠٤١، باب القدر، ح / ٢٦٤٩.
- ٧٩ - التوحيد: ٣٥٦، الميزان في تفسير القرآن: ١٨ / ٣٩٠.



المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم.

* اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر:

فهد بن عبد الرحمن بن سلمان

الرومي، مؤسسة الرسالة، لبنان -

بيروت، ط ٣، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

* الاحتجاج: أبو منصور أحمد بن عليّ

بن أبي طالب الطبرسيّ (ت ٥٦٠ هـ)،

منشورات الشريف الرضيّ، إيران -

قم، ط ١، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م.

* الخصال: أبو جعفر محمد بن عليّ

بن بابويه القميّ المشهور بالشيخ

الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، صحّحه وعلّق

عليه: عليّ أكبر غفاري، مؤسسة

النشر الإسلامي، إيران - قم، ط ٢،

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م.

* الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد:

أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان

الملقب بالشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ)،

تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء

التراث، لبنان - بيروت، ط ٢،

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

* أعلام الهداية: لجنة التأليف، المجمع

العالميّ لأهل البيت (عليه السلام)، إيران -

قم، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

* أعيان الشيعة: محسن الأمين (ت ١٣٣٠ هـ)،

تحقيق: حسن الأمين، دار المعارف،

لبنان - بيروت، ط ٥، ١٤٠٣ هـ -

١٩٨٣ م.

* بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار

الأئمة الأطهار: محمد باقر

المجلسيّ (ت ١١١٠ هـ)، دار إحياء

التراث العربيّ، لبنان - بيروت، ط ١،

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

* تفسير البيان في الموافقة بين الحديث

والقرآن: العلامة السيّد محمد حسين

الطباطبائيّ (ت ١٤٠٢ هـ)، تحقيق:

أصغر إرادتي، دار المعارف، لبنان -

بيروت، ط ١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

* تفسير العياشيّ: أبو النصر محمد بن

مسعود المعروف بالعياشيّ (ت ٩٣٢ هـ)،

تحقيق: هاشم الرسوليّ المحلّقيّ،

مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، لبنان

- بيروت، ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

* تهذيب الأحكام في شرح المقنعة: أبو

جعفر محمد بن الحسن بن عليّ

الطوسيّ (ت ٤٦٠ هـ)، تحقيق: عليّ أكبر

الغفاريّ، دار الكتب الإسلامية، إيران

- طهران، ط ١، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م.

* التوحيد: أبو جعفر محمد بن عليّ

بن بابويه القميّ المشهور بالشيخ

الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق: هاشم

الحسينيّ الطهرانيّ، دار المعرفة، لبنان

- بيروت، (د.ط)، (د.ت).

* سيرة الأئمة الاثني عشر: هاشم

معروف الحسينيّ (ت ١٤٠٤ هـ)، دار

القلم، لبنان - بيروت، ط ٢، ١٣٩٨ هـ

- ١٩٧٨ م.

* صحيح مسلم: أبو الحسين

مسلم بن الحجاج القشيريّ

- النيسابوري (ت ٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد
فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية،
لبنان - بيروت، ط ١، ١٤١٢ هـ -
١٩٩١ م.
- * الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان:
عليّ الأوسي، معاونة الرئاسة
للعلاقات الدولية، إيران - طهران،
ط ١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- * عيون أخبار الرضا: أبو جعفر محمد بن
علي بن بابويه القميّ المشهور بالشيخ
الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، انتشارات
الشریف الرضيّ، إيران - قم، ط ١،
١٣٧٨ هـ. ش.
- * قرب الإسناد: عبد الله بن جعفر
الحميريّ، تحقيق: مؤسّسة آل
البيت للإحياء التراث، لبنان -
بيروت، ط ١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- * الكافي: محمد بن يعقوب الكلينيّ (ت ٣٢٩ هـ)،
منشورات الفجر، لبنان - بيروت، ط ١،
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
- * كمال الدين وتمام النعمة: أبو جعفر
محمد بن علي بن بابويه القميّ
المشهور بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)،
تصحيح: حسين الأعلمي، مؤسّسة
الأعلمي للطبوعات، لبنان -
بيروت، ط ١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.
- * مجمع البيان في تفسير القرآن:
أبو عليّ الفضل بن الحسن
الطبرسيّ (ت ٥٤٨ هـ)، دار العلوم،
لبنان - بيروت، ط ١، ١٤٢٦ هـ -
٢٠٠٥ م.
- * المختصر من أخبار البشر: عماد الدين
إسماعيل أبي الفدا (ت ٧٣٢ هـ)، المطبعة
الحسينية المصرية، ط ١، (د. ت).
- * معاني الأخبار: أبو جعفر محمد بن علي
بن بابويه القميّ المشهور بالشيخ
الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق: محمد
كاظم الموسويّ، العتبة الحسينية
المقدّسة، العراق - كربلاء، ط ١،
١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م.
- * معجم المفسّرين من صدر الإسلام
وحتى العصر الحاضر: عادل
نويّض، مؤسّسة نويّض الثقافية،
لبنان - بيروت، ط ٣، ١٤٠٩ هـ -
١٩٨٨ م.
- * مقاتل الطالبين: أبو الفرج
الأصفهانيّ (ت ٣٥٦ هـ)، تحقيق: السيّد
أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربيّة،
مصر - القاهرة، (د. ط)، ١٣٦٨ هـ -
١٩٤٩ م.
- * منتهى الآمال في تواريخ النبيّ والآل:
عبّاس القميّ (ت ١٣٥٩ هـ)، دار
المصطفى ﷺ العالمية، لبنان -
بيروت، ط ٣، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
- * الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين
الطباطبائيّ (ت ١٤٠٢ هـ)، جماعة
المدرسين في الحوزة العلميّة، إيران -
قم، (د. ط)، (د. ت).

منهج الإمام الكاظم عليه السلام في معالجة التشطي العقدي والانحرافات الفكرية

أ.د. شهيد كريم محمد
جامعة ميسان/ كلية التربية

الملخص:

شهد عصر الإمام ام الكاظم عليه السلام متغيّرات شتّى، كان لها الأثر البالغ في رسم معالم المنهج الإصلاحي الذي اختطّه للتعامل مع تلك المرحلة من تاريخ التشيع، ففي الوقت الذي عايش معه حالة تبلور الفكر الشيعي منذ عصر أبيه الإمام الصادق عليه السلام، استثماراً لهامش الانتقال السياسي من السلطة الأموية إلى السلطة العباسية، وما نضحت به المرحلة اللاحقة من تيارات فكرية وافدة أو مستحدثة على أثر حركة عصر التدوين والترجمة، ونشوء المذاهب، ونمو علم الكلام والفلسفة، وما تخللها من احتدام الجدل الفكري وعقد المناظرات..، فإنّه ومن جهة أخرى شهد مرحلة تشطي الجسد الشيعي الخالص بعد وفاة الإمام الصادق عليه السلام، هذا مع ما كانت تمارسه السلطة العباسية من عمليات التضييق والسجن والقتل والإقصاء الممنهج لأئمة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم بعد استثمارها لعقيدة المهدوية وشعارات الرضا لآل محمد عليه السلام في ابتداء دولتهم، ولعل سجن الإمام عليه السلام وتغييبه كان من المراحل العاصفة بالتشيع مع ما بات يتقاذفه من أمواج جراء المتغيّرات سالفة الذكر، وفي خضمّ هذا الجو المضطرب ما كان من الإمام الكاظم عليه السلام إلّا أن اختطّ منهجاً خاصاً للتعامل مع هذه



المرحلة وامتغاراتها، وسنقف في البحث على محورين أساسيين فقط من ذلك المنهج، وهما: العمل على احتواء التشطي العقديّ الشيعي، الذي كان مداره التمحور حول عقيدة المهدوية والإمام المنتظر عليه السلام، فعمل على تخلص هذه العقيدة مما علق بها من دعاوى وأفكار زائفة، أو من سوء الفهم الذي تكون حيالها؛ للحيلولة دون استغلالها من قبل مدّعي المهدويّة والفرق الضالة. والعمل على تبني منهج المناظرة والاستدلال العقليّ في محاور الآخرين ولاسيما المخالفين منهم، سعيًا لتحسين الجماعة الصالحة ضدّ التيارات الفكرية المستحدثة والوافدة.

المقدمة

من السنن القرآنية والتاريخية الثابتة أنّ الأمم والأقوام تختلف بعد رسلها وأنبيائها، وكذا الحال في أوصياء الأنبياء من بعدهم، وعادةً ما تكون القلّة هي من تثوب إلى صوت الحق والرشد، ويرتد هذا الاختلاف لأسباب منها: البغي على الحق، والتعصب والهوى، وحبّ الدنيا، والانجرار وراء الفتن والأفكار المضلّة، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾^(٢)، ومن مآثور قول النبي صلى الله عليه وآله في هذا اللحاظ ما عُرف بحديث (الفرقة الناجية)، وأنّ المسلمين سيفترقون من بعده على ثلاث وسبعين فرقة تهلك جميعها إلا فرقة واحدة، كما افترق من قبلهم اليهود على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة^(٣).

وقد غدّى هذا الاختلاف بين المسلمين لوناً من ألوان التأليف التاريخي،
عُنِيَ بالكتابة عن الفِرَق والمِلَل والمذاهب، ومن بين الكتب التأسيسية التي
وصلت إلينا في هذا الفن كتاب (فرق الشيعة) لأبي محمد الحسن بن موسى
النوبختي (ت ٣٠٠ - ٣١٠ هـ)، وكتاب (المقالات والفرق) لسعد بن عبد
الله بن خلف الأشعري القمي (ت ٣٠١ هـ)، وكتاب (مقالات الإسلاميين
واختلاف المصلين) لأبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤ هـ)، وكتابا عبد القاهر
البغداد (ت ٤٢٩ هـ) (المِلَل والنَحَل)، و(الفرق بين الفِرَق)، وكتاب (الفصل
في المِلَل والأهواء والنَحَل) لابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ)، وكتاب
(المِلَل والنَحَل) للشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ).

ولما كان التشيع أقدم المذاهب الإسلامية، وأكثرها التصاقاً بعصر النبوة، وأبرزها مخالفة للإسلام التاريخي والسلطة السائدة (سلطة الخلافة)، وبالتالي أشدها تعرضاً لقمعها وملاحقتها وتضييقها وتشويهها، فقد حفلت كتب (الفِرَق والمقاتلات) بتقديم سرديات مطولة لتشظيات الفِرَق والمجاميع الشيعيّة وانقساماتها بعد كلّ من الأئمة عليهم السلام، وسنحاول في هذا البحث التوقف عند تلك التشظّيات التي ألمّت بالجدسد الشيعيّ في عصر الإمام الكاظم عليه السلام، ومنهجه في التعامل معها، ومع الانحرافات الفكرية، سواء داخل نطاق هذا التشظي (أي مقولات الفرق الشيعيّة)، أو في الإطار الخارجي للحالة الفكرية الإسلامية بشكل عام، وعلى وفق النقاط التالية:

أولاً- موقفه من التشطي العقديّ الشيعيّ ومنهجه في التعامل معه
تشير المصادر التاريخيّة إلى أنّ الإمام الصادق عليه السلام أوصى قبل وفاته
بوصيتين مختلفتين؛ نتيجة لملاحقة السلطة العباسية ورقابتها اللصيقة،
وسعيها للقضاء على خط الإمامة والإسلام الأصيل، وكانت الوصية
الأولى لخلّص شيعته وأصحابه، ونصّ فيها على إمامة ولده الإمام موسى

الكاظم عليه السلام^(٤)، أما الثانية فلجأ فيها الإمام عليه السلام إلى التقيّة والتمويه على السلطة، فأشار إلى خمسة أشخاص مختلفين، وكان الخليفة المنصور قد كتب إلى المدينة بقتل من يوصي إليه الإمام عليه السلام فرجع إليه الجواب: أنّه أوصى إلى (الخليفة المنصور، ومحمد بن سليمان العباسي^(٥)، وعبد الله الأفطح، والإمام الكاظم عليه السلام، والسيدة حميدة والدة الإمام عليه السلام، فأسقط ما في يد المنصور، وقال: ليس إلى قتل هؤلاء من سبيل^(٦)).

وقد انقسمت الشيعة بعد وفاة الإمام الصادق عليه السلام إلى جملة فرّق مختلفة، وهي:

فرقة الناووسية؛ نسبة إلى زعيمهم (ابن ناووس)، وزعموا أنّ الإمام الصادق عليه السلام لم يمت ولا يموت، وأنّه غاب وسيظهر مرة أخرى ويلي أمر الناس، وأنّه هو المهديّ، وأنّه قال: إن رأيتم رأسي قد أهوى عليكم من جبل فلا تصدقوا، فإنّي أنا صاحبكم، وإن جاءكم من يخبركم عني أنّه مرضني وغسلني وكفنتني فلا تصدقوه فإنّي صاحبكم صاحب السيف^(٧). ويبدو أنّ هذه الشبهة قد أحدثت شيئاً من اللغط بين صفوف الشيعة حينها فورد أنّ هشام بن سالم^(٨) سأل الإمام الكاظم عليه السلام عن أبيه الإمام الصادق عليه السلام فأكد له موته^(٩).

فرقة الفطحيّة؛ نسبة لعبد الأفطح بن الإمام الصادق عليه السلام، وهو الأخ الشقيق لإسماعيل وأكبر اخوته بعده^(١٠)، وقيل أنّهم نسبوا لأحد رؤساءهم المدعو عبد الله بن فطيح، وكان عبد الله بعد وفاة أبيه الإمام الصادق عليه السلام هو أكبر أولاده الذكور، فجلس مجلسه وادّعى الإمامة، فامتنحه بعض الشيعة بمسائل مختلفة فلم يجدوا عنده علماً، فمالوا إلى الإمام الكاظم عليه السلام، ولم يبق سوى القليل منهم^(١١).

ولم يلبث عبد الله الأفطح أن توفي بعد (٧٠) أو (٩٠) يوماً من وفاة الإمام الصادق عليه السلام ولم يترك ولداً ذكراً، فارتاب متبِعوه واضطربوا وانكروا إمامته للروايات المتواترة عن الإئمة عليه السلام أنَّ الإمامة لا تعود بين أخوين بعد الحسن والحسين عليه السلام، ولا تكون إلا في الأعقاب، فرجع أغلبهم للقول بإمامة الإمام الكاظم عليه السلام، وكان الإمام الصادق عليه السلام قد أخبره بأنَّ عبد الله سينازعه في الإمامة، ويجلس مجلسه، ويدعى ما ليس له، وأمره أن لا يكلمه، لأنَّه سيموت بعد مدة يسيرة^(١٣). وبقي من الفطحية مجموعة قليلة ادَّعوا بعد وفاة الإمام الكاظم عليه السلام أنَّ لعبد الله الأفطح ولد من جارية له يقال له محمد، وأنَّه وجهه إلى اليمن في حياته فنشأ هناك، وأنَّه تحول بعد وفاة أبيه إلى خراسان، فهو مقيم فيها، وأنَّه هو الإمام بعد أبيه الأفطح، وهو القائم المنتظر، بدعوى أن الإمام لا يموت حتى يكون له عقب من صلبه، وبالتالي فإنَّ عبد الله الأفطح بما أنَّه هو الإمام فلا بد أن يكون له عقب، واحتجوا أيضاً بما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنَّه قال: إنَّ القائم اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي. وادَّعوا أن الإمامة تنتقل في ولد محمد بن عبد الله الأفطح إلى يوم القيامة^(١٣).

فرقة الإسماعيلية: وهم الذين اعتقدوا بإمامة إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام وأنكروا موته في حياة أبيه، وقالوا أنَّ الإمام الصادق عليه السلام أظهر موته خوفاً عليه، وأنَّه نصَّ عليه بالإمامة، وزعموا أنَّه لا يموت حتى يملك الأرض ويقوم بأمر الناس، وأنَّه هو القائم^(١٤).

وكان إسماعيل الابن الأول في الترتيب بين أولاد الإمام الصادق عليه السلام من زوجته فاطمة بنت الحسن بن الإمام الحسن السبط عليه السلام^(١٥)، ومن المرجح أنه ولد في السنوات الأولى للقرن الهجري الثاني، ويبدو أن الإمام الصادق عليه السلام لم يتزوج بزوجة ثانية طوال فترة حياة زوجته فاطمة بنت الحسن، وبالنتيجة كان هناك فرق بأكثر من عشرين سنة في العمر بين عبد الله الأفتح وإسماعيل من جهة، وبين إخوتهم الإمام موسى الكاظم عليه السلام وإسحاق ومحمد من زوجته حميدة المصفاة أو البربرية^(١٦).

وعليه فإن ولادة الإمام الكاظم عليه السلام عام (١٢٨هـ) قد تأخرت بعض الشيء؛ وهو ما حدا بالشيعة أن يسألوا الإمام الصادق عليه السلام عن الخلف من بعده، وهل أنه ولد أم لا، وهذا ما يفهم من روايات عدة وردت في هذا اللحاظ^(١٧).

ولما كان إسماعيل أكبر إخوته، وكان أبوه الإمام الصادق عليه السلام شديد المحبة له، فقد اعتقد قوم من الشيعة بأنه هو الإمام بعد أبيه، ولتبيد هذا الوهم أدخل الإمام الصادق عليه السلام إلى بيته مجموعة من وجوه شيعته ليشهدوا وفاة إسماعيل، وأعاد عليهم ذلك أثناء تغسيله وتكفينه، وخلال حمل جنازته إلى القبر، وعند دفنه، وبالمقابل فإنه كان يشير خلال ذلك لإمامة ولده الإمام الكاظم عليه السلام وأنه هو الإمام الحق من بعده^(١٨).

وفي الوقت الذي اكتفت أغلب المصادر بالإشارة إلى وفاة إسماعيل في حياة أبيه الإمام الصادق عليه السلام^(١٩)، فإن ابن عنبه (ت ٨٢٨هـ) حدّدها بعام (١٣٣هـ) في (عمدة الطالب الكبرى)^(٢٠)، وذهب في كتابه: (عمدة الطالب الصغرى) إلى تحديدها بعام (١٣٨هـ)، وتابعه على ذلك المقرئ (ت ٨٤٥هـ) في كتابه (اتعاظ الحنفاء)^(٢١)، بينما ذهب الجويني (ت ٦٨٠هـ) إلى تحديدها بعام (١٤٥هـ)^(٢٢).

وفي الوقت الذي أنكرت الإسماعيلية الخالصة موت إسماعيل، انشقت فرقة منهم وقالوا

بموته، وانتقلوا بعد وفاته إلى القول بإمامة ولده محمد؛ بدعوى أنَّ الإمامة لا تنتقل من أخ إلى أخ بعد الحسن والحسين (عليه السلام) ولا تكون إلا في الأعقاب؛ ولذا لم يكن - بحسبهم - لأخوي إسماعيل عبد الله وموسى حق في الإمامة (٢٣).

وبشكل عام استطاعت فرقة الإسماعيلية أن تنتشر فيما بعد انتشاراً واسعاً، واستطاعت تأسيس الدولة الفاطمية في مصر وامتد نفوذها نحو بلاد الشام، وغيرها من المناطق، وتمخضت عنها فرق وجماعات أخرى لا زالت قائمة حتى الوقت الحاضر (٢٤).

وكان إلى جانب هذه الفرق الثلاثة التي انبثقت بعد وفاة الإمام الصادق (عليه السلام) فرق أخرى أقدم، سواء داخل الإطار الشيعي أو خارجه كالخوارج (٢٥)، والزيدية (٢٦)، والمرجئة (٢٧)، والمعتزلة (٢٨)، والقدرية (٢٩)، وغيرها. وقد عمل الإمام الكاظم (عليه السلام) على استيعاب هذا التشظي العقدي، والتعامل معه بهدوء تام، وعن طريق الاقناع العلمي والدليل العقلي والحوار الهادف، للحيلولة دون إثارة مراقبة السلطة وملاحقتها؛ ولا سيما أنَّها لا تهتم بالحركات الناشئة التي لا تشكل خطراً عليها، والتي يمكن أن تقمعها في أي وقت، أو التي يمكن أن يُكتشف زيفها، وتبدو عيوبها بعد وقت قصير، بل ولعل السلطة تدعم هكذا فرق لأنها بالنتيجة تسهم في تشظي الجسد الشيعي وإضعافه، واضطراب الرؤية حول توجه الناس نحو المذهب الحق.

ولعل هذا ما يبدو شاخصاً في الرواية المنقولة عن هشام بن سالم (٣٠) ومؤمن الطاق (٣١)، أنَّهما كانا في المدينة بعد وفاة الإمام الصادق (عليه السلام) والناس مجتمعون على عبد الله الأفظح، على أنه صاحب الأمر بعد أبيه، فسألاه عن الزكاة فلم يجدا عنده علماً، فخرجا وهما حيارى يقولان: إلى أين نتجه، إلى

المرجئة ؟ إلى القدريّة ؟ إلى الزيدية ؟ إلى المعتزلة ؟ إلى الخوارج ؟ وبينهما هما كذلك إذ جاءهم شيخ كبير، وأشار لهشام أن يتبعه، فخافا أن يكون عينا من عيون المنصور العباسي، ليعرف على من تتفق الشيعة فيضرب عنقه، فطلب هشام من مؤمن الطاق أن يتعد عنه، ولحق هو بالشيخ، فسار به حتى أدخله على الإمام الكاظم (عليه السلام)، فابتدأه الإمام (عليه السلام) بالقول: لا إلى المرجئة، ولا إلى القدريّة، ولا إلى الزيدية، ولا إلى المعتزلة، ولا إلى الخوارج، إلّا، إلّا! فقال هشام: جعلت فداك مضى أبوك؟ قال: نعم، قلت: مضى موتا؟ قال: نعم، قلت: فمن لنا من بعده؟ فقال: إن شاء الله أن يهديك هداك، قلت: جعلت فداك إنّ عبد الله يزعم أنّه من بعد أبيه، فقال: يريد عبد الله أن لا يعبد الله، فحاوره هشام واستدل على إمامته (عليه السلام)، وطلب منه أن يُخبر الشيعة بإمامته، فقال الإمام (عليه السلام): من أنست منه رشدا فألقِ إليه الأمر، وخذ عليه الكتمان فإن أذاعوا فهو الذبح، وأشار بيده إلى حلقه، فخرج هشام وأخبر مؤمن الطاق وجماعة من الشيعة بالخبر، فدخلوا على الإمام (عليه السلام)، وأخذت الشيعة تتوجه نحوه إلا القليل منهم^(٣٢).

وهذه الرواية على إيجازها، يمكنها أن تضعنا في صلب الواقع الذي عايشه الإمام (عليه السلام) من جهة، ومن جهة أخرى تُبين لنا الطريقة أو المنهج الذي اختطه الإمام (عليه السلام) للتعامل مع ذلك الواقع، وتلك المرحلة من تاريخ التشيع، وهو ما يمكن أن نجمله بالنقاط التالية:

حرصه على الابتعاد عن مراقبة السلطة وبطشها، وتجنب الجماعة الصالحة مغبة ذلك.

بيان شيء من علمه ودلائل إمامته، والفرق بينه وبين مدعي الإمامة، أو الفرق الأخرى، بأسلوب علمي وعقلي واضح.

فسح المجال للمتلقّي للاقتناع التام، من دون ممارسة أي نوع من الضغط، لتكون القناعة نابعة من العقل والقلب، وبحسب الأدلة المقدمة. الحرص على التحرك ابتداء ضمن نطاق الجماعة الصالحة الواعية (من أنست منه رشداً)، مع مراعاة الحذر؛ لتهيئة القاعدة الشعبية بشكل تدريجي وفعال، وبيان فساد الفرق الأخرى وتهافتها.

إذن فخصوصية الظرف السياسي الذي مرَّ به الإمام الكاظم (عليه السلام) حتمت عليه أن يسلك هذا المنهج في التواصل مع شيعته، وهذا ما يتبدّى واضحاً في الرواية المنقولة عن إبراهيم بن محمد الهمداني^(٣٣) أنّه قال: ((قلت للرضا (عليه السلام): يا ابن رسول الله أخبرني عن زرارة، هل كان يعرف حق أبيك (عليه السلام)؟ فقال: نعم، فقلت له: فلم بعث ابنه عبيداً ليتعرف الخبر إلى من أوصى الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام)؟ فقال: إنّ زرارة كان يعرف أمر أبي (عليه السلام) ونص أبيه عليه، وإنّما بعث ابنه ليتعرف من أبي (عليه السلام) هل يجوز له أن يرفع التقيّة في إظهار أمره ونص أبيه عليه، وأنّه لما أبطأ عنه ابنه طُوب بظاهر قوله في أبي (عليه السلام) فلم يجب أن يُقدّم على ذلك دون أمره، فرفع المصحف وقال: اللهم إنّ إمامي من أثبت هذا المصحف إمامته من ولد جعفر بن محمد (عليه السلام))^(٣٤).

ونجد في رواية أخرى للإمام (عليه السلام) حريصاً كلّ الحرص على اتباع الأسلوب الهادئ والتدريجي، والاقناع بالمنطق السليم، كما في الرواية المنقولة عن أبي بصير^(٣٥)، أنّه سأل الإمام (عليه السلام): بم يعرف الإمام؟ قال (عليه السلام): بشيء قد تقدّم فيه من أبيه وإشارته إليه، ليكون حجّة، ويسأل فيجيب، وإذا سُكِت عنه أبتدأ، ويُخبر بما في غد، ويكلّم الناس بكلّ لسان. ثم إنّ دخل عليهم رجل خراساني فتكلّم بالعربية، فأجابه الإمام (عليه السلام) بالفارسية، فقال الخراساني: والله ما منعني أن أكلّمك بالفارسية إلا أنّه ظننت أنك لا تحسنها، فقال (عليه السلام):

سبحان الله، إذا كنت لا أحسن أن أجيبك، فما فضلي عليك؟! ثم التفت إلى أبي بصير وقال: يا أبا محمد، إنَّ الإمام لا يخفى عليه كلام أحد من الناس، ولا منطق الطير، ولا كلام شيء فيه روح^(٣٦).

وبالعودة إلى الفرقتين السابقتين: (الناووسية والإسماعيلية) نلاحظ أنَّهما ركزتا على فكرة المهديوية والغيبة والإمام القائم عليه السلام، وهي فكرة انتظمت حولها الكثير من الدعوات قديماً وحديثاً، لا سيما مع اعتقاد عموم المسلمين بضرورة سيادة الدين الإسلامي على جميع الأديان في نهاية المطاف، وهو ما لم يتحقق لا في عصر النبوة، ولا في عصور الخلافة اللاحقة، بل إنَّ التراجع المرير على مستوى الساحة الدينية، والفكرية والجغرافيا السياسية، هو ما يعمِّق هذه الفكرة ويركّزها، فضلاً عن أنَّها تستند لأحاديث وتأكيدات نبوية متكررة على مجيء ذلك اليوم الذي يتجلى فيه شخص المخلص (المهدي المنتظر) عليه السلام من نسل علي وفاطمة عليهما السلام ليملا الأرض قسطاً وعدلاً، بعدما ملئت ظلماً وجوراً^(٣٧)، ويحقق سيادة الإسلام، ويُعلي كلمة التوحيد على الأرض، كما أخبر عن ذلك النصّ القرآني، قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(٣٨)، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا..﴾^(٣٩)، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٤٠). وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٤١).

وقد دأبت المؤلفات التراثية الشيعية منذ ما قبل عصر الغيبة وما بعده، على تناول حيثيات هذه المسألة وإثارتها، فكتب ما يقارب (١٨ كتاباً) في

موضوع الإمام المهدي عليه السلام قبل ولادته! تحت عناوين (الغيبة، الرجعة، القائم، صاحب الزمان،...)، على أن التأليف في هذا الميدان لم يقتصر على الشيعة وحدهم، بل كتب فيه غير الشيعة أيضاً^(٤٢).

ولمركزية هذه المسألة في دعاوى الفرق سألغة الذكر، ولأنها بذات الوقت نقطة الارتكاز التي تتلخص فيها عقيدة الإمامة والوصاية، وتنتهي إليها دائرة التشريع وقيومة الدين ومصير الإسلام، ولأن الظرف السياسي الذي عاشه الإمام الكاظم عليه السلام قد حتم عليه أن يكون -بأوقات غير قصيرة- رهين سجون السلطة الجائرة؛ فإنه عمل على بلورة عقيدة المهديونية وتركيزها عملياً، والحيلولة دون استغلالها من قبل الأعداء والفرق الضالة، والتصدي لدعاواهم حيالها، ونفي العديد من الشبه التي طالتها، أو سوء الفهم الذي تكون حيالها لدى البعض من الشيعة أو غيرهم، سواء في عصره عليه السلام أو في المرحلة اللاحقة وصولاً إلى عصر الظهور المبارك، وتحفيز الشيعة على الاندكاك بهذه العقيدة والارتباط بها وبمصادقها الحقيقي الإمام الحجة المنتظر المهدي عليه السلام دينياً ووجدانياً وعاطفياً، ولا سيما أن الأئمة والأحاديث الشريفة قد أكدت على التثبت في هذه العقيدة، وعدم الانجرار وراء كل دعوة لها، ولعل هذا ما نجده صريحاً في ما نقل عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: إياكم والتنويه، أما والله ليغيبن إمامكم سنيناً من دهركم، ولثمحصن حتى يقال: مات، قتل، هلك، بأي واد سلك؟ ولتدمعن عليه عيون المؤمنين، ولتكفأن كما تكفأ السفن في أمواج البحر، فلا ينجو إلا من أخذ الله ميثاقه، وكتب في قلبه الإيمان، وأيده بروح منه، ولترفعن اثنتا عشرة رايةً مشتهةً، لا يُدرى أيُّ من أي. فقيل له: فكيف نصنع؟ قال: فنظر إلى شمس داخلية في فتحة في البيت، فقال عليه السلام: والله لأمرنا أبين من هذه الشمس^(٤٣).

وقد تبدّت هذه المسألة منذ وقت مبكر في عهد الإمام الصادق عليه السلام ودعوة العباسيين المموّهة بالرضا لآل محمد عليه السلام؛ استشاراً للتضحيات الشيعة في مقاومة الحكم الأموي، واستقطاباً للتأييد الشعبي الذي اندفع للالتفاف حول هذه الدعوة، فكان للإمام الصادق عليه السلام موقفٌ حازمٌ منها^(٣٣)، ومن ثمّ تركزت هذه القضية مع ثورة محمد ذي النفس الزكية وأخيه إبراهيم، وقتلهما وآل الحسن في عهد المنصور^(٣٤) (٣٢). وعلى أية حال كان الإمام الكاظم عليه السلام هو الآخر قد عمل جاهداً على تبديد الشبهات حول عقيدة المهدي المنتظر والغيبة، والحيلولة دون استغلالها من قبل الآخرين، وذلك عبر أساليب عدّة يمكن أن نجملها بالنقاط التالية:

التعريف النسبي بالإمام المهدي عليه السلام وتعيينه

لاشك أن التعريف بشخص الإمام المنتظر عليه السلام وزمانه وانتسابه وشيء من دلائل أو علائم ظهوره، ستقطع الطريق على كلّ المدّعين، وتزيل الشك والريب عن كلّ من داخله الشك والاضطراب والحيرة في تلك الدعاوى أو غيرها، أو حتى في أصل الفكرة ومصادقها وعصرها، ولذا نجده عليه السلام يبعث بكتاب إلى أحد شيعته، قال له فيه: «إذا سجدت فقل: اللهم إني أشهدك، وأشهد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وجميع خلقك بأنك أنت الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبيي، وعلي وليي، والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والخلف الصالح - صلواتك عليهم - أئمتي، بهم أتولى ومن عدوهم أترأ»^(٤٦).

وسئل في موضع آخر عن نسبه وعصره فيقول عليه السلام: إذا توالى ثلاثة أسماء: محمد وعلي والحسن، فالرابع هو القائم^(٤٧)، وفي سياق شبيه بهذا

التحديد يُسأل عن عصر ظهوره وزمانه فيجيب عليه: «إذا فقد الخامس من ولد السابع، فالله الله في أديانكم لا يزيلنكم أحد عنها، إنه لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبة، حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به، إنما هو محنة من الله عز وجل امتحن بها خلقه»^(٤٨).

وظنَّ بعض الشيعة أنَّ الإمام الكاظم عليه السلام هو بذاته الإمام القائم المنتظر عليه السلام؛ ممَّا حدا ببعضهم أن يسأله عن ذلك، فقال عليه السلام: أنا القائم بالحق ولكن القائم الذي يطهر الأرض من أعداء الله، ويملؤها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، هو الخامس من ولدي، وله غيبة يطول أمدها، يرتدُّ فيها أقوامٌ ويثبت فيها آخرون^(٤٩).

التعريف بعصر الإمام عليه السلام و زمن ظهوره

مرَّ بنا أنَّ العقائد والمقولات المنحرفة لبعض الفرق قد حاولت تمرير أفكارها من خلال ادِّعاء المهدويَّة أو الغيبة، وهو ما استلزم من الإمام الكاظم عليه السلام أن يضع معايير عدَّة لتلافي ذلك الخلط، وتبديد تلك الدعوات والشبهات، وبيان الأصل فيها، ومن ذلك ما رُوي عن أحد صحابته أنَّه سأله عن عصر الظهور، فقال له: أنت تعجل، فقال: جعلت فداك، إي والله أعجل، وما لي لا أعجل وقد كبر سنِّي، وبلغت ما قد ترى، وقد مات أبي على هذا الأمر، وأخشى أن أموت ولا تخبرني بشيء؟ فقال الإمام عليه السلام: أما والله ما يكون ذلك حتَّى تَمَيَّزوا وتمحصَّوا، وحتَّى لا يبقى منكم إلا الأقلُّ^(٥٠). وسُئل في روايةٍ أخرى عن علامة عصر الظهور، فقال عليه السلام: «إذا رُكزت راياتُ قيسٍ بمصـر، وراياتُ كِنْدَةَ بخراسان»^(٥١).

وروي عنه عليه السلام في حوار دار بينه وبين علي بن يقطين حول مسألة الغيبة وعصر الظهور، أنَّه قال لعلي: «إنَّ الشيعة تربي بالأمان منذ مائتي سنة»^(٥٢). أي هذا الأمر ليس بجديد، وأنَّه يحتاج إلى الصَّبر والمطاوله، وأنَّ الأئمة عليهم السلام

دأبوا على تربية شيعتهم على انتظار الفرج وتوقعه، من دون توقيت محدد لذلك. ويظهر أن علي بن يقطين وأباه قد تساءلا عن العلة في ذلك، أي عدم تحديد الوقت، وانتهيا إلى تقرير أن المسألة متعلقة بالحيلولة من دون قسوة القلوب والارتباط الدائم بأهل البيت عليهم السلام وقائهم عليهم السلام، فقالوا: لو قيل لنا أن هذا الأمر لا يكون إلا بعد مئتي سنة أو ثلاثمائة سنة، لقست القلوب، ولرجع عامة الناس من الإسلام، ولكن قالوا -أي الأئمة عليهم السلام -: ما أسرعه وما أقرببه، تألفاً لقلوب الناس، وتقريباً للفرج ^(٥٣). وعليه فالمسألة مرتبطة بمشيئة الله، وبالاختبار والتمحيص.

ولعل هذا ما تشير إليه رواية أخرى ورد فيها أن الإمام الكاظم عليه السلام سأله أحد صحابته: «جُعِلَتْ فداك مَنْ صاحب هذا الأمر؟ فقال: أما إنهم يفتنون بعد موتي، فيقولون هو القائم، وما القائم إلا بعدي بسنين» ^(٥٤).

وفعلاً فإن هذا ما حدث، إذ نشأت فرقة الواقعة بعد شهادة الإمام عليه السلام، وهم الذين قالوا: أن الإمام الكاظم عليه السلام لم يمت، وأنه حيٌّ، ولا يموت حتى يملك شرق الأرض وغربها، ويملاؤها كلها عدلاً كما ملئت جوراً، وأنه القائم المهدي، وزعموا أنه خرج من الحبس، ولم يره أحد، ولم يعلم به، وأن السلطة العباسية ادّعت موته، وموهوا على الناس وكذبوا، وادّعوا أن الإمام الصادق عليه السلام قد أخبرهم سلفاً أنه هو القائم المهدي. وزعم بعضهم أنه قد مات فعلاً، ولكن بما أنه هو القائم فلا تكون الإمامة لغيره حتى يرجع فيقوم ويظهر، وزعم بعضهم أنه قد رجع بعد موته إلا أنه مختفٍ في موضع من المواضع حي يأمر وينهى، وأن أصحابه يلقونه ويرونه، واعتلوا في ذلك بروايات عن أبيه عليه السلام أنه قال: سُمِّيَ القائمُ قائماً؛ لأنه يقوم بعد ما يموت، وقال بعضهم: إن فيه شبهاً من عيسى بن مريم عليه السلام وأنه لم يرجع، ولكنه سيرجع في وقت قيامه، فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً،

وقالوا: إنَّ من قام بعده ليسوا بأئمة، ولكنهم خلفاؤه واحداً بعد واحد إلى أن خروجه، وأن على الناس القبول منهم والانتهاز إلى أمرهم^(٥٥).

هذا في الوقت الذي ذهبت مجموعة من الواقفة إلى القول بأنَّ الإمام الكاظم عليه السلام لم يمت، ولم يجبس، وأنَّه حيٌّ غائبٌ، وأنَّه القائم المهدي عليه السلام، وأنَّه في وقت غيبته استخلف على الأمر محمد بن بشير وجعله وصيه، وأعطاه خاتمه، وعلمه جميع ما يحتاج إليه رعيته، وفوض إليه أموره، وأقامه مقام نفسه، فمحمد بن بشير هو الإمام من بعده، وأنَّه لما توفِّي أوصى إلى ابنه سميع بن محمد بن بشير، فهو الإمام ومن أوصى إليه (سميع) هو الإمام، وهكذا إلى وقت خروج الإمام الكاظم عليه السلام مرَّةً أخرى وظهوره، وعلى الشيعة أن تؤدِّي الحقوق إليهم خلال الغيبة، وزعموا أنَّ الإمام الرضا عليه السلام والأئمة من بعده، ومن قال بإمامتهم كفره، ونفوهم عن أنسابهم، واستحلوا دماءهم وأموالهم، وزعموا أنَّ الفرض من الله عليهم إقامة الصلوات الخمس، وصوم شهر رمضان، وأنكروا الزكاة والحج وسائر الفرائض، وقالوا بإباحة المحارم من الفروج والغلمان، وقالوا: بالتناسخ، وأنَّ الأئمة عندهم واحد، وإنَّها هم منتقلون من بدن إلى بدن^(٥٦).

وبالنظر للمنحى الاعتقادي لهذه الفرقة (الواقفة) والجماعات التي تفرعت منها، تبدو مسألة الأموال التي تجمعت عند مجموعة من وكلاء الإمام الكاظم عليه السلام أثناء فترات سجنه، وكانت سبباً لقولهم بالوقوف كما اعتادت الرواية التاريخية تردّد ذلك^(٥٧)، تبدو غير كافية لتفسير نشأة هذه الفرقة وتفرعها، ولا سيما أن القول بالوقوف قد ابتدأ مبكراً مع شهادة الإمام الحسين عليه السلام وأدعاء المهديّة والغيبة لمحمد بن الحنفية، وكذا الحال عند النาวوسية وغيرهم.

وعليه فإن الجبهة الشيعية وبسبب الظرف السياسي الذي عاشه الإمام (عليه السلام) وسجنه والتضييق عليه من قبل السلطة العباسية، ومع استمرار التصدّع والتشتّت فيها، ودعوى التوقف عند إمامته، وأنّه هو القائم المنتظر، قد مرّت بأصعب مراحلها بعد شهادة الإمام الكاظم (عليه السلام). وإزاء هذا الوضع الذي استشرفه الإمام (عليه السلام) سلفاً كما في الرواية السابقة (أما إنهم يفتنون بعد موتي، فيقولون هو القائم، وما القائم إلا بعدي بسنين) ^(٥٨). فإنّه عمل على تأكيد بطلان هذا الادعاء وزيفه، من خلال استحداث نظام الوكالة، كتطبيق عملي لمفهوم الغيبة (غيبة الإمام (عليه السلام)، وإمكانية الاستمرار في التواصل معه عبر وكلائه هذا من جهة، ومن جهة أخرى من خلال النصّ على إمامة ولده الإمام الرضا (عليه السلام) من بعده، وبأكثر من طريقة، فتارةً يجمع بعض أقاربه وشيعته، ويقول لهم: «أتدرون لم جمعتمكم؟ قالوا: لا، فقال: اشهدوا، أنّ ابني هذا وصيي، والقيّم بأمري، وخليفتي من بعدي، ومن كان له عندي دين فليأخذه من ابني هذا، ومن كانت له عندي عدّة فلينجّزها منه، ومن لم يكن له بد من لقائي فلا يلقني إلا بكتابه» ^(٥٩). وتارةً أخرى يكتب إليهم وهو في السجن: «عهدي إلى أكبر ولدي أن يفعل كذا، وأن يفعل كذا، وفلان لا تنله شيئاً حتى ألقاك أو يقضي الله عليّ الموت» ^(٦٠). إلى غير ذلك من إخباره وتأكيده على بعض صحابته بإمامة ولده الرضا (عليه السلام) ^(٦١).

ثانياً- منهجه في الاستدلال العقلي ومحاورة المخالفين

يشدد المنهج القرآني على أن يأخذ العقل دوره المركزي في تحصيل المعرفة واستنباط الأحكام؛ ولذا فغالباً ما يذلل آياته بالدعوة إلى إعمال العقل، والتفكير، والتدبر، واستخدام الحواس للوصول إلى الحقيقة والتيقن منها، فتكتف فيه عبارات: (يعقلون، يتفكرون، يبصرون، يذكرون، ينظرون، أولي الأبواب...)، في موضع التوبيخ لعدم الانتفاع بالطاقة العقلية التي زود الله بها الإنسان ليتسنى له الوصول إلى الحقيقة القلبية ووزن الأمور بميزان العقل والفكر، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُوا لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (٦٢).

وعليه فإن النص القرآني يركز على مرجعية العقل وأهميته في الفعل الإنساني، ولا سيما طريقة ارتباطه بالدين والتشريع، شاجباً في الوقت ذاته كل فعل يؤدي إلى تعطيله وشله، وساخراً من نزعة التقليد الأعمى والهووى والاتباع لمجرد إرضاء ذهنية اجتماعية مترسخة- متوارثة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (٦٣)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (٦٤)، إلى غير ذلك من الآيات التي حاكت هذا المضمون.

وردد في الحديث الشريف: ((لما خلق الله العقل استنطقه، ثم قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إلي منك، ولا أكملتك إلا في من أحب، أما إني إياك أمر، وإياك أنهى، وإياك أعاقب، وإياك أثيب)) (٦٥). وعليه فالعقل هو القاعدة

التي تُبنى على أساسها العقيدة السليمة، والفكر الصائب، والممارسة المستقيمة، وعلى قدره يحاسب الناس يوم الحساب، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ((إنَّها يداق الله العباد في الحساب يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقول في الدنيا))^(٦٦).

ولما كان العصر الذي عاشه الإمام الكاظم عليه السلام مليئاً بالجدل المذهبي العنيف، وبتصادم الأفكار والاتجاهات العقلية من: معتزلة، وخوارج، ومرجئة، وجبرية، وإسماعيلية، ومتكلمين، وفلاسفة، ومتصوفة، وغيرها؛ فإنَّه واستجابة لمعطيات ذلك العصر أُملي على تلميذه هشام بن الحكم رسالة مطولة في العقل، وارتباطه بوعي التوحيد والشرعية والأحكام، ومختلف مناحي المعرفة، مستنداً - في الإعلاء من شأن العقل - إلى المنهج القرآني، وما ورد في ذلك من أحاديث وآثار شريفة^(٦٧).

ومن الأمثلة على تطبيق الإمام الكاظم عليه السلام لمنهج الاستدلال العقلي في محاوره المخالفين، ما روي عن ولده الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: سأل رجل أبي: هل منع الله عما أمر به، وهل نهى عما أراد، وهل أعان عما لم يرد؟ فأجابه الإمام الكاظم عليه السلام: أمّا قولك: هل منع الله عما أمر به، فلا يجوز ذلك عليه، ولو جاز ذلك لكان قد منع إبليس عن السجود لآدم، ولو منعه لعذره ولم يلعنه.

وأما قولك: هل نهى عما أراد، فلا يجوز ذلك، ولو جاز ذلك لكان حيث نهى آدم عن أكل الشجرة أراد منه أكلها، ولو أراد منه أكلها، لما نادى عليه صبيان الكتاتيب: وعصى آدم ربه فغوى، والله تعالى لا يجوز عليه أن يأمر بشي ويريد غيره.

وأما قولك: هل أعان على ما لم يرد، فلا يجوز ذلك عليه، وتعالى الله عن أن يُعين على قتل الأنبياء عليهم السلام وتكفيرهم، وقتل الحسين بن علي عليه السلام.

والفضلاء من ولده، وكيف يُعين على ما لم يُرد وقد أعد جهنم لمخالفيه، ولعنهم على تكذيبهم لطاعته، وارتكابهم لمخالفته، ولو جاز أن يُعين على ما لم يرد، لكان أعان فرعون على كفره وادعاه أنه رب العالمين، أفترى أنه أراد من فرعون أن يدعي الربوبية.

إن الله خلق الخلق فعلم ما هم إليه صائرون فأمرهم ونهاهم، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به، وما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه، ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلا بأذنه، وما جبر الله أحداً من خلقه على معصيته، بل اختبرهم بالبلوى^(٦٨).

ومن ذلك أن أباه الإمام الصادق عليه السلام أشار إليه بمحاورة وفدٍ من اليهود جاء يسأله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصدق نبوته، فحاورهم الإمام الكاظم عليه السلام وهو بعمر خمس سنين، واحتج عليهم بدلائل عدة، فقالت اليهود: وكيف لنا أن نعلم أن هذا كما وصفت؟ فقال عليه السلام: وكيف لنا أن نعلم أن ما تذكرون من آيات موسى عليه السلام على ما تصفون؟ قالوا: علمنا ذلك بنقل البررة الصادقين. فقال عليه السلام: فاعلموا صدق ما أنبأكم به، بخبر طفل لقَّنه الله من غير تلقين، ولا معرفة عن الناقلين. فقالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأنكم الأئمة القادة والحجج من عند الله على خلقه. فوثب الإمام الصادق عليه السلام وقبَّله بين عينيه، وقال: أنت القائم من بعدي^(٦٩).

ومن ذلك ما دار بينه عليه السلام وبين أبي يوسف القاضي في مجلس الخليفة المهدي، حيث فند قاعدة القياس في استنباط الأحكام الشرعية بجواب قصير وموجز، فقد قال أبو يوسف للمهدي: أتأذن لي أن أسأله عن مسائل ليس عنده فيها شيء؟ فقال له نعم. فسأله: ما تقول في التظليل للمحرم؟ قال الإمام عليه السلام: لا يصلح. فقال أبو يوسف: فيضرب الخبء في الأرض ويدخل البيت؟ فقال الإمام عليه السلام: نعم. فقال أبو يوسف: فما

الفرق بين هذين؟ فقال الإمام (عليه السلام): ما تقول في الطامث أتقضي الصلاة؟ قال: لا، قال: فتقضي الصوم؟ قال: نعم، قال: ولم. قال: هكذا جاء. فقال الإمام (عليه السلام): وهكذا جاء هذا. فقال المهدي لأبي يوسف ما أراك صنعت شيئاً؟ قال: رماني بحجر دامغ^(٧٠).

ومنه ما ذكر من أن أبا حنيفة وصاحبه عبد الله بن مسلم دخلا على الإمام الصادق (عليه السلام) في المدينة، فوجدا جماعة من علماء الشيعة ينتظرون خروجه أو دخولهم عليه، فبينما هم كذلك إذ خرج غلام حَدَث فقام الناس هيبةً له، فسأل أبو حنيفة صاحبه، فقال هذا ولده موسى الكاظم، فأراد أبو حنيفة أن يختبره ويخجله، فقال للإمام (عليه السلام): يا غلام أين يضع الغريب في بلدتكم هذه؟ فقال الإمام (عليه السلام): يتوارى خلف الجدار، ويتوقى أعين الجار، وشطوط الأنهار، ومسقط الثمار، ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها، فحينئذ يضع حيث شاء. فعظم ذلك في عين أبي حنيفة وأسقط ما في يده، وأراد أن يفحم الإمام (عليه السلام)، فقال: يا غلام، ممن المعصية؟ فقال الإمام (عليه السلام): لا تخلو من ثلاثة أوجه:

إما أن تكون من الله عز وجل وليست منه، فلا ينبغي للكريم أن يعذب عبده بما لم يكتسبه.

وإما أن تكون من الله عز وجل ومن العبد، فلا ينبغي للشريك القوي أن يظلم الشريك الضعيف.

- وإما أن تكون من العبد وهي منه، فإن عاقبه الله فبذنبه، وإن عفا عنه فيكرمه وجوده^(٧١).

ورأى سفيان الثوري^(٧٢) - وهو أحد الفقهاء وأئمة المذاهب المندرسية - الإمام الكاظم (عليه السلام) يصلي وهو غلام، والناس يمرّون بين يديه وهو في الطواف، فقال: إن الناس يمرّون بك وهم في الطواف! فقال (عليه السلام): إن الذي أصلي له أقرب إلي من هؤلاء^(٧٣).



ومن ذلك مناظرته المطولة مع هارون الرشيد، عندما سأله الأخير عن سبب تفضيلهم على بني العباس، فبين له الإمام عليه السلام أن العلويين أقرب للنبي ﷺ من العباسيين لأن أبا طالب وعبد الله ﷺ أخوان لأم وأب، والعباس أخوهما من أبيهما فقط. فسأله الرشيد عن سبب وراثتهم للنبي دون العباسيين، فبين له الإمام عليه السلام أن ذلك ما حكم به القرآن، فليس مع ولد الصلب ذكرًا كان أو أنثى لأحد سهم إلا للأبوين والزوج والزوجة، ولم يثبت للعم مع ولد الصلب ميراث، ولم ينطق به الكتاب، إلا أن تيمًا وعديًا وبني أمية قالوا: العمُّ والدُّ، رأياً منهم بلا حقيقة ولا أثرٍ عن الرسول ﷺ، وأن النبي ﷺ لم يورث من لم يهاجر، ولا أثبت له ولاية حتى يهاجر، لأن القرآن قال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِّنْ وَلَا يَتِيهِمْ مِّنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾^(٧٤)، والعباس لم يهاجر، فسأله الرشيد عن سبب انتماهم للنبي ﷺ وهو جدهم من جهة أمهم فاطمة الزهراء عليها السلام وأن المرء ينسب إلى أبيه، فقال الإمام عليه السلام: لو أن النبي ﷺ نُشر فخطب إليك كريمتك هل كنت تحببه؟ فقال: سبحان الله ولم لا أجيبه؟ بل افتخر علي العرب والعجم وقريش بذلك، فقال الإمام عليه السلام: لكنه لا يخطب إليّ، ولا أزوجه؛ لأنه ولدني ولم يلدك. فسأله الرشيد: كيف قلتُم أنا ذرية النبي ﷺ وهو لم يعقب، وإنما العقب للذكر لا للأنثى، وأنتم ولد البنت؟ فاحتج عليه الإمام عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ.. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٧٥)، وأن الله ألحق عيسى بذرية إبراهيم الخليل عليه السلام من جهة أمه مريم العذراء عليها السلام، ويقول تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعَنَتِ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٧٦)، وأن

القرآن الكريم قد نسب الإمامين (عليه السلام) بالنبوة إلى النبي (صلى الله عليه وآله)، وجعل أمير المؤمنين (عليه السلام) كنفسه، واحتجّ عليه بأحاديث نبوية أخرى، فعند ذلك قرّر هارون قتل الإمام (عليه السلام) (٧٧).

وفضلاً عن محاوره المخالفين وافحامهم بهذا الأسلوب العقلي، فإنّ الإمام الكاظم (عليه السلام) وكغيره من الأئمة (عليهم السلام) قد استخدمه في دفع شبه الغلاة أيضاً، ومن ذلك ما روي عن عيسى بن شلقان (٧٨) أنّه قال: دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) وأنا أريد أن أسأله عن أبي الخطاب، فقال لي مبتدئاً: يا عيسى، ما منعك أن تلقى ابني فتسأله عن جميع ما تريد، فذهب عيسى إلى الإمام الكاظم (عليه السلام) فقال مبتدئاً: يا عيسى، إنّ الله تبارك أعار قومًا الإيمان زماناً ثم سلبهم إياه، وإنّ أبا الخطاب ممن أعير الإيمان ثم سلبه الله (٧٩).

ومنها ما روي أنّه جيء للإمام الكاظم (عليه السلام) بغلمان من الأحباش اشتراهم، فكلم أحدهم بالحشية وأوصاه بالغلمان أن يتدبر شؤونهم، فعجب أحد صحابته من تكليمه الغلام بالحشية، فقال له الإمام (عليه السلام) لا تعجب فما خفي عليك من أمر الامام أعجب وأكثر، وما هذا من الامام في علمه إلا كطير أخذ بمنقاره من البحر قطرة من ماء، أفترى الذي أخذ بمنقاره نقص من البحر شيئاً (٨٠).

على أنّ الإمام (عليه السلام) في كل ذلك كان حريصاً على بيان طرق العلم التي من خلالها يعلمون ما يحدثون به شيعتهم وأصحابهم، خشية أن يتتابهم الشك أو الغلو فيهم كادعاء النبوة لهم أو ما شابه، فقد أثر عنه (عليه السلام) أنّه قال: ((مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه: ماض، وغابر، وحادث، فأما الماضي فمفسر، وأما الغابر فمزبور - أي مكتوب عمّن عن النبي والأئمة (عليهم السلام) - وأما الحادث فقذف في القلوب، ونقرّ في الاسماع، وهو أفضل علمنا، ولا نبى بعد نبينا)) (٨١).

نتائج البحث

تبين من خلال البحث أنَّ الظروف التي عاشها الإمام الكاظم (عليه السلام) كانت من بين أصعب المراحل التي مرَّ بها تاريخ الشيعة والتشيع، وقد سجلت الاختبار الأول للشيعة في التعامل مع حقيقة غيبة الإمام في حياته، مما حدا به للاعتماد على نظام الوكالة كوسيلة لربط المجتمع بالإمام.

كان من افرازات ذلك العصر المضطرب على مستوى الجدل المذهبيِّ والفكريِّ والسياسيِّ، أن استمر الجسد الشيعيِّ بالتشظي على نحو أوسع من السابق، وقد عمل الإمام (عليه السلام) جاهداً على احتواء هذا التشظي وملمته، حفاظاً على الجماعة الصالحة، ودفعاً للشبهات التي تعتري التمسك بخط الإمامة. كانت عقيدة المهديَّة والإمام الغائب من بين أهم الأفكار التي حام حولها الكثير من اللغط لدى المسلمين عموماً وبين صفوف الشيعة على وجه الخصوص؛ بفعل التشظي المذهبيِّ، فعمل الإمام (عليه السلام) على تنقية هذه الفكرة من الادعاءات والدعوات الطارئة عليها، وبيان أصلتها المرتبطة بالإمام الحقِّ، وزيف دعوى من ادعاهها في تلك المرحلة، وعلى وفق أكثر من طريقة وأسلوب.

كان لنمو التيار العقلي والفلسفي في عصر الإمام (عليه السلام) أثره في أن يستثمر الإمام (عليه السلام) هذا التوجه لبناء مقولات أهل البيت (عليهم السلام) الخاصَّة حيال العقل، وبيان أنها تنطلق من القرآن الكريم، وتحوم حول أسواره، وذلك في رسالته في العقل لتلميذه هشام بن الحكم، ومن دون افراط في منحه القدسيَّة المثاليَّة، التي ربَّما نادى بها المعتزلة آنذاك. زد على ذلك أنَّه نظَّر شيء من الاستدلال العقليِّ في محاوراته ومناظراته.

١- سورة البقرة/ ٢١٣.

٢- سورة هود/ ١١٨-١١٩.

٣- يُنظر: أحمد بن حنبل، المسند، ٣/ ١٤٥، ابن ماجه، سنن، ٢/ ١٣٢٢، الترمذي: سنن، ٤/ ١٣٤-١٣٥، الكليني: الكافي، ٨/ ٢٢٤.

٤- يُنظر: المفيد، الإرشاد، ٢/ ٢١٦-٢٢٠.

٥- محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، تولى إمارة البصرة في عهد المهديّ وزاده هارون ولاية الأهواز وفارس والبحرين وغيرها. توفي عام (١٧٣هـ). يُنظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢/ ٣٨٦-٣٨٧.

٦- يُنظر: الكليني، الكافي، ١/ ٣١٠، الطوسي: الغيبة، ١٩٧-١٩٨، الطبرسي: إعلام الوري، ٢/ ١٣-١٤.

٧- يُنظر: النوبختي، فرق الشيعة، ٥٧، الأشعري: المقالات والفرق، ٧٩-٨٠، المفيد: الفصول المختارة، ٣٠٥.

٨- أبو محمد هشام بن سالم الجواليقي مولى بشر بن مروان، كان من سبي الجوزجان، أحد أبرز صحابة الإمامين الصادق والكاظم (عليه السلام). يُنظر: البرقي، الرجال، ٣٤-٣٥، النجاشي: الرجال، ٤٣٤.

٩- يُنظر: الكليني، الكافي، ١/ ٣٥٢-٣٥٣؛ المفيد: الإرشاد، ٢/ ٢٢٢؛ الكشي: رجال الكشي، ٢/ ٥٦٥-٥٦٦؛ الطبرسي: إعلام الوري، ٢/ ١٦-١٧؛ ابن شهر آشوب: المناقب، ٤/ ٢٩٠؛ الإربلي: كشف الغمة، ٣/ ١٣-١٤.

١٠- يُنظر: المفيد، الإرشاد، ٢١٠.

١١- يُنظر: النوبختي، فرق الشيعة، ٧٧-٧٨؛ الأشعري القمي: المقالات والفرق، ٨٧.

١٢- يُنظر: النوبختي: فرق الشيعة، ٦٥-٦٦؛ الأشعري القمي، المقالات والفرق، ٨٧-٨٨؛ الصدوق: من لا يحضره الفقيه، ٤/ ٥٤٢.

١٣- يُنظر: الأشعري القمي: المقالات والفرق، ٨٨.

١٤- يُنظر: النوبختي، فرق الشيعة، ٦٧؛ الأشعري القمي: المقالات والفرق، ٧٨.

١٥- يُنظر: المفيد، الإرشاد، ٢/ ٢٠٩.

١٦- يُنظر: فرهاد دفتري، الإسماعيليون- تاريخهم وقائدهم، ١٧٥.

١٧- يُنظر: المفيد، الإرشاد، ٢/ ٢١٦-٢٢٠.

١٨- يُنظر: النعماني: الغيبة، ٣٤٧-٣٤٨؛ المفيد: الإرشاد، ٢/ ٢٠٩-٢١٠.

١٩- يُنظر: النوبختي، فرق الشيعة، ٥٨؛ الأشعري القمي: المقالات والفرق،



- ٨٠- النعماني: الغيبة، ٣٤٧-٣٤٨؛ المفيد: الإرشاد، ٢/٢٠٩-٢١٠؛ الرازي: الشجرة المباركة، ١١٥.
- ٢٠- يُنظر: عمدة الطالب الكبرى، ٢٣٣.
- ٢١- يُنظر: عمدة الطالب الصغرى، ١٢٧؛ اتعاظ الحنفاء، ١/١٥.
- ٢٢- يُنظر: تاريخ فاتح العالم، ٣/١٣٧.
- ٢٣- يُنظر: النوبختي، فرق الشيعة، ٦٨؛ الأشعري القمي: المقالات والفرق، ٨٠-٨١.
- ٢٤- اهتمت الكثير من المؤلفات بتاريخ الإسماعيليين وعقائدهم وفرقهم، نشير منها إلى ما كتبه (فرهاد دفتری)، في مؤلفه: الإسماعليون تاريخهم وعقائدهم، والإسماعليون في العصر الوسيط.
- ٢٥- الذين خرجوا على الإمام علي (عليه السلام) بعد التحكيم، وكفروه وانحازوا إلى حروراء فسموا الحرورية، ومنهم افرقت فرق الخوارج كلها. يُنظر: النوبختي، فرق الشيعة، ٦.
- ٢٦- يعتقدون أن الإمام هو الذي يقوم بالسيف من آل محمد ويدعو لنفسه، وابتدأ ظهورهم كفرقة مع زيد الشهيد بن الإمام زين العابدين (عليه السلام). يُنظر: النوبختي، فرق الشيعة، ٥١.
- ٢٧- يعتقدون بأنه لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر الطاعة، وهم يؤخرون الحكم على صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة، فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار. يُنظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ١/١٣٩.
- ٢٨- وهم اتباع واصل بن عطاء الذي اعتزل درس استاذة الحسن البصري بسبب اختلافه معه حول مسألة مرتكب الكبيرة.
- ٢٩- هم الذين قالوا بالقدر، وأن الخير والشر مقدر من الله. يُنظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ١/٤٣.
- ٣٠- أبو محمد هشام بن سالم الجواليقي العلاف الكوفي، كان مولى لبشر بن مروان، وهو من سبي الجوزجان، من صحابة الإمام الصادق والإمام الكاظم (عليه السلام). يُنظر: البرقي، الرجال، ٣٤-٣٥.
- ٣١- أبو جعفر محمد بن علي بن النعمان بن أبي طريقة مولى بجيلة الأحول الكوفي، يعمل في الصيرفة ولقب بمؤمن الطاق أو صاحب الطاق؛ نسبة إلى دكانه في طاق المحامل في الكوفة، ويلقبه المخالفون شيطان الطاق، روى عن الأئمة: زين العابدين، والباقر، والصادق، والكاظم (عليه السلام). يُنظر: النجاشي، رجال النجاشي، ٣٢٥-٣٢٦.
- ٣٢- يُنظر: الكليني، الكافي، ١/٣٥٢؛ المفيد: الإرشاد، ٢/٢٢١-٢٢٢؛ الطوسي: اختيار معرفة الرجال، ٢/٥٦٥-٥٦٦.

٣٣- من صحابة الإمام الصادق والإمام الكاظم (عليهما السلام) وأدرك عصر الغيبة وكان وكيلاً للإمام الحجة (عليه السلام). يُنظر: الكشي، اختيار معرفة الرجال، ٢/ ٨٦٦-٨٦٧.

٣٤- الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة، ٧٥.

٣٥- أبو محمد ليث بن البخترى المرادي، يسمى أبو بصير الأصغر، روى عن الإمام الباقر والإمام الصادق والإمام الكاظم (عليهم السلام). يُنظر: النجاشي، رجال النجاشي، ٣٢١.

٣٦- يُنظر: الحميري، قرب الإسناد، ٣٣٩- ٣٤٠؛ المفيد، الإرشاد، ٢/ ٢٢٤- ٢٢٥؛ الإرزبلي: كشف الغمة، ٣/ ٢٧٨- ٢٧٩.

٣٧- يُنظر: أبو داود: سنن، ٢/ ٣٠٩-٣١٠؛ ابن ماجه: سنن، ٢/ ١٣٦٨؛ ابن أبي شيبة: المصنف، ٨/ ٦٧٩؛ أحمد بن حنبل: مسند، ٩/ ١، ٣٧٦- ٣٧٧؛ ٣/ ٣٧؛ البخاري: التاريخ الكبير، ٨/ ٤٠٦؛ الطبراني: المعجم الكبير، ١٩/ ٣٢-٣٣؛ الحاكم النيسابوري: المستدرک، ٤/ ٤٦٥؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ١٧/ ١٩٣؛ الهيثمي: مجمع الزوائد، ٧/ ٣١٣؛ السيوطي: الجامع الصغير، ٢/ ٤٠٢؛ المتقي الهندي: كنز العمال، ١٤/ ٢٦٤.

٣٨- سورة القصص/ ٤-٥.

٣٩- سورة النور/ ٥٥.

٤٠- سورة التوبة/ ٣٣.

٤١- سورة آل عمران/ ٨٥.

٤٢- ينظر: جواد علي: المهدي المنتظر، ١٨- ٣٨.

٤٣- يُنظر: الكليني، الكافي، ١/ ٣٣٦؛ المسعودي: إثبات الوصية، ٢٦٤- ٢٦٥؛ النعماني: الغيبة، ١٥٣- ١٥٤؛ الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة، ٣٤٧.

٤٤- (٣٣) يُنظر: الشهرستاني: الملل والنحل، ١/ ١٥٤؛ ابن شهر آشوب: مناقب، ٣/ ٣٦١-٣٦٢؛ ابن عنبه: عمدة الطالب، ١٠٢؛ القندوزي: ينابيع المودة، ٣/ ١٦١.

٤٥- (٣٢) يُنظر: ابو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبين، ١٦٦- ٣٣٠.

٤٦- الصدوق: من لا يحضره الفقيه، ١/ ٣٢٩- ٣٣٠؛ الطوسي: تهذيب الأحكام، ٢/ ١١٠-١١١؛ مصباح المتعجب، ٢٣٨- ٢٣٩.

٤٧- يُنظر: المفيد، رسائل في الغيبة، ٢/ ١٣.

٤٨- يُنظر: الكليني، الكافي، ١/ ٣٣٦؛ المسعودي: إثبات الوصية، ٢٦٥.

٤٩- يُنظر: الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ٣٦١.

٥٠- النعماني: الغيبة، ٢١٦.



- ٥١- المفيد: الإرشاد، ٢/ ٣٧٦-٣٧٧.
- ٥٢- الكليني: الكافي، ١/ ٣٦٩؛ النعماني: الغيبة، ٣٠٥.
- ٥٣- يُنظر: الكليني، الكافي، ١/ ٣٦٩.
- ٥٤- الكشي: اختيار معرفة الرجال، ٢/ ٧٦٠.
- ٥٥- يُنظر: النوبختي، فرق الشيعة، ٦٧-٧٠؛ الأشعري القمي: المقالات والفرق، ٨٩-٩١.
- ٥٦- يُنظر: النوبختي، فرق الشيعة، ٧٠-٧١؛ الأشعري القمي: المقالات والفرق، ٩١-٩٢.
- ٥٧- يُنظر: الصدوق: علل الشرائع، ١/ ٢٣٥؛ عيون أخبار الرضا، ١/ ١٠٣؛ من لا يحضره الفقيه، ٤/ ٥٤٣؛ الطوسي: اختيار معرفة الرجال، ٢/ ٧٠٦؛ الغيبة، ٦٤-٦٥.
- ٥٨- الكشي: اختيار معرفة الرجال، ٢/ ٧٦٠.
- ٥٩- الكليني: الكافي، ١/ ٣١٢؛ الصدوق: عيون أخبار الرضا، ١/ ٣٦؛ المفيد: الإرشاد، ٢/ ٢٤٨-٢٤٩.
- ٦٠- الكليني: الكافي، ١/ ٣١٢-٣١٣؛ المفيد: الإرشاد، ٢/ ٢٥٠. ويُنظر: الصدوق: عيون أخبار الرضا، ١/ ٣٩.
- ٦١- يُنظر: المفيد، الإرشاد، ٢/ ٢٤٨-٢٥٣.
- ٦٢- سورة الحج/ ٤٦.
- ٦٣- سورة البقرة/ ١٧٠.
- ٦٤- سورة المائدة/ ١٠٤.
- ٦٥- الكليني: الكافي، ١/ ١٠.
- ٦٦- الكليني: الكافي، ١/ ١١.
- ٦٧- يُنظر: الكليني، الكافي، ١/ ١٣-٢٠؛ ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ٣٨٣-٤٠٢.
- ٦٨- يُنظر: الطوسي، الاحتجاج، ٢/ ١٥٧-١٥٨.
- ٦٩- يُنظر: الحميري، قرب الإسناد، ٣١٧-٣٣٠.
- ٧٠- يُنظر: الصدوق، عيون أخبار الرضا، ١/ ٧٦.
- ٧١- يُنظر: ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ٤١١-٤١٢؛ الطبرسي، إعلام الوري، ٢/ ٢٩؛ الطبرسي، الاحتجاج، ٢/ ١٥٨-١٥٩.
- ٧٢- أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أحد أشهر الفقهاء والمحدثين، وله مذهب خاص به، ولد في الكوفة عام (٩٧هـ)، وتوفي متخفياً من المهدي العباسي في البصرة عام (١٦١هـ). يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ٨/ ٤٩٢-٤٩٥.

٧٣- يُنظر: الصدوق، التوحيد، ١٧٩- ١٨٠.

٧٤- من الآية ٧٢ من سورة الأنفال.

٧٥- الأنعام/ ٨٤- ٨٥.

٧٦- آل عمران/ ٦١.

٧٧- يُنظر: الصدوق، عيون أخبار الرضا، ٨١- ٨٣.

٧٨- عيسى بن أبي منصور واسم أبي منصور صبيح ويعرف بشلقان، من صحابة الإمام الصادق (عليه السلام). يُنظر: التفرشي، نقد الرجال، ٣/ ٣٨٤- ٣٨٦.

٧٩- يُنظر: الحميري، قرب الإسناد، ٣٣٤- ٣٣٥.

٨٠- يُنظر: الحميري، قرب الإسناد، ٣٣٥- ٣٣٦.

٨١- يُنظر: الصفار، بصائر الدرجات، ٣٣٩؛ الكليني، الكافي، ٢٦٤.



قرب الإسناد. تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت للإحياء التراث (ط١)، إيران ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).

* الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي. ت (٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م).

تاريخ بغداد. دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (ط١)، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

* أبو داود السجستاني: سليمان بن الأشعث. ت (٢٧٥هـ/ ٨٨٨م).

سنن أبي داود. تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام (ط١)، دار الفكر: بيروت - لبنان ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

* الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان. ت (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م).

تاريخ الإسلام، تح: عمر عبد السلام تدمري (ط١)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

* الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن (ت ٦٠٤هـ).

الشجرة المباركة في أنساب الطالبيّة. تحقيق: مهدي الرجائي، إشراف: محمود المرعشي (ط١)، مكتبة المرعشي: قم - إيران ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

* ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع. ت (٢٣٠هـ/ ٩٤١م).

الطبقات الكبرى، تح: علي محمد عمر (ط١)، مكتبة الخانجي: القاهرة -

مصر ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).

* السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر محمد. ت (٩١١هـ/ ١٥٠٥م).

الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير (ط١)، دار الفكر: بيروت - لبنان ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

* ابن شهر آشوب: مشير الدين أبو عبد الله محمد بن علي. ت (٥٨٨هـ/ ١١٩٢م).

مناقب آل أبي طالب. تصحيح: لجنة من أساتذة النجف الأشرف (المطبعة الحيدرية: النجف - العراق ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م).

* ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله (٢٣٥هـ/ ٨٤٩م).

المصنف في الأحاديث والأخبار. ضبط وتعليق: سعيد اللحام (ط١)، دار الفكر: بيروت - لبنان ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

* الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر. ت (٥٤٨هـ/ ١١٥٣م).

الملل والنحل. تح: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور (ط٣)، دار المعرفة: بيروت - لبنان ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

* الصدوق: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي. ت (٣٨١هـ/ ٨٩٤م).

الأمالي (ط١)، مؤسسة البعثة: قم - إيران، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).

التوحيد. تصحيح وتعليق: هاشم الحسيني (ط١)، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية: قم - إيران



١٣٩٨هـ / ١٩٧٧م).

علل الشرائع (المكتبة الحيدرية ومطبعتها:

النجف - العراق ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م).

عيون أخبار الرضا. تصحيح وتعليق:

حسين الأعلمي (ط ١، مؤسسة الأعلمي

للمطبوعات: بيروت - لبنان ١٤٠٤هـ /

١٩٨٤م).

كمال الدين وتمام النعمة (د. ط، مؤسسة

النشر الإسلامي لجامعة المدرسين: قم -

إيران ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م).

من لا يحضره الفقيه. تصحيح

وتعليق: علي أكبر الغفاري (ط ٢، جماعة

المدرسين في الحوزة العلمية: قم - إيران

١٤٠٤هـ / ١٩٨٣ م).

* الصفار: أبو جعفر محمد بن الحسن

بن فروخ (ت ٢٩٠هـ / ٩٠٢م).

بصائر الدرجات الكبرى في فضائل

آل محمد ﷺ. تقديم وتعليق وتصحيح:

ميرزا محسن كوجه باغي (ط ١، مؤسسة

الأعلمي: طهران ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).

* الطبراني: أبو القاسم سليمان بن

أحمد. ت (٣٦٠هـ / ٩٧٠م).

المعجم الكبير، تح: حمدي عبد المجيد

السلفي (ط ٢، دار إحياء التراث العربي:

بيروت - لبنان ١٣٩٧هـ / ١٩٧٦م).

* الطبرسي: أبو منصور أحمد بن

علي. ت (٥٤٨هـ / ١١٥٣م).

الاحتجاج. تعليق وملاحظات: محمد

باقر الخراسان (ط ١، دار النعمان: النجف

- العراق ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م).

* الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن.

ت (٥٤٨هـ / ١١٥٣م).

إعلام النوري بأعلام الهدى. تح: مؤسسة

آل البيت لإحياء التراث (ط ١، مؤسسة

آل البيت لإحياء التراث: قم - إيران

١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).

* الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن.

ت (٤٦٠هـ / ١٠٦٧م).

اختيار معرفة الرجال. تح: مهدي

الرجائي، تصحيح: مير داماد

الاستريادي (مؤسسة آل البيت: قم -

إيران ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م).

رجال الطوسي. تح: جواد

القيومي (ط ١، مؤسسة النشر الاسلامي

التابعة لجامعة المدرسين: قم - إيران

١٤١٥هـ / ١٩٩٤م).

الغنية. تح: عباد الله الطهراني وعلي أحمد

ناصح (ط ١، مؤسسة المعارف الاسلامية:

قم - إيران ١٤١١هـ / ١٩٩٠م).

مصباح المتجهد (ط ١، مؤسسة

فقه الشيعة: بيروت - لبنان

١٤١١هـ / ١٩٩١م).

* - ابن عنبه: جمال الدين أحمد بن علي

الحسني (ت ٨٢٨هـ / ١٤٢٥م).

عمدة الطالب الصغرى في نسب آل أبي

طالب. تحقيق: مهدي الرجائي (ط ١،

مكتبة المرعشي: قم - إيران

١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م).

عمدة الطالب الكبرى في نسب آل

أبي طالب. تصحيح: محمد حسن

الطالقاني (ط ٢)، المكتبة الحيدرية: النجف
الأشرف ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م).

* أبو الفرج الأصفهاني: علي بن الحسين
بن محمد بن أحمد. ت (٣٥٦هـ / ٩٦٦م).
مقاتل الطالبين (ط ٢)، مؤسسة دار
الكتاب: قم - إيران ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م).
* فرهاد دفتری.

الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم.
ترجمة: سيف الدين القصير (ط ٢)، دار
الساقی: بیروت - لبنان بالتعاون مع معهد
الدراسات الإسماعيلية: لبنان ٢٠١٤).
* القندوزي: سليمان بن إبراهيم الحنفي.
ت (١٢٩٤هـ / ١٨٧٧م).

ينابيع المودة لذوي القربى. تح:
علي جمال الحسيني (ط ١)، دار الأسوة
للطباعة والنشر: قم - إيران ١٤١٦هـ /
١٩٩٥م).

* الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب
بن إسحاق. ت (٣٢٩هـ / ٩٥٠م).
الكافي. صححه وعلق عليه: علي أكبر
الغفاري (ط ٥)، دار الكتب الإسلامية:
طهران - إيران ١٣٦٣هـ / ١٩٤٣م).
* ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد
القزويني. ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م).

سنن ابن ماجه. تحقيق وترتيب وتعليق:
محمد فؤاد عبد الباقي (ط ١)، دار الفكر:
بيروت - لبنان ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م).

* المتقي الهندي: علاء الدين علي بن
حسام الدين الهندي البرهان فوري.
ت (٩٧٥هـ / ١٥٦٧م).

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال.
ضبطه وفسر غريبه وصححه ووضع
فهارسه ومفتاحه: بكري حياني و
صفوة السقا (ط ١)، مؤسسة الرسالة:
بيروت - لبنان ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).
* المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين
بن علي. ت (٣٤٦هـ / ٩٥٧م).

اثبات الوصية لعلي بن أبي طالب (ط ١)،
مؤسسة أنصاريان: قم - إيران
١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م).

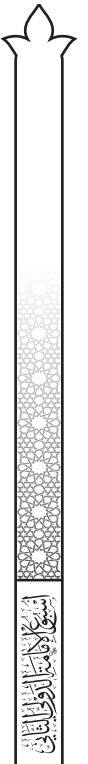
* المقرئزي: تقي الدين أحمد بن
علي بن عبد القادر بن محمد.
ت (٨٤٥هـ / ١٤٤١م).

اتعاظ الخفاء بأخبار الأئمة
الفاطميين الخلفاء. تح: جمال الدين
الشيال (ط ٢)، المجلس الأعلى للشئون
الإسلامية: لجنة إحياء التراث الإسلامي:
القاهرة - مصر ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).
* المفيد: محمد بن محمد بن
النعمان العكبري البغدادي.
ت (٤١٣هـ / ١٠٢٢م).

الارشاد في معرفة حجج الله على العباد.
تح: مؤسسة آل البيت (ط ٢)، دار المفيد:
بيروت - لبنان ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).

رسائل في الغيبة، تحقيق: علاء آل
جعفر، (ط ٢)، دار المفيد: بيروت - لبنان
١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).

الفصول المختارة، تحقيق: علي مير
شريفی (ط ٢)، دار المفيد: بيروت - لبنان
١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).



الموسسة
العلمية
لدراسات
الدين
والتاريخ

* النجاشي: أبو العباس أحمد بن علي بن
أحمد بن العباس. ت (٤٥٠هـ / ١٠٥٨م).
فهرست أسماء مصنفی الشيعة.
المعروف برجال النجاشي. تح: موسى
الشبري الزنجاني (ط ٥)، مؤسسة النشر
الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين: قم-
إيران ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م).
* النعماني: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم
بن جعفر الكاتب (ت ٣٦٠هـ).
الغيبة. تحقيق: فارس حسون (ط ١)،
مؤسسة مدين: إيران

١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م).
* النوبختي: أبو محمد الحسن بن
موسى. ت (٣١٠هـ / ٩٢٣م).
فرق الشيعة. تصحيح: ه. ريتز (ط ١)،
طبع لمصلحة جمعية المستشرقين الألمانية:
مطبعة الدولة: استانبول ١٩٣١م).
* الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر.
ت (٨٠٧هـ / ١٤٠٤م).
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (ط ١)، دار
الكتب العلمية: بيروت-
لبنان ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).

منهج النصح في حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام

د. سعد مهدي جابر أبورغيف

جامعة واسط - كلية التربية للعلوم الصرفة

د. مروة ياسر محسن

مدبيرة تربية واسط

الملخص:

لا يخفى أن دور الإمامة هو امتداد لدور النبوة وتتميم لهدفها وغايتها، فالممارسات التي يضطلع بها النبي، لتبليغ رسالته والتكاليف التي تناط به لهداية البشرية وتوجيهها نحو الاستقامة هي بعينها التي يسير عليها الإمام عليه السلام وتكون حاضرة في فعالياته المجتمعية امتداداً للدور الرسالي. وقد كانت فعالية (النصح) من أهم الممارسات التي يقوم بها أنبياء الله ﷺ، (إني لكم ناصح أمين)، لذلك وبعد التتبع لهذه المفردة في حياة إمامنا الكاظم عليه السلام وجدناها حاضرة في تعامله عليه السلام مع أبناء الأمة جميعاً سواء كانوا من الأقربين أو غيرهم، وسواء كان الأمر في حال التضييق أو في حال الانفراج. وعليه فقد ناقشنا في بحثنا هذا الموضوع في عدة محاور أهمها (معنى النصح لغة واصطلاحاً، النصيحة شأنها ودورها، النصح في القرآن الكريم، الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ناصح أمين).

الكلمات المفتاحية:- النصيحة، النبوة، الإمامة، الإمام الكاظم عليه السلام والقرآن الكريم.





Abstract:

It is the Imamate which has the crucial role as an extension of that of prophecy and a complement of its goal and purpose. The practices that the Prophet undertakes to convey his message and the duties that are entrusted to him to guide humanity and direct it towards righteousness, in their entirety, are all taken for granted by the Imam and are present in his societal activities in order to complete the role of the Prophet and make the mission of Imamate a success. The term “advice” is one of the most important and basic practices carried out by the prophets of Allah, peace be upon them (I am a trustworthy advisor to you). After tracing this word in the life of our Imam Al-Kadhim, peace be upon him, it seems to have been present in his daily treatments with the people of the nation, whether close or strange, and whether it was in stress or at ease.

In the light of what has been said above, the term has been discussed from two perspectives, linguistically (the meaning of advice) and idiomatically (the role and importance of advice, advice in the Holy Qur’an, eloquent advice, Imam Musa bin Ja’afar, peace be upon him, as a trustworthy advisor).).

Keywords: advice, prophecy, Imamate. Imam, Imam Al-Kadhim, Holy Qur’an

المقدمة:

من الطبيعي أن يتصف الإمام الكاظم عليه السلام بصفات الانبياء وتُسدل عليه حلل الأوصياء، فهو من أهل بيت النبوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وقد قال معاصروه ومن قرؤوا سيرته العطرة من العلماء والمؤرخين، عن شخصيته الكثير من الخصال والصفات التي ارتقت الى غاية الكمال بما حملت من مثل عليا وقيم سامية، حتى غدت جملة من فضائل ألقاباً له، وأعلام دلائل عليه. يقول ابن الجوزي في صفة الصفوة: (موسى بن جعفر رضي الله عنهما، كان يدعى العبد الصالح وكان حليماً كريماً، إذا بلغه عن رجل أنه يؤذيه بعث اليه بهال)^(١). لقد كان الإمام عليه السلام يشفق على الناس ويسعى بالقول والفعل والمال والجاه لأجل هدايتهم واستنقاذهم من وحل الخطيئة وتلاطم أمواج الفتن. ورغم الحرب الباردة التي لا هوادة فيها ضد حكم بني العباس، فقد كان الإمام عليه السلام يحاول أن يبقى حاضراً في ساحة النزال بجماهيره وشيعته من خلال التواصل معهم بالنصح والتوجيه، وقد حاولنا في هذه الأوراق البحثية بيان التوظيف الإمامي (للنصيحة) في خوض الحرب كسب المنازلة، وكان العرض في مبحثين، تناولنا في المبحث الأول المعنى اللغوي والاصطلاحي للنصيحة والمفردات القريبة لها في المعنى، كما تعرضنا للنصح القرآني بشيء من الإيجاز، أما في المبحث الثاني فقد استطلعنا جانب النصح في حياة الإمام عليه السلام وأعطينا أمثلة لما ذكر.

المبحث الأول:

المعنى اللغوي والاصطلاحي للنصيحة:

النصيحة: اسم من نصحه، ونصح له، نصحا ونصاحة، يقال: نصح الشيء بمعنى خلص، والناصح هو الخالص من العسل وغيره، وكل شيء خلص فقد نصح، فأصل النصح في اللغة هو الخلوص، والنصح نقيض الغش^(٢). وقد يراد بالنصيحة، الالتئام والرفاء من نصح الثوب نصحاً أي: خاطه، لأن الناصح يرفأ ويصلح حال المنصوح له كما يفعل الخياط بالثوب المخروق. أما المعنى الاصطلاحي فهي الإشارة على الغير في عمل أو قول بما تحب لنفسك. قال الجرجاني: النصيحة هي الدعاء الى ما فيه الصلاح، والنهي عما فيه الفساد.

ويستفاد من المعنيين اللغوي والاصطلاحي أن النصيحة قد تكون كالوصية متضمنة حالة اللزوم - ويعبر عنها بالوصية التمليلية - تارة وحالة التعدي - ويعبر عنها بالوصية العهدية - تارة أخرى، فالأول كقولهم (أوصى محمد لعلي بـ) كذلك نقول نصح محمد لربه أو لأئمه ونقصد به أن الناصح أدى حق الآخر - سواء حق الطاعة أو العبادة أو الأخوة أو حق الحفاظ والرعاية أو حق الاستشارة أو غير ذلك من الحقوق - بكل خلوص وكمال. أما الثاني فقولهم: نصح زيد بكراً، أي أشار عليه بما ينبغي أو لا ينبغي من قول أو فعل، وهذا المعنى أخص من المعنى الأول ويحكي كلا هذين المعنيين على الترتيب قول الإمام الصادق (عليه السلام): (إن علياً كان عبداً ناصحاً لله عز وجل - أي مخلصاً له في حق طاعته - فنصحه - أي أوقفه الله تعالى على الصالح له) -^(٣).

والفرق بين النصيحة والوصية أن المعنى الثاني الذي ذكرناه آنفاً للوصية يقارب معنى النصيحة الى حد ما، إلا أن الفارق بينهما هو أن النصيحة

يلحظ فيها مصلحة المنصوح دائماً أما الوصية فقد يراد من خلالها مصلحة للموصي أو للموصي ، ولا تتعيّن مصلحة الموصى إلا بقرينة حالية أو مقالية، لذلك كل نصيحة هي وصية وليس العكس صحيحاً، نعم تصبح الوصية نصيحة إذا كان هناك ما يدل على وجود مصلحة للموصي، كقوله تعالى:

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ العنكبوت (٨) ، أي نصحنّا الإنسان بالاهتمام بوالديه والقرينة هنا هي استغناء الله عن خلقه ومنافعهم، كذلك قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ مريم (٣١) .

أما الفرق بين الموعدة والنصيحة هو كون النصيحة أعم من الموعدة، فالموعدة هي نصيحة لكن تختص بشأن الدين والآخرة خاصة، أما النصيحة فتعم شؤون الدين والدنيا والآخرة، لذا يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (كفى بالموت واعظاً) (٣).

كما أن النصيحة تنسب للحي المدرك خصوصاً، أما الموعظة فقد تنسب لغير الحي من الأمور كالمرض والشيب والموت والمصائب الأخرى التي تعترى الإنسان، وقد يضاف فرق ثالث وهو أن الموعظة دائماً ما تقرن بالتذكير أما النصح فلا يقرن معه ذلك دوماً.

النصيحة شأنها ودورها

ونناقش ذلك في عدة أمور:

الأمر الأول: تُعدّ النصيحة من أهم الحقوق التي فرضها الله تعالى على عباده فيما بينهم، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (من واجب حقوق الله على عباده النصيحة بمبلغ جهدهم، والتعاون على إقامة الحق بينهم)^(٤). وعن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة له في المشهد والمغيب. ومن لم يصبح ويمس ناصحاً لله ولرسوله ولإمامه ولعامّة المسلمين فليس منهم)^(٥).

بل إن النصيحة لله ولعباده هو أحب ما يتعبد الله به وأطيب ما يتقرب له، ففي الحديث القدسي: (أحب ما تعبد لي به عبدي، النصيحة لي) (٦). ويقول الإمام الصادق (عليه السلام): (عليكم بالنصيحة لله في خلقه، فلن تلقاه بعمل أفضل منه) (٧).

الأمر الثاني: بالنصيحة تصحح الأخطاء ويقوم العوج، فما دامت الدنيا هي دار الصراع بين الإرادات المختلفة، ودار تسويل الشيطان، فالخطأ حاصل لا محالة، والزيغ متوقع بلا شك، لكن من خلال النصيحة والتناصح تقل الآثار وتخف الأوزار، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (طوبى لمن أطاع ناصحاً يهديه، وتجنب غاوياً يريده) (٨). كما أن النصيحة هي رزق من الله، يمنحه من يشاء ويهيء له الأسباب كيف يشاء.

الأمر الثالث: شياع التناصح بين أفراد المجتمع يعزز حالة الود والتقارب الروحي والعاطفي، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (النصيحة يثمر المحبة) (٩). ويقول أيضاً: (النصيحة ثمر الود)، كما يقول (عليه السلام): (منصاحك مشفق عليك، محسن إليك، ناظر في عواقبك، مستدرك فوارطك، ففي طاعته رشادك، وفي مخالفته فسادك) (١٠).

الأمر الرابع: تعدد النصيحة مؤشراً على جملة من الخصال الحميدة لدى الفرد، منها التعبد حقيقة لله والحب لأولياء الله والتخلق بأخلاق الله تعالى وعظم المنزلة عند الله، فعن رسول الله ﷺ أنه قال: (إن أعظم الناس منزلة عند الله يوم القيامة أمشاهم في أرضه بالنصيحة لخلقه) (١١).

الأمر الخامس: لقد أورد الإمام زين العابدين (عليه السلام) في رسالة للحقوق، حقوقاً للناصح والمستنصح، حيث يقول: (حق المستنصح أن تؤدّي إليه النصيحة، وليكن مذهبك الرحمة له والرفق به، وحق الناصح أن تلين له جناحك وتصغي إليه بسمعك، فإن أتى الصواب حمدت الله عز وجل، وإن

لم يوافق رحمته، ولم تتهمه وعلمت أنه أخطأ، ولم تؤاخذه بذلك إلا أن يكون مستحقاً للتهمة فلا تعباً بشيء من أمره. وعليه فينبغي للمستنصح أن يقبل النصيحة و يلتزم بها ولا يردّها على ناصحه حتى لو كانت مخالفة لهواه، يقول الإمام الباقر (عليه السلام): اتّبع من يبيّك وهو لك ناصح، ولا تتبع من يضحكك وهو لك غاشّ (١٢).

النصح في القرآن الكريم

يعد القرآن الكريم أعظم ناصح للبشرية، كيف لا وهو كلام الله عزّ وجلّ الذي أنزله لهداية الناس وتجنّبهم مهاوي الشرور في الدارين، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغشّ ... واستنصحوه على أنفسكم، واتّهموا عليه آرائكم، واستغشوا فيه أهواءكم) (١٣). يقول الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي (رحمته الله): إن قضية الفضيل بن عيّاض (قاطع الطريق) معروفة، ففي إحدى الليالي وأثناء استعداده للسرقة وحين تسلّق جدار أحد بيوت الناس سمع صاحب البيت يقرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ الحديد (١٦)، لقد أحدثت هذه الآية هزة عميقة في قلب فضيل وأوجدت فيه انقلاباً كاملاً، فتاب من توّه وهو يقول: (أجل، لقد حان الوقت).

لقد بدلت (فضيل) هذه الآية القرآنية إلى الدرجة التي أصبح معها من الأولياء حقاً، لذا نقول: ألم يحن الوقت لمفاهيم ومعاني الألفاظ وأذكار الصلاة بألستنا أن تعبر من أذهاننا وتدخل قلوبنا؟ ألم يحن الوقت لأن يزداد حضور القلب لدينا في الصلاة، ولا نتساهل به إلى هذا الحد؟ أملنا أن تشمل التوفيقات الإلهية أحوالنا على هذا الطّريق (١٤).

إن النصيحة التي حرص المشرّع على تقديمها كما حرص على الالتزام بالأخذ بها قد تفضي إلى حفظ الأرواح والأعراض والمصالح وفي هذا المجال يعطي القرآن الكريم أمثلة واضحة لجملة من المواقف اتضح فيها

دور النصح وثماره، فذلك الرجل الناصح من بني إسرائيل والذي ببركة نصيحته نجى موسى النبي ﷺ من القتل ، يقول تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمُلَأْ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ القصص (٢٠)

كما أن نبي الله موسى ﷺ حفظ صغيراً من خلال نصيحة أخته لآل فرعون حيث يقول تعالى: ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ القصص (١٢). وبعض ما يصرح به كتاب الله أن مهمة الأنبياء والرسل ﷺ الأساسية هي النصح للناس في تبليغ رسالات الله تعالى كما جاء في الذكر الحكيم مخبراً عن نوح ﷺ في حديثه مع قومه: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ الأعراف (٦٢).

وكذلك في تحذير شعيب ﷺ لقومه قبل هلاكهم حيث يقول تعالى: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ الأعراف (٦٨)

وقال تعالى حاكياً عن نبيه صالح ﷺ بعد أن أنذر قومه وأعذر في التبليغ: ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾ الأعراف (٧٩)

ووردت إشارة في كتاب الله العزيز وتحذير من بعض مدّعي النصح وهم ليسوا أهلاً لذلك، بل هو مجرد ادّعاء وطريقة لإيقاع المقابل في ما لا تحمد عقباه، كما حصل في إغواء إبليس لآدم ﷺ وزوجته وأكلهما من الشجرة، حيث أقسم لهما أنه من الناصحين، يقول تعالى: ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ الأعراف (٢١). وكذلك الحال في قصة إخوة يوسف الذين ادّعوا النصح لأخيهم وقد أضمرُوا الشر له في صدورهم، يقول تعالى: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴾ يوسف (١١).

المبحث الثاني:

الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ناصح أمين

ربما يسأل سائل لماذا النصح كان منهجاً قائماً وخلقاً دائماً في سيرة أئمة الهدى عليهم السلام والجواب هو اقتضاء مقام الإمامة لذلك، فمن الحقوق اللازمة للأئمة على وليّها أن ينصح لها، كما أن له أيضاً حقاً عليها، يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (أيها الناس إن لي عليكم حقاً ولكم علي حق، فأما حقكم فالنصيحة لكم، وأما حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة، والنصيحة في المشهد والمغيب)^(١٥). وفي كلمة أخرى له عليه السلام يقول فيها: (ليس على الإمام إلا ما حمل من أمر ربه: الإبلاغ في الموعدة والإجتهاد في النصيحة)^(١٦). ويظهر من هذه الكلمة للإمام أن النصيحة هي من أمر الله التشريعي لأوليائه، إنتدبهم لها وأمرهم بالاجتهاد فيها.

كما يمكن أن نجيب بجواب آخر وهو: أن العترة هم عدل القرآن، والقرآن هو الناصح الذي لا يغش كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام، كذلك هم عليهم السلام الناصحون الذين لا يغشون الأمة ولا يرضون بضلالتها وتيهها.

ومن ملامح منهجية النصح في حياة الأئمة عليهم السلام أنهم لم يكتفوا بدور الناصح بل أمروا به وبينوا آثاره وبركاته والشأنية الكبيرة للناصح، يقول أمير المؤمنين عليه السلام في الصالحين من أصحابه: (أنتم الأنصار على الحق، والإخوان في الدين، فأعينوني بمناصرة خلية من الغش)^(١٧).

الآن لنحاول أن نجري قراءة فاحصة لحياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام والتعرف على منهجية النصح من خلال حصر الفئات التي استهدفها نصائحه عليه السلام والتي هي ثلاث - بحسب التبع -: النخب والعامّة وذوي القربى، وتحت كل فئة سوف نستعرض بعض المصاديق التي تعاطى معها الإمام عليه السلام بالنصيحة والتوجيه.

الفئة الأولى: النخب

ومن الأمثلة

الحسن بن عبد الله (شخصية اجتماعية)

وهو شخصية مرموقة عند الحكام العباسيين في زمانه مؤثراً في تخفيف القرارات المجحفة التي كانت تصدرها الحكومة تجاه الأفراد، اجتمع به الإمام عليه السلام مرة فقال له: يا أبا علي، ما أحب إلي ما أنت عليه، وأسرنى به، إلا أنه ليست لك معرفة فأطلب المعرفة.

قال وما المعرفة ؟

فقال له عليه السلام: تفقه وأطلب الحديث.

فذهب الرجل فكتب الحديث عن مالك وعن فقهاء أهل المدينة، وعرضه على الإمام عليه السلام فلم يرض ، وأرشده الى فقه أهل البيت عليه السلام وأخذ الأحكام منهم، والاعتراف لهم بالإمامة ، فانصاع الرجل لذلك واهتدى^(١٨). إن الغرض من توجيه الإمام عليه السلام للحسن بن عبد الله هو الحرص على الانتماء الفكري والمعرفي لمدرسة أهل البيت عليه السلام والتي هي المدرسة الأحق بالإتباع مقابل المدارس الأخرى التي روج لها وعاز السلاطين، وقد نجح الامام عليه السلام في إعداد طبقة مثقفة وشريعة واعية، متفقهة وراوية للحديث حتى عدّهم المؤرخون (٣١٩) متلقياً للمعرفة عن الإمام عليه السلام ، أخذوا بعد ذلك مسؤولية الثقيف للناس.

علي بن طاهر الصوري (مسؤول في الحكومة)

وهو حاكم بلاد الري وقد كتب له الإمام سلام الله عليه يوماً كتاباً يحثه وينصحه بضرورة الإحسان الى أهل بلده ، وقد أخذ الكتاب أحد أهالي الري ممن كانت له حاجة عند الحاكم، وبعد أدائه لفريضة الحج اتجه الى بلده، فلما وصل مضى الى الحاكم ليلاً فطرق عليه باب بيته، فخرج غلامه فقال له: من

ليونس بن عبد الرحمن: (يا يونس لا تكونن مبتدعا، من نظر برأيه هلك، ومن ترك أهل بيت نبيه ضلّ، ومن ترك كتاب الله وقول نبيه كفر) (٢١).
إن من أخطر ما تبلى به الأمة عندما يكون ابتلاؤها في تزييف دينها وتشريعاتها، لذلك على أئمة الحق أن ينصحوا ويحذروا من أدوات هذا التزييف ويفضحوها، وإلا فالنتيجة ضياع الدين ومعالمه كما حصل مع الأديان السابقة والتيه الذي عاشته أممها.

هارون العباسي (رئيس الحكومة)

رغم أن هارون هو رأس الهرم في حكومة بني العباس، لكن ذلك لم يمنع الإمام عليه السلام من أن ينصحه ويحذره من خطر ما يمارسه من باطل وظلم، حيث كتب له الإمام عليه السلام رسالة جاء فيها: (إنه لن ينقضي عني يوم من البلاء إلا انقضى عنك معه يوم من الرخاء، حتى نقضي جميعاً إلى يوم ليس له إنقضاء يخسر فيه المبطلون) (٢٢).

وفي موقف آخر، سأل هارون الإمام عليه السلام قائلاً: ما هذه الدار؟ فأجابه الإمام عليه السلام: هذه دار الفاسقين، قال الله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾. الأعراف (١٨٦). ثم بعد ذلك سأله: فنحن كفار؟ فأجابه الإمام عليه السلام: لا، ولكن كما قال الله: الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ. إبراهيم (٢٨).

إن هذا التعاطي مع أئمة الجور هو منهج يرسمه لنا القرآن الكريم كما في قصة نبي الله موسى عليه وعلى نبينا أفضل التحية والسلام عندما يخاطبه الله تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَن تَزْكَىٰ * وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ * فَأَرَاهُ الْكُتُبَىٰ﴾ النازعات (١٧-١٨-١٩-٢٠)

فعليك النصيحة والتذكير، وإن لم ينفع فاللجوء الى المعجزة، هذه هي خطوات التعامل مع أولئك المتجبرين ونحن سمعنا بقصة الساحر الهندي الذي أراد هارون أن يتحدى الإمام الكاظم عليه السلام من خلاله ، ولكن الإمام عليه السلام أظهر معجزته عندما حول الصورة التي كانت على الحائط الى أسد حقيقي التهم ذلك الساحر، وقد طلب منه أن يرجعه ولكن لو أرجعت عصا موسى حبال السحرة لأرجعه الإمام عليه السلام.

الفئة الثانية: ذوي القربى

لقد حرص الإمام عليه السلام على تماسك الأسرة العلوية، عمومته وأخوته، فقد كانت حالة الحسد حاضرة في مواقف البعض منهم ولقد تنبأ والده الإمام الصادق عليه السلام بهذه الحالة التي سيتعرض لها الامام موسى عليه السلام مستقبلاً، حيث روى يزيد بن أسباط: أنه دخل على أبي عبد الله في مرضته التي مات فيها، قال عليه السلام: (يا يزيد أترى هذا الصبي فاشهد يا يزيد بأني أخبرتك بأن يوسف كان ذنبه عند إخوته حتى طرحوه في الحب، الحسد له، حين أخبرهم أنه رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر وهم له ساجدون، وكذا لا بد لهذا الغلام من أن يحسد، ثم دعا موسى وعبد الله وإسحق) (٢٣) كما أن هناك منهم من صدرت منه مواقف لم تناسب وضع الامام عليه السلام وآلياته في التعامل مع السلطة، لكن رغم ذلك سعى الامام عليه السلام الى احتوائهم من خلال النصح لهم والاشفاق عليهم.

من الأمثلة:

الحسين بن علي بن الحسن المثلث (صاحب فخ):

هو من كبار الشخصيات من أبناء عمومة الامام عليه السلام ، وقد كان شديد النقمة على حكم بني العباس ، وبعد أن عزم أمره على الثورة على طاغية زمانه موسى الهادي والذي رغم قصر حكمه إلا أنه كان شديد التنكيل بالعلويين ،

حيث قطع أرزاقهم ومنع عطاياهم وكتب الى جميع الآفاق في طلبهم وحملهم الى بغداد، فلما رأى منه الامام عليه السلام هذا الإصرار، قال له: (إنك مقتول فأجد الضراب، فإن القوم فساق يُظهرون إيماناً ويضمرون نفاقاً وشركا، إنا لله وإنا اليه راجعون وعند الله أحسبكم من عصابة)^(٢٤). لقد كان الامام عليه السلام متوقفاً لتتأجج الثورة، ومستعظماً لما سيتهك من حرمت العلويين حتى عُدَّت واقعة فخ هي الأعظم من بين الوقائع بالنسبة للعلويين بعد الطف، وقد أبَّن الامام عليه السلام صاحب فخ بقوله: (إنا لله وإنا اليه راجعون، مضى والله مسلماً صالحاً قواماً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ما كان في أهل بيته مثله)^(٢٥).

إن الإمام عليه السلام كان في ظرف تقية مشددة، ويعلم جيداً أنه تحت أنظار حكومة العباسيين، وأن أي موقف مناهض لهم يعني (الذبح) بتعبير الإمام عليه السلام، لكن مع ذلك لم يُدر الإمام عليه السلام ظهره لابن عمه أو يخذعه بالتأييد له ثم يتخاذل عنه، فقد صارحه ونصحه بعدم الثقة بأماتهم فيما لو عرض عليه فيما بعد، وفعلاً بعد أن التقى الجيشان عرض عليه العباس بن محمد الأمان والعفو والصلة فأبى ذلك أشد الإباء ومضى الى ربه شهيداً مظلوماً.

محمد بن إسماعيل بن جعفر (ابن أخيه عليه السلام)

وهو ابن أخ الامام عليه السلام الأكبر، ومُن وشى به عند هارون، حيث تحرك يحيى بن خالد البرمكي لإقناعه للإيقاع بالإمام عليه السلام، فاستجاب له، وقد علم الإمام عليه السلام بنيتة لكن ذلك لم يدفعه لاتخاذ إجراء قاسٍ ضده، بل غاية ما قال له الامام عليه السلام عندما دخل عليه: (أوصيك أن تتقي الله في دمي، وأعادها عليه مرتين، ثم ناوله أبو الحسن صرة فيها مائة وخمسون دينار فقبضها محمد، ثم ناوله أخرى فيها مائة وخمسون دينار فقبضها، ثم أمر له بألف وخمسمائة درهم كانت عنده، لكنه خرج الى

العراق ، فلما ورد حضرة هارون وشى بالإمام عليه السلام ، فأمر له بائة الف درهم ، فلما قبضها وحمل الى منزله ، أخذته الذبحة في جوف ليلته فمات ، وحول من الغد المال الذي حمل اليه (٢٦).

إن إظهار النصح لدى الإمام عليه السلام تجاه الآخرين لا يتوقف على العلم سلفاً بالالتزام به ، بل حتى لو علم العكس يبقى في نظره ضرورة نصح الآخر وتحذيره من نتائج ما سيقوم به ، فالامام عليه السلام كان يعلم يقيناً أن محمد بن إسماعيل سيمضي فيما قصده من الوشاء به أمام هارون رغم نصحه ، مع ذلك لم يبخل عليه بالنصيحة وأغدق عليه بالعطاء.



الفئة الثالثة (عامّة الناس)

زياد بن أبي سلمة

قال زياد بن أبي سلمة: دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام فقال لي: يا زياد، إنك لتعمل عمل السلطان؟ قال: قلت أجل، قال لي: ولم؟ قلت: أنا رجل لي مروة وعليّ عيال وليس وراء ظهره شيء.

فقال لي: يا زياد لأن أسقط من على حالق (المكان الشاهق) فأقطع قطعة قطعة، أحب إلي من أن أتولى لأحد منهم عملاً أو أطأ بساط رجل منهم، إلا لماذا؟

قلت: لا أدري جعلت فداك، قال: إلا لتفريج كربة عن مؤمن أو فك أسره أو قضاء دينه.

يا زياد! إن أهون ما يصنع الله بمن تولى لهم عملاً أن يضرب عليه سرادقاً من نارٍ إلى أن يفرق من حساب الخلائق.

يا زياد! فإن، وليت شيئاً من أعمالهم، فأحسن إلى إخوانك فواحدةً بواحدةٍ والله من وراء ذلك.

يا زياد! أيما رجل منكم تولى لأحد منهم عملاً، ثم ساوى بينكم وبينهم، فقولوا له: أنت متحل كذاب.

يا زياد! إذا ذكرت مقدرتك على الناس فاذكر مقدرة الله عليك غداً ونفاذ ما أتيت إليهم عنهم، وبقاء ما أتيت إليهم عليك ^(٢٧).

كان الهدف من نصيحة الإمام لزياد هو رسالة أراد أن يبعثها إلى سائر من يتعاطى إيجاباً مع السلطة الظالمة، مفادها أن عمل السلطان تقويةً لكرسي الظالم وهدمٌ لدين الفرد العامل. رغم خطورة مثل هذه الرسائل التي تكررت من الإمام عليه السلام على حياته الشريفة، لكنّ الأمام عليه السلام كان يعتبرها من وسائل المواجهة وطرق الإطاحة بعروش طغمة بني العباس.

بشر بن الحارث المروزي

وهو من ساكني بغداد، وكانت داره من الدور التي يسمع فيها الملاهي وأصوات الغناء والطرب، وقد صادف يوماً أن مر الإمام عليه السلام من أمام تلك الدار وقد خرجت منها جارية ويدها قبامة فرمت القبامة، ثم التفت إليها الإمام عليه السلام قائلاً: (يا جارية: صاحب هذه حر أم عبد؟ فأجابت: (حرٌّ) فقال عليه السلام: صدقت، لو كان عبداً لخاف من مولاه^(٢٨).

وبعد أن دخلت الدار قال لها بشر: ما أبطأك؟ فحدثته بما دار بينها وبين الإمام عليه السلام، فخرج بشرٌ مسرعاً حتى لحق الإمام عليه السلام فتاب على يده، واعتذر منه وبكى، وكانت هذه نقطة تحول بشر من فاسقٍ وعاصٍ إلى عبدٍ وعارفٍ بالله تعالى، حتى فاق أهل زمانه ورعاً وتقوى، وقد قال في حقه إبراهيم الحربي: (ما أخرجت بغداد أتم عقلاً، ولا أحفظ لساناً من بشر الحارث، كان في كل شعرة منه عقلٌ)^(٢٩). هذا الاستقامة لبشر ما كانت تحصل لولا إرادة الله ونصيحة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

بعض الشيعة

لقد كان من نصائح الإمام لشيعته ومحبيه ألا يستفزهم أعدائهم من خلال الإساءة إلى شخصه الكريم وأن يصبروا ويعالجوا الناس بالهداية والنصح، فهؤلاء بين حاقد مضلل وحاسد للنعمة وقد قال عليه السلام في مثلهم: اصبر على أعداء النعم، فإنك لن تكافي من عصى الله فيك بأفضل من أن تطيع الله فيه^(٣٠). وفي هذا الجانب ننقل حادثتين، الأولى حادثة الأخرس حيث روي عن أحمد بن عمر الحلال، قال: سمعت الأخرس يذكر موسى بن جعفر عليه السلام بسوءٍ، فاشتريت سكيناً وقلت في نفسي والله لا تقتلنه إذا خرج للمسجد، فأقمت على ذلك وجلست فما شعرت إلا برقعة أبي الحسن قد طلعت، فيها: بحقي عليك لما كفت عن الأخرس

فإن الله يغنى وهو حسبي فما بقي أيام إلا ومات^(٣١). أما الحادثة الثانية فقد روي أن جلاً يدعى العمري كان في المدينة يؤذي أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام ويسبه إذا رآه، ويشتم أمير المؤمنين عليه السلام فقال له بعض حاشيته: دعنا نقتل هذا الفاجر، فنهاهم أشدَّ النهي وزجرهم، وسأل عن العمري فذكروا أنه يزرع بناحية من نواحي المدينة، فركب إليه فوجده في مزرعة له، فتوطأه عليه السلام بالحمار، حتى وصل إليه، ونزل وجلس عنده، وباسطه وضاحكه، وقال له: كم غرمت على زرعك هذا؟ قال: مائة دينار، قال: فكم ترجو أن تصيب؟ قال: لست أعلم الغيب، قال له: إنما قلت كم ترجو أن يبيئك فيه؟ قال: أرجو أن يجيء مائتا دينار، قال: فأخرج له أبو الحسن عليه السلام صرة فيها ثلاثمائة دينار، وقال هذا زرعك على حاله، والله يرزقك فيه ما ترجو قال: فقام العمري فقبل رأسه وسأله أن يصفح عن فارطه، فتبسَّم إليه أبو الحسن عليه السلام وانصرف، قال: وراح إلى المسجد فوجد العمري جالساً، فلما نظر إليه قال: الله أعلم حيث يجعل رسالته قال: فوثب أصحابه إليه فقالوا له: ما قضيتك؟ قد كنت تقول غير هذا قال: فقال لهم: قد سمعتم ما قلت الآن وجعل يدعوا لأبي الحسن عليه السلام فخاصموه وخاصمهم، فلما رجع أبو الحسن عليه السلام إلى داره قال لجلسائه الذين سألوه في قتل العمري: أيما كان خيراً ما أردتم؟ أم ما أردت؟ إنني أصلحت أمره بالمقدار الذي عرفتكم، وكفيت به شره^(٣٢).

الخاتمة

لقد كانت لنا رحلة في هذا البحث للوقوف على منهج النصح في حياة إمامنا الكاظم عليه السلام وتلخص لنا ممّا تقدم أنّ ملامح هذا المنهج يمكن إيجازها في النقاط التالية:

استشعار الامام عليه السلام لأهمية النصح وأنه أحبّ ما يتعبّد الله به، فقد كان حاضراً في خلقه المبارك علماً وعملاً، سواء كان نصحاً لله وهو الأوّل والأصل، أو كان للخلق وهو الثاني وبالتبع.

أن الجميع في نظر الإمام عليه السلام هم من يفترض لهم النصح، لا فرق في ذلك بين قريب أو بعيد وبين دني أو شريف، كما لا ينبغي للإنسان أن يغادر النصيحة في أي حالٍ من الأحوال، في الضيق أو الفرج، وفي الرخاء أو الشدة. لقد استقامت أحوال كثيرٍ من الخلق على يد الامام عليه السلام ببركة نصحه وتوجيهه، كما أُلقيت الحجة على من امتنع عن الأخذ بها.

وفي ختام الخاتمة نتوسل في قضاء حوائجنا الى الله تعالى بباب الحوائج وهو القلب الذي اشتهر وذاع للإمام موسى بن جعفر عليه السلام حيث لم يقصده مكروب أو حزين إلا فرج الله همّه وأزاح غمّه ونفّس كربته، وما استجار بضريحه مسلماً إلا قضى الله حوائجه، ورجع الى أهله مثلوج القلب مستريح البال ممّا نزل به من نوائب الزمان و طوارق الحدثان، وقد وثق بذلك جمهور شيعته ومحبيه بل عموم المسلمين على اختلاف ميولهم ومذاهبهم، فهذا شيخ الخنابلة وزعيمهم الروحي أبو علي الخلال يقول: ما أهمني أمرٌ فقصدت قبر موسى بن جعفر إلا سهّل الله تعالى لي ما أحبُّ .
ويقول الامام الشافعي: قبر موسى الكاظم الترياق المجرب ^(٣٣).

فنسأل من الله تعالى ألا يحرمنا زيارة قبره الشريف في الدنيا ولا يمنعنا من نيل شفاعته في الآخرة إنه نعم المجيب، والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

- ١- مختصر صفوة الصفوة: عبد الوهاب الأنصاري ص ١٧٨ .
- ٢- لسان العرب: ابن منظور ٢/ ٦١٥ .
- ٣- الكافي: الشيخ الكليني ٨ / ١٤٦ / ١٢٣ .
- ٤- نهج البلاغة: الخطبة ٣٤، ١٠٥، ٢١٦، ١١٨ .
- ٥- الكافي: الشيخ الكليني ٢ / ٢٠٨ / ٢ .
- ٦- الترغيب والترهيب: المنذري ٢ / ٥٧٧ / ١٦ و ح ١٧ .
- ٧- الكافي: الشيخ الكليني ٢ / ٢٠٨ / ٦ .
- ٨- عيون الحكم والمواعظ: الليثي الواسطي ص ٣١٣ .
- ٩- غرر الحكم: ٦١٤، ٨٤٤ .
- ١٠- غرر الحكم: ٩٨٣٩ .
- ١١- جامع السعادات: محمد مهدي التراقي ج ٢ / ١٦٤ .
- ١٢- الخصال: ٥٧٠ / ١ .
- ١٣- نهج البلاغة: الخطبة ١٧٦ و ١٤٧ .
- ١٤- العروج إلى اللامتناهي: الشيخ محمد تقي مصباح يزدي ص ٥٦ .
- ١٥- نهج البلاغة: الخطبة ٣٤ .
- ١٦- نهج البلاغة: الخطبة ٣٤، ١٠٥، ٢١٦، ١١٨ .
- ١٧- نهج البلاغة: الخطبة ١١٨ .
- ١٨- مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب: ٤ / ٣١٢ .
- ١٩- بحار الأنوار: المجلسي ٤٨ / ١٧٤ .
- ٢٠- الكافي: الشيخ الكليني ١ / ٥٧ ح ١٦ .
- ٢١- الكافي: الشيخ الكليني ١ / ٥٦-٥٨ .
- ٢٢- بحار الأنوار: المجلسي ٤٨ / ٢٠ .
- ٢٣- بحار الأنوار: المجلسي ٤٨ / ١٤٨ .
- ٢٤- الكافي: الشيخ الكليني ١ / ٣٦٦ .
- ٢٥- بحار الأنوار: المجلسي ٤٨ / ١٥٦ .
- ٢٦- الكافي: الشيخ الكليني ١ / ٨٥ ح ٨ .
- ٢٧- الكافي: الشيخ الكليني ٥ / ١٠٩-١١٠ .
- ٢٨- الكنى والألقاب: ٢ / ١٦٧ .
- ٢٩- تأريخ بغداد: ٧ / ٧٣ .
- ٣٠- بحار الأنوار: المجلسي ٤٨ / ٥٩ .
- ٣١- الكافي: الشيخ الكليني ٢ / ١٠٩ .
- ٣٢- بحار الأنوار: المجلسي ٤٨ / ١٠٢-١٠٣ .
- ٣٣- مطالب السؤول: ٨٣ .



المصادر والمراجع:

- * القرآن الكريم
- * نهج البلاغة
- * الشعراني، عبد الوهاب الانصاري، مختصر صفوة الصفوة، مطبعة النهضة الحديثة- مكة ١٩٦٧م.
- * الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق علي أكبر غفاري، طهران، دار الكتب الإسلامية، الرابعة، ١٣٦٣ ش.
- * المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، تحقيق إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الاولى، ١٤١٧هـ.
- * الواسطي، علي بن محمد الليثي الواسطي، تحقيق الشيخ حسين الحسيني البرجندي، ص ٣١٣.
- * غرر الحكم: ٦١٤، ٨٤٤
- * الشيخ الصدوق، الخصال، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، ١٤٠٣هـ.
- * محمد مهدي النراقي، جامع السعادات تحقيق وتعليق محمد كلانتر.
- * محمد تقي مصباح يزدي، العروج إلى اللامتناهي، لبنان، دار المعارف
- الحكمية، الطبعة الاولى، ٢٠١٧ م.
- * المجلسي، محمد باقر (١٤٠٣) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، بيروت : دار إحياء التراث العربي.
- * ابن شهر آشوب، أبو جعفر محمد بن علي (١٣٧٩) المناقب آل أبي طالب، تصحيح السيد هاشم الرسولي، قم.
- * الخطيب البغدادي، تأريخ بغداد، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الجزء ٢، الطبعة الاولى، سنة الطبع ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- * غرر الحكم و درر الكلم، التميمي الأمدي، عبد الواحد بن محمد.
- * عبدالرحمن بن علي بن محمد (ابن الجوزي). تاريخ الوفاة: ٥٩٧ هـ، صفة الصفوة.
- * محمد بن طلحة الشافعي، الوفاة: ٦٥٢، تحقيق: ماجد ابن أحمد العطية، مطالب السؤل في مناقب آل الرسول ﷺ .
- * عباس القمي، المتوفى ١٣٥٩ هجرية، الكنى والألقاب، ج ٢ ص ١٦٧ .

أساليب الإمام الكاظم عليه السلام في التعامل مع المجتمع والسلطة الحاكمة

الباحث: باقر جميل الماجد
العتبة العباسية المقدسة

المُلخَص

تختلف أساليب كلِّ إمامٍ عن آخر في التعامل مع محيطه الذي يعيش فيه، لاسيما التعامل مع محورين كبيرين، وهما المجتمع والسلطة الحاكمة، ففيهما من الصعوبة التي يواجهها الإمام المعصوم الشيء الكبير، كونه عليه السلام يبذل جهودًا كبيرة في التوازن بين تلك القوى المحيطة به، والوقوف على تفاصيل حكمة الإمام عليه السلام من هذا التصرف أو ذاك، صعبٌ للغاية، فالإمام عليه السلام قد يتعامل بطرق تكون غير مفهومة لدينا، أو لا نعي مدى عمقها، لذا قد يرميها البعض من جهة الشكِّ بتصرّف الإمام عليه السلام، والآخر بالحيرة التي يحتاج إلى توفيق ليخرج منها، وكلّ ذلك بسبب عوامل كانت في زمن الإمام الكاظم عليه السلام تختلف عن أزمنة غيره، سنتطرق لبعضها في سياق الكلام إن شاء الله تعالى.



المقدمة

لقد تغيّرت مواجهة أهل البيت (عليه السلام) مع السلطات الحاكمة بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) بشكل كبير، وتغيّرت معها أساليب الدفاع والهجوم إن صحّ التعبير، سواء على الصعيد الفكريّ، أو العسكريّ، أو النفسيّ، وهذا التغير لم يكن رغبة شخصيّة لإمام دون آخر، إنّما هو عملهم (عليه السلام) الذي يَحْتَمُّ عليهم التعامل مع الواقع الذي يعيشونه، وهذا ما كُلِّفُوا به من قبل الله تعالى، فلا يتّجهوا لجانب المعاجز إلا بمقدار الضرورة.

فكان عصر الإمام الكاظم (عليه السلام) من أشدّ العصور قساوة على أهل البيت (عليه السلام) وشيعتهم، بسبب وصول الدولة العبّاسيّة لذروة قوتها وسيطرتها على بلاد المسلمين في تلك المدّة، والتي صار فيها الانتقال من مرحلة الابتعاد عن المواجهة العلنيّة ضد أهل البيت (عليه السلام) بعد واقعة كربلاء، والاكتفاء باغتيالهم عن طريق دسّ السمّ لهم، كما حصل مع الإمام زين العابدين (عليه السلام)، وكذلك البدء بالتضييق بعد الانفراج الذي حصل في زمن الإمامين الباقر والصادق (عليه السلام) بسبب تغيّر الدولة، فالعصر الذي جاء به الإمام الكاظم (عليه السلام) كان بداية سيطرة قبضة العبّاسيين على الحكم بشكل منقطع النظير، واتساع رقعة دولتهم في أطراف الأرض، أي صار الوقت المناسب لمحاربة أهل البيت (عليه السلام) بشكل علنيّ، لذا صار السجن للإمام علنيّاً، وصار التهجّم عليه بشكل ممنهج، وصار القتل لشيعتهم بدون رحمة، وصار التقرب للسلطان بإعلان العداوة لهم، ولشدّة ما حصل للإمام (عليه السلام) في تلك المدّة، صار تحوّل مغاير بعد استشهاد (عليه السلام) من تقريب للإمام الرضا (عليه السلام) وإجباره قبول ولاية العهد، ليكسر النمط السابق من إعلان العداء للعلويين.

المبحث الأول: تعامل الإمام الكاظم (عليه السلام) مع المجتمع وشيعته:

إنَّ التعامل الذي مارسه الإمام الكاظم (عليه السلام) مع شيعته، شكّل فارقاً كبيراً في جوانب عديدة، مثل الالتزام بالتقيّة المكثّفة، والدخول في اختبارات صعبة وكبيرة من قبل الشيعة، مع الخطر الكبير المهدّد بهم وبالإمام (عليه السلام)، فالإمام الكاظم (عليه السلام) دخل في مواجهة قد لا تتكرر مع غيره من الأئمة (عليهم السلام)، المواجهة كانت في التعامل مع شيعته بشكل عام، ومع تلامذة أبيه الإمام الصادق (عليه السلام) بشكل خاص، فهو بحاجة لإثبات إمامته أمامهم، وحفظهم من القتل لاسيما الفقهاء منهم، والتأكيد على إبطال ما يدّعيه البعض من أنّ الإمامة منقطعة إلى أخيه إسماعيل بن الإمام الكاظم (عليه السلام)، أو غيره.

وتكمن صعوبة مواجهة تلامذة الإمام الصادق (عليه السلام)، -سواء كانوا من شيعته أم لا - وإثبات إمامته لهم في عدّة أسباب منها:

١- كثرة العدد.

٢- الكثير منهم كان بمستوى عالٍ من العلم والفقاهة.

٣- خطورة إظهار إمامته بشكل علني.

هذه الأسباب وغيرها شكّلت لدى الإمام الكاظم (عليه السلام)، حالة خاصة من المواجهة الفكرية والتدبيرية في التعامل معها، فكما نعلم أنّ البذرة العلمية والتدريسية التي انطلق بها أهل البيت (عليهم السلام) بشكل علني، في عهد الإمام الصادق (عليه السلام)، والتي كان الإمام الباقر (عليه السلام) له الدور الأبرز في تهيئة هذا العدد، وقيامه على إشاعة العلم بين الناس رويداً رويداً، عندها وجد الإمام الصادق (عليه السلام) قاعدة جاهزة وكبيرة، كان بداية بنائها منذ وجود جده الإمام زين العابدين (عليه السلام) الذي قضى معه قرابة ثمانية عشر عاماً، فقد شاهد بعينه كيف أنّ الإمام زين العابدين (عليه السلام) يقوم بتدريس العبيد الذين عنده، ويقوم بإعتاقهم في موسم الحج، واستمر على هذه الحالة حتّى

استشهاده عليه السلام، فأعتق المئات منه في مواسم الحج وفي شهر رمضان، بعد إدخالهم في دورات دينية ممنهجة سواء في التفقه، أو في التعامل معهم، حتى وصل لعتق ألف مملوك^(١)، وخير مثال على ذلك ما نقله ابن طائوس بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام: إذا دخل شهر رمضان لم يعاقب أمة ولا عبداً إنما يسجل أخطائهم حتى نهاية شهر رمضان، فيقوم بذكر أخطائهم والعفو عنهم ويعتقهم، حتى كان يعتق في كل سنة في آخر ليلة من رمضان عشرين شخصاً يزيدون أو ينقصون^(٢).

فالكثير من هؤلاء دخلوا في دروس الإمام الباقر عليه السلام ومن ثم دروس الإمام الصادق عليه السلام الذي صار في زمانه انفراج كبير لكثير من شيعتهم، فصار تواجدهم عند الإمام الصادق عليه السلام والدرس عنده سمة بارزة في المدينة المنورة، بل في العالم الإسلامي أجمع، حتى وصل عدد الذين درسوا عنده إلى (٤٠٠٠ طالب)^(٣)، إلى أن أدى التدريس وغيره من الأسباب للتضييق على الإمام واغتياله بالسم، فهؤلاء مجموعة كبيرة أخذت تستطلع الإمام الذي يلي الصادق عليه السلام، فالعدد الذي استقبله الإمام الكاظم عليه السلام كان كبيراً جداً، وبالتأكيد ليس كلهم على إيمان مطلق به ولا بأبيه، فكثير منهم كان يدرس عند الإمام لكنّه لا يعترف بإمامته أمثال أبي حنيفة النعمان وغيره، وبعضهم كان يدرس عنده غير الفقه، كالكيمياء والطب، والفلسفة، والحديث وغيرها، فكانت مواجهة هذا العدد الكبير الذي قد تدخل فيه حتى عيون السلطة الحاكمة، مختلفة بين شخص وآخر، وقد لا يمكن حصرها، لكن العامل الأهم الذي اتخذ الإمام في مشوار حياته هو أسلوب الكتمان، في كل شيء تقريباً.

هذه السريّة كانت منذ بداية إمامته عليه السلام، إذ إنّ العيون تحيط به بصورة عجيبة، وبخطورة بالغة، من خلال وصيّة الإمام الصادق عليه السلام بإمامة

من بعده خمسة أشخاص أحدهم الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، فالإمام منذ اليوم الأول من إمامته كان معرضاً للقتل المباشر، فاستخدم السرية بأعلى درجاتها كان حتى مع الأقربين له، وهنا يكون الإمام عليه السلام أمام أمرين هامين، عليه العمل بهما على وفق هذه السرية:

الأول: حفظ شيعته ونفسه من القتل من قبل السلطات الحاكمة.

والثاني: إلقاء الحجة عليهم من خلال إخبارهم بإمامته، وإثبات ذلك لهم، ولا سيما لفقهاء الإمامية الذين هم زبدة طلبة أبيه الإمام الصادق عليه السلام. ومن هذه التجارب ما حصل لهشام بن سالم الذي كان بصحبة مؤمن الطاق، عندما خرجوا من عند عبد الله بن جعفر وهم ضالّين لا يعرفون إلى أين يتجهون في أخذ معالم دينهم، إلى المرجئة؟، إلى القدرية؟، إلى الزيدية؟، إلى المعتزلة؟، حتى جاءه شخص فتبعه فأوصله إلى بيت الإمام الكاظم عليه السلام، فقال له: أدخل رحمك الله، فدخل فإذا بأبي الحسن موسى بن جعفر، فقال له الإمام ابتداءً: ((إليّ إليّ .. لا إلى المرجئة، ولا إلى الزيدية ... فقال هشام أسألك كما كنت أسأل أباك؟، فأجابه الإمام بشرط عدم الإذاعة، وإلا فهو الذبح ...))، وعندما اقتنع هشام بن سالم، ومؤمن الطاق بأجوبة الإمام الكاظم ووجدوا ما يريدان، قال له هشام: هل أذيع الأمر؟ (ويقصد إمامته وإجابته) قال له: ((من أنست منهم رشداً فألق إليه وخذ عليه بالكتمان، فإن أذاع فهو الذبح))^(٤).

تشير هذه الرواية بوضوح إلى تفقه هشام بن سالم ومن معه بشكل كبير، وأن لا يأخذوا دينهم إلا بالاختبار الدقيق، فالأمر خطير، وعليه دين الناس الذين يثقون بهم، وسار على هذا المنوال كثير من الفقهاء، وهذا ما يكون عليه بما تقدم ذكره، فقد حصل في هذه الرواية اشتراط الإمام عليه السرية التامة؛ لأن النتيجة معلومة لدى الجميع وهي الموت،

وكذلك استخدم الإمام طريقة الهداية لهم، أي يقوم بإرشاد العلماء على وفق مستواهم العلمي الذي هم فيه، فيتّضح لنا كيفيّة اهتمامه بالفقهاء الذين كانوا من طلاب أبيه الصادق عليه السلام.

وعلى سياق ما تقدّم من سرّيّة وخطورة إذاعة الأمر (أمر إمامة الإمام الكاظم عليه السلام)، اتخذ عليه السلام جانباً آخرًا أيضًا وهو الإجابات الشخصيّة، مع إبطال ما يدّعي غيره من الإمامة، فقد سُئل عن أخيه عبد الله أكان إمامًا فقال عليه السلام: ((لم يكن كذلك، ولا اهلاً لذلك، ولا موضع ذاك))^(٥)، وكذلك ما رواه أبو بصير أنّه قال: سألت الإمام الكاظم عليه السلام، بم يُعرف الإمام؟ قال عليه السلام: ((بخصال، أمّا أولها بشيءٍ من أبيه وإشاراته إليه؛ لتكون عليهم الحجة، ويُسأل فيجيب، وإن سُكت عنه ابتداءً، ونجبر بما في غدٍ، ويكلّم الناس بكلّ لسان))، ثم قال: ((يا أبا محمد أعطيك علامة قبل أن تقوم))، فلم يلبث أن دخل عليه رجل من أهل خراسان، فكلّمه الخراسانيّ بالعربيّة، فأجابه الإمام بالفارسيّة، فقال له الخراسانيّ: والله ما منعني أن أكلمك بالفارسيّة إلا أنّه ظننت أنّك لا تحسنها، فقال عليه السلام: ((سبحان الله إذا كنت لا أحسن أن أجيبك فما فضلي عليك))^(٦).

وكذلك إجابته عليه السلام عن ادّعاء إمامة عبد الله أخيه للإمامة فقال لمن سأله: ((إنّ عبد الله لا يريد أن يُعبد الله))^(٧).

هذه النصوص تبين بشكل جليّ أنّ الإمام يعطي دلائل إمامته معزّراً إيّاها بالتطبيقات العمليّة، وتكون هذه الخاصّة أصحابه فقط، والذين يؤمن عليهم من سرّه، وليس لمرة واحدة، إنّما تكررت هذه الحالة أكثر من مرّة. بل إنّ الإمام عليه السلام يقوم باختيار بعض النماذج من غير شيعته لهدايتهم، وإثبات إمامته لهم بشكل عجيب، فقد روي عن الرافعي قال: ((كان لي ابن عمّ يقال له: الحسن بن عبد الله، وكان زاهدًا، وكان من أعبد أهل

زمانه، وكان السلطان يتقيه لجدّه في الدين واجتهاده، وربّما استقبل السلطان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما يُغضبه، فكان يحتمل ذلك له لصلاحه^(٨)، فلم تزل هذه حاله حتّى دخل يومًا المسجد وفيه أبو الحسن موسى (عليه السلام)، فأومأ إليه فأتاه فقال له: يا أبا علي، ما أحبّ إليّ ما أنت فيه وأسرّني به! إلا أنّه ليست لك معرفة، فاطلب المعرفة.

فقال له: جعلت فداك، وما المعرفة؟

قال: اذهب تفقّه واطلب الحديث.

قال: عمّن؟

قال: عن فقهاء المدينة، ثم اعرض عليّ الحديث.

قال: فذهب فكتب، ثم جاء فقرأه عليه فأسقطه كلّهُ، ثم قال: ((اذهب فاعرف)). وكان الرجل معنيًا بدينه قال: فلم يزل يترصدّ أبا الحسن حتّى خرج إلى ضيّعة له، فلقيه في الطريق فقال له: جعلت فداك، إني أحتجّ عليك بين يدي الله عزّ وجلّ، فدلّني على ما تجب عليّ معرفته.

قال: فأخبره أبو الحسن (عليه السلام) بأمر أمير المؤمنين (عليه السلام) وحقّه وما يجب له، وأمر الحسن والحسين، وعليّ بن الحسين، ومحمّد بن عليّ، وجعفر بن محمّد صلوات الله عليهم ثم سكت، فقال له: جعلت فداك، فمن الإمام اليوم؟ قال: إن أخبرتك تقبل؟

قال: نعم.

قال: أنا هو.

قال: فشيء أستدلّ به؟

قال: اذهب إلى تلك الشجرة -وأشار إلى بعض شجر أمّ غيلان- وقل لها: يقول لك موسى بن جعفر: أقبلي.

قال: فأتيتهما فرأيتهما والله تحدد الأرض خدًا حتى وقفت بين يديه، ثم أشار إليها بالرجوع فرجعت. قال: فأقرب به ثم لزم الصمت والعبادة، فكان لا يراه أحد يتكلم بعد ذلك))^(٩).

تتضمن هذه الرواية الجهد الخفي للإمام عليه السلام بإنقاذه العباد في أشخاص محدّدة من خلال إثبات إمامته، واتخاذ السرية والكتمان في إعلانها لعامة الناس، كما في النقطة الأولى؛ لأن النتيجة الحتمية عند الإذاعة تكون الموت^(١٠).

بل قام الإمام الكاظم عليه السلام بتوسعة تدابيرهِ وتحركاته قليلًا، فأحضر جماعة من خلّص أصحابه، وناظر أخيه عبد الله في إثبات الإمامة بشكل عملي لم يكن يتوقعها أحد، يقول المفصّل: ((لما توفي جعفر الصادق عليه السلام، فادّعى الإمامة عبد الله بن جعفر ولده، فأمر موسى عليه السلام بجمع حطب كثير في وسط داره، وأرسل إلى عبد الله يسأله المصير إليه، فلما صار إليه، ومع موسى عليه السلام جماعة من وجوه الإمامية، أمر موسى أن يجعل النار في الحطب حتى صار كلّ جمرًا، ثم قام موسى عليه السلام وجلس بثيابه في وسط النار، وأقبل نحو القوم ساعة، ثم قام ونفض ثوبه، ورجع إلى المجلس.

فقال لأخيه عبد الله: أنت تزعم أنك الإمام بعد أبيك؟ فاجلس في ذلك. قالوا: فرأينا عبد الله قد تغيّر لونه، فقام يجرّ رداءه، حتى خرج من الدار وما يقارب ذلك ويدانيه))^(١١).

وقام الإمام الكاظم عليه السلام أيضًا بتدريب وتربية جماعة من أصحابه وتدرّيسهم، وأعطى جماعة أخرى أدوارًا يقومون بها بشكل منفصل عن الآخر، وضمن مساحة يهتم بها، وأمثلة هؤلاء عديدة، كان الكثير منهم من تلامذة أبيه، فأشار لبعضهم بالأخذ منه، وأنّه على استقامة من دينه، مثلما قال لبعض أصحابه عليه السلام بخصوص (إبراهيم بن أبي البلاد): ((إبراهيم بن أبي البلاد على ما تحبّون))^(١٢).

وبعضهم صار دأبه عتق الرقاب، مع الفضل والتقوى اللذين يملكهما، وأبرزهم كان أحمد بن الإمام الكاظم عليه السلام، حتّى أعتق ألف مملوك^(١٣)، وقام أيضًا بكتابة القرآن الكريم بيده الشريفة، وكان أوثق أبناءه بعد الإمام الرضا عليه السلام^(١٤)، وتولّى إسماعيل ابن الإمام الكاظم الأوقاف من قبل أبيه عليه السلام، مع تأليفه لكثير من الكتب الفقهيّة^(١٥).

وبعضهم جعله وكيلاً عنه، وبأباً له في قضاء حوائج شيعة، مثل المفضل بن عمر فقد كان من الفقهاء والثقات عنده، ووكيله في الكوفة، ومن الذين أشهدهم الإمام الصادق عليه السلام على إمامة ولده الإمام الكاظم، وكذلك كان عثمان بن عيسى وكيلاً لموسى بن جعفر عليه السلام، الذي صار واقفياً بعد الإمام الكاظم عليه السلام فسخط عليه الإمام الرضا عليه السلام ثم تاب وردّ الأموال^(١٦).

وكذلك عبد الله بن جندب البجليّ، الذي كان فقيهاً جليلاً، ووكيلاً للإمامين الكاظم والرضا عليه السلام^(١٧).

ولقد ربّى الإمام الكاظم عليه السلام بعض أصحابه بشكل شخصيّ، مع كلّ ما لديهم من الرفعة العلميّة، والقوّة الفقهيّة، وفي أوقات غير متوقّعة، كما حصل مع أحمد البنزطيّ، عندما دخل على الإمام الكاظم عليه السلام هو وصفوان بن يحيى، ومحمد بن سنان، قال: ((فجلسنا عنده ساعة، ثم قمنا، فقال لي: أمّا أنت يا أحمد، فاجلس، فجلست، فأقبل يحدثني، فأسأله فيجيبني، حتّى ذهب عامّة الليل، فلما أردت الانصراف، قال لي: يا أحمد، تنصرف أو تبيت؟ قلت: جعلت فداك، ذلك إليك، إن أمرت بالانصراف انصرفت، وإن أمرت بالقيام أقمت، قال: أقم، فهذا الحرس^(١٨)، وقد هدأ الناس وناموا، فقام وانصرف، فلما ظننت أنّه قد دخل، خررت لله ساجداً، فقلت: الحمد لله، حجّة الله، ووارث علم النبيين أنس بي من بين إخواني وحبّيني، فأنا في سجدي وشكري، فما علمت إلا وقد رفسني برجله، ثم

قمت فأخذ بيدي، فغمزها، ثم قال لي: يا أحمد إن أمير المؤمنين عليه السلام عاد صعصعة بن صوحان في مرضه، فلما قام من عنده، قال: يا صعصعة لا تفتخرن على إخوانك بعبادتي إياك، وأتق الله، ثم انصرف عني)) (١٩).

وبهذه الطرق وغيرها حافظ الإمام عليه السلام على أمرين مهمين، على إرشاد الناس للإمامة، وحفظهم دينهم من التيه والضياغ، وعلى الكتمان في إعلانها، فصارت الناس تأتي إلى بيته عليه السلام تسأله وتحتبره في إمامته، فلم يخرج أحد إلا وأقر له على شرط الكتمان^(٢٠)، وهكذا اتسعت دائرة من يعرفون إمامته لعامة الناس، مما جعل السلطة تتعامل معه بواقعية لا مفر منها. كظم الغيظ وأسبابه:

هناك موارد قد اتفق عليها المؤرخون عامة، والإمامية خاصة، هو أن لكل إمام مساحته الخاصة في العمل، تتسع وتضيق وفق ما تمليه عليه الظروف المحيطة به، مع ما يصاحبها من تدابير يراها الإمام بعصره مناسبة لاتخاذها، ومن خلال هذا التعامل ظهرت صفات لأئمة أهل البيت عليهم السلام اتسمت بهم، وسميت باسمهم أيضًا، ولا يعني نفيها عن إمام آخر، فإثبات الشيء لا ينفي ما عداه، إلا أن الإمام الشهيد عليه السلام مثلاً أختص بالحسين بن علي عليه السلام دون غيره، أو أن الإمام القائم عليه السلام هو مختص بالإمام الثاني عشر لا غيره، وهكذا بقيّة ألقاب الأئمة.

وعند الحديث عن الصفة الأبرز للإمام موسى بن جعفر عليه السلام وهي كظم الغيظ، فلكثر ما واجهه من مصاعب ومحن، تلقاها عليه السلام بالصبر، والتجلّد، وعدم إظهار غضبه، لقّب بهذا اللقب، وظهرت هذه الصفة فيه بشكل بارز جدًّا، ويصرف الذهن لمن يسمع كظم الغيظ إليه دون غيره.

والحديث عن موارد كظم غيظه عليه السلام كثيرة، والكتب زاخرة بهذه الأحداث^(٢١)، وكيف أنَّ الإمام عليه السلام كان يكظم غيضة سواء كان عن جواريه، أو عن أتباعه، أو عن أعدائه، أو عن المغرّرين بهم، أو على من لديهم سلطة ويطشون بها عليه وعلى شيعته، لكننا نود التطرق لذكر أسباب هذا الكظم الكبير، والمتكرر في زمن الإمام الكاظم عليه السلام دون غيره، وسبب هذا التحامل العجيب من قبل مبغضيه للنيل منه عليه السلام، ومن العلويين بشكل عام، إذ وصل بالأمر أن تتكررت هذه الحالة مرّات عديدة؛ حتّى نعرف ولو بشكل يسير عن المعاناة التي تلقاها الإمام في حياته، وحجم الخطورة التي كان يواجهها، حتّى شاع بين الناس بكظمه للغيط، فيمكن أن نحدد هذه الأسباب بما يلي:

١- التشجيع على النيل من العلويين من قبل السلطة الحاكمة.

وذلك من خلال الدعم الماديّ الفاحش لهم، لاسيّما للذي يقوم بنشر شيء سلبيّ عنهم، أو التعرّض لهم ولو بكلمة، والذي كان عاملاً كبيراً في نشر الخوف بين الناس من عدم إظهار ولائهم للإمام عليه السلام، وانحصاره بالسلطة واتباعها فقط، فقام على أثرها الكثير من الشعراء بهجاء العلويين، لاسيّما في زمن هارون العبّاسيّ، حتّى صار التقرب لبلاط الحاكم من الشعراء هو النيل من أهل البيت عليهم السلام، والتقليل من شأنهم، في قبالة مدح العبّاسيين وحكّامهم، لذا قام أبان بن عبد الحميد بمعاتبة البرامكة على تركهم إيصاله للبلاط، فقالوا له: ((وما تريد من ذلك؟)، قال: أريد أن أحظى منه بمثل ما يحظى به مروان بن أبي حفصة، فقال له الفضل: إنّ لذلك مذهباً، وهو هجاء آل أبي طالب وذمّهم به يحظى وعليه يعطى، فاسلكه حتّى نفعل.

فتوقف أبان وقال: لا أستحل ذلك.

فقالوا له: فما تصنع؟ لا يجيء طلب الدنيا إلا بما لا يحل؟! (٢٢)، لكن بريق الأموال واصفرار لونها قد أذهبا دينه، فقام بدم أهل البيت (عليهم السلام) بأبيات أرسلها هارون أعطاه عليها بعض الدراهم والدنانير، فقال:

نشدت بحق الله من كان مسلماً	أعم بما قد قلته العجم والعرب
أعم رسول الله أقرب زلفاً	لديه أم ابن العم في رتبة النسب
وأيهما أولى به وبعهده	ومن ذا له حق التراث بما وجب
فإن كان عباس أحق بترككم	وكان علي بعد ذلك على سبب
فأبناء عباس هم يرثونه	كما العم لأبن العم في الإرث قد حجب (٢٣)

وسلك هذا المسلك أيضاً مروان ابن أبي حفص، عندما قال قصيدة تمحح العباسيين، وتبعد فضائل أهل البيت (عليهم السلام) من أجل الأموال والتقرب للسلطان:

وأبناء عباس نجوم مضيئة	إذا غاب نجم لاح آخر زاهر
حصون بني العباس في كل مأزق	صدور العوالي والسيوف البوائر (٢٤)

فلك أن تتخيل عزيزي القارئ كيفية محاربة من لا يهجو آل أبي طالب ماذا يكون بهم؟!، فما بالك بمن يعلن الولاء لهم؟!، هذه الطريقة جعلت الناس تتجرأ بشكل أكبر على عداوة الإمام الكاظم (عليه السلام)، والنيل منه بشكل صارخ، ويواجهها الإمام في كثير من الأحيان بكظم غيظه الذي عُرف به.

٢-البغض الكبير من قبل هارون للعلويين.

وهذه الصفة تكون عامّة عند الحكّام في معادات أهل البيت عليهم السلام، لكنّ هارون كانت له تدابير لم يقيم بها غيره، وحجم البغضاء والحقّد الذي يكنّه للعلويين ليس بخافٍ عن أحد، وتكشفه تصرفاته وتدابيره في سبيل ذلك، وأبسط مثالٍ على ذلك هو توعدّ العلويين، بل شمل هذا البغض والقتل حتّى لشيعتهم فقال: ((... حتام أصبر على آل أبي طالب والله لأقتلنّهم - أيّ العلويين - ولأقتلنّ شيعتهم، ولأفعلنّ وأفعلنّ...)) ^(٢٥)، وهكذا تصرف يجعل قتل العلويين من قبل عامّة الناس شيئاً مطلوباً ومحّبباً للسلطة، فصبّ أعداء أهل البيت عليهم السلام جام غضبهم على الإمام الكاظم عليه السلام بشكل فظيع. وعند بداية استلام هارون للحكم أصدر أمره بترحيل العلويين من بغداد إلى المدينة المنوّرة، فقاموا بترحيلهم إلى ما شاء الله من الأرض ^(٢٦)، لذا نرى أن ذريّة الإمام الكاظم عليه السلام من أكثر الذراري انتشاراً في المدن والبلدان؛ وذلك لما لاقته من حكومة هارون في تشريدهم ومطاردتهم بشكل عجيب. ويكفي من نشر الرعب والقتل في نفوس العلويين حادثة حميد بن قحطبة، وكيفيّة قيامه بقتل ستين علويّاً في ليلة واحدة، عندما أرسل إليه هارون يسأله عن طاعته للأمير، فيجيبه بالنفس والمال والولد، إلى أن قال له في آخر ليلة: كيف طاعتك لأمر المؤمنين؟، فقال له: ((بالنفس والمال والأهل والولد والدين)) ^(٢٧)، فأمره بأن يسير مع غلامه فإذا بهم بغرف مليئة بالعلويين، فقتلهم جميعاً في تلك الليلة وألقى بجثثهم في البئر ^(٢٨). فإظهار هذا البغض للناس جعلهم ترغبون في معادات أهل البيت عليهم السلام، خوفاً أو تقرباً للسلطة، بل قام البعض بسبّ الإمام الكاظم عليه السلام في المسجد جهاراً، فقد قام الأخرس بذكر الإمام بسوء وسبّه في المسجد الحرام، وهمّ أحمد بن عمر الحلال بقتله واشترى سكيناً لذلك، بعدها منعه الإمام الكاظم عليه السلام من الإقدام على قتله ^(٢٩).

بل يتفق الجماعة منهم على التعرض للإمام (عليه السلام) حتى أثناء سيره في الطرقات، فيرى عبد الصمد بن عليّ الإمام الكاظم (عليه السلام) راكباً بغلته فيقول لجماعته: ((مكانكم حتى أضحككم من موسى بن جعفر، فلما دنى منه قال له: ما هذه الدابة التي لا تدرك عليها الثأر ولا تصلح عند النزال؟! فقال له الإمام الكاظم (عليه السلام): تطأطأت عن سموّ الخيل وتجاوزت قموء العير، وخير الأمور أوسطها، فأفحّم عبد الصمد فما أحرار جواباً)) (٣٠).

ومنها ما يقوم به هارون العبّاسي بالتخطيط للاستهانة بالإمام وإحراجه أمام حاشيته، كما حصل عندما أمر أبا يوسف القاضي أن يسأل الإمام (عليه السلام) بحضرته، لعلّه يبدي عليه العجز، فيتخذ من ذلك وسيلة للحطّ من كرامته، ولما اجتمع (عليه السلام) بهم، وجّه إليه أبو يوسف السؤال التالي: ما تقول في التظليل للمُحرّم؟ قال (عليه السلام): (لا يصح).

قال: فيضرب الخباء في الأرض، ويدخل البيت؟ قال (عليه السلام): (نعم).

قال: فما الفرق بين الموضعين؟ قال (عليه السلام): (ما تقول في الطامث، أتقضي الصلاة؟) قال أبو يوسف: لا.

قال (عليه السلام): (أتقضي الصوم؟) قال: نعم، قال (عليه السلام): (ولم؟) قال: هكذا جاء، قال (عليه السلام): (وهكذا جاء هنا). فسكت أبو يوسف، ولم يطق جواباً، وبدا عليه الخجل والعجز، فقال هارون: ما أراك صنعت شيئاً، قال أبو يوسف: رماني بحجر دامغ (٣١).

كلّ هذه النفوس المبغضة كان الإمام الكاظم (عليه السلام) يواجهها في طريقه وفي المجالس العامّة، وعند السلطان، وفي كلّ مكان يتواجد فيه مبغضوهم وحاسدوهم، الذين لا يتورّعون عن هتك حرمة أمّام الجميع؛ بسبب الدعم اللامحدود لهم من السلطة الحاكمة، مما جعل الصبر، وكظم الغيظ، سلاحاً قاوم به العتاة المردة، والطواغيت المتجبرة.

٣- قوّة الدولة العبّاسيّة:

وصلت الدولة العبّاسيّة في عصر الإمام الكاظم (عليه السلام) إلى ذروة قوتها ونفوذها، حتّى سمّي بالعصر الذهبي^(٣٢)، وامتدت أطراف الدولة العبّاسيّة من أواسط آسيا حتّى المحيط الأطلنطيّ، ومراسلات العبّاسيين معروفة مع الروم وغيرها من البلاد، فكانت الثورات التي في داخل الدولة يقضى عليها بشكل سريع وبصورة بشعة، فكانت تفرغ للقضاء على خصومه الذين يستشعر بهم الخطر من العلويين لاسيما الإمام الكاظم (عليه السلام)، وهذا ما حصل فعلاً، فالإمام الكاظم (عليه السلام) عانى من هارون العبّاسي لوحده الكثير، وأودع السجن بمختلف أنواعها، وصار يُنقل من سجن إلى آخر، مع التشديد والتوصية على التقليل من قدره لاسيما أمام الناس، لكن كلّ هذه المحاولات كان الإمام (عليه السلام) يواجهها بالكظم تارة، وبالمحاججة تارة أخرى.

المبحث الثاني: تعامل الإمام (عليه السلام) مع السلطة:

نتطرّق في هذا المورد إلى أهمّ ما دار في عصر الإمام الكاظم (عليه السلام) في تعامله مع التيار السياسي للحكومة العبّاسيّة، وهل إنّه (عليه السلام) كان يحاول الانقلاب العسكريّ والسياسيّ - كما هو المعهود في عصورنا الحاليّة - ضد السلطة العبّاسيّة أم لا؟

في البداية نودّ أن نشير لبعض الجوانب التي لا محيص من طرحها؛ لتتضح الصورة بشكل كامل، وهي أنّ الإمام (عليه السلام) ليس محتاجاً لشيء من حطام الدنيا، كما أنّه لا يتنازل عن الحق الذي فوّضه الله تعالى له إلا بأمره تعالى، وهذا يسير على جميع أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، إذ إنّه تكليفٌ من الله تعالى لأبد من إقامته، لكن الفرق في سعة تطبيقه، ونوع الظروف التي من خلالها يمكن للإمام أن يحكم، أو يتدخل بالسياسة، أو يقوم بثورة أم لا، وغيرها من التحركات.

كلّ هذه الأمور تختلف من معصوم لآخر، وفق ما يراه من مصلحة ووقت مناسب، وكلّ إمام لديه أدواته الخاصة في التعامل مع الوضع السياسي الذي يعيش فيه، ومع حكام عصره، فلا يمكن تحميل موقف لأحد الأئمة وجعله نمطاً ثابتاً لمختلف الأزمنة التي عاشها أهل البيت (عليهم السلام)، فالإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) مثلاً أوصلته ظروفه ومعطاته وأدواته في عصره للاضطرار بقبوله الصلح مع معاوية، أو أنّ النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) رأى من المصلحة الكبيرة، في التراجع عن الحجّ، والقبول بصلح الحديبية، مع القوة التي كان يمتلكها حينها، وهكذا بقيّة تعامل أهل البيت (عليهم السلام) مع الأحداث التي حولهم.

ولا يختلف الإمام الكاظم (عليه السلام) بطبيعة الحال عن هذا المضمار، لكن أكثر ما صار التركيز عليه من قبل بعض الكتاب هو تدخل الإمام الكاظم (عليه السلام) في السياسة، وأنّه كان يحاول عمل انقلاب على الدولة العباسية، والعمل على زرع العيون داخل البلاط العباسي، وهذا ما نحاول التركيز عليه من ناحية أساليب الإمام الكاظم (عليه السلام) في التعامل مع الدولة العباسية. تكوّنت فكرة وجود تدخل سياسي للإمام الكاظم (عليه السلام)، ومحاولته لعمل انقلاب على الحكم لدى بعض الكتاب من سببين هما:

الأول: وجود روايات ذكرت عن أهل البيت (عليهم السلام)، بأنّ الإمام الكاظم (عليه السلام) هو الإمام القائم، وبما أنّه الإمام القائم فمسألة تخطيطه للثورة محتمل جداً، منها ما ذكره الشيخ المجلسي في بحاره قال: ((عن أبي حمزة الثمالي قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام): إنّ عليّاً كان يقول: إلى السبعين بلاء، وكان يقول: بعد البلاء رخاء وقد مضت السبعون ولم نر رخاء، فقال أبو جعفر (عليه السلام): يا ثابت إنّ الله تعالى كان وقت هذا الامر في السبعين، فلمّا قتل الحسين اشتدّ غضب الله على أهل الأرض، فأخّره إلى أربعين ومائة سنة، فحدثناكم فأدعتم الحديث، وكشفتم قناع السر؛ فأخّره الله ولم يجعل له بعد ذلك وقتاً عندنا، ويمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)) (٣٣).

وهذا الرواية لا علاقة لها بجعل الإمام الكاظم (عليه السلام) هو الإمام القائم المنتظر، فالحديث عن سبعين سنة، وحصولها يكون قبل أن يولد الإمام الكاظم بـ (٥٨ سنة)، فلا وجه للربط بينهما، بل أن تكملة الحديث تُنبأ ببعد هذا الأمر، وأنّ الوقت المحدد غير معلوم عندهم (عليه السلام)، وأنّه تأخّر عن موعده الذي ذكره أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى مائة سنة.

وهذه الرواية تحمل وجهين، الأول: إن كان مراد قول الإمام الباقر عليه السلام بالسابع منذ أمير المؤمنين فلا استدلال بها صحيح على ترك ما ينافيها من روايات أخرى ستطرق لها لاحقاً، والثاني: إن كان المقصود السابع هو من بعد الإمام الباقر عليه السلام فيكون الإمام السابع هو القائم المهدي لا الكاظم عليه السلام، وبما أنّ الرواية تحمل وجهين فلا يمكن حصر تشخيصها لوجه وترك الوجه الآخر. وبالمحصلة فإنّ الروایتين المذكورتين أعلاه يعارضهما الكثير من الروايات التي صدرت من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وكذلك من أمير المؤمنين عليه السلام، وكذلك حديث جابر بن عبد الله الأنصاري الذي يرويه عن السيّد الزهراء عليها السلام، وكلّها موجودة في مصادرنا المعتمدة، وسننقل طائفة منها.

قال رسول الله ﷺ: ((الأئمة بعدي اثنا عشر أولهم أنت يا علي وآخرهم القائم الذي يفتح الله عز وجل على يديه مشارق الأرض ومغاربها)) (٣٥). فالنبي الأكرم هنا أورد الأئمة بأثم اثنا عشر، وأن القائم منهم هو آخرهم، بل أنه قام ﷺ بذكر اسم القائم وكنيته وصفاته أيضًا عندما قال: ((المهدي من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خلقًا وخلقًا، تكون به غيبة وحيرة تفضل فيها الأمم، ثم يقبل كالشهاب الثاقب يملأها عدلاً وقسطاً وكما ملئت جوراً وظلماً)) (٣٦).

وتارة يحصر الخلافة والوزارة في التاسع من ذرية الحسين عليه السلام، فقال ﷺ: ((إني أشهدكم أن أخي ووزيرِي ووارثِي وخليفتي في أمّتي علي بن أبي طالب، ثم الحسن ثم الحسين ثم من بعدهم تسعة من ولد الحسين)) (٣٧).

بل إن هناك روايات تذكر الأوصياء بأسمائهم وأسماء أمهاتهم، وهذا ما حصل عندما دخل جابر بن عبد الله الأنصاري على السيدة الزهراء عليها السلام فقال: ((دخلت على مولاتي فاطمة عليها السلام لأهنتها بمولودها الحسن عليه السلام فإذا هي بصحيفة بيدها من درة بيضاء، فقرأت فإذا فيها: أبو القاسم محمد بن عبد الله المصطفى، أمّه آمنة بنت وهب - إلى آخر الرواية التي يذكر فيها الإمام القائم - فيقول: أبو القاسم محمد بن الحسن، هو حجة الله تعالى على خلقه القائم، أمّه جارية اسمها نرجس)) (٣٨).

وغيرها المثبات من الروايات التي تصرّح بأن الإمام القائم هو التاسع من ولد الحسين عليه السلام، فلا يمكن التعويل على رواية واحدة أو روايتين، ولا يوجد ترابط فيما بينهما بأن الإمام الكاظم عليه السلام كان مقرراً أن يكون هو القائم لولا إفشاء شيعته للسر، بل يُحتمل أن العباسيين اتخذوا هذه الشائعة؛ لتكون ذريعة لتكذيب النبي الأكرم وأهل البيت عليه السلام بأن المهدي

ميت، وانتهت مسألة القائم بموته، ووضعه على جسر بغداد ثلاثة أيام يتكشف وجهه كل من ورد عليه تأكيداً لموته ﷺ، إلا للتأكيد الذي قامت به السلطة العباسية على أن القائم لا وجود له، وإن من كنتم تدعون أن القائم لديكم هو الإمام الكاظم فيها هو ميت أمامكم.

الثاني: وجود بعض شيعة الإمام الكاظم ﷺ في مفاصل الدولة العباسية. أخذت مسألة وجود عدد من أصحاب الإمام الكاظم ﷺ في مفاصل الدولة العباسية منحىً أوسع مما تتحمل، وفُسرَت بأكثر من طاقتها، فصار الخلط بين عدم إنكار وجود بعض العيون لدى الإمام في البلاط العباسي، وضرورة معرفة تفاصيل ما يجري من الأحداث لاسيما المصيرية للأمة الإسلامية، وأحقية أهل البيت ﷺ بالخلافة دون غيرهم، وبين السعي الدائم والدؤوب للإمام الكاظم ﷺ في زرع شبكة داخل البلاط من أجل الإطاحة بالحكم، وتسلم الخلافة بطريقة عسكرية أو سياسية، ولكن عندما نستعرض الحالة التي صارت عند الإمام ﷺ، أثناء تسنم هؤلاء المناصب مختلفة عما تم تصويره، بأنه يسعى لزرع العيون التي هي أحد أركان الانقلاب المهمة، لذا نستعرض أهم الشخصيات التي حصلت على مناصب في الدولة العباسية، لنرى ردة فعل الإمام الكاظم ﷺ، وتعليقاته عليها، حيث يمكن أن نرى خمسة أقسام من هؤلاء قام الإمام الكاظم ﷺ بالتعامل معهم بشكل مختلف عن الآخر وهم:

الأول: منهم من كان الإمام يمنعهم من التعامل مع السلطة بشكل فوري وقطعي ومباشر، وبدون أي سؤال عن سبب التعامل، وأبرز مثال على ذلك صفوان الجمال، وكيفية اعتراضه عليه لمجرد إكراهه هارون جماله^(٣٩)، مع أن الأمر قد يراه البعض لا علاقة له في العمق السياسي للدولة كما هو الحال في القضاة والوزراء، لكن مجرد وصول صفوان لهذه

العلاقة تجعله من المقربين لدى هارون، وقد يستجيب له إذا ما طلب صفوان منه شيئاً، وهنا تحصل المكانة الكبيرة عند السلطان، لكن الإمام منعه بشدة أيضاً، ونهاه من العمل معه بشكل مباشر.

الثاني: من قام بسؤالهم عن سبب دخولهم في كنف الظالمين، وكأنّه استنكر فعلهم، وأوحى لهم بعدم الرضا الكلي لما قاموا به، لكن أعطى لهم شروطاً للبقاء، بأن يعينوا إخوانهم الشيعة من فقرائهم وضعافهم، ويرحموا من يمكنهم رحمه، وهذا تمثّل في سؤال الإمام الكاظم (عليه السلام) لزياد بن سلمة عندما قال له: (أتعمل عمل السلطان، فأجابه بنعم، فشرط عليه بقوله (عليه السلام) بعد أن عرفه بمخاطر العمل مع الظلمة: ((يا زياد إن أسقط من حالي^(٤٠) فأقطع قطعة قطعة أحبّ إليّ من أن أتولى لأحد منهم عملاً، أو أطأ بساط رجل منهم إلا لماذا؟ قلت: لا أدري قال: إلا لتفريج كربة عن مؤمن، أو فك أسر، أو قضاء دينه))^(٤١).

الثالث: من كان في منصبٍ عند هارون وتشيع فيما بعد، وبقي في منصبه، وقام الإمام الكاظم (عليه السلام) وعلي بن يقطين بإرشاده كيفية إخفائه تشييعه وتعامله مع الأمر، وخير مثال على ذلك جعفر بن محمد بن الأشعث، الذي كان معلماً لأولاد زبيدة، والبعض الآخر عندما صار شيعياً تولى منصباً؛ لأنّه أخفى تشييعه مثل جميل بن دراج، الذي وليّ قضاء الكوفة فيما بعد، ولم نرَ الإمام أنّه طالبهم بالخروج من مناصبهم^(٤٢)، ولم يأمرهم بالبقاء فيها أيضاً كما فعل مع عليّ بن يقطين.

الرابع: البعض منهم أيده الإمام الكاظم (عليه السلام) بتصنّع الجنون هرباً بدينه من إفتاء هارون العباسي، عندما طلب من علماء بغداد يستفتيهم في إباحة دم الإمام الكاظم (عليه السلام) متهماً إياه بإرادة الخروج عليه، وحصل هذا مع بهلول بن عمر الصيرفيّ أو الصوفيّ الكوفيّ ببغداد، فأشار إليه الإمام بتصنّع الجنون ليهرب بدينه، وفعل ذلك^(٤٣).



الخامس: من أمرهم بعدم التخلي عن مناصبهم، وأوجب بقاءهم فيه، ولم يأذن لهم في ترك مناصبهم^(٤٤)، وهذا الأمر كأنه أختص بعلي بن يقطين وحده حسب تتبعي البسيط، فالباحث يرى أن الإمام الكاظم عليه السلام لم يأمر أي شخص آخر بالبقاء في الدولة العباسية كما فعل مع علي بن يقطين.

يتضح لدينا مما تقدم أن الإمام الكاظم عليه السلام، لم يبن شبكة من أتباعه داخل السلطة العباسية بهدف نخرها والسيطرة على قراراتها بخفاء، ولا من أجل السيطرة على نظام الحكم الذي يمهد لانقلاب تام عليها، وعندما رأى أنه لا بد من وجودهم في السلطة، حصر عملهم في الأمور التي تنفع إخوانهم الشيعة، مثل رفع الظلم والطغيان عنهم، وإرجاع حقوقهم، ولم نر ولو تلميحاً في أن تكون هناك نية للوصول إلى السلطة، مع ما ذكرناه آنفاً أن حق الإمام في الحكم مسلم به، وهو تكليف شرعي، لكن وفق ما يراه الإمام مناسباً، ووفق الظروف المحيطة به، ففي ظروفه عليه السلام لم نر هذا التوجه في حركاته ودعواته وإرشاداته، بل لزم التقيّة المكثفة؛ لحفظ الدين وحفظ شيعته.

ولكن عند التركيز بسيرة علي بن يقطين يُعرف سبب هذا التمسك به، وعدم إخراجهم من ميدان منصبه، فعلي بن يقطين يتمتع بصفات لم تتوافر عند كثير من أقرانه منها:

أولاً: التسليم المطلق لتوجيهات الإمام عليه السلام:

صحيح أن علي بن يقطين أكبر من الإمام الكاظم عليه السلام بأربع سنين، ولديه من الفقه والعلم ما مكنه من تصنيف مسائله الخاصة بالإمام الكاظم، إلا أن لديه حالة من التسليم المطلق لإمامه منقطعة النظير، في زمن كان التشكيك يصل حتى لكبار الفقهاء من الشيعة، وهذا ما ترجمه الروايات الدالة على ذلك، لاسيما عندما أراد هارون أن يتيقن من الوشاية التي وصلت إليه بحال علي بن يقطين، فكتب علي بن يقطين إلى الإمام: جعلت

فذاك، إن أصحابنا قد اختلفوا في مسح الرجلين، فإن رأيت أن تكتب إلي بخطك ما يكون عملي بحسبه فعلت إن شاء الله .

فكتب إليه أبو الحسن (عليه السلام): (فهمت ما ذكرت من الاختلاف في الوضوء، والذي أمرك به في ذلك أن تتمضمض ثلاثاً، وتستنشق ثلاثاً، وتغسل وجهك ثلاثاً، ... ولا تخالف ذلك إلى غيره).

فلما وصل الكتاب إلى علي بن يقطين، تعجب مما رُسم له فيه مما جميع العصابة على خلافه، ثم قال: مولاي أعلم بما قال، وأنا ممثّل أمره (٤٥). يعطيك هذا التصرف أن علي بن يقطين قد أطاع الإمام بدون معرفة الأسباب حتّى لو كانت على خلاف أصحابه؛ لأنّ الثقة والتسليم للإمام بعدم أمره إلا بالحقّ أعطاه الطمأنينة في ذلك، وهو لا يعرف حتّى بالوشاية التي ستأتي إليه بسبب وضوئه.

أولاً: موقعه في الدولة:

فمنصب ابن يقطين ليس قاضياً، أو خازناً للمال، مع وجود النفوذ لدى هذين المنصبين، إلا أنّ الوزير يُعد بمثابة رئيس وزراء بمصطلح اليوم، لديه من الصلاحيات الكثير، ولديه القدرة الماليّة العظيمة، فإن أراد الإمام معرفة شيء عن السياسة العامّة فكّلها موجودة عند ابن يقطين، وإن أراد إرجاع مظلوميّات الشيعة فيقوم بها على أكمل وجه، وبشكل أكثر سهولة من غيره بحكم موقعه.

كما أن الإمام يقوم أحياناً بتكليفه بكفالة أحد المؤمنين أو أكثر، فيقوم بن يقطين بتنفيذ أمر الإمام بسرعة، مثل عبد الله الكاهليّ الذي كان وجهاً عند الإمام، ووصى به علي بن يقطين، فقال له: (أضمن لي الكاهليّ وعياله أضمن لك الجنة) (٤٦).

ثانيًا: حنكته السياسيّة والتدبيرية الملازمة للتقيّة:

يقوم عليّ بن يقطين بأدوار عظيمة من خلال ممارسة أعمال الوزارة، مرفقة بولائه للإمام الكاظم (عليه السلام)، فمع أنّه أرسل للإمام أكثر من مرّة التخلص من الوزارة، ورفض الإمام له، إلا أنّه استطاع المحافظة على رباطة جأشه، وعدم التلكؤ في أعماله سواء التي يتطلّبها مركزه الوظيفي، أو الإطاعة التامة للإمام المعصوم، وعدم الخوض في الباطل والحرام، وتلبية ما يحتاجه إخوانه المؤمنون، فمن التدابير التي جمعت الفطنة في إعانة المؤمنين، والمحافظة على مركزه، والتنظيم الذي يبعد الشبهة عنه، ما فعله لبعض الشيعة من إرسالهم للحجّ في كلّ سنة، فقد روي أنّه أحصى في عام واحد لعلّي بن يقطين خمسمائة وخمسون رجلًا يحجّون عن عليّ بن يقطين بالنيابة، وأقلّهم سبعمائة دينار، وأكثرهم عشرة آلاف^(٤٧).

وما هذه الأعداد الكبيرة إلا طريقة من عليّ بن يقطين في مساعدة الشيعة بهذه الآليّة، فيصيب عدّة أهداف برمية واحدة.

وغيرها من الأسباب التي يطول شرحها، ولا يسع المقام لذكرها، فعلي بن يقطين التلميذ النجيب للمعصوم، في ظرف حالك من الفتن والبغض لأهل البيت (عليهم السلام) وهذا الفعل لا يُستبعد أنّه من توجيهات الإمام الكاظم (عليه السلام) إليه، فالطريقة المثلّ في التعامل مع سياسة هارون الظالمّة مع الناس، هي توجيه عليّ بن يقطين في إرجاع حقوق الناس، ومساعدة بعضهم.

لذا فإن التعامل الذي حصل لدى الإمام الكاظم (عليه السلام) مع السلطة لم يكن سياسيًا بالمعنى المتعارف عليه، من محاولة اختراقها، والاستيلاء على الحكم بالانقلاب الأبيض أو الأحمر، إنّما كانت مواجهته وتعامله معهم يتمحور حول كفيّة المحافظة على الدين في المقام الأول، ومن ثمّ حفظ نفسه قبل إتمام مهمته، وحفظ شيعته من القتل المنهج من قبل الدولة، وتثبيتهم على الولاية.

نلاحظ أنَّ الإمام (عليه السلام) مع كلِّ طرق التقيّة التي كان يمارسها، وكظم الغيظ الذي اتّصف به، إلّا أنَّ هناك موارد تكون للإمام إجابات مباشرة، وقوية جدًّا ضد الحاكم، وبعضها يكون بعد أخذه الأمان من الحاكم، وهذا ينبىء عن أنَّ سكوت الإمام في كثير من المواطن لم يكن خوفًا من الحاكم، إنّما وسيلة للحفاظ على الدين والشرعة، ومن الأمثلة التي اتخذها الإمام (عليه السلام) في مواجهة السلطة والتعامل معها بعيدًا عن سياسة الخوض في اتخاذ القرارات السياسيّة، هو عندما كان يطلب من السلطة إعفاء من بعض الأجوبة؛ لخطورة الإجابة عليها بوجود الحاكم العبّاسيّ وإن اضطر فيطلب منهم الأمان؟!، أي إن الإمام بأجوبته قد يؤدي بنفسه إلى السيف المحتوم، من شدّة قوّة برهانها، لكن أحيانًا يقوم بالتصريح القويّ، وهذا ما نراه جليًّا في رواية طويلة، عندما استقدم هارون الإمام الكاظم (عليه السلام)، فقد استأمنه الإمام ثلاثة مرات قبل أن يجيبه^(٤٨)، وعند الانتهاء توعد هارون الإمام (عليه السلام) بعدم إفشاء ما ذكره من أجوبة وإلا فيقتله، وطلب الإمام منه الرجوع إلى أهله في نهاية حديثه، فقال له هارون إن شاء الله، لكن أرسله إلى سجن السنديّ بن شاهك^(٤٩).

وعندما سُجن الإمام في طامورة تحت الأرض، أرسل رسالة جوابيّة لهارون مفادها: (لن ينقضي عني يوم من البلاء إلّا انقضى عنك معه يوم من الرخاء، حتّى نقضي جميعًا إلى يوم ليس له انقضاء، يخسر فيه المبطلون)^(٥٠). وهذه الرسالة كانت الأبرز في مواجهة الإمام للحاكم، وتوعّده بالنهاية المأساويّة التي ينتظرها.

ومرّة أخرى قام الإمام بالتصريح المباشر بتورط هارون في إفساد الأمّة، وإفشاء الزندقة بين المسلمين بشكل كبير، عندما طالب الإمام ﷺ منه بشكل مباشر الكف عن تحويل الزنادقة الذين يموّلون من قبل السلطة، قال ﷺ: (فإنّ الزندقة قد كثرت في الإسلام، وهؤلاء الزنادقة الذين يرفعون إلينا في الأخبار، هم المنسوبون إليكم)^(٥١).

وهذا كلام خطير من قبل الإمام ﷺ صفع به وجه هارون، في سعيه لتهديم الدين، وإشاعة الإلحاد وتفريق المسلمين، فمعلوم أنّ الزنادقة في تلك المدّة هم الذين يلقون شبّهات بين الناس حول التجسيم، والتشكيك في وجود الخالق، وفيهم لإثبات الصانع، والكتب غنيّة بتلك القصص التي دارت بينهم وبين أهل البيت ﷺ^(٥٢)، ويتبين أيضًا أنّ من أدوار الإمام الكاظم ﷺ في مواجهته وتعامله مع السلطة هو معرفته بأحوال الزنادقة التابعين للبلاط العباسيّ، ومعرفة خلفياتهم الفكرية ومن أين ينطلقون، ولعل الإمام لديه معرفة وقائمة بتلك الأسماء، ليتمكن من مواجهتهم بالطرق المثلّي والمناسبة.

الخاتمة

إنَّ المتَّبِعَ لحياة أهل البيت عليهم السلام، ولو بشيء يسير، يلاحظ أنَّهم عليهم السلام بعيدون عن الخوض في غمار حطام الدنيا، لا من باب رفضها التام، ففيها ما ينفع المؤمن أخاه الآخر الشيء الكثير، إنَّما التركيز يكون ضمن أهداف محدَّدة لديهم، فيسعون لتطبيقها بكلِّ ما أوتوا من قوَّة، فهذا الإمام الكاظم عليه السلام عانى من الحكام في سبيل أهدافه الساميَّة من كلِّ الجوانب، سواء كانت بالأذى الشخصي من خلال السجون وظلم المطامير، أو من خلال المحاربة النفسيَّة عند تهجم الآخرين عليه، ومحاولتهم للحطِّ من كرامته أمام الناس، أو من خلال قتلهم لشيعته وأتباعه، أو حتَّى من خلال محاربتهم إياه من الجانب الفكريِّ، وبث الأفكار المسمومة لدى عامة الناس، من خلال دعمهم للزنادقة وكلِّ من يهجوهم ويخالفهم، ومحاولتهم إبعاد الناس عن منهجه الصحيح، فكانت حياته عليه السلام عبارة عن جهاد متعدّد الجبهات، أبرزها المحافظة على دين الله ورسوله، وإتمامه تكاليفه التي أمره الله تعالى بها، وتسليمها للمعصوم الذي يليه، ولم تكن السياسة محطَّ انتباهه، إلا بمقدار ما يحفظ الدين وشيعته من القتل، ومع هذا كانت خطورة الإمام لدى السلطة قويَّة، فتأثيره كان بالغاً لدرجة الإقدام على قتله بطريقة لم يقتل بها أحد بعده.

الهوامش:

- ١- دلائل الإمامة: ٣١٠.
- ٢- يُنظر: أعيان الشيعة: ١/ ٦٣٤.
- ٣- موسوعة أهل البيت: ٩/ ٢٤.
- ٤- الإرشاد: ٢/ ٢٢٢.
- ٥- الإمامة والتبصرة: ٧٢.
- ٦- الكافي: ١/ ٢٨٥.
- ٧- الإمام موسى الكاظم سيرة وتاريخ: ١١٦.
- ٨- يحتمله ويتّقيه، أي يقبل منه النصيحة، ويحاول السلطان ألا يعارضه بقوة، ويتحمّل قساوة أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، ولعلّ السبب في تقبّل هارون هذا وعدم معارضته بشدّة للحسن بن عبد الله؛ كونه ليس من شيعة موسى بن جعفر، وإلا من يعترض على هارون بهذه الطريقة فمسلكه الذبح لا محال، فهو الذي يتوعدّ بإبادتهم جميعاً.
- ٩- الإرشاد: ٢/ ٢٢٣.
- ١٠- ينظر: كشف الغمّة: ٣/ ٢٧٧-٢٧٨.
- ١١- موسوعة كلمات الإمام الكاظم (عليه السلام): ١/ ٣٣٢.
- ١٢- معجم رجال الحديث: ١/ ١٧٣.
- ١٣- حياة الإمام موسى بن جعفر: ٢/ ٤١١.
- ١٤- روضات الجنّات: ١/ ٤٢.
- ١٥- رجال النجاشي: ٢٨، الإرشاد: ٣٠٢.
- ١٦- معجم رجال الحديث: ١٢/ ١٢٩.
- ١٧- رجال الخاقاني: ١٦٥.
- ١٨- تذكر بعض الروايات أنّه قال له: ((فهذا الحر...))، كما ذكرها الشيخ الطوسي في (اختيار معرفة الرجال): ٢/ ٤٣٧.
- ١٩- معجم رجال الحديث: ٣/ ١٩-٢٠.
- ٢٠- الإمام موسى الكاظم سيرة وتاريخ: ١١٧.
- ٢١- يمكن مراجعة العديد من المصادر منها: موسوعة أهل البيت (عليه السلام): ٢٨/ ٤٤، الإرشاد: ٢/ ٢٣٤-٢٣٥.
- ٢٢- حياة الإمام موسى بن جعفر دراسة وتحليل: ٢/ ٨٠.
- ٢٣- يُنظر: حياة الإمام موسى بن جعفر دراسة وتحليل: ٢/ ٨٠.
- ٢٤- يُنظر: المصدر نفسه: ٢/ ٨١.
- ٢٥- الحياة السياسيّة للإمام الرضا (عليه السلام): ٩٢.

- ٢٦- حياة الإمام الكاظم دراسة وتحليل: ٢ / ٧٩.
- ٢٧- يمكن مراجعة تفاصيل القصة في: عيون أخبار الرضا: ١ / ١٣٧.
- ٢٨- يذكر الشيخ الصدوق أنّ المنصور فعل مثل هذه الفعلة بالعلويين أيضًا. عيون أخبار الرضا: ١ / ١٣٩.
- ٢٩- جزاء أعداء الإمام الكاظم: ١٩.
- ٣٠- جزاء أعداء الإمام الكاظم: ٤٨.
- ٣١- حياة الإمام موسى بن جعفر دراسة وتحليل: ١ / ٢٦٠.
- ٣٢- الإمام الكاظم قدوة وأسوة: ٢١.
- ٣٣- بحار الأنوار: ٤ / ١١٤.
- ٣٤- بحار الأنوار: ٤٨ / ٢٦٠-٢٦١.
- ٣٥- كمال الدين: ٢١٤.
- ٣٦- المصدر نفسه: ٢٧١.
- ٣٧- كتاب سليم بن قيس: ٣٩٩.
- ٣٨- يُنظر: كمال الدين: ٣٣٨.
- ٣٩- بحار الأنوار: ٢٧ / ٢٧٦.
- ٤٠- الجبل المرتفع.
- ٤١- تفسير نور الثقلين: ٣ / ٢٥٩.
- ٤٢- الحياة السياسية للإمام الكاظم: ١٩٣-١٩٤.
- ٤٣- أعيان الشيعة: ٣ / ٦١٧.
- ٤٤- بحار الأنوار: ٤٨ / ١٣٦.
- ٤٥- الإرشاد: ٢ / ٢٧٧.
- ٤٦- معجم رجال الحديث: ١١ / ٤٠٣.
- ٤٧- كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء: ٤ / ٥١٤.
- ٤٨- يُنظر: موسوعة سيرة أهل البيت: ١٤ / ٨٣-٨٥.
- ٤٩- عيون أخبار الرضا: ١ / ٨٢.
- ٥٠- تاريخ بغداد: ١٣ / ٣٣.
- ٥١- باب الحوائج موسى بن جعفر: ١٨٨.
- ٥٢- يمكن مراجعة كتاب: مناظرات واحتجاجات من كتاب الكافي، وكتاب الاحتجاج للطبرسي، وغيرها من المصادر التي تذكر احتجاجات ومناظرات أهل البيت (عليه السلام) مع مختلف الأصناف من الناس.

المصادر والمراجع

- * الإرشاد، الشيخ المفيد، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لتحقيق التراث، س: ١٤١٤هـ، ط: الثانية، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع (لبنان-بيروت).
- * الإمامة والتبصرة، علي بن بابويه القمي، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي، ط: الأولى، س: ١٤٠٤هـ، (لبنان-بيروت).
- * الإمام الكاظم قدوة وأسوة، السيد محمد تقى المدرسي، إصدار: مركز العصر (لبنان-بيروت)، س: ١٤٣١هـ، ط: الثانية.
- * الإمام موسى الكاظم سيرة وتاريخ، علي موسى الكعبي، إصدارات مركز الرسالة، (ب، س).
- * أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، تحقيق: حسن الأمين، دار المعارف (لبنان-بيروت)، س: ١٤٠٣هـ.
- * باب الحوائج موسى بن جعفر، حسين الحاج حسن، دار المرتضى (لبنان-بيروت)، ط: الثانية، س: ١٤٢٤هـ.
- * بحار الأنوار، العلامة المجلسي، تحقيق: يحيى العابد، مؤسسة الوفاء (لبنان-بيروت)، ط: الثانية، س: ١٤٠٣هـ.
- * تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، س: ١٤١٧هـ.
- * تفسير نور الثقلين، الشيخ الخويزي، تحقيق: السيد هاشم المحلاقي، ط: الرابعة، س: ١٤١٢هـ.
- * جزاء أعداء الإمام الكاظم، السيد هاشم الجزائري، ط: الأولى، مطبعة دانش (إيران-قم)، ط: الأولى، س: ١٤١٧هـ.
- * الحياة السياسية للإمام الكاظم، الشيخ عصري الباني، ط: الأولى، مركز المصطفى (إيران-قم)، س: ١٤٣١هـ.
- * حياة الإمام موسى بن جعفر دراسة وتحليل، الشيخ باقر شريف القرشي، تحقيق: مهدي باقر القرشي، ط: الثانية، قسم الثقافة والإعلام في العتبة الكاظمية المقدسة.
- * دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: مؤسسة البعثة (إيران-قم)، ط: الأولى، س: ١٤١٣هـ.
- * رجال الخاقاني: الشيخ علي الخاقاني، تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم، مركز النشر (مكتب الإعلام الإسلامي) (إيران-قم)، ط: الثانية، س: ١٤٠٤هـ.
- * اختيار معرفة الرجال، الشيخ الطوسي، تصحيح وتعليق: مير داماد الأسترابادي، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث (إيران-قم)، س: ١٤٠٤هـ.
- * روضات الجنات، السيد محمد باقر الخوانساري، تحقيق: أسد الله اسماعيليان، مطبعة اسماعيليان

- (إيران-قم) ط: الأولى، س: ١٣٩٠هـ.
- * عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث (إيران-قم) س: ١٤٣١هـ.
- * كتاب سليم بن قيس الهلالي، سليم بن قيس الهلالي الكوفي، تحقيق: محمد باقر الأنصاري، دار الهادي (إيران-قم)، ط: الأولى، س: ١٤٢٠هـ.
- * كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، الشيخ جعفر كاشف الغطاء، تحقيق: مكتب الإعلام الإسلامي - فرع خراسان الرضوي - (عباس التبريزيان ومحمد رضا الذاكري، وعبد الحليم الحلي)، مؤسسة بوستان كتاب (إيران-قم)، ط: الثانية، س: ١٤٢٢هـ.
- * كشف الغمة، علي بن عيسى أبي الفتح الاربلي، تحقيق: علي آل كوثر، المجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام) (لبنان-بيروت)، ب ط، س: ١٤٣٣هـ.

- * كمال الدين، الشيخ الصدوق، تحقيق: علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين (إيران-قم)، ط: الخامسة، س: ١٤٠٥هـ.
- * معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، ط: الخامسة، مركز نشر الثقافة الإسلامية، س: ١٤١٣هـ.
- * مناظرات واحتجاجات من كتاب الكافي، علي رسول كاظم، منشورات قصبة الياقوت.
- * موسوعة سيرة أهل البيت، الشيخ باقر شريف القرشي، تحقيق: مهدي شريف القرشي، دار المعروف (العراق-النجف)، ط: الثانية، س: ١٤٣٣هـ.
- * موسوعة كلمات الإمام الكاظم، الشيخ محمد البابائي والشيخ أحمد إسلام، معهد باقر العلوم (إيران-طهران)، ط: الأولى، س: ١٤٣٥هـ.



مؤتمر الإمام الرضا عليه السلام

فقه المعاملات في أجوبة الإمام الرضا عليه السلام مقارنة في إعداد الجماعة الصالحة

أ.د حميد جاسم الغرابي

كلية العلوم الاسلامية / جامعة كربلاء

الملخص

تظهر أهمية فقه المعاملات من قوله تعالى ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ ١٠٥ : التوبة ، وقوله عليه السلام (الدين المعاملة)^(١) ، وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : (من تجر بغير فقه فقد ارتطم في الربا)^(٢) وقول الإمام الصادق عليه السلام : (ليت الشياط على رؤوس أصحابي حتى يتفقهوا في الحلال والحرام)^(٣) ، لما للمعاملات أهمية في استقرار المجتمع الاسلامي وازدهاره اقتصادياً وسياسياً فضلاً عن طاعة الله تعالى ورسوله عليه السلام الموجبة لرضاه وتأييده لما جاءت به الشريعة السمحاء من أحكام تلائم الفطرة السليمة، فلذا اختار البحث بعض المسائل المعاملاتية الواردة عن الإمام الضامن عليه السلام وبيان فقهها ودلالاتها؛ ليتسنى لنا الاطلاع على كيفية بيان الإمام عليه السلام لهذه الاحكام والمسائل ومعرفة منهجه القرآني في عرض وبيان هذه الأحكام وماهية هذه الاسئلة المرتبطة بفقه المعاملات، فانتظم البحث في ثلاثة مباحث: تضمن المبحث الأول نبذة عن عصر الإمام الرضا عليه السلام، وتضمن المبحث الثاني منهج الإمام الرضا عليه السلام في أجوبته، وتضمن المبحث الثالث مجموعة من أجوبته عليه السلام على المسائل المعاملاتية ثم الخاتمة ونتائج البحث ومسرّد للمصادر والمراجع .



Abstract

The importance of the jurisprudence of transactions appears from the Almighty's saying, "And say, 'Work,' and Allah will see your work, and His Messenger and the believers" 105: repentance, and his saying, may God's prayers and peace be upon him and his family, "religion is transaction", and the Commander of the Faithful Ali bin Abi Talib, peace be upon him, said: "Whoever trades without jurisprudence has stumbled upon it." Concerning usury and the saying of Imam Al-Sadiq, peace be upon him: "I wish the whips were on the heads of my companions until they understood what is permissible and what is forbidden", because transactions are important for the stability of Islamic society and its prosperity economically and politically, in addition to obedience to God Almighty and His Messenger (may God bless him and grant him peace), which requires His satisfaction and in support of what has come. The tolerant Sharia contains provisions that suit common sense. Therefore, the research chose some of the transactional issues mentioned by Imam Al-Damen, peace be upon him, and explained their jurisprudence and implications, so that we could see how the Imam, peace be upon him, explained these provisions and issues, and to know his Qur'anic approach in presenting and explaining these provisions, and the nature of these questions related to the jurisprudence of transactions, so the research was organized in Three sections: The first section includes an overview of the era of Imam Al-Rida, peace be upon him. The second section includes the approach of Imam Al-Rida, peace be upon him, in his answers. The third section includes a collection of his answers, peace be upon him, on transactional issues, then the conclusion, the results of the research, and a glossary of sources and references.

المقدمة

حرص الأئمة عليهم السلام أسوة بجدهم رسول الله صلى الله عليه وآله على بيان الشريعة والدعوة إليها بجميع الوسائل، وكان منها منهج السؤال والجواب لما لهذا المنهج القرآني من قيم معرفية وآثار في بناء شخصية المسلم من ناحية، وصناعة ثقافة فكرية سائدة غايتها الوصول إلى الحقيقة ومعرفة التكليف للوصول إلى طاعة ورضوان الله عز وجل من ناحية أخرى.

والإمام الرضا عليه السلام سعى كغيره من الأئمة عليهم السلام إلى نشر دعوة جده رسول الله والحفاظ عليها وهداية الناس ما أوتي إلى ذلك سبيلاً، وقد كان الناس مهتمين جداً في عرض الأسئلة على آل بيت رسول الله لغايات عدة، منها الإحراج والتعجيز والاختبار، ومنها طلب الحكمة والمعرفة.

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على أهم المسائل الفقهية المعاملاتية التي أجاب عنها الإمام الرضا عليه السلام مضافاً إلى بيان العصر الفكري الذي عاش فيه الإمام الرضا روعي له الفداء، ثم بيان منهجه عليه السلام في الإجابة وما لهذا من أهمية كبيرة في رصد الأحكام الابتلائية آنذاك، ومعرفة طريقة الاستدلال عليها فضلاً عن الاطلاع على التراث الفقهي للإمام المهتم الرضا عليه السلام.

المبحث الأول: البيئة الفكرية لعصر الإمام الرضا عليه السلام

اتسم عصر الإمام الرضا عليه السلام بالانفتاح على باقي الثقافات لاسيما اليونانية مضافاً إلى الحركة الفكرية الموجودة والتي نشطت وانتشرت، ويُعدّ المأمون من أوائل الذين اهتموا بترجمة علوم الحكمة وقرب الحكماء فكان لذلك الأثر في ظهور تيارات أجنبية واتجاهات متعددة منحرفة، لاسيما مع بدء الترجمة ودخول المجتمع الإسلامي بكل قوة فيها واتجاه المسلمين إلى مطالعة الفلسفة اليونانية والكيمياء والطب وعلوم الأديان الأخرى، ما

أدى إلى مواجهات خطيرة بين هاتين الثقافتين: الإسلامية والأجنبية ولم تكن الدولة الإسلامية مستقرة سياسياً فهناك كثير من المشاكل السياسية التي تهز الواقع الإسلامي، كما أثر ما يسمى بالفتوحات الإسلامية على تولّد بعض هذه الحركات المنحرفة.

ذلك كله لم يكن غائباً عن الإمام الرضا عليه السلام فقد كان له منهج خاص في مواجهة هذه التحديات والتيارات الفكرية المنحرفة في عصره كما هم سائر أئمة أهل البيت عليه السلام.

فبعد التحاق الإمام الكاظم عليه السلام بالرفيق الأعلى قام الإمام الرضا عليه السلام بأعباء الإمامة وتصدر المشهد الفكري والعلمي ومن ثم السياسي؛ إذ قصده الناس والعلماء للسؤال وطلب العلم والمعرفة وسماع دروسه ومواعظه وأجوبته عن كل ما هو مشكل أو مثير للجدل والصراع الفكري، فكانت الأسئلة تعرض على الإمام عليه السلام في كل وقت ويحجب عنها وبالدليل سواء من القرآن أو من السنة، وكذلك كانت حلقات النقاش والمناظرات تستثمر لكشف قدرات الإمام عليه السلام الفكرية والعلمية، ولم يكن الشعر غائباً عن تلك المجالس فقد كان لكل فريق شعراؤه مدحاً وقدحاً.

من الأمور البارزة في عصر الإمام الرضا عليه السلام انتشار التشيع بشكل كبير حيث أخذت معالمه بالظهور، وتطلب ذلك انتشار فقههم وعلومهم وكتبهم ومن كان ملتماً بعلم الكلام فقد ناظر مخالفيه وخصومه في المسائل العقديّة، مثل: التوحيد والعدل والنبوة والمعاد والإمامة والعصمة والشفاعة... الخ، وكان الإمام عليه السلام يحجب عن جميع الاسئلة بكل شفافية ومعرفة حتى من كتب وروايات المخالفين، ففي عيون أخبار الرضا قال «حدثنا الحاكم أبو علي الحسين بن أحمد البيهقي قال: حدثني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثني أحمد بن محمد بن إسحاق الطالقاني قال: حدثني أبي

قال: حلف رجل بخراسان بالطلاق أن معاوية ليس من أصحاب رسول الله ﷺ أيام كان الرضا عليه السلام بها، فأفتى الفقهاء بطلاقها، فسئل الرضا عليه السلام فأفتى: إنها لا تطلق، فكتب الفقهاء رقعة وأنفذوها إليه وقالوا له: من أين قلت يا بن رسول الله إنها لم تطلق؟ فوقع عليه السلام في رقعتهم: قلت هذا من روايتكم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: لمسلمة يوم الفتح وقد كثروا عليه: أنتم خير وأصحابي خير ولا هجرة بعد الفتح، فأمطل الهجرة ولم يجعل هؤلاء أصحاباً له قال: فرجعوا إلى قوله.

لقد كان هذا الانتشار والترويج لمذهب الحق بفضل الأئمة عليهم السلام الذين كسبوا الناس بعلمهم وأخلاقهم وطيبهم وإيمانهم، لاسيما الإمام الرضا عليه السلام فالوضع السياسي الذي كان يتمتع به - ولو بحدود معينة - أتاح له فرصاً عدة في نشر علوم أهل البيت عليه السلام، فقد كانت منزلته المهمة لدى المأمون العباسي سبباً جعلت من المأمون يتظاهر بحبه لذا رفع القيود عن شيعته ومحبيه وسمح بنشر علوم آل محمد، فترى الإمام الرضا عليه السلام قد ناظر المتكلمين وأصحاب الديانات والملل الأخرى في مسائل كثيرة عقدية وفقهية وهذا التمكين المعرفي كان له أثر في قيادات بني العباس وأجهزة الحكم والسلطة، فقد روى السيد ابن طاووس: «أنه كان جماعة من خاصة أبي الحسن موسى عليه السلام من أهل بيته وشيعته يحضرون مجلسه، ومعهم في أكرامهم ألواح ابنوس وأميال، فإذا نطق بكلمة وأفتى في نازلة أثبت القوم ما سمعوا منه في ذلك».

لقد امتاز عهد المأمون العباسي بكثرة الندوات والمجالس الفكرية والعلمية، لاسيما في المدة التي تولى فيها الإمام الضامن ولاية العهد فسنحت له الفرصة في نشر علوم آبائه وأجداده، وكان المأمون العباسي يجمع أهل الديانات والملل والمذاهب الأخرى في مجالسه لغرض إحراج

الإمام الرضا بالمسائل المعقدة وعرض الشبهات عليه فما كان منه (عليه السلام) إلا أن دحض حججهم وأجاب عن شبهاتهم وأسئلتهم، وصحح مفاهيمهم الخاطئة والمنحرفة ونشر الدين بصورته الحقيقية الناصعة حتى أسلم على يديه كثير من علماء هذه الملل، «وكانت شهرته (عليه السلام) قد طبقت الآفاق، وغدا شخصه العظيم حديث الساعة حينئذٍ، ومحط اهتمام العلماء لغزارة علمه ومتانة استدلاله، وقد حفظ لنا التاريخ روائع رضوية كثيرة في هذا المجال.. هذا وفي الوقت الذي كان المأمون العباسي يقوم بترجمة ونشر الفلسفة اليونانية، كان الإمام الرضا (عليه السلام) يقوم بنشر الثقافة القرآنية الخاصة، فقد كانت أجوبته وتمثيلاته انتزاعاتٍ من القرآن المجيد»^٦. من هنا ندرك أن الحقبة التي عاش بها الإمام الرضا (عليه السلام) حقبة مليئة بالتحديات الثقافية والفكرية والتعددية المعرفية، وانتشرت في هذه الحقبة فنون الجدل والمناظرات والحوار والتي كان فيها الإمام داعياً إلى الله عز وجل مثبِّتاً للحق وداحضاً للباطل مما أدى إلى قوة ومتانة المجتمع الشيعي آنذاك وخروج الفرد والمجتمع من كل الأزمات والتحديات الفكرية التي حاول الأعداء إثارتها لهدم وحدة وتماسك مجتمعاتنا الإسلامية، ولذا تجد أن الأئمة (عليهم السلام) كانوا سدّاً منيعاً أمام هذه الأهداف والغايات الخسيسة الرامية للنيل من قوة الإسلام وقوة العالم المجتمع الإسلامي.

المبحث الثاني: منهج الإمام الرضا (عليه السلام) في أجوبته الفقهية

من المناهج المعرفية التي دعا إليها القرآن الكريم هو منهج السؤال والجواب، وكان ذلك في آيات عدة منها: قوله تعالى ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾^٧، وقوله تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ ﴾^٨، كذلك دعت السنة المباركة إلى السؤال والبحث عن المعرفة، فعن النبي الخاتم (عليه السلام):



«العلم خزائن ومفتاحها السؤال، فاسئلوا رحمكم الله فإنه يؤجر أربعة، السائل، والمجيب، والمستمع، والمحِب لهم»^(٩)، وعن الإمام علي عليه السلام قال: «سل تفقهاً ولا تسأل تعتاً؛ فإن الجاهل المتعلم شبيه بالعمى، وإن العالم المتعسف شبيه بالجاهل المتعن»^(١٠)، وقوله عليه السلام: (سلوني قبل أن تفقدوني)^(١١) وقوله عليه السلام: (سل ما يعنيك أو ما ينفع)^(١٢)، وعن الزهراء عليها السلام أنها قالت: «سلي ما بدا لك»^(١٣)، وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «إنما يهلك الناس لأنهم لا يسألون»^(١٤)، وعن أبي عبد الله الحسين عليه السلام أنه قال: «فأولئك الذين يرغبون عن سؤال أهل الذكر والذين آتاهم الله القرآن ووضعهم عندهم وأمر بسؤالهم»^(١٥)، وروى إمامنا الكاظم عليه السلام عن أبيه الصادق عليه السلام أنه قال: «سلوه ما بدا لكم، قالوا وكيف نسأل طفلاً لا يفقه، قلت -أي موسى بن جعفر-: «سلوني تفقهاً ودعوا العنت، قالوا أخبرنا عن الآيات التسع.. الخبر»^(١٦)، وقال الإمام الرضا عليه السلام: «على شيعتنا ما ليس علينا أمرهم الله سبحانه وتعالى أن يسألونا»^(١٧)، وقال أبو جعفر عليه السلام: «إذا حدثتكم بشيء فاسألوني من كتاب الله»^(١٨)، أي فاسألوني عن موضعه ومأخذه من كتاب الله سبحانه وتعالى.

استطاع الإمام الرضا عليه السلام بما يمتلك من معرفة ربّانية أن يطوّر الفكر الانساني وينمي الوعي الديني والاجتماعي والسياسي لجميع المجتمعات والمذاهب، فقد تمكن عليه السلام من نشر العلم والمعرفة وتفهم الحكمة في الشرق فكان نصيب الأمة العربية من العلوم والمعارف الشيء الكثير والتي لم يعرفها ويعهدها الناس من قبل، فضلاً عن آرائه وأجوبته في مختلف حقول المعرفة ونواحي الحياة، فقد أسهمت الأنوار المعرفية للإمام الرضا عليه السلام في صنع الحضارة الإنسانية وبلورة الفكر الاجتماعي، وهي بجميع أبعادها ومحاورها تعدّ من أعظم تراث الأمة الإسلامية الذي يضاهي ما أنتجته الأمم والشعوب الأخرى^(١٩). ومن تراثه العلمي



العلم خزائن ومفتاحها السؤال، فاسئلوا رحمكم الله فإنه يؤجر أربعة، السائل، والمجيب، والمستمع، والمحِب لهم

والمعرفي أجوبته على المسائل الموجهة إليه ﷺ، فعند تأملها بصورة عامة نجدتها قد استندت على مبادئ عدة منها:

١ - القيم الأخلاقية : فقد حدّد الإمام الرضا ﷺ أبعاد الحياة الأخلاقية بأمور ثلاث «علاقة الفرد بالله، وبالمجتمع، وبالنفس» فما يرتبط بالله عزّ وجلّ أكّد فيه الإمام على حب الله وتعلق قلب المؤمن بالله عزّ وجلّ كونه جوهر العبادة الحقيقية، فكان الإمام ﷺ يرعى مراد الله في كل أموره وأكد كذلك على حسن الظن به تعالى فالله عزّ وجلّ يقبل القليل من العمل بشرط أن تكون النية مبنية على التقوى، كما حثّ الإمام على التوكل والتلبس بصفة التقوى وتجنب المعصية والتحلي بذكر الله، أمّا في مجال العلاقات الاجتماعية فقد بنى الإمام الرضا ﷺ منهجاً على أمور ثلاث وهي متوافقة مع منهج القرآن الكريم للعلاقات الاجتماعية: «المسألة الأخلاقية، صلة الرحم، تكامل الإنسان في الإسلام»، ومنهجه في مجال الشخصية الإسلامية وهي أخلاقية التعامل مع النفس؛ فقد أشار الإمام ﷺ إلى الصفات التي ينبغي تواجدها في الشخصية الإيمانية كحُبّ الصمت، والإعراض عن الجاهلين لإبطال جهلهم، وأخذ الحذر، وأكد على الكتمان حفاظاً على الدين من عيون الطغاة، وشدّد على طلب العلم كونه سلاحاً يستعمله المؤمن في ساحات الحياة، وأوصى الإمام ﷺ بالتحلي بالصبر كونه تمحيصاً حقيقياً للإيمان ومفتاحاً للفرج وهو صبر على الطاعة وعلى المعصية وعلى البلاء، وأوصى في موعظته بالكلمة الطيبة والحجة البالغة وهي من أهم مظاهر الشخصية الإيمانية الأخلاقية وكذلك أوصى بالقناعة في التفكير تنزّهاً عن لئام الناس وطريقاً إلى الوصول إلى مرضاة الله عزّ وجلّ، وأمّا عناصر الأخلاق عنده فهي: «الإلزام، والجزاء، والمسؤولية، والنية والدوافع والجهد».

وهذه لمحة موجزة عن منهج الإمام الأخلاقي في أجوبته ٢٠.

٢- إصلاح الفرد والمجتمع: المتأمل في حياة الإمام الرضا عليه السلام لا سيما في حواراته وأجوبته يجد أنه عليه السلام كان يستثمر الفرص المتاحة له لغرض الإصلاح والتغيير الاجتماعي والأخلاقي وبناء واقع جديد يختلف عن السائد، ومن أجل ذلك تعددت أساليبه التربوية والإصلاحية.

أ- منهج الاقتداء بالأنموذج الصحيح: لقد كان الإمام الرضا عليه السلام من خلال ردوده وحواراته وأجوبته يحيي روح الاقتداء بالرسول الكريم ﷺ فهو قدوة للحكام باعتباره كان حاكماً ورئيس دولة وقدوة للعلماء والفقهاء ولسائر المؤمنين.

ب- مثال الإمام العامل: فقد قام الإمام الرضا عليه السلام بأعباء الإمامة ونشر تعاليم شريعة جده السماء وأدّى دور القدوة والمثل الأعلى فجاء فعله مصداقاً لقيم الرسالة الإسلامية الحقيقية الثابتة، وقدم للمؤمنين مثلاً من أرقى الأمثلة في العلم والحلم والأخلاق وقضاء حوائج الناس والشجاعة والإجابة عن كل تساؤلاتهم لاسيما الفقهية والعقائدية.

ت- نشر مكارم الاخلاق: اشتهر عنه عليه السلام أنه يدعو إلى التمسك بمكارم الأخلاق وكان ذلك عن طريق نشر أحاديث جده وآبائه في حواراته وأجوبته وهذا كان له الأثر المهم في رسم المنهج السلوكي السليم للفرد، ومن تلك الأحاديث المروية عن طريقه قوله عليه السلام: «إن الله بعثني بالرحمة لا بالعقوق»^{٢١} وقوله عليه السلام: (عِدَّة المؤمن نذر لا كفارة لها)^{٢٢}، وعندما سُئل: ما حد التواضع الذي إذا فعله العبد كان متواضعاً؟ قال: (التواضع درجات: منها أن يعرف المرء قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم: لا يجب أن يأتي إلى أحد إلا مثل ما يؤتى إليه إن رأى سيئة درأها بالحسنة كاظم الغيظ عافٍ عن الناس والله يحب المحسنين)^{٢٣}.

ث- إعداد الجماعة الصالحة: عُرف عنه عليه السلام أنه قام بوظيفته التربوية في بناء الجماعة المؤمنة ضمن محورين: محور الجماعة الصالحة: فكان الإمام عليه السلام حريصاً على بناء الجماعة الصالحة التي تتبع مذهب أهل البيت عليهم السلام منهجاً للحياة حتى يعد قادة ونماذج رسالية تؤدي دورها في إصلاح الأخلاق وتغيير الانحراف السائد في المجتمع، «فعن علي بن محمد القتيبي، عن الزفري بكر بن زفر الفارسي، عن الحسن بن الحسين، أنه قال: استحل أحمد بن حماد مني ما لا له خطر، فكتبت رقعة إلى أبي الحسن عليه السلام وشكوت فيها أحمد بن حماد، فوقع فيها: خوَّفه بالله، ففعلت ولم ينفع، فعاودته برقعة أخرى أعلمته أني قد فعلت ما أمرتني به فلم أنتفع، فوقع: إذا لم يحل فيه التخويف بالله فكيف تخوِّفه بأنفسنا»^{٢٤}. وكان عليه السلام (يتابع العبيد ثم يعتقهم بعد إعدادهم تربوياً وأخلاقياً وإيمانياً وأثر عنه أنه قد أعتق ألف مملوك)^{٢٥}. بناء المجتمع الإسلامي: لقد كان الإمام عليه السلام من خلال مناظراته يوجّه الأمة الإسلامية للالتزام بتعاليم الإسلام والأخلاق الفاضلة والتمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله لكي يكون المجتمع الإسلامي بعيداً عن الانحراف والرذيلة فقد مارس الإمام عليه السلام مسؤولياته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعموم المجتمع الإسلامي بما فيهم الحكام والمحكومين^{٢٦}.

٣- منهج الحوار: «يعدّ الحوار ظاهرة اجتماعية سامية بدأت مع الإنسان منذ أن اكتشف بأن له شريكاً في الحياة ويعرف الحوار لغة: «مراجعة الكلام بين طرفين تخاطباً»^{٢٧}، والمحاورة المجاورة والتحاوّر التجاوب واستحارّه استنطقه تقول: كلمته فما رجع إلي حواراً وحواراً»^{٢٨}، أي ما ردّ جواباً^{٢٩}، وفي الاصطلاح: (الحوار هو المراجعة في الكلام، أو الأخذ والرد بين شخصين أو طرفين، لكل منهما مفاهيمه أو أفكاره أو آراؤه أو مقترحاته، وتجاذب أطراف الحديث بين شخصين أو أكثر يهدف منه

الوصول إلى لغة مشتركة ومفاهيم متقاربة وتشخيص موحد، إن أمكن،
للأشياء كلها، وللمشكلات كافة) ^{٣٠}، فيمكن فهم منهج حوار الإمام مع
أهل الملل والديانات الأخرى باعتبار أن الإمام الرضا عليه السلام في عصره هو
الإمام المعصوم وهو حافظ الشريعة ورافع الشبهات ومن يحل المشكلات
الملتبسة على العلماء فلا بد أن يكون مع دفع هذه الشبهات القدرة الكبيرة في
التحاور مع أهل الملل والأديان عندما يطلبون ذلك وليس بطلب الإمام
المعصوم عليه السلام فنجد أن الإمام الرضا عليه السلام لم يحد عن منهج آبائه وأجداده
في المبادرة للحوار إلا لمصلحة تقتضي ذلك وعدم الدخول في جدال مع
المتكلمين في زمانه؛ لأن الجدال فيه المذموم والممدوح الموصوف بالتالي هي
أحسن في القرآن، وليس كالحوار) ^{٣١}.

يمكن إجمال منهج الإمام الرضا عليه السلام في حواراته مع أهل الملل والأديان
من خلال تأمل حواريتين: الحوارية الأولى حدثت في البصرة وتعدّ من
أهم الوثائق وقد ذكرها الراوندي في مصنفه الخرائج والجرائح، والحوارية
الثانية التي أشرف عليه المأمون العباسي؛ إذ جمع فيها أهل الملل وأشهر
المتكلمين وأهل المقالات لغرض إحراج الإمام عليه السلام واختباره والانتقاص
منه أمام شيعته ومواليه لينفضّوا من حوله وقد جرت في مدينة مرو
وذكرها الشيخ الصدوق في توحيده وكذلك في عيون أخبار الرضا عليه السلام
وقد تضمنت هاتان الحواريتان معلومات ومعارف كلامية واحتجاجات
علمية تنبأ عن النزعات الفكرية السائدة آنذاك، وقد عدّها المؤرخون من
أهم وثائق القرن الثالث الهجري لأهميتهما، وتحتاج إلى توجه الباحثين
والدارسين إليها لغرض اكتشاف درر الإمام الرضا عليه السلام وكيف استطاع
مواجهة الفكر المنحرف والانتصار على أعداء الإسلام والدفاع عن العقيدة
الحقة التي جاء بها خاتم الأنبياء والائمة الطاهرين عليهم السلام، وما في ذلك من

أثر كبير على مستوى الفرد والمجتمع اجتماعياً ودينياً وأخلاقياً، وقد اتبع الإمام الرضا عليه السلام مقدمات قبل القيام بالمحاوراة أهمها:

١- الابتداء بالأمور الشرعية (مثل الطهارة والوضوء، وهو الذي فعله الإمام عليه السلام لما أخبره الفضل بن سهل، فقال له: (جعلت فداك ابن عمك ينتظرك، وقد اجتمع القوم فما رأيك في إتيانه، فقال له الرضا عليه السلام: تقدمني فأني صائر إلى ناحيتكم إن شاء الله، ثم توضأ عليه السلام وضوء الصلاة وشرب شربة سويق وسقانا منه) ٣٢

٢- استفتاح الحوار بتحية السلام (لكي يسود الاطمئنان ويتخلص المحاور من الإحساس بطلب الغلبة والمخاصمة التي يشعر بها المتحاورون، فالسلام هو أول انتصار وحجة يخصم به المحاور ويعرف من خلالها حقيقتهم بالرد من عدمه، وقد فعل ذلك الإمام الرضا عليه السلام عندما اجتمع إليه أهل الأديان في البصرة وذلك) لما تكاملوا ثني للرضا عليه السلام وسادة، فجلس عليها، ثم قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، هل تدرون لم بدأتكم بالسلام؟ فقالوا: لا. قال: لتطمئن أنفسكم) ٣٣.

٣- تقديس أوقات الصلاة (فقد قطع الإمام الرضا عليه السلام على عمران الصابئي كلامه ولم يستجب لطلبه حين حضر وقت الصلاة: (التفت عليه إلى المأمون فقال: الصلاة قد حضرت، فقال عمران: يا سيدي لا تقطع علي مسألتي فقد رق قلبي، قال الرضا عليه السلام: نصلي ونعود، فنهض ونهض المأمون: فصلى الرضا عليه السلام داخلاً، وصلى الناس خارجاً خلف محمد ابن جعفر، ثم خرجا، فعاد الرضا عليه السلام إلى مجلسه) ٣٤.

٤- إظهار أن القصد من الحوار بيان الحقيقة وليس غير ذلك: (فإن الجاثليق حين علم الإمام الرضا أنه لا يقرّ خوفاً من أن يلزمه بدين الإسلام آمنه من ذلك، وكان هذا حال أغلب الحضور من الأديان الأخرى حين

أحجموا عن جوابه ﷺ وقالوا: لا يجوز لنا أن نقرّ لكم بأن محمداً هو محمدكم؛ لأنّا إن أقررنا لك بمحمد ووصيه وابنته وابنیه على ما ذكرت أدخلتمونا في الإسلام كرهاً فقال الرضا ﷺ: أنت يا جاثليق آمن في ذمّة الله وذمّة رسوله أنه لا يبدؤك من شيء تكره مما تخافه وتحذره، قال: أما إذا قد أمتني فإن هذا النبي الذي اسمه محمد وهذا الوصي الذي اسمه علي .

٥- إفساح المجال للسائل لعرض مسألته أياً كانت: (فقد بين ذلك الإمام الرضا ﷺ لعمران الصابئي حين طلب من القوم السؤال فقال ﷺ: (يا قوم إن كان فيكم أحد يخالف الإسلام وأراد أن يسأل فليسأل غير محتشم، فقام إليه عمران الصابئي وكان واحداً في المتكلمين فقال: يا عالم الناس لولا أنك دعوت إلى مسألتك لم أقدم عليك بالمسائل، ولقد دخلت الكوفة والبصرة والشّام والجزيرة ولقيت المتكلمين فلم أقع على أحد يثبت لي واحداً ليس غيره قائماً بوحدانيته، أفتأذن لي أن أسألك؟ قال الرضا ﷺ: إن كان في الجماعة عمران الصابئي فأنت هو، فقال: أنا هو، فقال ﷺ: سل يا عمران وعليك بالنصفة، وإياك والخطل والجور، قال: والله يا سيدي ما أريد إلا أن تثبت لي شيئاً أتعلق به فلا أجوزه، قال ﷺ: سل عما بدا لك) ^{(٢)٣٥}. هذه أبرز آداب حوار الأديان، وربما كان البعض منها عامّاً لا يخصّ الأديان، إلا أنها من المقدمات التي كان الإمام الرضا ﷺ قد تعامل بها مع من تحاور معهم من أهل الديانات.

من خلال ما تقدم يمكن معرفة منهج الإمام الرضا ﷺ في الحوار وأجوبة السائلين؛ إذ كان ﷺ يستمد أجوبته واحتجاجاته وأخلاقه في الحوار من القرآن الكريم لاسيما قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ

اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٣٦﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿٣٧﴾ وكذلك سنة شريعة سيد المرسلين وما أثر عن آبائه وأجداده^{٣٨}. هذا الحضور من قبل الإمام عليه السلام كان له الأثر في تصحيح اعتقادات الناس وبناء شخصية الفرد المسلم ووضع الأركان الأساسية لبناء المجتمع المسلم ومواجهة الفهم الخاطئ لنصوص الشريعة فضلاً عن دفع الشبهات والقضاء على المنحرفين الذين يرمون هدم بناء شريعة سيد المرسلين محمد ﷺ وبيان أن الذي يستحق قيادة المجتمع الإسلامي هم من نصبهم رسول الله ﷺ خلفاء من بعده، لقد انتصر الإمام عليه السلام على جميع من حاوره بكل شفافية وعقلانية لأن علمه مستمد من السماء ومستند على القرآن والوحي والفطرة وما كان غرضه دنيوياً إنما كان الغرض الوصول إلى حقائق من شأنها إنقاذ المجتمع الإسلامي من الفساد والانحراف.

المبحث الثالث: التطبيقات الفقهية

عرضت على الإمام الرضا عليه السلام مسائل علمية متعددة إلا أن البحث سيقصر على المسائل المرتبطة بفقه المعاملات والتي كان لها أثر مهم في الحفاظ على هوية الإسلام ونشر الأحكام الصحيحة المستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وكذلك الحفاظ على الفرد والمجتمع من الانحراف العقدي والفقهية فمن خلال هذه الأجوبة تمكن الإمام عليه السلام من إرساء قواعد بناء شخصية الفرد المؤمن والجماعة الصالحة. فمن تلك المسائل.

١- العمل للسلطان الجائر: نقل عن سليمان الجعفري أنه قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: ما تقول في أعمال السلطان؟ فقال: يا سليمان الدخول في أعمالهم، والعون لهم، والسعي في حوائجهم عديل الكفر، والنظر إليهم

على العمد من الكبائر التي يستحق بها النار^{٣٩}. والرواية دالة على قبول الرضا بالولاية من الجائر لدفع الضرر عن النفس وغيره، فقد سوغ الإمام الرضا (عليه السلام) الولاية من قبل الجائر ولكن بشرط نفع المؤمنين ودفع الأذى عنهم، قال: (عليه السلام): (إن الله مع السلطان أولياء يدفع بهم عن أوليائه)^{٤٠}.

ونقل عن الحسن بن الحسين الأنباري عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:
 كتبت إليه أربع عشرة سنة استأذنه في عمل السلطان، فلما كان في آخر
 كتاب كتبه إليه أذكر أنني أخاف على خيط عنقي، وأن السلطان يقول لي
 إنك رافضي، ولسنا نشكّ في أنك تركت العمل للسلطان للرفض، فكتب
 إلي أبو الحسن عليه السلام: فهمت كتابك، وما ذكرت من الخوف على نفسك،
 فإن كنت تعلم أنك إذا وليت عملت في عملك بما أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله
 ثم تصير أعوانك وكتابك أهل ملتك، وإذا صار إليك شيء واسيت به
 فقراء المؤمنين حتى تكون واحداً منهم، كان ذا بذاً وإلا فلا ^{٤١}. والرواية
 دالة على: حكم تولي القضاء والحكم ونحوه عن السلطان الجائر.

٢- الأجرة على كتابة المصحف: «سئل الإمام الرضا عليه السلام عن الأجرة على كتابة المصحف فقال عليه السلام: لا بأس»^{٤٢}.

٣- التعرّب بعد الهجرة: نقل عن محمد بن سنان أن الإمام الرضا عليه السلام كتب إليه فيما كتب من جواب مسأله: « وحرّم الله التعرّب بعد الهجرة للرجوع عن الدين، وترك المؤازرة للأنبياء والحجج عليهم السلام، وما في ذلك من الفساد وإبطال حق كل ذي حق لعله سكنى البدو، ولذلك لو عرف الرجل الدين كاملاً لم يجز له مساكنة أهل الجهل والخوف عليه؛ لأنه لا يؤمن أن يقع منه ترك العلم والدخول مع أهل الجهل والتماذي في ذلك» ...^{٤٣} الرواية لها دلالة في بيان علل تحريم بعض الكبائر.

٤ - جواز شراء سبايا الكفار: نقل عن محمد بن عبد الله أنه قال: «سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قوم خرجوا، وقتلوا أناساً من المسلمين، وهدموا المساجد وإن المتولي هارون بعث إليهم فأخذوا، وقتلوا، وسبي النساء والصبيان، هل يستقيم شراء شيء منهم، ويطؤون أم لا؟ قال عليه السلام: لا بأس بشراء متاعهن، وسبيهن»^(٤٤). والرواية في بيان: «جواز شراء النساء والصبيان التي أخذهم المسلمون من دون جهاد اصطلاحي، بل الظاهر أنه كان لأجل مكافأة عملهم - يعني المسلمين - حيث أخذوا المسلمين وهدموا مساجدهم، بل الظاهر أن مورد الخبر ... ما يؤخذ منهم عند الدفاع معهم إذا هجموا على المسلمين في أمكتهم ولو في زمن الغيبة؛ فإن الظاهر كون عدم بسط يد الإمام عليه السلام في حكم الغيبة كما في زمن أكثر الأئمة عليهم السلام، في أكثر أزمته»^(٤٥).

ونقل عن زكريا بن آدم أنه قال: «سألت الرضا عليه السلام عن قوم من العدو صالحوا ثم خفروا، ولعلهم إنما خفروا لأنه لم يعدل عليهم، أيصلح أن يشتري من سبيهم؟ قال عليه السلام: إن كان من عدو قد استبان عداوتهم فاشتر منه، وإن كان قد نفروا وظلموا، فلا يباع من سبيهم»^(٤٦). وقد تضمنت الرواية بيان بعض أحكام الأسرى، ومنه (حكم ابتياع ما يسببه الظالم من أهل الحرب وما يسرق منهم).

وفصل الإمام عليه السلام في الحديث الثاني «بين الخارجين على الحكومة الإسلامية، فإن كان خروجهم عن ظلم عانوه لأن الحكومة لم تف بمعاهداتها، وخاست بوعودها لهم فلا سبيل لشراء شيء من سباياهم، وإن كان خروجهم عداً للإسلام، وحقداً على المسلمين، فيباح للمسلمين شراء سباياهم»^(٤٧).

٥- حكم الخراج في الأراضي: يبين الإمام الرضا (عليه السلام) «حكم الخراج في الأراضي، في حديثه مع أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: ذكرت لأبي الحسن الرضا (عليه السلام) الخراج، وما سار به أهل بيته فقال: العشر ونصف العشر على من أسلم طوعاً، تركت أرضه في يده، وأخذ منه العشر ونصف العشر فيما عمر منها، وما لم يعمر منها أخذه الوالي فقبله ممن يعمره، وكان للمسلمين، وليس فيما كان أقل من خمسة أوساق شيء، وما أخذ بالسيف فذلك إلى الإمام يقبله بالذي يرى، كما صنع رسول الله (صلى الله عليه وآله) بخير قبل أرضها ونخلها، والناس يقولون: لا تصلح قبالة الأرض والنخل إذا كان البياض أكثر من السواد، وقد قبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) خير، وعليهم في حصصهم العشر ونصف العشر^{٤٨}. والرواية دالة على: «أن الأرض المأخوذة بالسيف عنوة يقبلها الإمام لمن يقوم بعمارها بما يراه من النصف وغيره وعلى المتقبل إخراج مال القبالة وحق الرقبة»^(٤٩).

٦- الخيار في الحيوان: وذكر علي بن أسباط عن الحسن الرضا (عليه السلام) قال: «سمعتة يقول: الخيار في الحيوان ثلاثة أيام للمشتري وفي غير الحيوان أن يفترقا»^{٥٠}، وعلى ضوء هذه الرواية وغيرها فقد أفتى الفقهاء بأن للمشتري حق الخيار في الحيوان إلى ثلاثة أيام وفي غيره ما لم يفترقا وسمي ذلك بخيار الحيوان وخيار المجلس.

٧- من أحكام القرض: وفي رواية ليونس قال: «كتبت إلى الرضا (عليه السلام) أن لي على رجل ثلاثة آلاف درهم، وكانت تلك الدراهم تنفق بين الناس تلك الأيام، وليست تنفق اليوم، فلي عليه تلك الدراهم بأعيانها أو ما ينفق اليوم بين الناس؟ قال: فكتب لي: لك أن تأخذ منه ما ينفق بين الناس، كما أعطيته ما ينفق بين الناس»^{٥١}. والرواية دالة على: أنه بسقوط النقد عن الرواج يستحق المالك المطالبة بالرائج.

٨- بيع الثمر قبل بدو صلاحه: روى الحسن بن علي الوشاء قال: «سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام هل يجوز بيع النخل إذا حمل - أراد بيع الثمر - قال لا يجوز بيعه حتى يزهر، قلت: وما الزهو؟ جعلت فداك، قال: يحمر ويصفر، وشبه ذلك»^{٥٢}.

والرواية دالة على: «بطلان بيع الثمرة بعد ظهورها وقبل بدو صلاحها»^{٥٣}.

٩- حرمة شراء أبناء أهل الذمة: روى زكريا بن آدم قال: «سألت الرضا عليه السلام عن أهل الذمة أصابهم جوع فأتاه رجل بولده، فقال، هذا لك أطعمه وهو لك عبد، فقال: لا تتبع حرماً فإنه لا يصلح لك، ولا من أهل الذمة»^{٥٤}. والرواية دالة على: بطلان بيع الحر من أهل الذمة.

١٠- قضاء الإمام لديون الغارمين: «روى محمد بن سليمان عن رجل من أهل الجزيرة يكنى أبا محمد. قال: سألت الرضا عليه السلام رجل، وأنا أسمع فقال له: جعلت فداك إن الله عز وجل يقول: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ أخبرني عن هذه النظرة التي ذكر الله عز وجل في كتابه لها حد يعرف إذا صار هذا المعسر إليه لا بد له أن ينتظر وقد أخذ مال هذا الرجل، وانفقه على عياله، وليس له غلة ينتظر ادراكها، ولا دين ينتظر محله، ولا مال غائب ينتظر قدومه. قال عليه السلام: نعم ينتظر بقدر ما ينتهي خبره إلى الإمام فيقضي ما عليه من الدين من سهم الغارمين، إذا كان أنفقه في طاعة الله عز وجل فإن كان أنفقه في معصية الله عز وجل فلا شيء له على الإمام، قلت فما لهذا الرجل الذي ائتمنه وهو لا يعلم فيما أنفقه في طاعة الله أم في معصيته؟ قال: يسعى له في ماله فيرده عليه وهو صاغر»^{٥٥}. والرواية تتضمن: صرف الزكاة إلى الغارمين بقيد أن لا يكون الدين قد صرف في المعصية.

١١- شراء الدين: «روى محمد بن الفضيل قال: قلت للرضا عليه السلام: رجل اشتري ديناً على رجل، ثم ذهب إلى صاحب الدين، فقال له: ادفع إلي ما لفلان عليك. فقد اشتريته منه، قال: يدفع إليه قيمة ما دفع إلى

صاحب الدين، وبرئ الذي عليه المال من جميع ما بقي عليه»^{٥٦}. والرواية دالة على: دفع المدين نفس القيمة التي اشترى بها دينه.

١٢- عدم مضايقة المستدين: « روى على بن إسماعيل عن رجل من أهل الشام أنه سأل الرضا عليه السلام عن رجل عليه دين قد فدحه، وهو يخالط الناس وهو يؤتمن بسعة شراء الفضول من الطعام والشراب، فهل يحل له أم لا؟ وهل يحل أن يتطلع من الطعام أم لا يحل له إلا قدر ما يمسك به نفسه ويبلغه؟ قال عليه السلام: لا بأس بما أكل»^{٥٧}. «فدحه الدين أثقله وتضلع الرجل امتلاً شعباً ورياً ويبلغه من البلغة بالضم وهي ما يكتفى به من العيش»^{٥٨}، وظاهر الرواية انه لا يمكن التضيق على المستدين، وانه في سعة من حاله في شراء ما يحتاجه من الاطعمة.

١٣- كراهة استعمال الأجير قبل تعيين أجرته. روى سليمان بن جعفر الجعفري قال: كنت مع الرضا عليه السلام في بعض الحاجة فأردت أن انصرف إلى منزلي، فقال لي: انصرف معي فيّ عندي الليلة، فانطلقت معه فدخل إلى داره مع المغيب فنظر إلى غلمانه يعملون في الطين أو أري الدواب وغير ذلك وإذا معهم اسود ليس منهم فقال: ما هذا الرجل معكم؟ قالوا: يعاوننا ونعطيه شيئاً، قال: قاطعتموه على أجرته، قالوا: لا هو يرضى بما تعطيه... وغضب لذلك غضباً شديداً، فقلت: جعلت فداك لم تدخل على نفسك؟ فقال: اني قد نهيتهم عن مثل هذا غير مرة أن يعمل معهم أحد، حتى يقاطعوه على أجرته، واعلم أنه ما من أحد يعمل لك شيئاً بغير مقاطعة ثم زدته لذلك الشيء ثلاثة اضعاف على أجرته الا ظن أنك قد نقصته أجرته، وإذا قاطعته ثم أعطيته أجرته حمدك على الوفاء، فان زدته حبة عرف ذلك لك، ورأى أنك قد زدته»^{٥٩} ان من محاسن التشريع الاسلامي معاملة الأجير وقطع أجرته قبل عمله، فإذا لم تعين أجرته، فمهما أعطي

فإنه لا يرضى، ويكون ذلك مدعاة للنزاع والخصومة والرواية دالة على :
اشتراط المقاطعة مع المستأجر بمقدار أجرته.

١٤ - الإجارة لا تبطل ببيع العين: « روى يونس قال: كتبت إلى
الرضا عليه السلام أسأله عن رجل تقبل من رجل أرضاً أو غير ذلك سنين
مسماة، ثم إن المقبل أراد بيع أرضه التي قبلها قبل انقضاء السنين المسماة،
هل للمقبل أن يمنعه من البيع قبل انقضاء أجله الذي قبلها منه إليه،
وما يلزم المتقبل له؟ قال عليه السلام: له أن يبيع إذا اشترط على المشتري أن
المتقبل من السنين ما له »^{٦٠}، « لا مانع من بيع العين المستأجرة ولكن
يشترط اعلام المشتري بالأمر، فيبيعه عليه مسلوقة المنفعة إلى مدة انقضاء
الإجارة وإذا لم يعلمه بذلك فله خيار الفسخ »^{٦١} ، والرواية دالة على:
بيان حكم من يؤجر أرضاً ثم يبيعها قبل انقضاء الأجل.

١٥ - الرجوع في الهبة قبل القبض: « روى صفوان بن يحيى قال:
سألت الرضا عليه السلام عن رجل كان له مال فوهبه لولده الأكبر، فذكر
له الرجل المال الذي له عليه، فقال: إنه ليس عليك منه شيء في الدنيا
والآخرة - ومعنى ذلك أنه وهبه له - يطيب له ذلك، وقد كان وهبه
لولده؟ قال عليه السلام: نعم يكون وهبه له ثم نزع فجعله لهذا »^{٦٢} ان الهبة قبل
القبض يجوز ارتجاعها، وهي من العقود الجائزة التي يجوز الرجوع فيها
نعم الهبة لذوي الأرحام أو المعوضة تكون لازمة بعد القبض لا قبله.
فالرواية دالة على بيان بعض احكام الهبة.

١٦ - دفع مال اليتيم إذا بلغ: « روى سعد بن إسماعيل عن أبيه قال: سألت
الرضا عليه السلام عن وصي أيتام، يدرك أيتامه فيعرض عليهم أن يأخذوا الذي لهم
فيأبون عليه، كيف يصنع؟ قال: يرد عليهم، ويكرههم عليه »^{٦٣}. ان اليتيم إذا
بلغ وكان رشيداً فإنه لا سلطان للوصي من قبل أبيه عليه، ويجب عليه ارجاع

المال إليه، وإذا امتنع فيجبره الحاكم الشرعي على قبوله . فالرواية دالة على لزوم إرجاع الوصي المال لليتيم إذا بلغ .

١٧- رجل أوصى بسهم من ماله للإمام: روى صفوان وأحمد بن محمد بن أبي نصر قالاً: سألنا الرضا عليه السلام عن رجل أوصى لك بسهم من ماله، ولا ندري السهم أي شيء هو؟ فقال عليه السلام: ليس عندكم فيما بلغكم عن جعفر ولا عن أبي جعفر فيها شيء؟ فقلنا له: ما سمعنا أصحابنا يذكرون شيئاً من هذا عن آبائك عليه السلام، فقال: السهم واحد من ثمانية - إلى أن قال - قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَإِنَّ السَّبِيلَ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ثم عقد بيده ثمانية، قال: وكذلك قسمها رسول الله صلى الله عليه وآله على ثمانية أسهم، فالسهم واحد من ثمانية^{٦٤}. والرواية دالة على أن الوصية إذا كانت بالسهم فتحمل على الثمن.^{٦٥}

١٨- جواز الزواج بامرأة مع الزواج بأم ولد أبيها: « ذكر أحمد بن محمد بن أبي نصر عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سألته عن الرجل يتزوج المرأة ويتزوج أم ولد أبيها، قال عليه السلام: لا بأس بذلك، قلت: بلغنا عن أبيك أن علي بن الحسين عليه السلام تزوج ابنة الحسن بن علي عليه السلام وأم ولد الحسن فقال: ليس هكذا إنما تزوج علي بن الحسين ابنة الحسن وأم ولد لعلي بن الحسين المقتول عندكم^{٦٦}. والرواية تدل على: جواز الجمع بين المرأة وأم ولد أبيها بالنسبة للرجل.

١٩- كراهة زواج المرأة بسوء الخلق: روى الحسين بن بشار الواسطي قال: كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام: « أن لي قرابة قد خطب إلي وفي خلقه سوء، قال: لا تزوجه إن كان سيء الخلق^{٦٧}. وقد حمل هذا النهي على الكراهة وليس التحريم، فالرواية تدل على كراهة النكاح من سيء الخلق.

٢٠- بطلان الطلاق الفاقد للشروط: « روى أحمد بن محمد بن أبي نصر عن الرضا عليه السلام قال: سألته عن رجل طلق امرأته بعدما غشيها بشاهدين عدلين، قال: ليس هذا طلاقاً، فقلت له: فكيف طلاق السنة؟ فقال: يطلقها إذا طهرت من حيضها قبل أن يغشاها بشاهدين عدلين فإن خالف ذلك رد إلى كتاب الله عز وجل، قلت: فإنه طلق من غير جماع بشهادة رجل وامرأتين، قال: لا تجوز شهادة النساء في الطلاق»^{٦٨}. والرواية دالة على اشتراط صحة الطلاق بطهر المطلقة إذا كانت غير حامل وكانت مدخولاً بها وزوجها حاضراً وبطلان الطلاق في الحيض^{٦٩}.



الخاتمة والنتائج

من خلال التأمل في منهج الإمام الرضا عليه السلام في اجوبته على المسائل الشرعية لاسيما المتعلقة بفقه المعاملات يظهر الآتي :

١- معظم اجوبة الإمام الرضا عليه السلام ماهي الا انتزاعات من القرآن الكريم وهذا يؤكد اقتران القرآن الكريم بالعترة الطاهرة عليها السلام ومضمون حديث الثقلين .

٢- المتأمل في منهج الإمام الرضا عليه السلام في اجوبته على المسائل المعاملاتية يجد أن كثيرا ما كان يوصل الفرد والمجتمع بكتاب الله العزيز لغرض التفكير والتدبر من جانب ومن جانب آخر ليبين ان القرآن الكريم فيما لو فهم بالطريقة المثلى وعن اهله لوصل بالفرد والمجتمع الى اكمل الغايات والمعارف الدينية والاخلاقية .

٣- مثل الإمام الرضا عليه السلام في عصره دور المعلم والموجه والرائد العظيم للفكر والحضارة الاسلامية وقد برهن ذلك من خلال شجاعته وثباته الفكري والعقدي والفقهي في جميع اجوبته ومناظراته وحواراته واجوبته التي اوضح فيها الاسس والاصول الشرعية لبناء الفرد والمجتمع من جميع النواحي العقدية والفكرية والفقهية والاخلاقية . ما من شأنه الحفاظ على تماسك الفرد والمجتمع من التيارات المنحرفة وتطبيق احكام الشريعة على الوجه الصحيح .

٤- يكتشف المنصف ان الغرض الاساسي من هذه الحوارات والمناظرات والاجوبة هو انقاذ الامة الاسلامية من الظلم والانحراف وعدم التفرقة وحماية وجودها المعنوي والروحي واكسابها بعض المعالم الالهية والمعرفية لمواجهة تحديات العصر .

٥- استثمر الإمام الرضا عليه السلام ولاية العهد للقيام بكثير من المهام والاعمال العلمية والدينية وإظهار علوم آبائه واجداده في الفقه والشريعة



والكلام والتفسير والفلسفة فضلا عن المثل الاخلاقية الصحيحة التي من شأنها الرقي بالفرد والمجتمع نحو الكمالات والغايات الالهية .

٦- أسس الإمام (عليه السلام) منهجا معتدلا في حواراته واجوبته سواء في حرية ابداء الرأي لجميع المعتقدات والمذاهب الفقهية .

٧- كانت اجوبة الإمام الرضا (عليه السلام) المعاملاتية تعبر عن فقه اهل البيت (عليهم السلام) المتصل بأبائهم واجداده (عليهم السلام) الى ان يصل الطريق الى الوحي .

٨- دأب الإمام الرضا (عليه السلام) على مواجهة الافكار المنحرفة والابتعاد عن واضعيها والقائلين بها وكذلك المتأثرين بها حتى يمنع من انتشارها في الاوساط المجتمعية فكانت اجوبته (عليه السلام) تحمل الافكار التي من شأنها الحفاظ علي كيان الامة الاسلامية .

٩- أسس الإمام الرضا (عليه السلام) مدرسة معرفية متكاملة في خراسان تمتاز بثقافة رسالية فريدة وهي تنتمي لتراثه (عليه السلام) الحي والتي تمثلت في جميع جوانبه العلمية والفكرية ومنها اجوبته الفقهية .

١٠- تنوعت أجوبة الإمام الرضا (عليه السلام) في العقيدة والفكر والكلام والفلسفة والاخلاق والفقه وفي صنوف المعرفة كافة وقد ركّز البحث على الجانب المعاملاتي الذي يحقق التكامل الشرعي بين ابناء المجتمع الاسلامي ليسوده الرضا والسلام .



- ١- عجائب الآثار : الجبرائي ، ١٠٣ .
- ٢- نهج البلاغة ٣ : ٢٥٩ .
- ٣- المحاسن : ٢٢٩ / ١٦٥ .
- ٤- سميرة مختار الليثي . جهاد الشيعة : (ص ٣١٢) .
- ٥- عيون اخبار الرضا ع / ٢ / ٨٧ .
- ٦- الشيخ عباس القمي . الأنوار البهية : (ص ١٧٩) .
- ٧- النحل : ٤٣ .
- ٨- البقرة : ١٨٩ .
- ٩- شرح أصول الكافي ، المازندراني . ط ١ ، سنة ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م ، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان
- ١٠- هج البلاغة ، جمع الشريف الرضي محمد بن أحمد ، من أعلام القرن ٥ ، طبع مؤسسة الأعلمي بيروت .
- ١١- المجازات النبوية ، الرضي ، ص ٢٠٩ .
- ١٢- الاستيعاب ، ابن عبد البر ، ج ٣ ص ٤٠ ، بهامش الصابة . المؤسسة الفقهية الميسرة ، النصاري ، ج ١ ص ١٥٠ عقوالاً ولساناً ص ٣١ ، وفيه (سلوني عن كتاب هلالا) ، المدين ، وقوله ﷺ : (إن ربي وهب لي قلباً سؤوال) .
- ١٣- الحدائق ، البحراني ، ج ٢٣ ، ص ٥٣٤
- ١٤- الكافي ، الكليني ، ج ١ ، ص ٤٠ .
- ١٥- منية المريد ، العاملي ، ص ٧١ .
- ١٦- الكافي ، الكليني ، ج ٨ ، ص ٦ .
- ١٧- قرب الأسناد ، الحميري القمي ، ص ٣١٨ .
- ١٨- شرح أصول الكافي ، المازندراني ، ج ٢ ص ٧ .
- ١٩- الاساليب التعليمية في فكر الامام علي بن موسى الرضا ع ، ٧٥٤-٧٧٠ ، د. حيدر جابر الموسوي ، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة العدد ٦٨ ، الجزء ١
- ٢٠- زهير الاعرجي : عناصر الاخلاق عند الامام الرضا ﷺ على ضوء القرآن ، موقع مؤسسة السبطين « بتصرف »
- ٢١- الكافي ، ٢ / ١٥٩ .
- ٢٢- كشف الغمة ، ٣ / ٥٨ ، عن الجنابذي عن النبي ص .
- ٢٣- الكافي ٢ / ١٢٤ .

- ٢٤-رجال الكشي: ٥٦١، رقم ١٠٥٩. قطعة منه في (ذم أحمد بن حماد).
- ٢٥-دور الامام الرضا عليه السلام قبل ولاية العهد، الاصلاح الاخلاقي، المجمع العالمي لأهل البيت ع، لجنة التأليف ١٠ / ٩٧-١٠٤.
- ٢٦-م.ن
- ٢٧- تهذيب اللغة، الازهري، ٥ / ٣٢٧، لسان العرب، ابن منظور، ١ / ٧٥١.
- ٢٨- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس ٢ / ١١٧.
- ٢٩- لسان العرب، ابن منظور، ١ / ٤٥٨.
- ٣٠-الإسلام والآخر، أسعد السحمراني، ص ١٧، ١٨.
- ٣١-الكاشاني، المحجة البيضاء: ج ١ ص ١٠٧.
- ٣٢-الشيخ الصدوق، التوحيد، ص ٤٢٨ / ٤٣٤.
- ٣٣-قطب الدين الرواندي، الخرائج والجرائح: ١ / ٣٤٠-٣٤٧، الحر العاملي / اثبات الهداة، ١ / ٣٨٦-١٠٤، و٤ / ٥٣٠ ح ٥٦١،
- ٣٤-الصدوق: عيون اخبار الرضا ع، ١ / ١٤٧، التوحيد ٤٢٨-٤٣٤، الطبرسي، الاحتجاج ٢ / ٢٠٨.
- ٣٥-البحراني، مدينة المعاجز، ٥٠٥، ح ١٢٤، الطوسي، ثاقب المناقب، ١٥١.
- ٣٦-الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ١٤٧.
- ٣٧-آل عمران: ٢٤.
- ٣٨-آل عمران: ١٩.
- ٣٩-رسول كاظم عبد السادة: مبادئ حوار الاديان عند الامام الرضا عليه السلام، بتصرف
/https://aqeeda.iicss.iq:
- ٤٠-تفسير العياشي ١ / ٢٣٨ الوسائل ١٢ / ١٣٨.
- ٤١-المقنع (ص ٣١).
- ٤٢-فروع الكافي ١ / ٣٥٩ الوسائل ١٢ / ١٤٥.
- ٤٣-الوسائل ١١ / ١١٧.
- ٤٤-من لا يحضره الفقيه ٢ / ١٨٨ وسائل ١١ / ٧٥.
- ٤٥-وسائل الشيعة ١١ / ٩٩.
- ٤٦-مدارك العروة: علي بناه الاشتهاري، ٢٣ / ٢٥٠.
- ٤٧-التهذيب ٢ / ٥.
- ٤٨-حياة الامام الرضا: باقر شريف القرشي، ١ / ٣٥١.
- ٤٩-الوسائل ١١ / ١٢٠ التهذيب ١ / ٣٨٣.

- ٥٠- تذكرة الفقهاء : العلامة الحلي ، ٩ / ١٨٦ .
- ٥١- فروع الكافي ١ / ٣ .
- ٥٢- فروع الكافي ١ / ٤٠١ وسائل ١٢ / ٤٨١ .
- ٥٣- فروع الكافي ١ / ٣٧٨ .
- ٥٤- تذكرة الفقهاء : العلامة الحلي ، ١٠ / ٣٤٩ .
- ٥٥- فروع الكافي ١ / ٣٨٨ وسائل ١٣ / ٢٨ .
- ٥٦- تفسير العياشي ١ / ١٥٥ وسائل ١٣ / ٩١ .
- ٥٧- فروع الكافي ١ / ٥٥٣ .
- ٥٨- التهذيب ٢ / ٦١ وسائل ١٣ / ١١٥ .
- ٥٩- الوافي : الفيض الكاشاني ، ١٨ / ٧٩٨ .
- ٦٠- فروع الكافي ١ / ٤١٤ وسائل ١٣ / ٢٤٥ .
- ٦١- وسائل ١٣ / ٢٦٧ .
- ٦٢- حياة الامام الرضا ع : باقر شريف القرشي ، ١ / ٣٥٦ .
- ٦٣- التهذيب ٢ / ٣٧٨ .
- ٦٤- وسائل الشيعة ١٣ / ٤٣٦ .
- ٦٥- وسائل الشيعة ١٣ / ٤٣٨ .
- ٦٦- ينظر : الوافي : الفيض الكاشاني ، ٢٤ / ١٤٣ .
- ٦٧- فروع الكافي ٢ / ١٥ .
- ٦٨- من لا يحضره الفقيه ٢ / ١٣١ .
- ٦٩- وسائل الشيعة ١٥ / ٢٧٦ .



المصادر والمراجع القرآن الكريم

* التوحيد للصدوق ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

* ثاقب المناقب : عماد الدين أبو جعفر محمد بن علي بن حمزة المشهدي الطوسي من أعلام القرن السادس مكتبة آية الله المرعشي النجفي ، مخطوط
* جهاد الشيعة : سميرة مختار الليثي : الطبعة المصرية .

* حياة الإمام الرضا (عليه السلام) : باقر شريف القرشي ، مركز التوزيع : انتشارات سعيد بن جبير ، المطبعة : مهر ، الطبعة الأولى : ١٣٧٢ هـ . ش

* الخرائج والجرائح : قطب الدين الراوندي ، تحقيق : مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام) / بإشراف السيد محمد باقر الموحد الأبطحي ، الطبعة : الأولى ، كاملة محققة ، سنة الطبع : ذي الحجة ١٤٠٩ ، المطبعة : العلمية - قم ، الناشر : مؤسسة الإمام المهدي - قم المقدسة
* دور الإمام الرضا (عليه السلام) قبل ولاية العهد ، الإصلاح الاخلاقي ، المجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام) ، لجنة التأليف
* رجال الكشي طبع مؤسسة الأعلمي ، كربلاء (١٣٨٠ هـ . ق) .

* عجائب الآثار في التراجم والاخبار : ويعرف بتاريخ الجبرتي (عبد الرحمن بن حسن أربعة مجلدات . طبع بمصر ١٢٩٧ هـ
* عناصر الاخلاق عند الإمام الرضا (عليه السلام) على ضوء القرآن : زهير الاعرجي ، موقع مؤسسة السبطين « بتصرف »

* التهذيب للشيخ الطوسي ، دار الكتب الإسلامية ، طهران (طبع ١٣٩٠ هـ . ق) .
* إثبات الهداة للحر العاملي ، المطبعة العلمية ، قم ، الطبعة الثانية (١٤٠٤ هـ . ق) .
* الاحتجاج للطبرسي ، مؤسسة الأعلمي ومؤسسة أهل البيت (عليه السلام) طبع (١٤٠١ هـ . ق) .

* الحدائق الناضرة ، للشيخ يوسف البحراني ، من أعلام القرن ١٢ ، طبع مؤسسة النشر الإسلامي قم .
* الاساليب التعليمية في فكر الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) ، ٧٥٤-٧٧٠ ، د. حيدر جابر الموسوي ، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة العدد ٦٨ ، الجزء ١ .

* الإسلام والآخر ، أسعد السحمراني ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٣
* الأنوار البهية للمحدث القمي ، دار الأضواء ، بيروت (طبع ١٤٠٣ هـ . ق) .
* تذكرة الفقهاء . للعلامة الحلي جمال الدين حسن بن يوسف بن المطهر (٦٤٨ - ٧٢٦) . مجلّدان ، طهران ، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية ، ١٣٨٨ [بالأوفست عن طبعته الحجرية] .

* تفسير العياشي لمحمد بن مسعود عياش السمرقندي ، مكتبة العلمية الإسلامية (طبع ١٣٨٠ هـ . ق) .
* تهذيب اللغة ، للأزهري ، دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٦٧ م .

- * عيون أخبار الرضا عليه السلام : للشيخ الصدوق (٣٨١ هـ ! - تصحيح السيد محمد الحسيني اللاجوردي - نشر رضا مشهدي .
- * الكافي لثقة الإسلام الكليني ، دار الكتب الإسلامية طهران (طبع ١٣٨٨ هـ . ق) . ١٦٢ . الكامل في التاريخ لابن الأثير ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى (١٤٠٧ هـ . ق) .
- * كشف الغمّة لعلي بن عيسى الإربلي، مكتبة بني هاشمي تبريز (طبع ١٣٨١ هـ ق) .
- * لسان العرب لابن منظور ، نشر أدب الحوزة ، الطبعة الثالثة (١٤٠٥ هـ . ق) .
- * المجازات النبويّة ، لأبي الحسن محمد بن الحسن الموسوي المعروف بالسيّد الرضي (٣٥٩ - ٤٠٦) ، مكتبة بصيرتي ، قم .
- * مبادئ حوار الاديان عند الإمام الرضا عليه السلام ، رسول كاظم عبد السادة: بتصرف : <https://aqeeda.iicss.iq/>
- * المحاسن : احمد بن محمد البرقي ، تحقيق ، جلال الدين الحسيني ، سنة الطبع ١٣٧٠ - ١٣٣٠ ش ، نشر ، دار الكتب الاسلامية ، طهران .
- * المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء . لمحمد بن المرتضى المدعو بالمولى محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ . ق) ، تحقيق : علي أكبر الغفاري ، مؤسّسة النشر الإسلامي - قم ، الطبعة الثالثة ١٤١٥ هـ . ق .
- * مدارك العروة : علي بناه الاشتهاري ، الطبعة : الأولى سنة الطبع : ١٤١٧ ، المطبعة : أسوة ، الناشر : دار الأسوة للطباعة والنشر
- * مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل للحاج الميرزا حسين المحدث النوري (١٢٥٤ - ١٣٢٠) . ٣ . مجلّدات ، قم ، إسماعيليان ، ١٣٦٣ هـ - ش [بالأوفست عن طبعته الحجرية الأولى] .
- * مدينة المعاجز . للشيخ هاشم بن سليمان الحسيني البحراني (ت ١١٠٧ هـ . ق) ، تحقيق : لجنة التحقيق ، مؤسسة المعارف الإسلامية - قم ، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ . ق .
- * معجم مقاييس اللغة ، لأحمد بن فارس ، نشر مكتب الإعلام الإسلامي قم ، الطبعة الأولى (١٤٠٤ هـ . ق) .
- * المقتنع : للشيخ الصدوق ، ط . المكتبة الإسلامية ، إيران ، طهران ، عام ١٣٧٧ هـ ج .
- * من لا يحضره الفقيه للصدوق ، دار الكتب الإسلامية ، طهران (طبع ١٣٩٢ هـ . ق) .
- * منية المريد في أدب المفيد والمستفيد . للشهيد الثاني زين الدين بن علي بن أحمد العاملي (٩١١ - ٩٦٥) . تحقيق رضا المختاري . الطبعة الأولى ، قم ، مكتب الإعلام الإسلامي ، ١٤٠٩ - ١٣٦٨ هـ - ش .
- * مهج الدعوات ومنهج العبادات . لأبي القاسم عليّ بن موسى الحليّ المعروف

بابن طاووس (ت ٦٦٤ هـ . ق) ، دار
 الذخائر - قم ، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ . ق
 * الأنوار البهية للمحدث القمي ، دار
 الأضواء ، بيروت (طبع ١٤٠٣ هـ . ق) ..
 * نهج البلاغة : جمعه الشريف الرضي أبو
 الحسن محمد بن الحسين الموسوي (٣٥٩ -
 ٤٠٦ هـ) ، تحقيق صبحي الصالح . الطبعة
 الخامسة ، قم المقدسة ، دار الهجرة ، ١٤١٢
 هـ . [بالأوفست عن طبعة بيروت] ..
 * الوافي : الفيض الكاشاني ، تحقيق :
 عني بالتحقيق والتصحيح والتعليق عليه
 والمقابلة مع الأصل ضياء الدين الحسيني
 « العلامة » الأصفهاني ، سنة الطبع : أول
 شوال المكرم ١٤٠٦ هـ . ق ١٩ / ٣ / ٦٥
 هـ . ش ، المطبعة : طباعة أفسست نشاط
 أصفهان ، الناشر : مكتبة الإمام أمير
 المؤمنين علي (عليه السلام) العامة - أصفهان
 * وسائل الشيعة : للحر العاملي ، ط .
 المكتبة الإسلامية ، إيران ، طهران ، عام
 ١٣٩٨ هـ ج .



التأسيس الشخصاني "النفسي" في منهج

الإمام الرضا عليه السلام

م.م. زينب حازم كشيش

جامعة البصرة/ كلية التربية للعلوم الانسانية

المُلخص

كرس الإمام الرضا عليه السلام العديد من المفاهيم الفكرية بطرق متنوعة وجاذبة للعقل الإنساني ومن بينها المنهج العقلي للتأسيس النفسي وفق أسس وبرهنة ثابتة لها دوراً عملياً ونظرياً على حد السواء ، وجاء ذلك هدفاً غايته تحقيق الثبات النفسي والاتزان الروحي العائد بدوره على المجتمعات، فالتأسيس الشخصاني يُعنى بتنمية النفس الإنسانية، ويهدف إلى بلوغ استقرار ذاتي على مستوى المجتمع طبقاً لبيان اساس نفسي ينعكس من الفرد للمجتمع.



Abstract

Imam Al-Rida - peace be upon him - simulates many intellectual concepts in different ways that are attractive to the human mind, including the mental simulation of the psychological basis according to solid foundations and proof that has a practical and theoretical role. This came with the aim of achieving psychological stability and spiritual balance and thus returning its impact on societies.

Building the human personality is based on developing the individual's self and personality, and aims to achieve self-stability at the community level.



المقدمة

يُمثل التأسيس نقطة مهمة وجوهرية في البناء الذاتي والنفسي للفرد وبما أن الشيء لا يقوم دون أسس وركائز فإن الإنسان بحاجة إلى تأهيل نفسي وبناء ذاتي وفق خطوط فكرية- قانونية قائمة على العقل ومبدئية الوعي بالأمور، بمعنى أن تُبنى الشخصية وفق آليات وحدود تُتمّي تلك الشخصية وتجعلها في الصفوف الحضارية.

رسم الإمام الرضا عليه السلام منهجية النفس الإنسانية وقام ببيان حرية هذه النفس وفق قوانين تمنح تلك الحرية وتقن العشوائية منها، فالشخصانية مفهوم يبرزه البعض بكونه التفرد الشخصي والحرية المطلقة أي الوجود النفسي اللامحدود وهذا مناقض للعقل فالحرية لا تُحقق ما لم تؤطر لذا عمدنا إلى فكر الإمام الرضا عليه السلام لبيان الدقة المفهومية للمعنى الشخصاني والذي يركز على الذات العقلانية النشطة والمفعلة للتطور والتقدم الإنساني.

قُسّم البحث إلى مقدمة تلتها أربعة مباحث وخاتمة عرض المبحث الأول (مفهوم التأسيس الشخصاني ومعناه الفلسفي) وفيه تم توضيح المعنى اللغوي والاصطلاحي كما طُرحت فيه الفلسفة الدائرة حول هذا المفهوم.

بينما قدّم المبحث الثاني حدوداً شخصانية تبني فيها بواطن الفرد وفق نظام ممهد لحرية إنسانية وجاء تحت عنوان (قواعد التأسيس الشخصاني) ليأتي المبحث الثالث بعنوان (أساليب التأسيس وآلياته) الذي ناقش التأسيس الأسلوبى للإمام الرضا عليه السلام وكيف أُعْمِلَ ذلك التأسيس وفق تهيئة ذهنية للفرد. أما المبحث الرابع فقد برهن النتائج الأوفى من جراء ذلك التأسيس وكانت تلك النتائج قد طُرحت وفق صيغة معنونه بـ (آثار التأسيس ونتاجه) إذ عرَضَ هذا المبحث حصيلة التأسيس الشخصاني وهدفه.

ومن هنا كانت هذه الدراسة المعنونة « التأسيس الشخصاني في فكر الإمام

الرضا عليه السلام دراسةً أفصحت عن ذلك الاتجاه الذي اتخذه الإمام عليه السلام في التأسيس العقلائي للنفس الإنسانية وبناء قواعد علاجية تبني المسار المنطقي فيها.

المبحث الأول: مفهوم التأسيس الشخصاني ومعناه الفلسفي

إن مفهوم التأسيس الشخصاني من المفاهيم الحديثة التي يتطلب ترجمة وتفسيراً؛ إذ تباينت الرؤى واختلفت الأفكار حيال مفردة الشخصانية لذا سنوضح تلك المفردة وفق فكر الإمام الرضا عليه السلام وقبل التعمق في فكره عليه السلام يتحتّم علينا معرفة التأسيس الشخصاني في اللغة والاصطلاح:

أولاً: المعنى اللغوي والاصطلاحي للتأسيس الشخصاني

يعدّ المعنى اللغوي من الخطوط المهمة في تفكيك الفهم المعنوي للمفردة لذا سنوضح التأسيس أولاً ثم الشخصانية، ففي اللغة جاء التأسيس بمعنى الأسّ: أصل تأسيس البناء، والجمع: الإِساس، والأسّس¹، وتأتي الأسّ بِالضَمِّ وَالتَّشْدِيدِ وهي بمثابة تأسيس البناء وتبنى الأسّس بِضَمِّ الْجَمْعِ وَقِيلَ بِفَتْحِ السِّينِ أَيْضاً وَجَمْعُهُ آسَاسٌ بِالْمَدِّ².

وقيل إن التأسيس مفرد جمعه تأسيسات، ومصدره أسّس أي إرساء الأسّس والمبادئ إذ تحمل أفكاره معاني القوة التأسيسية والبناء المتناسك³. أما الشخصانية في اللغة: فمأخوذة من الشخص وإن الشين والحاء وَالصَّادُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى ارْتِفَاعٍ فِي شَيْءٍ؛ والشخص يعني سواد الإنسان إذا رأيته من بعيد، وكل شيء رأيته جسمانه فقد رأيته شخصه، وجمعه: الشُّخُوص والأشخاص، والشُّخُوص: السير من بلد، إلى بلد وقد شَخَصَ يَشْخَصُ شُخُوصاً، وَأَشْخَصْتُهُ أَنَا، وَشَخَصَ الْجَرَحُ: وَرَمَ وَشَخَصَ ببصره إلى السماء: ارتفع، وَشَخَصَتِ الْكَلِمَةُ فِي الْفَمِ إِذَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى خَفْضِ صَوْتِهِ بِهَا، وَالشَّخِصُ: الْعَظِيمُ الشَّخْصِ، بَيْنَ الشَّخَاصَةِ، وَأَشْخَصْتَ هَذَا عَلَى هَذَا إِذَا أَعْلَيْتَهُ عَلَيْهِ⁴.

وجاء الشخص بمعنى أنه كل شيء وقعت عليه العين منه ولا يكون إلا جثة ورأيت شخص الشيء، ورجل شخص: عظيم الشخص وكل عظيم الشخص شخص من ذابّة وغيرها^٦.

وبحث هذه المفردة ومشتقاتها مرتبطة بالعدد فقليل: ثلاثة لأشخص، والكثير شخوص وأشخاص وشخص الرجل بالضم، فهو شخص، أي جسيم والمرأة شخيصة وشخص بالفتح شخوصاً، أي ارتفع إذ يقال: شخص بصره، فهو شاخص، إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف^٧.

وقال ابن منظور إن الشخص ما دل على الجماعة وشخص الإنسان وغيره، وهو مذكّر، والجمع أشخاص وشخوص وشخاص؛ والشخص: كل جسم له ارتفاع وظهور، والمراد به إثبات الذات فاستعير لها لفظ الشخص^٨. يفهم من هذا الاستعراض اللغوي أن التأسيس الشخصاني يأتي بمعنى البناء لشخص الإنسان وفق المنهج الصحيح القائم على علو ومكانة المعنى إليه وهو نفس الإنسان وذاته.

ويأتي الاصطلاح بسياق متداخل مع اللغة فالتأسيس هو اللفظ الذي يفيد معنى لم يفده اللفظ السابق له، وبعضهم قال: «إن التأسيس عبارة عن إفادة معنى آخر لم يكن حاصلًا قبله»، وهذه المعاني المتشابهة وإن اختلفت ألفاظها، تجتمع على أن التأسيس هو إفادة لفظ لم يكن حاصلًا قبلاً^٩.

بينما تأتي الشخصانية كتيار فكري ظهر في فرنسا خلال ثلاثينات القرن العشرين، وتقوم الشخصانية على مبدأ أخلاقي أساس مضمونه احترام الشخص الإنساني وعده قيمة مطلقة تعلو عالم المؤسسات السياسية والاقتصادية التي ليست إلا وسائل في خدمة الشخص، وتعمل الشخصانية بدراسة الشخصية الفردية بصفاتها العامل الرئيس المؤثر في البيئة المحيطة بالفرد، ونجد من بعدها المحور الرئيس لبناء فلسفة عامة داخل المجتمع

وهنا نجدها تعطي للشخصية مكانة مركزية في الفلسفة والتي لا تقل أهمية عن أي مكون آخر من مكونات الفلسفة^{١٠}.

مما يعني أن الشخص هو محور هذا التيار وهو نواة هذا الكون دون تحديد معايير أو أسس فكرية لهذا الشخص وهو ما يخالف العقل والمنطق. كما عُدَّ الشخص بأنه قيمة فاعلة في المجتمع، وله علاقة مباشرة مع الآخرين في جميع مجالات الحياة الثقافية، الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية؛ إذ اعتبر الواقع والشخص مترابطين لأن الشخص يكمل المجتمع، والمجتمع يكمل الشخص^{١١}.

وقد أكد الحبابي على الرأي القائل بأن الشخص يمثل الفاعلية وأن سيره إلى الأمام يحدد خطواته وإيقاع حركة التشخص أحياناً ويكون هذا الإيقاع سريعاً أحياناً وأحياناً بطيئاً، تبعاً للمستوى الثقافي للمجتمع وأوضاعه الخاصة داخل الإطار العام للحضارة، كما تعبر الشخصية على الحرية (إذا أخذت بمعنى التحرر)^{١٢}.

يعلم من ذلك أن الشخصية هي مرحلة متفاوتة ينتقل إليها الفرد من طور إلى آخر وفق المرحلة العمرية، أما التشخص أو الشخصية فهو مجموعة من الشخصيات التي مر بها الفرد خلال حياته الاجتماعية، وبالخصيلة إن الشخصية تعني المراحل التفاعلية للفرد والمجتمع.

ثانياً: المعنى الفلسفي للشخصانية

إن ظهور هذه الفلسفة أُقيم وفق آراء فسرت ذلك المعنى، فالشخصانية جاءت كرد فعل على الأنماط الفكرية اللاشخصية والتي اعتبرت من قبلهم تجريداً من الإنسانية، ويكمن ذلك وراء الديناميكا اللاشخصية الوحودية والوحداية الوجودية بشكليهما العقلاني والرومانسي^{١٣}.

إن مفردة الشخصية بحد ذاتها فلسفية فقد تعددت وتنوعت الآراء حول معنى هذه المفردة وبيان مضمونها؛ لأن حقيقة الشخصية هي حقيقة واعية وموجهة لذاتها، وأن الشخص هو موضوع الديمقراطية والنظم الجماعية، والشخص خلاق فلا يمكن له أن يعبر عن ذاته تعبيراً سليماً إلا إذا توافر الانسجام بينه وبين طبيعة الأشياء، فالشخصانية تنتج من اندماج الإنسان في الحياة الجماعية، حيث يبرز الدور الهام الذي يلعبه الشخص وتكوين الشخصية التي يتوق إليها من خلال تفاعله مع الوسط المحيط به، فهي نسق فلسفي يتمحور حول الشخص، ينزع إلى التأنس، والإنسان في المذهب الشخصاني قيمته في ذاته، بل هو أساس كل القيم والمعاني^{١٤}. يفهم من سياق الكلام أن الشخصانية تُعنى بالذاتية كما أنها لا تتحقق دون تفاعل بشري-مجتمعي وبهذا التفاعل والانسجام يكون الفرد خلاقاً. ويرى البعض ذات الفكرة حيال وجود الذات ووجود موقفها، إذ يفرض كلاهما الآخر ضمناً فنحن لا نستطيع أن نقول عن الشخص إنه تجسيد أو تواصل، أو حرية أو تعالٍ: بل إنه، قبل كل شيء يتمحور حول الأنا فيكون قادراً على أن يتحرر ويتعالى، ويتواصل مع الغير، ويحقق القيم فالحرية ليست في مستوى الكائن، بل في درجة أعلى، لذلك ليس هناك ما يسمى بالحرية بل توجد حُرّيات أي مجموعة نوعية من المكتسبات لا يحصل عليها أي أحد إلا بكفاح مستمر سل وجماعي^{١٥}، بمعنى أن الإنسان لا يحصل على حريته دون تماس جماعي يحقق بذلك حريات مجتمعية أخرى لا تقتصر على ذاته الشخصية فحسب.

يتضح من خلال تلك الآراء أن الشخصانية هي الذات العقلانية لكن البعض نسبها الى الذات المجتمعية بينما الإسلام حددها بالتقنين الإلهي المرتكز على فلسفة الخلق والوجود الإنساني لذا فإن الإمام الرضا عليه السلام يؤسس للذات العقلانية.

وقد بيّن الإمام (عليه السلام) تلك الفلسفة بقوله: «أفضل العقل معرفة الإنسان نفسه»^{١٦}، إن معرفة الفرد لذاته وإدراكه لشخصه من الأمور المهمة التي تقود إلى التعقل والتمحيص.

المبحث الثاني: قواعد التأسيس الشخصي

إن مفردة التأسيس الذاتي للإنسان تُسند إلى قواعد وأعمدة لتقوم الذات الإنسانية فلا تأسيس دون خطوط وحدود مُقرّة ومنشودة إذ يركز فكر الإمام الرضا (عليه السلام) في بناء الشخصية الإنسانية على قواعد فكرية منها: أولاً: القاعدة العقيدية

للعقائد دور كبير جداً في توجيه المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية فالعقيدة هي الإيمان واليقين التام بالشيء ووقوعه وانعدام استحالة^{١٧} أما في المنظور التشريعي فهو جميع ما فرضه الله سبحانه وتعالى على عباده^{١٨}، وعدّ المرتكز العقدي المرجع الفكري الذي يستند إليه الإنسان ولكون العقائد تضمن قضايا فلسفية استدعى ذلك الرجوع إليها^{١٩}.

إن العقيدة الإسلامية لم تأتِ هامشية أو مبعثرة وإنما كانت مقننة ومحددة وفق مسارات منسقة، ومن أبرز مبادئ العقيدة ومركزاتها وحدانية الله سبحانه وتعالى والإيمان بوجوده، وقد أكد الإمام (عليه السلام) على وحدانية الله سبحانه وتعالى وفق محددات وقوانين مؤطرة.

كما حرص الإمام (عليه السلام) على تبيان مكان العقيدة بقوله: «الإيمان أربعة أركان: التوكل على الله، والرضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله، والتفويض إلى الله»^{٢٠}، إن العقيدة المطروحة هي الإيمان لكن الإمام (عليه السلام) عمل على التأسيس لذلك الإيمان ولتلك العقيدة من خلال ركائز فكرية متدرجة ومؤسسة للشخصية الإنسانية وفق رتب تصل في مداها المعنوي إلى التفويض إلى الله وهو ترك الأمر لله من قبل ومن بعد.

بعدها يطرح الإمام (عليه السلام) الخطوة الأولى للتأسيس الإيماني بقوله: «للتوكل درجات منها أن تثق به في أمرك كله فيما فعل بك، فما فعل بك كنت راضياً وتعلم أنه لم يالك خيراً ونظراً وتعلم أن الحكم في ذلك له»^{٢١}، وهنا أبرز الإمام الجانب اليقيني - العقدي ومرصده القلب فأسس لنفسية مستقرة ذاتياً كما رُبط بين التوكل على الله وكيونته الرخاء النفسي لما سئل (عليه السلام) عن حد التوكل قال: «أن لا تخاف أحداً إلا الله»^{٢٢}.

ويأتي التوكل وفق مبدئية حُسن الظن بالله سبحانه؛ حيث قال الإمام الرضا (عليه السلام): «أحسن الظن بالله، فإن من حسن ظنه بالله كان الله عند ظنه»^{٢٣}، فعندما يؤسس الإمام إلى الظن الحسن والاعتقاد السليم بالله فإنه يحقق مباني نفسية - شخصية للفرد.

ثانياً: القاعدة الاجتماعية

قدم التشريع الإسلامي حدوداً وقوانين تحفظ بها العلاقات وتسان النفس الإنسانية؛ حيث ركّز الفكر الإسلامي على التأسيس النفسي للإنسان وجعله بمثابة شرط مستحكم في معالجة السلوكيات اللاواعية والقائمة على أساس الفرقة والعنصرية.

كما سعى الإمام الرضا (عليه السلام) إلى تحقيق ذلك التأسيس حينما بدأ بتنظيم الوقت إذ قال: «اجتهدوا أن يكون زمانكم أربع ساعات ساعة لله لمناجاته، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الإخوان الثقات وساعة تخلّون فيها للذاتكم»^{٢٤}، نظّم الإمام (عليه السلام) زمان المؤمن وجعل للإخوة منها ساعة وبهذا التأسيس نجد تنظيمياً اجتماعياً قائماً على أساس ذاتي.

وقد كرس الإمام الرضا (عليه السلام) جهده في التأسيس لمبدئية تلك المعاشرة الاجتماعية بقوله: «أحرصوا على قضاء حوائج المؤمنين وإدخال السرور عليهم ودفع المكروه عنهم»^{٢٥}، أراد الإمام (عليه السلام) تعضيد الرابطة الاجتماعية



وتحقيق أساس نفساني قوي داخل الفرد يعتمد على قاعدة التعاون والألفة الاجتماعية، وفي قبال ذلك عدّ الإمام عليه السلام المانع للخير شر الناس؛ إذ قال: «إن شر الناس من منع رفته، وأكل وحده، وجلد عبده»^{٢٦}، نجد هنا أن الإمام عليه السلام أسس لمنهاج نفساني بدعوته إلى التآصر الاجتماعي وفق تفعيل خاصية المنفعة وتغليبها على المضرة.

كما أكد على خاصية المنفعة وتوطيد العلاقات الاجتماعية حينما قدم الإمام عليه السلام تأسيساً شخصانياً لصلة القرابة بقوله: «صل رحمك ولو بشربة من ماء»، وأفضل ما توصل به الرحم كفّ الأذى عنها»^{٢٧}، فقد أطر الإمام عليه السلام صلة الرحم بأقل ما يمكن أن يوصل الإنسان به رحمه وهو كفّ الأذى وبذلك يؤسس عليه السلام إلى ذات عقلانية مدركة عظمة الترابط المجتمعي-النفسي.

ثالثاً: القاعدة الفلسفية

الفلسفة^{٢٨} منطلق القوانين ودراسة جوهر الأشياء للبحث في ما وراء الأحداث، والقطب القائم عليه التأسيس الشخصاني لدى الإمام الرضا عليه السلام إذ عرف عن الإمام عليه السلام منطلقاته الفلسفية.

وتظهر الحدود الفلسفية كقواعد وثوابت لتعبئة الجماهير وثقافتهم على غوامض الأمور ومن هذه المباني الفلسفية خطاب الإمام عليه السلام ليونس^{٢٩} إذ قال: «يا يونس وما عليك أن لو كان في يدك اليمنى درة ثم قال الناس بكرة أو بكرة وقال الناس درة هل ينفعك شيئاً»^{٣٠}، المتفحص لكلام الإمام عليه السلام يستشعر التأسيس النفساني ليونس أولاً وللمطلع على هذه الفلسفة ثانياً فالإنسان الواثق والمتيقن بما يسلك يمتلك ذات عقلانية لا تؤثر فيها الصيحات الغوغائية.

ومن جزئيات هذه الفلسفة ما يختص بالمواظبة الذهنية حيث فعّل الإمام عليه السلام الأسس العملية بقوله: «من سأل الله التوفيق ولم يجتهد فقد

استهزأ بنفسه»^{٣١}، قدم الإمام مبنى فكرياً-فلسفياً يعتمد على تأسيس الذات الإنسانية فلا يمكن الاتكال على الدعاء بالتوفيق الإلهي دون عمل فإن الله سبحانه جعل لكل سبب مُسبباً أي قائماً على مبدأ العلية، وقد أكد ذلك الإمام الرضا عليه السلام بقوله: «لا قول إلا بعمل ولا قول وعمل إلا بنية ولا قول وعمل ونية إلا بإصابة السنة»^{٣٢}، ويفهم منه أن العمل والتوجه الذاتي مُحدد بقواعد وركائز ثابتة فليس كل عمل مدعم بالتوفيق الإلهي .

المبحث الثالث: أساليب التأسيس وآلياته

تعددت أساليب الإمام الرضا عليه السلام في تشكيل الطرق الباعثة للنظام والتأسيس، ويأتي تعدد الأساليب والآليات بما تفرضه المرحلة وما تعكسه البيئة الفكرية والعقلية السائدة فيها، فكان التفاوت والتباين في أساليب التأسيس أمراً لا بد منه، ورغم تعدد الآليات المنتهجة إلا أن الغايات تتوحد وتنصهر في بوتقة إصلاح الفرد والمجتمع، ولذلك سنأخذ نوعين من هذه الأساليب والتي ينطوي فيها عدة آليات متنوعة وهما:

أولاً: الأسلوب الترغبي

عمل الإمام الرضا عليه السلام على التأسيس الترغبي لتحقيق القاعدة العقديّة والقائمة على الإيمان بالله فعندما يقول: «مثل المؤمن عند الله عز وجل كمثل ملك مقرب وإن المؤمن عند الله عز وجل أعظم من ذلك و ليس شيء أحب إلى الله من مؤمن تائب أو مؤمنة تائبة»^{٣٣}، رَغَّبَ الإمام للتوبة والإيمان بالله وعُدَّ هذا الترغيب أساساً تمهيدياً لبناء ذاتي للإنسان؛ فالتوبة خطوة أولية لتحقيق الإيمان الذي ذكره الإمام ليكون بذلك المنزلة المستحصلة جراء ذلك الإيمان.

ومن مضامين الترغيب ما دعا إليه الإمام (عليه السلام) لشكر الله فقال: «طوبى لمن شغل قلبه بشكر النعمة»^{٣٤}، إن جزئية الترغيب تكمن في الطوبى وهي من الثمار الدنيوية والأخروية وجاء ذلك الجزاء لمن شكر نِعَمَ الله كوثيقة أساس من قبل الإمام (عليه السلام) لبناء نفسي لدى الفرد حيال التربية الخلقية والتأسيس الشخصي.

كما رسم الإمام (عليه السلام) الآلية لتكوين شخصية صابرة في مُعترك الحياة؛ حيث أسس للقناعة ورغب إليها بأسلوب إقناعي بقوله: «من رضي باليسير من الحلال خفت مؤونته ونعم أهله، وبصره الله داء الدنيا ودواءها، وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام»^{٣٥}، فالركيزة هنا القناعة المؤطرة بالحلال لتكون الفيوضات جزيلة، وهذه الفيوضات التي صورها الإمام بهذا المصدق تعكس لنا المباني النفسانية التي أبرزها الإمام (عليه السلام) هدفاً لإحياء الذات العقلانية وما يحقق شخصانية الفرد وذاتيته التي خُلق لأجلها.

وقد أكد الإمام تلك الفكرة الفلسفية بقوله: «من رضي بالقليل من الرزق قبل منه اليسير من العمل»^{٣٦}، والتي يفهم منها أن العملية متبادلة، فمن رضى وقنع بالرزق القليل قبل منه عمل موازي لتلك القناعة، وبذلك أسس الإمام إلى شخصية ناجحة وقيادية في المجتمع فمن قنع طابت نفسه ومن طابت نفسه أحسن الظن بالله ومن أحسن ظنه بالله كان عند حُسن ظنه إذ قال (عليه السلام): «إن الله عز وجل يقول: أنا عند ظن عبدي المؤمن بي، إن خيراً فخييراً وإن شراً فشيئاً»^{٣٧}.

ثانياً: الأسلوب التنموي

جاء أسلوب الإمام الرضا (عليه السلام) وفق بيان تنموي وفلسفة بناءه للنفس الإنسانية فحينما سئل الإمام (عليه السلام): «أيكلف الله العباد ما لا يطيقونه؟ قال: هو أعدل من ذلك فقليل له: فيقدرون على كل ما يريد؟ قال: هم أعجز

من ذلك»^{٣٨}، أراد الإمام (عليه السلام) تحقيق بناء تنموي - ذاتي للفرد المؤمن وفق فلسفة التأسيس الشخصاني موضح إن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها^{٣٩} كما إن لهذه النفس قواعد وأسس تحقق الشرائط المطلوبة والمنسجمة مع البنية الجينية للنفس الإنسانية.

وقد أكد الإمام الرضا (عليه السلام) على ذات البناء النفساني عندما سأله الفضل بن سهل^{٤٠} قائلاً: «يا أبا الحسن، الخلق مجبرون؟ قال الإمام الرضا (عليه السلام): الله تعالى أعدل من أن يجبر، ثم يعذب قال الفضل: فمطلقون؟ قال الإمام الرضا (عليه السلام): الله تعالى أحكم من أن يهمل عبده، ويكله إلى نفسه»^{٤١}، وجّه الإمام (عليه السلام) عقلية الفضل بن سهل والحاضرين إلى أن الإنسان غير مجبر وأن القواعد التأسيسية التي وضعها الباري عز وجل قابله للتطبيق وإن تفعيلها وتنشيط تلك القواعد يعتمد على الذات العقلانية، فكان أسلوب الإمام (عليه السلام) أسلوباً بنائياً محدداً الخطوط المهمة للتأسيس الشخصاني.

وتعتمد عملية التأسيس الشخصاني عند الإمام (عليه السلام) على عقلنة القواعد الإلهية فبدون تعقل وتدبر لا يتم ذلك البناء التنموي وقد وطد الإمام (عليه السلام) تلك الجزئية بقوله: «لا يتم عقل امرء مسلم حتى لا يرى أحداً إلا قال: هو خير مني وأتقى»^{٤٢}، ثبت الإمام (عليه السلام) قانوناً مهماً يركز بدوره على منظومة الدينامية المتجددة فطبيعة الفرد تنجح إلى الرغبة في الأفضلية وعندما طرح الإمام الخير والتقوى جعل قاعدة التأسيس تقوم على التمرين والتدريب العقلي المنمي لشخص المؤمن وجاء التمرين رغبةً في تحقيق الحصانة النفسية والقوة الهيكلية لصد ما يمكن أن يلاقى مستقبلاً.

تُبنى القاعدة الفكرية لإتمام العقل وفق قاعدة العطاء الذاتي على أن يبصر منسوبية ذلك العطاء وأن يكون ذلك الخير الذي دُرّب عليه سابقاً لما هو خير



منه فقد وضع الإمام (عليه السلام) ذلك بقوله: « لا يتم عقل امرء مسلم حتى يستكثر قليل الخير من غيره ، ويستقل كثير الخير من نفسه »^{٣٤}، عالج الإمام (عليه السلام) قضية مهمة جداً تتعاقب في جميع المراحل العمرية للإنسان وتُطرح في طورين:

الطور اللاإرادي: يندرج في بداية حياة الإنسان فهو اللبنة الأولى وتكون الأنا موجودة لكنها غير مفعلة.

الطور الإرادي: تكون الأنا وحب الذات إرادية لذا عمل الإمام على معالجة الأنا في هذا الطور حينما قدم (عليه السلام) فلسفة الصفاء الروحي وإن لا يعتمد العطاء والخير على ما يقابله بغيّة في التأسيس النفسي للتخلص من الانكماش على النفس وبذلك يقل التحجيم النفعي ويعم الخير في المجتمع.

ويمكن أن يأتي ذلك الخير وفق تقديم العون للآخرين إذ قال (عليه السلام): « لا يتم عقل امرء مسلم حتى لا يسأم من طلب الحوائج إليه »^{٣٥}، من ذلك ندرك إن الفرد العاقل هو من حافظ على فطرته الإنسانية القائمة على حب الخير للآخرين، هذا التأسيس لشخص الإنسان يُحقق مجتمعاً واعياً في صدارة الأمم.

المبحث الرابع: أثر التأسيس ونتاجه

عُرفَ عن الفكر الإمامي الحصائل الغنية والخصائد المغنية، فمن البديهي أن يكون تأسيس الإمام الرضا (عليه السلام) ضامناً لتلك الحصائل والخصائد فلكل قاعدة أثر، لذا ارتاد الإمام (عليه السلام) ميادين الاستقراء المستقبلي بتقديم قرائن دالة على القواعد الثبوتية فما قُدِمَ من مرتكزات وضوابط انسيابية جاءت مؤكدة على بناء الذوات الفردية وإنجاح المشاريع التنموية المنجزة لإرادة الإنسانية وسيأتي ذكر بعض الآثار التأسيسية كما يلي:-

أولاً: الأثر العقدي

إن البناء الذاتي والتحصن النفسي بالقواعد العقائدية ينتج عنه أثر عقدي مهم، ولذا حدّد الإمام الرضا (عليه السلام) قاعدة التوكل على الله كإطلاقاً عقديّة يكتسب منها أثراً دنيوياً وأخروياً وفق نظم درجّي فقال (عليه السلام): «التوكل درجات: منها أن تثق به في أمرك كلّه فيما فعل بك، فما فعل بك كنت راضياً وتعلّم أنّه لم يألِكَ خيراً ونظراً وتعلّم أنّ الحُكمَ في ذلك له»^٥، ينتج عن هذا التأسيس الذاتي للفرد حصائل عقائدية فحينما وطد الإمام ضابطة التوكل والتعويل على الله فإنه (عليه السلام) حقق سكوناً روحياً ورخاءً ذهنياً ناهيك عما يمكن أن يحققه ذلك السكون والرخاء من ثبات عقدي لا تؤثر فيه الموجات الجارفة. ولقد جهد الإمام (عليه السلام) في تبيان نتائج الحدود العقديّة المنجحة لضابطة التوكل بقوله: «الإيمان أربعة أركان: التوكل على الله، والرضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله، والتفويض إلى الله»^٦، إن الملاحظ لهذه ضابطة يجد أنها اللبنة الأساس في البناء العقدي للفرد فبعدها يأتي الرضا والتسليم والتفويض ليكون الإنسان مؤهلاً نفسياً ومهيئاً للبناء الشخصي.

كما طرح الإمام النقطة الأعمق في بيان فلسفة التأسيس للتوكل النفساني للفرد بقوله: «تتوكل عليه بتفويض ذلك إليه ومن ذلك الإيمان بغيوب الله التي لم يحط علمك بها فوكلت علمها إليه وإلى أمنائه عليها ووثقت به فيها وفي غيرها»^٧، يفهم من ذلك أن للتوكل مراحل تنتقل فيها حتى تصل إلى اليقين ويعضد ذلك جوابه (عليه السلام) عندما سئل عن حدّ التوكل قال: «ألا تخاف أحداً إلا الله»^٨، من هنا ندرك أن مسألة التأسيس الشخصي تركز بثقلها على الجانب العقدي ليكون أثرها واضحاً على النفس الإنسانية.

ثانيًا: الأثر الاجتماعي

وطدَّ الفكر الإسلامي الروابط والمواثيق الاجتماعية وما يحقق إنماءً روحياً وقد فسر الإمام (عليه السلام) تلك الروابط وفق رؤية تأسيسية للذات الشخصية فعندما نأتي للروابط النفسية نجد أن الإمام يؤكد على أثرها بقوله: «أحرصوا على قضاء حوائج المؤمنين وإدخال السرور عليهم ودفع المكروه عنهم»^{٤٩}، عرض الإمام (عليه السلام) قاعدة أساسية وهي التداخل الروحي فمن ساهم في إعانة المؤمن وفرج عنه نال ذلك وضعفه^{٥٠}.

وقد عزز الإمام (عليه السلام) ذلك الأثر بقوله: «عونك للضعيف أفضل من الصدقة»^{٥١}، فإنَّ المطالع على الأثر يجد أن القاعدة الاجتماعية والأثر عقدي وهذا ينتج عن محورّية العقيدة تجاه الجوانب الأخرى ومنها الجانب الاجتماعي فالإعانة والمساعدة هي أفضل من الصدقة التي وصفها الرسول (صلى الله عليه وآله) بأنها تطفئ غضب الرب^{٥٢}.

بعدها يشدد الإمام على تلك الروابط الاجتماعية ويقرب الصلات وأثارها ليؤسس لصلة الرحم بقوله: «صل رحمك ولو بشربة من ماء، وأفضل ما توصل به الرحم كفّ الأذى عنها»^{٥٣}، وضح الإمام (عليه السلام) أن عملية تطبيق القاعدة الاجتماعية وبلوغ أثرها يكون مُيسراً فبمجرد كفّ الأذى تكون من الواصلين للرحم، لتتحلق تلك الدائرة الاجتماعية ويتشاكل أثرها بالتأسيس لعلاقة أسرية ناجحة ومهمة؛ إذ قال الإمام (عليه السلام): «إن الذي يطلب من فضل يكفّ به عياله أعظم أجراً من المجاهد في سبيل الله»^{٥٤}، وهنا عُدَّ الكادّ على عياله والكافي مؤونتهم كالمجاهد فلم يقف على حدود وجوب ذلك العمل بل صُنِّفَ من فئة المجاهدين لله، فتأسس الإمام (عليه السلام) جاء بغية إيجاد الدافع النفسي لإعالة الأسرة.

ثالثاً: الأثر المعرفي

اعتمد تأسيس الإمام عليه السلام على المنظومة المعرفية؛ إذ لا يتم شيء دون معارف ومعلومات، فمن الآثار التي تكتسب جراء التأسيس الشخصي هو الوعي المعرفي، وما يُعُضد ذلك إجابته عن المعرفة والاكتساب حينما قيل له «إنَّ المعرفة إنما هي اكتسابٌ قال عليه السلام: «لا ما أصاب، إنَّ الله يُعطي مَنْ يشاء، فمنهم من يجعلُهُ مستقراً فيه ومنهم من يجعلُهُ مستودعاً عنده، فأما المستقرُّ، فالذي لا يسلبه الله ذلك أبداً وأما المستودعُ، فالذي يُعطاه الرجل ثمَّ يسلبه إياه»^{٥٥}.

يتضح من ذلك أن المعرفة تكون على نوعين: فمنها الثابت ومنها المتغير، ليتبين من خلال كلا النوعين أن التأسيس المعرفي يكون متبناه أن كل معرفة غير مستقرة فهي قابله للاضمحلال أي أن هناك قواعد وأسس فكرية يُستند عليها للحصول على معرفة مستقرة ويتم ذلك وفق الحدود الإلهية.

ومن أهم الحصائل المعرفية والاستقرار الذهني هو اليقين بالشيء وإدراك ماهية ذلك الشيء وما يبين ذلك قوله عليه السلام ليونس: «وما عليك أن لو كان في يدك اليمنى درة ثم قال الناس بعرّة، أو بعرّة وقال الناس درة هل ينفعك شيئاً...»^{٥٦}، فقد أسس الإمام للثقة بالمعرفة المستقرة.

كما يرشدنا الإمام عليه السلام إلى أفضل المعرفة بقوله: «أفضل العقل معرفة الانسان نفسه»^{٥٧}، ركز الإمام عليه السلام على العقل وحدّد من خلاله أفضل مراحل التعقل هو معرفة الإنسان نفسه وجاء التأسيس هنا وفق السُّلم البنائي؛ إذ يركز على بواطن الذات ثم يتدرج من النفس إلى الهيئة البشرية فمن عرف نفسه وعى ما يدور حوله.

يفهم من هذا الطرح أن الإمام الرضا عليه السلام سعى إلى تأسيس البنية النفسية وعمل على الدواخل الذاتية بهدف تكوين شخصية متناغمة مع ذاتها أولاً



ثم المجتمع وفقاً للمنظومة الإلهية ثانياً وبذلك حُطمت جميع الآراء التي اصطدمت بالسُّنن الإلهية لاعتمادها على تفسيرات غير منطقية تجعل من الشخصية مفهوماً مطلقاً غير محدد.

الخاتمة

هناك مجموعة من النقاط يمكن استخلاصها من البحث هي:
وجود وحدة لفظية ومعنوية لكلا مفردتي التأسيس والشخصانية في اللغة والاصطلاح.

جاء التأسيس الشخصاني بمعنى التثبيت والترسيخ الذاتي للفرد.
تقوم النظرة الحديثة بتفسير الشخصية بالطلاقة اللامحدودة من الحرية الفردية وإن تعدت تلك الحرية شؤون الآخرين وهذا يخالف الفكر السليم الذي مثله فكر الإمام الرضا (عليه السلام) والمعنى بكون الشخصية تعنى الذاتية الشخصية للفرد وبناءها المنتج.

أطر الإمام (عليه السلام) القواعد الأساسية للبناء النفسي.
تعامل الإمام (عليه السلام) بواقعية وتنظيم لتحقيق ذلك التأسيس.
عرض الإمام (عليه السلام) أثر ذلك التأسيس والذي كان يصب في المجال النفسي - المجتمعي.

الهوامش:

- ١- الفراهيدي، العين، ٣٣٤ / ٧.
- ٢- ابن عياض اليحصبي، مشارق الأنوار، ٤٩ / ١.
- ٣- أحمد مختار وآخرون، معجم اللغة، ٩٣-٩٢ / ١.
- ٤- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٢٥٤ / ٣.
- ٥- الفراهيدي، العين، ١٦٥ / ٤، ينظر: الهروي، تهذيب اللغة، ٣٦ / ٧.
- ٦- الازدي، جهرة اللغة، ٦٠١ / ١.
- ٧- الجوهرى، الصحاح، ١٠٤٢ / ٣.
- ٨- لسان العرب، ٤٥ / ٧.
- ٩- فرج، دوران اللفظ بين التأسيس والتوكيد، ص ١٨٢.
- ١٠- محل، مفهوم الشخصية القديم، ص ٢٣٣.
- ١١- معاينة آمنة، الفلسفة الشخصية الواقعية عند محمد عزيز الحبابي، ص ٩.
- ١٢- من الكائن إلى الشخص، ١ / ١٢٨.
- ١٣- ناصر، الشخصية، ص ١٢.
- ١٤- خليل، الأخلاق الشخصية في فكر عادل العوا، ص ٢٥.
- ١٥- الحبابي، من الكائن إلى الشخص، ١ / ١٢٨.
- ١٦- عطاردي، مسند الإمام الرضا (عليه السلام)، ٣٠٢ / ١، ابن يوسف الحلي، العدد القوية، ٣٠٠.
- ١٧- «الْعُقْدُ بِالْكَسْرِ الْقِلَادَةُ وَالْجُمُعُ عُقُودٌ مِثْلُ جِمْلٍ وَهَمُولٍ، وَاعْتَقَدْتُ كَذَا عَقَدْتُ عَلَيْهِ الْقَلْبَ وَالضَّمِيرَ حَتَّى قِيلَ الْعَقِيدَةُ مَا يَدِينُ الْإِنْسَانُ بِهِ وَلَهُ عَقِيدَةٌ حَسَنَةٌ سَالِمَةٌ مِنْ الشَّكِّ»، الفيومي، المصباح المنير، ٤٢١ / ٢.
- ١٨- تمثل العقيدة القاعدة المركزية في التفكير الإسلامي والتي من خلالها يحدد نظرة المسلم الرئيسة إلى الكون والحياة بصورة عامة، فهي مصدر تموين روحي للمذهب لأنها تدفع المسلم إلى التكيف مع ذلك المذهب وتضفي عليه طابعاً إيمانياً وقيمة ذاتية، الصدر، بحوث إسلامية، ص ٩٤.
- ١٩- هناك قانون إلهي كوني عام نافذ المفعول في جميع مراحل التاريخ وهو فوز الإيمان على الضلال، والعقيدة على الشك، والعزم على التردد، الصدر، رسائل ومقالات، ٣ / ٥٢.
- ٢٠- ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ٤٤٥.
- ٢١- ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ٤٤٣، المجلسي، بحار الأنوار ٧٥ / ٣٣٦.

٢٢- الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ١/ ٥٤.

٢٣- الكليني، الكافي، ٢/ ٧٢.

٢٤- ابن بابويه، فقه الرضا، ٣٣٧.

٢٥- ابن بابويه، فقه الرضا، ٣٣٩.

٢٦- ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ٤٤٨، عطاردي، مسند الإمام الرضا عليه السلام ١/ ٢٨٦.

٢٧- الكليني، الكافي، ٢/ ١٥١.

٢٨- «كانت الفلسفة في بدايتها تستوعب تقريباً كل المعارف البشرية المنظمة كالرياضيات والطبيعات، فكلها سابقاً داخل علم الفلسفة، وتتكفل بالحقائق العامة في كل مجالات الوجود؛ ولكن بأداة القياس العقلي وهو الانتقال من العام إلى الخاص، وعندما ظهر الاتجاه التجريبي انفصلت الفلسفة عن العلم، فصارت الفلسفة شيئاً والعلم شيئاً آخر؛ لاختلاف الأداة - فأداة الفلسفة غير أداة العلم - حيث إن الأداة للعلم هي الانتقال من الخاص إلى العام، بينما الفلسفة تصطنع القياس أداة عقلية للتفكير»، ينظر : الصدر، فلسفتنا، ص ١٣٥.

٢٩- يونس بن عبد الرحمن مولى علي بن يقطين بن موسى، مولى بني أسد، أبو محمد، متقدماً، عظيم المنزلة، ولد في أيام هشام بن عبد الملك، ورأى جعفر بن محمد عليه السلام في الصفا، روى عن أبي الحسن موسى و الرضا عليه السلام وكان الرضا عليه السلام يشير إليه في العلم والفتيا، كانت له تصانيف كثيرة، منها: كتاب السهو، كتاب الأدب والدلالة على الخير، كتاب الزكاة، كتاب جوامع الآثار، كتاب الشرائع، كتاب الصلاة، كتاب العلل الكبير، كتاب اختلاف الحج، كتاب الاحتجاج في الطلاق، وغيرها، ينظر: النجاشي، رجال النجاشي، ٤٤٨.

٣٠- الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ٢/ ٧٨٢.

٣١- المجلسي، بحار الأنوار، ٧٥/ ٣٥٦.

٣٢- البحراني، الحقائق الناضرة، ٢/ ١٧٣.

٣٣- الغازي، مسند الرضا عليه السلام، ص ١١٦، المجلسي، بحار الأنوار، ٦/ ٢١.

٣٤- الحلواني، نزهة الناظر، ١٢٨، ابن يوسف الحلي، العدد القوية، ص ٢٩٧.

٣٥- ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ٤٤٩.

٣٦- المجلسي، بحار الأنوار، ٧٥/ ٣٤٣.

٣٧- الكليني، الكافي، ٢/ ٧٢.

٣٨- عطاردي، مسند الإمام الرضا عليه السلام، ١/ ١١٨.



- ٣٩- قال تعالى: ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ البقرة: ٢٨٦، وجاء في تفسير هذه الآية الباركة أن الله لا يكلف الإنسان من العمل إلا ما أطاقت به نفسه وما كَسَبَتْ من الخير وما عملت أو تظلمت به وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ من الإثم، ينظر: مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، ٢٣٢.
- ٤٠- الفضل بن سهل بن يزدا نفروخ وزير المأمون ولقب ذا الرياستين لأنه دبر أمر السيف والقلم، ينظر: المرزباني، معجم الشعراء، ٣١٣.
- ٤١- الحلواني، نزهة الناظر، ١٣٢.
- ٤٢- ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ٤٤٣.
- ٤٣- عطاردي، مسند الإمام الرضا (عليه السلام)، ١/ ٢٨٥.
- ٤٤- القيومي، صحيفة الرضا (عليه السلام)، ٣٨٨.
- ٤٥- ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ٤٤٣.
- ٤٦- الريشهري، ميزان الحكمة، ٣/ ٢٤٧٢.
- ٤٧- ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ٤٤٣.
- ٤٨- ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ٤٤٣.
- ٤٩- ابن بابويه، فقه الرضا، ٣٣٩.
- ٥٠- وما يدعم ذلك قول الرسول ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كَرْبَةً مِنْ كَرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كَرْبَةً مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» البيهقي، الأداب للبيهقي، ٣٤٥.
- ٥١- القيومي، صحيفة الرضا (عليه السلام)، ٣٩٤.
- ٥٢- ذكر عن النبي محمد ﷺ قوله حول الصدقة: «صَدَقَةُ السَّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ» ابن أبي اسامة، بغية الباحث، ١/ ٣٩٧.
- ٥٣- عطاردي، مسند الإمام الرضا (عليه السلام)، ١/ ٢٦٦.
- ٥٤- ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ٤٤٥.
- ٥٥- المجلسي، بحار الأنوار، ٧٥/ ٣٣٧.
- ٥٦- الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ٢/ ٧٨٢.
- ٥٧- القرشي، حياة الإمام الرضا (عليه السلام)، ٢/ ٦٨.

المصادر والمراجع القرآن الكريم

بن محمد بن الفراء الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ).

تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٢٠هـ.

* البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُثَرُو جُردي الخراساني، أبو بكر (ت ٤٥٨هـ).

الآداب للبيهقي، اعتنى به وعلق عليه: أبو عبد الله السعيد المندوه، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

* ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ).

زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٢٢هـ.

المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

* الجوهرى: أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت ٣٩٣هـ).

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط١، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

* الحبابي: محمد عزيز دراسات في الشخصية الواقعية من

* بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، تحقق: د. حسين أحمد صالح الباكري، الناشر: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

* أحمد مختار عبد الحميد عمر. معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

* الأزدي: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ).

جهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

* أمنة: معاينة الفلسفة الشخصية الواقعية عند محمد عزيز الحبابي، رسالة ماجستير غير منشورة في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - قسم الفلسفة، ٢٠١٨-٢٠١٩م.

* ابن بابويه: علي (ت ٣٢٩هـ). فقه الرضا، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - قم المشرفة، ط١، الناشر: المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام - مشهد المقدسة، شوال ١٤٠٦.

* البحراني (ت ١١٨٦هـ). الحقائق الناضرة، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

* البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود

الكائن إلى الشخص ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة الرباط، الطبعة الثانية دار المعارف- مصر.

* خليل: أسماء منصور محمد

الأخلاق الشخصية في فكر عادل العوا، بحث منشور في مجلة مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد الخامس والأربعون، د.ت.

* الريشهري: محمد

ميزان الحكمة، تحقيق: دار الحديث، ط١، د.ت، د.م.

* الزمخشري: محمود بن عمر بن أحمد [ت ٥٣٨ هـ]

تفسير الزمخشري، ضبطه وصححه ورثبه: مصطفى حسين أحمد، ط٣، دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي ببيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م. * ابن شعبة الحراني (ت: ق ٤).

تحف العقول، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط٢، ١٤٠٤ - ١٣٦٣ ش.

* الشيرازي: الشيخ ناصر مكارم

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، د. ط، د. م، د.ت.

* الصدر: السيد محمد باقر «ق س».

بحوث إسلامية ومواضيع أخرى، ط٢، دار الكتاب الإسلامي-ستار، ١٤٣٤ هـ/ ٢٠١٣ م.

فلسفتنا دراسة موضوعية في معترك الصراع الفكري القائم بين مختلف

التيارات الفلسفية وخاصة الفلسفة الإسلامية والمادية الديالكتيكية الماركسية)، ط٣، دار المعارف-بيروت- لبنان، ١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩ م.

* الصدوق: محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه (ت ٣٨١ هـ/ ٩٩١ م). عيون أخبار الرضا عليه السلام، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، د.ط، د.م، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م.

* الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر (ت ٣١٠ هـ/ ٩٢٢ م).

تفسير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ م. * الطوسي: محمد بن الحسن أبو جعفر (ت ٤٦٠ هـ/ ١٠٦٧ م).

إختيار معرفة الرجال، تحقيق: مير داماد الأسترابادي والسيد مهدي الرجائي، د.ط، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، بعث-قم- إيران، ١٤٠٤ هـ. * عطاردي: الشيخ عزيز الله.

مسند الإمام الرضا عليه السلام، تحقيق: الشيخ عزيز الله عطاردي الخبوشاني، مؤسسة طبع ونشر آستان قدس الرضوي-المؤتمر العالمي الإمام الرضا عليه السلام، ربيع الآخر ١٤٠٦ هـ.

* ابن عياض اليحصبي: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو السبتي، أبو الفضل (ت ٥٤٤ هـ).

مشارك الأنوار على صحاح الآثار، د.ط

، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث، د.د.

* الغازي: داود بن سليمان (ت ٢٠٣هـ).

مسند الرضا عليه السلام، تحقيق: محمد جواد الحسيني الجلال، ط ١، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٨هـ.

* ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م).

معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، د.ط، دار الفكر، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

* الفاضل الهندي: أبو الفضل بهاء الدين محمد بن الحسن الأصفهاني (ت ١١٣٧هـ / ١٧٢٤م).

كشف اللثام، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١٦هـ.

* الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت ١٧٠هـ / ٧٨٦م).

العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، د.ط، دار ومكتبة الهلال، د.د.

* فرج: سعيد بن أحمد صالح

دوران اللفظ بين التأسيس والتوكيد وأثره عند الأصوليين دراسة تحليلية مقارنة، بحث نشور في مجلة الدراية؛ العدد الخامس عشر، ٢٠١٥م.

* الفيومي: أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الحموي (ت نحو ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م).

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، د.ط، المكتبة العلمية - بيروت، د.د.

* القرشي: الشيخ باقر شريف.

حياة الإمام الرضا عليه السلام، انتشارات سعيد بن جبير - قم، سنة الطبع: ١٣٧٢ ش

* القيومي: جمع الشيخ جواد.

صحيفة الرضا عليه السلام، ط ١، د.م، ١٣٧٣ ش.

* ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م).

تفسير ابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط ١، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ١٤١٩هـ.

* الكليني: محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت ٣٢٩هـ / ٩٤٠م).

الكافي، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط ٥، حيدري-دار الكتب الإسلامية - طهران - إيران، ١٣٦٣ ش.

* محل: ستار عباس.

مفهوم الشخصية القديمة المجدد شعر أبي ذؤيب الهذلي انموذجاً، بحث منشور في مجلة جامعة الانبار للغات والآداب، العدد الحادي والثلاثون، ٢٠٢١م.

* المجلسي: أبو عبد الله محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي المجلسي الأصفهاني (ت ١١١١هـ / ١٦٩٩م).

بحار الأنوار، تحقيق: يحيى العابدي،

ط ٣، د.م، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

* المرزباني: للإمام أبي عبيد الله محمد بن
عمران (ت: ٣٨٤ هـ).

معجم الشعراء، ط ٢، مكتبة القدسي، دار
الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٢
هـ - ١٩٨٢ م.

* مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت ١٥٠هـ / ٧٦٧م).

تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله
محمود شحاته، ط ١، دار إحياء التراث -
بيروت، ١٤٢٣هـ.

* ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي،
أبو الفضل، جمال الدين الـرويفعى
الإفريقى (ت ٧١١هـ / ١٣١١م).

لسان العرب، ط ٣، دار صادر - بيروت، ١٤١٤هـ.

* ناصر مكارم الشيرازي: الشيخ ناصر
بن محمد كريم بن محمد باقر مكارم.

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل (ترجمة
لكتاب نمونه) ، د.ط، ناشر الترجمة:
مدرسة الإمام علي بن أبي طالب، دار
الأميرة، مؤسسة البعثة-دار الكتب
الإسلامية، د.ت.
* ناصر: وضاح.

الشخصانية موسوعة ستانفورد للفلسفة،
 بحث منشور في مجلة الحكمة ، د.ع،
 ٢٠٢١.

* النجاشي: أبو العباس أحمد بن علي
بن أحمد بن عباس النجاشي الكوفي
(ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م).

رجال النجاشي، ط ٥، د. م، ١٤١٦ هـ.
* الهروي: محمد بن أحمد بن الأزهري،
أبو منصور (ت ٣٧٠ هـ).

تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض
مرعب، ط ١، دار إحياء التراث العربي -
بيروت، ٢٠٠١م.

التفكير القرآني في مناظرات الإمام الرضا عليه السلام دلالة الاصطفاء اختياراً

أ.د. صباح عيدان حمود العبادي
جامعة ميسان - كلية التربية

مقدمة تمهيدية

شكلت المناظرات تراثاً فكرياً لا يستهان به في المدونة الإسلامية، وقد صُنفت حولها مصنفات كثيرة، وامتألت بها كتب التراث الادبي والعقدي، وقد سجلت لنا كتب التراث الشيعي بصورة خاصة عدداً من المناظرات العلمية في مجالات فكرية متنوعة، كان اقطابها غالباً أئمة اهل البيت عليهم السلام، أو أصحابهم. ويتميز هذا النوع من المناظرات بقوة الاستدلال عند أئمة اهل البيت عليهم السلام في عمليات الحوار والاحتجاج على مناظريهم، واستعمال النص القرآني في مخاصمتهم، دعماً للاحتجاج عليهم. والذي لفت انتباه الباحث هذه الدقة في الاستشهاد القرآني عند الامام الرضا عليه السلام، في جميع حواراته مع السائلين من المواليين والمخالفين، لأنه يدرك تماماً أن النص القرآني هو الاقوى حجة من غيره من النصوص بسبب عدم الخلاف حوله بين جميع المذاهب الاسلامية، ولا سيما في تلك الحقبة الزمنية التي عاصرها الامام، فقد كانت مليئة بالاختلافات العقدية التي اسست لها السلطة في محاولة لتضعيف دور اهل البيت في نفوس المؤمنين. وقد كان الامام الرضا عليه السلام ملتفتاً لهذا النوع من الحوارات المرسوم لها من أعلى هرم في السلطة آنذاك، وهو الخليفة العباسي المأمون، الذي يعقد مجالس حوارية للمناظرة حول كثير من الافكار التي تتعلق بالعقائد والفكر القرآني والتفسير والشرعة.

ولا يمكن التكهن بصورة جلية عن أسباب عقد هذه المناظرات، ومعرفة الدوافع الحقيقية التي أسست لها، لكنها تظل تراثاً خصباً لمعرفة أفكار أهل البيت (عليه السلام)، وبيان دورهم في الفكر القرآني وبياناتهم التفسيرية، ولا سيما الإمام الرضا (عليه السلام)، فقد نقل عنه الكثير من المناظرات التي لا تخلو من نفحات تفسيرية متفرقة في مجموعة من كتب التفسير والرواية والحديث، أهمها كتاب عيون أخبار الرضا، والتفاسير الروائية كتفسير العياشي وتفسير القمي، وقد حاول أحدهم جمعها في كتاب واحد، لكنه لم يوفق في تحقيقها أو تصنيفها بصورة جيدة، فهي مازالت بحاجة إلى جهد يتكفل بإخراجها في حلة علمية؛ ليتمكن الباحثون من الاستفادة منها؛ لأنها تعد بحق ثروة فكرية مهمة في تاريخ الأمة، ينبغي التوقف عندها بجدية كبيرة؛ لترسيخ القيم الدلالية والتفسيرية التي يمكن استichائها منها، ولا سيما تلك التي تتعلق بمعارف أهل البيت (عليه السلام) في فهم القرآن وطريقتهم في إثبات الحجة على خصومهم بالنص القرآني.

وقد سلط البحث الضوء على مناظرة مهمة في إثبات الأصل العقدي عند مدرسة الامامية، وإثبات دلالة الاصطفاء ومعانيها المفترضة قرآنيًا، ومحاولة استثمار حضور النص القرآني في توضيح معاني هذه المفردة المهمة في التأصيل العقدي عند المذاهب الإسلامية، وحسم الجدل في تشخيص المصاديق القرآنية؛ من هنا جاء العنوان، ووسم البحث بـ (التفكير القرآني في مناظرات الإمام الرضا (عليه السلام)، دلالة الاصطفاء اختياراً).

ونعني بالتفكير القرآني هنا حضور النص القرآني في ذهن المناظر بسرعة استحضار الجواب التي وهبها الله للإمام المعصوم، والقدرة على إحضار مجموعة من النصوص القرآنية التي ترتبط في سياق المناظرة بدقة استدلالية، من دون تردد في إصابة الدلالة المرجوة، كشاهد ينسجم مع

قوة الحجة وبيانها. وهو ما لمسّه الباحث في مناظرة الامام (عليه السلام)، حول دلالة الاصطفاء في القرآن الكريم، وبيان مصاديق المصطفين؛ لذا نرى أن من الضروري تبيان دلالة الاصطفاء واستعمالاته القرآنية، قبل البحث عنه في المناظرة المختارة.

دلالة الاصطفاء

هناك عدد من المعاني التي يمكن أن نرصدها في التحليل اللغوي لمفردة (صفي)، فالأصل هو الصفاء، والصفاء: هو الخلوّص عن الكدورة. وعند زيادة الفعل (اصطفى) ومنه الاصطفاء هو جعل الشيء صافياً، وهكذا التصفية، إلّا أنّ النظر في التصفية الى جهة الوقوع، وفي الاصطفاء الى جهة الصدور والقيام بالفاعل. والاصطفاء هو الرغبة الى جعل شيء واختياره صافياً، والطاء فيها هي تاء الافعال، في الصيغة الصرفية، فإنّ الافعال يدلّ على القصد والاختيار^١. فوجود الطاء اقتضى شيئاً من عناية الفاعل بالمفعول، في مثل اختار اي اختاره صافياً من الخليط والاختلاط، فقد يكون الصفاء من حيث الاندماج والاختلاط بغيره والمساواة له، فيصطفى بالرسالة كقوله تعالى في شأن موسى: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ (الأعراف/ ١٤١٤)، او اصطفاؤه للملك ونصرة الدين كما في شأن طالوت ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة/ ٢٤٧)،^٢ ونستوحي هنا ان وجود الطاء فيه زيادة في المبنى اقتضتها الزيادة في المعنى. ولا نشك ان هناك مقصداً يريد القرآن ان يحقّقه في جعل صفة الاصطفاء لمجموعة من خلقه، او ان الاصطفاء مقصود لمن يريد المولى ان يجعله مصلحاً ليصلح الأمم؛ وهذا بذاته مقصد مهم من مقاصد الخطاب القرآني التي نحن بحاجة لتحديدّها؛ لكي نحصل على دلالة المفردة المستعملة، وكذلك أكد القرآن الكريم في اسلوبه وذكره لمراحل زمنية

متعددة، أن هذا الاصطفاء ليس أمراً واقفاً على جهة أو شخص بعينه، بل يعني حركة، وسنة تاريخية ممتدة في اعماق التاريخ، يمكن أن نسميها سنة الاصطفاء، التي تلازم اختيار الأنبياء والرسل في الأمم المختلفة، لكي لا يكون للناس حجة، وهذا يدعو إلى الحث على التدبر في دلالات الاصطفاء في عمق حركة الزمن، واستشراف ما تفرزه دلالة المفردة في الاستعمال القرآني كما أنها قد تكون حركة في الأسرة أو في الجماعة والأمة.^٣

ويبدو أن هناك خلافاً في تحديد دلالة الاصطفاء في الفهم القرآني؛ لذا فهي كانت محطّ انظار المتناظرين على مستوى العقيدة، وربما هذا الخلاف هو الذي جعل المأمون يعقد مناظرة خاصة حول دلالة الاصطفاء القرآني، وقد ابتدأت هذه المناظرة التي فيها عدد من العلماء، وبمحضر الإمام الرضا (عليه السلام) - بسؤال اطلقه صانعها المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (فاطر: ٣٢). فقالت العلماء: أراد الله الأمة كلها. فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال الرضا (عليه السلام): لا أقول كما قالوا، ولكن أقول: أراد الله تبارك وتعالى بذلك العترة الطاهرة (عليهم السلام).

فقال المأمون: وكيف عنى العترة دون الأمة؟ فجاءت الإجابات من الامام (عليه السلام) مسلطةً الفهم على مستويات دلالية مهمة، سيتكفل البحث في بيانها، في محاور بحثية عدة كالآتي:

أولاً: المصطفون هم ورثة الكتاب.

جاءت الاجابة من الامام (عليه السلام) سريعة وقاطعة في دلالة المصطفين على خصوصيتها بالعترة الطاهرة، الذين هم وحدهم يستحقون وراثة الكتاب، مستعيناً بسياق الآية نفسها، فقال (عليه السلام): ((لو أراد الأمة لكانت بأجمعها



في الجنة ، لقول الله : « فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير »... فصارت الوراثة للعترة^٥؛ لأنه يرى أن الظلم لا ينسجم مع الاصطفاء ، فالمصطفى لا يمكنه أن يمارس الظلم ، وإذا كان ظالماً لنفسه لا يستحق درجة الاصطفاء ، وهذا الاستحضار السريع في جواب الامام عليه السلام ، يوحى بالفروق الكبيرة بين تفكيره القرآني وتفكير الآخرين ، الذين اجابوا اجابة ناتجة عن الرواسب العقدية الراسخة في اذهانهم . ووراثة الكتاب لا يمكن ان تكون في هؤلاء الظالمين ؛ لأنها ترتبط بالإمامة التي بشر بها الله تعالى ابراهيم عليه السلام في قوله: ﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة/ ١٢٤) ، فجعله الله تعالى للناس إماماً لما طهر ، وتمت فيه الكلمات ، فالابتلاء مرتبة من المراتب الواقعة في طريق الاصطفاء ، والابتلاء والاختبار هما محور وراثة الكتاب وهذه الوراثة سبب من أسباب الاصطفاء ، وهو طريق لمنصب الإمامة ، التي جعلها الله تعالى لإبراهيم بعد الابتلاء بالكلمات ، وكانت سبباً لجعله إماماً كنتيجة للاصطفاء ، وكان إبراهيم قد طلبها لذريته فجاءه الجواب أن عهد الإمامة لا يصل الى الظالمين ؛ لأنهم خارج درجة الاصطفاء .

وهو من الرتب الدلالية المهمة التي يمكن ان نستكشفها مع دلالات الاصطفاء في الاستعمال القرآني ، فقد ذهب فيها المفسرون مذاهب تحتاج الى التوقف عندها بموضوعية ، ونبين الفرق في فهمها بين المسلمين ، وذلك في الآية - موضع البحث - التي أفتتح بها مجلس المناظرة: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (فاطر/ ٣٢) .

فالطبري مثلاً يبين اختلافاً في فهمها بين أهل التأويل ، بقوله: ((اختلف أهل التأويل في معنى الكتاب الذي ذكر الله في هذه الآية أنه أورثه الذين اصطفاهم من عباده، ومنهم المصطفون من عباده، والظالم لنفسه))^٦، فكأنه يريد أن يقول كيف تنسجم وراثته الكتاب فتكون في هؤلاء المصطفين وفي الظالمين؟ في حين يذهب الرازي الى رأي مختلف، بقوله: ((اتفق أكثر المفسرين على أن المراد من الكتاب القرآن، وعلى هذا فالذين اصطفينا هم الذين أخذوا بالكتاب، وهم المؤمنون والظالم والمقتصد والسابق كلهم منهم))^٧، في حين يجعلها القرطبي من الامور المشكلة، بقوله: ((هذه الآية مشكلة))^٨، ووضح أن سبب المشكلة هو عن كيفية اجتماع الاصطفاء والظلم بقوله ((لأنه قال جل وعز: «اصطفينا من عبادنا» ثم قال: «فمنهم ظالم لنفسه»))^٩.

ويبدو أن هذا الاشكال جاء من عدم وضوح الرؤية العقائدية، لأن ظاهرها البدوي يخالف ثابتاً من ثوابت الفكر العقدي وهو عصمة المصطفين، وهذا الثابت لم يكن وليد التراكمات العقدية فحسب؛ بل هو ما افرزته استعمالات النص القرآني، فلا تنسجم الدلالة الظاهرة للآيات مع ما قاربناه من دلالات مفهوم الاصطفاء.

وفي الحقيقة نحن امام رأيين للمفسرين افرزتهما توجهاتهما المذهبية ذكرهما الطبرسي بقوله: ((وقيل: هم أمة محمد ﷺ أورثهم الله كل كتاب أنزله، عن ابن عباس، وقيل: هم علماء أمة محمد ﷺ وسلم؛ لما ورد في الحديث: «العلماء ورثة الأنبياء». والمروي عن الباقر والصادق (عليهما السلام) أنها قالوا: «هي لنا خاصة، وإيانا عنى»))^{١٠}، فالشيخ الطبرسي إذن، اختصر علينا مقالات المفسرين بقوله السابق، بالمقاربة تقتضي ان نعرف حقيقة الإرث الكتابي بتحليل مفرداته ؛ لنصل الى القيمة الدلالية المفترضة من

وراثه الكتاب كي يتمكن من تأكيد صحة نسبتها الى ما ادعاه اصحاب القراءات السابقة لهذا النص.

والوراثة المقصودة هنا ليست الوراثة المادية ولا ريب في ذلك، بل ان الوراثة من سنخ العلم اللدني، والدليل على ما نقول، هو وجود الاصطفاء الذي يُعد من خصوصيات الأنبياء، والرسل، والملائكة، وكذا ينفعنا في المقام وجود كلمة (عبادنا) في سياق التركيب؛ إذ تشير الى مقام العبودية الذي يمثل ارقى درجات القرب من المعبود، وهو ما عبرت عنه آيات الخضر مع موسى ﷺ ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف / ٦٥) وهؤلاء العباد هم انفسهم من يستحقون السلام في قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ (النمل / ٥٩)، وهنا عباد مصطفىون، فالعبودية مرتبة من المراتب التي تؤهل العبد المصطفى الى أن يعطى العلم اللدني، ولأنه عبد مصطفى؛ يعطى الكتاب والنبوة التي هي من ملازمات الاصطفاء، كما في قوله تعالى حكاية عن عيسى ﷺ: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (مريم / ٣٠)، فيلاحظ هذه الملازمة بين العبودية واثبات العلم واثبات الكتاب، فالعبودية الحقّة لله موطن افتخار؛ يعرف بها عيسى نفسه للناس، ثم يردفها بإتيان الكتاب والنبوة. وكذا لأنه عبد مصطفى يعطى وراثه الكتاب؛ وهو ما يحفزنا ان نتعرف على هوية هذا الكتاب.

فقد ذهب اكثر المفسرين الى ان الكتاب هنا هو القرآن^{١١}، ولكن في الحقيقة ان القرآن وان كان من معانيه الكتاب، الا اننا نميل الى الاحتمال الذي ذكره الرازي بقوله: ((ويحتمل أن يقال المراد من الكتاب هو جنس الكتاب، كما في قوله تعالى: ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ (فاطر / ٢٥)))^{١٢}، وهو ايضا ما نقله الطبرسي عن الجبائي^{١٣}،

والذي يشفع لنا هنا ايضا، استعمالات القرآن نفسه لمفردة الكتاب، ولا سيما فيما ينفع الوارث من وراثته إذ لا ينطبق معنى الكتاب على خصوص القرآن. نعم، ربّما يستعين بعضهم بسياق الآية التي تشير الى الوحي ولم تشر الى التنزيل الذي هو من ملازمات القرآن، اما لفظة (او حينا) فهي اعم من التنزيل، فلا يكون السياق هنا ملزماً لحصر دلالة الكتاب بالقرآن، ومن خلال المتابعة؛ نجد أن مفردة (الكتاب) استعملت فيما هو أعم من القرآن، ولعل التفريق الذي أجراه احد الباحثين ينفعنا فيما نذهب اليه، والذي انتهى فيه الى أن للكتاب من حيث نصائته وفحواه، جانبين: ((جانب إمكان المعنى واطلاقه، وهو جانب القرآن، وجانب تحقيق ذلك الإمكان واقعاً، وهو جانب الفرقان. ويبقى الجانب الأول مرتبطاً بالثاني ومتعلقاً به وساعياً اليه، بغية تصوير صفة الإقراء والاقتران صفة تفرق، اي بغية إجراء (الميتا) السماوي إجراء ارضياً واقعياً))^{١٤}، وهذا المفهوم الذي استنتجه الباحث هو مفهوم النص الكتابي. أما حقيقة الكتاب وهي التي تستحقّ الوراثة، هي الحقيقة القرآنية النصية للكتاب؛ تختلف عن حقيقته الميتافيزيقية بلسان النص نفسه على سبيل الفرضية، فالهداية والضياء والايمان بالغيب، كلّها امور فرقانية، وبمعية القرآنية يتحقّق علم الكتاب الذي يورث لمن يستحقّ الوراثة، وهم المصطفون والمهتدون. وحينها لا يمكن بحال من الاحوال أن تكون هذه الوراثة للأمة بأجمعها؛ بل هي وراثة خواص الخواص الذين قال عنهم الامام الرضا (عليه السلام): ((أما علمتم أنه وقعت الوراثة والطهارة على المصطفين المهتدين دون سائرهم؟ قالوا: ومن أين يا أبا الحسن؟ قال من قول الله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد/ ٢٦)، فصارت وراثة النبوة والكتاب للمهتدين دون الفاسقين،

أما علمتم أن نوحاً عليه السلام حين سأل ربه فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾. (هود / ٤٥)، وذلك أن الله جل وعلا وعده أن ينجيه وأهله فقال له ربه: ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (هود / ٤٦))^{١٥}.

وهذا التكييف القرآني الذي يستعمله الامام عليه السلام نلاحظ مدى الطاقة التفكيرية في الشاهد القرآني القاطع في الحجة، فقد أخرج الفاسقون من وراثة الكتاب، وكذلك أخرج بعض الاهل (ابن نوح مثلاً) من وراثة الكتاب؛ فيكون ملخص الدلالة اشارة الى الوراثة التشريعية لحقيقة الكتاب (القرآني والفرقاني) في عالم الوحي، لا الكتاب بوجوده المكتوب في المصحف، ويكون تخصيص الوراثة بالمصطفين من العباد لا كل العباد، فإن الاصطفاء هو لمن يستحق الوراثة التي يتأهل بها المصطفون، فتكون العلاقة متلازمة بين وراثة الكتاب والاصطفاء.

وهو ما يدفع للتفكر في ذيل الآية التي تشير الى التفصيل ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإذنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (فاطر / ٣٢)، فهل ينسجم هذا التذييل مع وراثة الكتاب ومع الاصطفاء؟ ثم الآية التالية تشير الى ان هؤلاء يدخلون الجنة ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ (فاطر / ٣٣)؛ لذا وقع المفسرون في اختلاف كبير في توجيه هذه الآية، وهو ما يجعلنا هنا في مقام الترجيح، فهل نستطيع الفصل بين المصطفين وبين العباد؟ وهل التقسيم الاخير هو للعباد دون المصطفين، كما ذهب الرازي؟ إذ يرى ان الضمير في قوله: (فمنهم) عائد الى قوله:

(من عبادنا) لا الى قوله: (الذين اصطفينا)؛ لأن عود الضمير الى أقرب المذكورين واجب كما يقول^{١٦}. والحقيقة إن هذا الرأي تولّد عن مفهوم دلالة الاصطفاء، فلا تنسجم هذه الصفات حسب ظاهرها مع المصطفين؛ لتعارضه مع الدلالة اللغوية للاصطفاء، ولنشوزه الذي عُهد في سياق استعماله القرآني، وهكذا فقد صنف الله تعالى العباد ثلاثة أصناف: الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات، فظاهر النص ميّز المصطفين عن أهل الظلم والضلال، وأهل السيئات والمعصية، فيكون فيه إشعار بتنزههم عن المعاصي والضلال، الأمر الذي يتوافق مع دلالة الاصطفاء لغوياً ومضمونها في الاستعمال القرآني، في اختيار الله تعالى للصفوة من خلقه، الذين بارك فيهم وحملهم وظائف رسالته العظيمة التي لا يقوى على حملها إلا مثل هؤلاء^{١٧}؛ لذا خص الامام الرضا عليه السلام هذه الدلالة في العترة النبوية خاصة، فقال المؤمنون: وكيف عنى العترة دون الأمة ؟

وقد فصل الامام الرضا عليه السلام الإجابة عن هذه الاستفهامات بقوله: ((لو أراد الأمة لكانت بأجمعها في الجنة ، لقول الله: «فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير» فيتضح ان الأمة فيها ثلاثة أصناف من الناس، لا يمكن لجميعهم ان يكون من ورثة الكتاب فصارت الورثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم))^{١٨} ، ويبدو أن هذا التفسير من الامام هو ما سارت عليه مدرسة أهل البيت في تفكيرها القرآني، فإنهم يحيون بهذا الجواب نفسه في كل مواطن الاستفهام عن دلالة الاصطفاء، ومن الطريف أن ينقل الحسكاني بسنده في شواهد التنزيل، عن أبي حمزة الثمالي عن الامام علي بن الحسين عليه السلام قرياً من هذا المعنى؛ ولكن بتفصيل أكثر، قال: ((إني لجالس عنده إذ جاءه رجلان من أهل العراق، فقالا: يا ابن رسول الله جئناك كي نخبرنا عن آيات

من القرآن. فقال: وما هي؟ قالوا: قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ (فاطر / ٣٢)، فقال: يا أهل العراق، وأيش يقولون؟ قالوا: يقولون: إنها نزلت في أمة محمد ﷺ وسلم، فقال لهم علي بن الحسين: أمة محمد كلهم إذن في الجنة!! قال: فقلت من بين القوم: يا ابن رسول الله فيمن نزلت؟ فقال: نزلت والله فينا أهل البيت - ثلاث مرات - قلت: أخبرنا من فيكم الظالم لنفسه؟ قال: الذي استوت حسناته وسيئاته - وهو في الجنة - فقلت: والمقتصد؟ قال: العابد لله في بيته حتى يأتيه اليقين. فقلت: السابق بالخيرات؟ قال: من شهر سيفه ودعا إلى سبيل ربّه))^{١٩}. فهي توجيهات متوارثة في سلسلة أهل البيت ﷺ، وفيها افادة من السياق الذي ذكرت فيه الآية، وهو دخول ورثة الكتاب إلى الجنة، وتنسجم مع مقام المصطفين الذي استحقّوا وراثته الكتاب. بل أن خصوصية الاصطفاء الإلهي لهم دون غيرهم، وهي حملهم حقيقة هذا الكتاب، وتبيّن أنّ لديهم معلم حقيقة الكتاب بقسميه: القرآني من جهة الألفاظ وظواهرها، والفرقاني بدرجات معانيه غير المتناهية، وهذا التراث والوراثة التكوينية لا يشاركون فيها غيرهم بأدنى مشاركة؛ لذلك اختصرهم تحت عنوان (العترة الطاهرة) في رواية الامام الرضا ﷺ، لأنّ المقام لا يسمح بالتصريح كما هو الحال في مقام الامام علي بن الحسين ﷺ، إذ قال: نزلت فينا أهل البيت. وليس لغيرهم مهما بلغت درجته من العلم سوى الوقوف على حدود المعاني الظاهرة، وبعض درجاتها التي توصّل إليها بواسطة الألفاظ. فهم الذين يستحقّون علم التأويل، ووراثة الكتاب، بما فيه من علوم وما فيه من غيب ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (النمل / ٧٥)؛ ليكون ما في الكتاب حاضراً عند المصطفين من الائمة الذين هم المصدق الأوحد لورثة الكتاب، وهم العترة الطاهرة. وهم أهل البيت ﷺ.

ثانياً: الاصطفاء والتطهير :

وبعد ان اكتملت صورة وراثة الكتاب وعلاقتها بالاصطفاء، انتقل الامام عليه السلام الى الإشارة عن التطهير وعلاقته بالاصطفاء، فقال عن المصطفين: ((هم الذين وصفهم الله في كتابه، فقال: ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ (الاحزاب: ٣٣)، وهم الذين قال رسول الله ﷺ: « اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي - أهل بيتي - لن يفترقا حتى يردا على الحوض » ، انظروا كيف تخلفوني فيهما، يا أيها الناس لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم))^{٢٠}

ظهر مما تقدم ان الاصطفاء مقام من مقامات الارادة الإلهية، أي أن حكمة الله تعالى متحققة في اصطفاء قسم خاص من عباده، لعلمه بقدرتهم على تطبيق الشريعة، وهم مصطفون بدلالة الإرادة الإلهية التي لا تتخلف، وقد وضحته الآية التي استشهد فيها الامام عليه السلام وهو في معرض كلامه عن الاصطفاء، فكانه عليه السلام يشير إلى التساوق بين معنى يريد، ومعنى اصطفى، وعلاقة ذلك بتطهيرهم ﷺ وإذهاب الرجس عنهم.

وذلك يعني أنهم قد حصلوا على الطهارة التامة بالفعل، فاستحقوا من الله تعالى هذه العناية التامة وهذا التكريم العظيم، فاختصاصهم بهذه العناية الإلهية يتضمن إخباراً صادقاً وشهادة إلهية، بأنهم حاصلون على مزية التطهير، ونفي الرجس عنهم، دون غيرهم، إلى درجة العصمة التي هي اصطفاء محض، بل درجة من درجات الاصطفاء .

وكلام الأئمة عليهم السلام في أن الله تعالى قد أذهب الرجس عن « أهل البيت » وطهرهم تطهيراً فعلاً كثير جداً، لا مجال لاستقصائه، فراجع أدعيتهم، ومجادلاتهم مع المنكرين لفضائلهم وغير ذلك .

وقد اتضحت علاقة الاصطفاء مع التطهير عملياً في القرآن الكريم في ما يتعلق بعلاقة اصطفاء مريم وتطهيرها في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ

فنحن هنا أمام اصطفاءين، الاصطفاء الأول كان مطلقاً، والاصطفاء الثاني يتعدى بحرف الجر (على)، فيمكن أن يكون المقصود بالاصطفاء الأول: هو إبلاغ مريم أن الله ميزها بطهارة الإيمان، والصلاح والخلق الطيب، ولكن هذا الاصطفاء لا يمنع أن يوجد معها في مجاله آخرون، ثم أورد الحق سبحانه أنه طهرها، وهو نوع خاص من الاصطفاء أو مرتبة جديدة، تفرق بينها وبين الآخرين، رجالاً ونساء، وجاء من بعد ذلك بالاصطفاء الثاني المقيد بـ(على) فقال: ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾، فهنا قيد يخرج الرجال عن دائرة هذا الاصطفاء الذي ادخله الاصطفاء الأول، ولن يكون مجال الاصطفاء الثاني موضوعاً يتعلق بالرجولة؛ فهي مصطفاة على نساء العالمين، فكأنه لا توجد أنثى في العالمين تشاركها هذا الاصطفاء، أي أن تلد دون رجل، ولن يشاركها فيها أحد من النساء.

وهو ما ينفعنا هنا؛ لأن التطهير ضرورة من ضروريات العصمة للأئمة عليهم السلام ومن هنا جاء جواب الامام الرضا عليه السلام وهو في معرض رده على سؤال المأمون في بيان دلالة الاصطفاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الاحزاب / ٣٣)، وبيان الملازمة الواقعة بين الاصطفاء والتطهير؛ لأن الاصطفاء في اللغة هو: أخذ صفوة الشيء وتخليصه مما يكدره^{٢٥}، فيكون ما فيه من طهارة وتطهير واضحاً، وفي عبارة الراغب مفرداته: ((وَاصْطَفَاءُ اللَّهِ بَعْضَ عِبَادِهِ قَدْ يَكُونُ بِإِجَادِهِ تَعَالَى إِلَٰهًا صَافِيًا عَنِ الشُّبُوبِ الْمَوْجُودِ فِي غَيْرِهِ))^{٢٦}.

فهذا التلازم بين الاصطفاء والتطهير الذي قد يصل الى درجة التساوق الدلالي بينهما يؤيد تماماً ما أراد الامام عليه السلام إثباته للمناظرين، بأن التطهير الذي انحصر بإرادة الله تعالى بأداة الحصر (إنما) هو اصطفاء لأهل البيت عليهم السلام، مقروناً بتوكيد استعمال المفعول المطلق (يطهركم تطهيراً).

ثالثاً: بيان مراتب المصطفين العملية:

وبعد أن أوضح الإمام (عليه السلام) دلالة الاصطفاء واثبت انه لا يكون للأمة عامة، وإنما هو للعترة الذين أورشوا الكتاب ، وطُهِروا من كل دنسٍ ورجسٍ ، وهم عترة الرسول (عليه السلام) ، جاءه سؤال من الحاضرين : ((أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة ، هم آل أو غير آل ؟ فقال الرضا (عليه السلام) : هم آل .

فقالت العلماء : فهذا رسول الله يؤثر عنه أنه قال : « أمتي آلي » ، وهؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفيض الذي لا يمكن دفعه : « آل محمد أمته » ((٢٧ .

وهذا النوع من الأسئلة فيه مركبات عقدية موروثة عند السائل ، تحتاج الى إجابات محكمة يراعى فيها السياق المقامي الذي تدور في أرجائه المناظرة ، وكانت إجابات الإمام نابعة من علومه اللدنية، القرآنية والحديثية ، وفي ضوء تلك الإجابات اعطى صفات واضحة عن المصطفين يمكننا تتبعها كالاتي:

١- المصطفون من تحرم عليهم الصدقة:

وقد سار الامام مع المناظرين على منهج الحوار ، فيطرح السؤال ، ثم ينتظر من المناظرين الإجابة ؛ ليكون الإقرار منهم وبألستهم، وتكون الحجة أبلغ من الإجابة المباشرة منه ، وهكذا يسأل (عليه السلام) : أخبروني هل تحرم الصدقة على آل محمد ؟ قالوا : نعم . قال (عليه السلام) : فتحرم على الأمة ؟ قالوا : لا . قال (عليه السلام) : هذا فرق بين آل وبين الأمة ((٢٨ ، وهنا اخذ الامام الجواب من أفواههم ليضع فرقاً مهماً بين آل والأمة ، وهو حرمة الصدقة على آل محمد ، واذا كانت الامة هي آل ؛ فهذا يعني تعطيل الصدقات . وبعد هذا التأكيد ، يردّ الامام على خصومه بتأييد إلهي ؛ ليدكرهم بابتعادهم عن المنهج السليم

في معرفة الدلالة القرآنية، بقوله: ((ويحكم أين يُذهب بكم ؟ «أصرفتم عن الذكر صفحاً أم أنتم قوم مسرفون» ؟ ! أما علمتم أنها وقعت الوراثة والطهارة على المصطفين المهتدين دون سائرهم ؟))^{٢٩}، فهذه الأسئلة التي تستبطن التوبيخ لهؤلاء المناظرين وتذكيرهم بالذكر وبيان حقيقة المصطفين المهتدين في ضوء الإجابات السابقة التي الزموا بها انفسهم .

٢- المصطفون هم المهتدون

وبعد أن وضح الامام عليه السلام أن المصطفين هم الآل ، في حوار حُجَجِيّ جاءه سؤال من المناظرين:

قالوا : من أين قلت يا أبا الحسن ؟ أي من أين عرفت أن الآل هم هؤلاء المهتدون ؟ فيجيب عليه بجواب قرآني دقيق ((: من قول الله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (الحديد: ٢٦) فصارت وراثة النبوة والكتاب في المهتدين دون الفاسقين))^{٣٠}، فالآية المباركة هنا فيها ذكر لرسولين من أولي العزم، نوح وإبراهيم، ((لقد بدأت النبوة بنوح عليه السلام توأماً مع الشريعة والمبدأ ، ومن ثم إبراهيم عليه السلام من الأنبياء اولي العزم في امتداد خط الرسالة، وهكذا حلقات متواصلة على مر العصور والقرون ، فإن القادة الإلهيين من ذرية إبراهيم عليه السلام يتصدون للقيام بمسؤولية الرسالة، إلا أن المستفيد من هذا النور الإلهي العظيم هم القلة أيضاً ، في حين أن الغالبية سلكت طريق الانحراف . ثم يشير إشارة مختصرة إلى قسم آخر من سلسلة الأنبياء الكرام التي تختتم بعيسى عليه السلام آخر رسول قبل نبينا محمد ﷺ حيث يقول سبحانه : ثم قفينا على آثارهم برسلنا . حيث حملوا نور الهداية للناس ليضيئوا لهم الطريق ، وتعاقبوا في حملها الواحد بعد الآخر وبيان قوة الإرادة الإلهية فيها من قوله (جعلنا في ذريتهما))^{٣١} ، وهذا نوع من



الاصطفاء؛ ولكن ليس اصطفاء لجميع الذرية؛ بل فقط للمهتدين دون الفاسقين، ثم يحضر الاستدلال القرآني بسرعة لتوضيح هذا التخصيص في قول الامام عليه السلام، وكأنه يجيب عن سؤال مفترض في اذهان المناظرين: ((أما علمتم أن نوحا سأل ربه، « فقال رب ان ابني من أهلي وان وعدك الحق » . وذلك ان الله وعده أن ينجيّه وأهله ، فقال له ربه تبارك وتعالى : « انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم اني أعظك أن تكون من الجاهلين »))^{٣٢}؛ لكي يتضح أن عملية جعل النبوة والكتاب ليست في جميع ذرية نوح وذرية إبراهيم؛ بل هي في المهتدين خاصة دون الفاسقين، وأن ابن نوح كان فاسقاً وخارجاً عن الهداية حتى وإن كان من ذرية نوح المصطفى بالرسالة من الله تعالى، وهذا تقييد لإطلاق المفهوم من قوله تعالى وجعلنا في ذريتهما. فنلاحظ أن الامام عليه السلام يحيط السائلين فهماً قرآنياً ربما لم يكن مألوفاً عندهم، وهو تفسير القرآن بالقرآن؛ لكونه من البيت الذي نزل القرآن فيه .

٣- المصطفون هم المحسودون

وتستمر المناظرة بمعرفة صفات العترة ، بعد أن سلّم الجميع بأنهم هم المصطفون دون غيرهم ، لأنهم ورثة الكتاب وورثة النبوة وهم المهتدون، ليأتي الاستفهام من المأمون: فهل فضّل الله العترة على سائر الناس؟ والملاحظ أن هذا السؤال ينطوي تحته مكرّ معرفي، فالسائل يريد أن تكون الإجابة من القرآن حصراً، وكان الامام عليه السلام ملتفتاً لهذا، فجاء جوابه في ذكر مجموعة من الآيات والربط بينها بدقة متناهية، فقال عليه السلام: ((ان الله العزيز الجبار فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه - في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ . ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾ (ال عمران ٣٣- ٣٤) ، وقال الله في موضع اخر: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ

النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿ (النساء: ٥٤) ﴾^{٣٣} فنلاحظ هذا التكثيف القرآني في الإجابة من الإمام (عليه السلام) للمؤمن، ففي الآية الأولى أثبت الاصطفاء لآل نوح و آل إبراهيم، وآل عمران، وهم ذرية بعضهم من بعض، ومنهم عتره النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، وهذا الاصطفاء هو نوع من أنواع وراثة الكتاب الذي أكدته الآية الثانية التي ذكرها الامام (عليه السلام)، ويُن أنَّهُ بسبب هذا الاصطفاء والوراثة حسدهم الناس، والحسد له عواقب خطيرة في عملية استهداف الحاسد لهم في محاولة إقصائهم عن دورهم في ولاية الامر الذي أكدته الآية التالية التي ذكرها الامام في جوابه.

من هنا يتضح حضور الاستدلال القرآني المتميز في إجابات الامام (عليه السلام) بنصوص قرآنية واضحة مترابطة تُظهر القدرة الرفيعة في كون الامام مصداقاً واضحاً لوراثي الكتاب، وتبين كيفية معاملة النصوص طبق أهمية السؤال وخطورته عند المناظرين.

٤ - المصطفون هم أولي الأمر

وبعد ان اثبت الامام أسباب الحسد لهذه العتره، الذين هم ذرية نوح وإبراهيم وال عمران، أشار الى قضية مهمة في الالتفات في الخطاب من سائر الناس الذين تمكن منهم حسدهم للعترة الى المؤمنين خاصة، بقوله: ((ثم رد المخاطبة في أثر هذا إلى سائر المؤمنين فقال: «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم»، يعني الذين أورثهم الكتاب والحكمة وحسدوا عليهما بقوله: ﴿ أَمْ يُحْسَدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٥٤)))^{٣٤}، هنا في الآية الأخيرة إشارة مهمة إلى أن الاصطفاء بوراثه الكتاب والحكمة هو من العطاء الإلهي بدليل (آتيناهم،

وهؤلاء المصطفون يتعرضون للحسد الذي يكون سبباً لنصب العداة لهم. في حين هم الذين نصبهم الله تعالى ولادةً للأمر، وقرن طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله.

ومن بعد هذا كله من بيان الصفات العامة التي استوحاها الامام من عملية الاستشهاد الدقيق في إثبات المصطفين من آيات القرآن الكريم، شرع في بيان المصاديق الفعلية من المصطفين في زمن النبي، ومن هم الذين يستحقون أن يكونوا ولادة الأمر الذي اوجب طاعتهم، وذلك بسؤال من العلماء: هل فسر الله تعالى الاصطفاء في الكتاب؟

فذكر الإمام الرضا عليه السلام آيات عدة في مصاديق الاصطفاء الظاهري الذي يستنبط من النصوص القرآنية نكتفي بالتوقف عند اثنين منها: ((فأول ذلك قول الله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤) ورهطك المخلصين^{٣٥} - هكذا في قراءة أبي بن كعب، وهى ثابتة في مصحف عبد الله بن مسعود، فلما أمر عثمان زيد بن ثابت أن يجمع القرآن خنس هذه الآية، وهذه منزلة رفيعة وفضل عظيم وشرف عال، حين عنى الله عز وجل بذلك الال^{٣٦}). وهذا النص فيه قضية خطيرة يشير إليها الإمام عليه السلام، تخص عملية التدوين وحذف بعض الآيات أو جزء منها التي تصرح بفضل ال الرسول. فكما يبدو انه حذفت من قراءة (أبي) عبارة ورهطك المخلصين التي تشير بوضوح الى آل النبي؛ لأن العشيرة فيها عموم يشمل عدداً أكثر من هؤلاء المصطفين، وهذه الملحة مهمة تتعلق بفهم علوم القرآن التي ينبغي إعادة مراجعتها فيما يتلخص بعملية التدوين الذي فرضته السلطة آنذاك.

كما أنه يشير الى آية المباهلة واصطفاء علي (عليه السلام) كنفس رسول الله الذي هو سيد المصطفين « فحين ميز الله الطاهرين من خلقه ، أمر نبيه في آية الابتهاال ، فقال : ﴿ فَقُلْ - يَا مُحَمَّد - تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ بَتَّهِلْ فَجَعَلَ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ (ال عمران: ٦١) » ، فأبرز النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عليا والحسن والحسين وفاطمة (عليها السلام) ، فقرن أنفسهم بنفسه ، فهل تدرون ما معنى قوله : « وأنفسنا وأنفسكم » ؟ قالت العلماء : عنى به نفسه . قال أبو الحسن (عليه السلام) : غلطتم ، إنما عنى به عليا (عليه السلام) ، ومما يدل على ذلك ، قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حين قال : ليتهاين بنو وليعة أو لأبعثن إليهم رجلا كنفي ، يعني عليا (عليه السلام) . فهذه خصوصية لا يتقدمها أحد ، وفضل لا يختلف فيه بشر ، وشرف لا يسبقه إليه خلق ، إذ جعل نفس علي (عليه السلام) كنفسه))^{٣٧} . وذكر الإمام (عليه السلام) صفات أخرى قرآنية تشبه الطريقة التي عرض فيها الصفات التي تتعلق بدلالة الاصطفاء .

وأخيرا نكتفي بهذا العدد من الآيات التي نراها استوعبت فكرة البحث واستوفت جزئيات العنوان الذي وسم به ، نسأل الله تعالى أن يتقبله منا خدمة للقرآن الكريم وإحياء لفكر أهل البيت القرآني الذي تمّ تغييبه بصورة مباشرة أو غير مباشرة عن ساحة الفهم وكتب التفسير .

نتائج البحث:

المناظرات التي يعقدها الأئمة عليهم السلام تعد ثروة فكرية تفسيرية بما تتضمنه من شواهد قرآنية تخدم علم التفسير لا يمكن الغفلة عنها ، و تحتاج الى دراسات مستقلة أكثر نضجاً من عرضها بلا توقف وتأمل .

كمية التكثيف في استعمال النص القرآني في المناظرة يوحى بوضوح الى العلم القرآني الرباني الذي يحمله الإمام المعصوم لدرجة أن القرآن يعد جزءاً من أجوبته الحضورية السريعة .

جدية الطرح في الكشف عن دلالة الاصطفاء القرآني التي اثيرت حوله المناظرة، فكانت الافكار تتابع ما يثيره الإمام الرضا عليه السلام من قيم دلالية قرآنية ولدت معاني جديدة للاصطفاء، تراوحت بين وراثة الكتاب والتطهير موضوعها حصراً مجموعة مطهرة هم عترة النبي صلى الله عليه وآله .

لم يكن غرض الإمام التغلب على الخصوم بل قصد إظهار الحقيقة القرآنية المؤيدة بالسنة النبوية المطهرة .



الهوامش:

- ١- ينظر: التحقيق في كلمات القرآن ٦: ٢٥٨
- ٢- ينظر: الاء الرحمن في تفسير القرآن ١: ٢٧٦
- ٣- ينظر: مراتب الدلالة القرآنية بين الاجتباء والاصطفاء في ضوء العلاقات السياقية ، د صباح عيدان حمود العبادي مجلة اللغة العربية وادابها كلية الاداب جامعة الكوفة ، العدد ٢٢ حزيران ٢٠١٥ ص ٤٦٣
- ٤- ينظر عيون اخبار الرضا ١: ٢٠٧
- ٥- المصدر نفسه
- ٦- جامع البيان في تأويل القرآن ٢٢: ١٥٩
- ٧- التفسير الكبير الرازي ٢٦: ٢٤
- ٨- الجامع لأحكام القرآن ١٤: ٢٤٦
- ٩- المصدر نفسه
- ١٠- مجمع البيان في تفسير القرآن ٨: ٢٤٥
- ١١- التفسير الكبير ٢٦: ٢٤
- ١٢- المصدر نفسه
- ١٣- مجمع البيان ٨: ٢٤٥
- ١٤- المعنى القرآني بين التفسير والتأويل : ٢٢٣
- ١٥- عيون اخبار الرضا ١: ٢٠٨
- ١٦- عصمة الانبياء : ١٢
- ١٧- ينظر: الامامة تلك الحقيقة الربانية : ٣٠٢
- ١٨- المصدر نفسه : ٢٠٧
- ١٩- شواهد التنزيل ٢: ١٥٦
- ٢٠- عيون اخبار الرضا ١: ٢٠٨
- ٢١- تفسير القمي ١: ١٠٢
- ٢٢- زاد المسير في علم التفسير ١: ٣٢٩
- ٢٣- التبيان في تفسير القرآن ٢: ٤٥٧
- ٢٤- الميزان في تفسير القرآن ٣: ١٨٩
- ٢٥- مفردات الفاظ القرآن الراغب: ٤٤٨ والتحقيق في كلمات القرآن ٦: ٢٥٨
- ٢٦- مفردات الفاظ القرآن : ٤٤٨
- ٢٧- عيون اخبار الرضا ١: ٢٠٨

- ٢٨- المصدر نفسه
٢٩- المصدر نفسه
٣٠- المصدر نفسه
٣١- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ٨: ٨٠
٣٢- عيون أخبار الرضا ١: ٢٠٩
٣٣- المصدر نفسه
٣٤- المصدر نفسه: ٢١٠
٣٥- قال أبو جعفر عليه السلام: هذه قراءة عبد الله (ابن مسعود). تفسير فرات الكوفي ص ٣٠٢:
٣٦- عيون أخبار الرضا . ٢١٠
٣٧- المصدر نفسه



الكتاب
المجلد
العدد
الصفحة

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

* آلاء الرحمن في تفسير القرآن، محمد جواد البلاغي النجفي، (ت: ١٣٥٢)، مطبعة العرفان - صيداء، ١٣٥٢ - ١٩٣٣ م.

* الإمامة الإلهية، بحوث ساحة الأستاذ آية الله الشيخ محمد السند، تأليف السيد محمد علي بحر العلوم، منشورات لسان الصدق / قم / الطبعة الأولى / ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م

* الإمامة تلك الحقيقة القرآنية، الدكتور زهير بيطار، دار السيرة، بيروت - لبنان ١٤٢٢ هـ. ق / ٢٠٠١

* الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار احياء التراث العربي، الطبعة الاولى، بيروت لبنان ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

* البيان في روائع القرآن، الدكتور تمام حسان، مطبوع الأوفسيت.

* التبيان في تفسير القرآن، تأليف: شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠ هـ)، تحقيق

وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، الطبعة: الأولى رمضان المبارك ١٢٠٩ هـ. ق، دار احياء التراث العربي.

* التحقيق في كلمات القرآن الكريم، تأليف الشيخ حسن المصطفوي، الطبعة الأولى: ١٤١٧ هـ مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة، طهران.

* تفسير القمي، لأبي الحسن علي بن

إبراهيم القمي رحمته الله، (من أعلام قرني ٣ - ٤ هـ)، صححه وعلق عليه وقدم له السيد طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر الطبعة: الثالثة / شهر صفر عام ١٤٠٤ قم / إيران.

* التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، الوفاة: ٦٠٦ هـ، الطبعة: الثالثة، د.ت * جامع البيان عن تأويل آي القرآن تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ، ضبط وتوثيق وتخرّيج، صدقي جميل العطار، دار الفكر، للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.

* الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

* روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادي، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان، د.ت.

* زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي ت ٥٩٧ هـ حققه محمد بن عبدالرحمن عبد الله، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

* شواهد التنزيل لقواعد التفضيل،



الحاكم الحسكاني، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة: الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - مجمع إحياء الثقافة الإسلامية.

* عيون أخبار الرضا، للشيخ أبي جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي قده المتوفى سنة ٣٨١هـ، صححه وقدم له وعلق عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

* لسان العرب، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، قم - إيران، ١٤٠٥هـ - ١٣٦٣ق

* مجمع البيان في تفسير القرآن، تأليف أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي من أعلام القرن السادس الهجري، حققه وعلق عليه لجنة من العلماء والمحققين

الأخصائيين، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

* مراتب الدلالة القرآنية بين الاجتباء والاصطفاء في ضوء العلاقات السياقية، د صباح عيدان حمود العبادي مجلة اللغة العربية وادابها كلية الاداب جامعة الكوفة العدد ٢٢ حزيران ٢٠١٥

* المعنى القرآني بين التفسير والتأويل، دراسة تحليلية معرفية في النص القرآني، عباس أمير، الانتشار العربي، بيروت لبنان، الطبعة الاولى ٢٠٠٨م.

* مفردات ألفاظ القرآن، تأليف، العلامة الراغب الأصفهاني، ت ٤٢٥هـ، تحقيق صفوان عدنان داوودي، منشورات طليعة النور، الطبعة الثانية: ١٤٢٧هـ.

* الميزان في تفسير القرآن، تأليف العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (قدس سره)، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، د. ت

الاصطفاء الإلهي لآل محمد في رواية الإمام علي
بن موسى الرضا عليه السلام
-قراءة تفسيرية عقدية موازنة-

الدكتور الشيخ عماد الكاظمي
العتبة الكاظمية المقدسة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على النبي الأمين، وعلى آله الأئمة الهداة
المصطفين على الخلق أجمعين ..

إنَّ التراث الإسلامي قد حفظ لنا في صفحاته المشرقة تلك الروايات
الشريفة المباركة التي تؤكد ما ورد عن النبي الأكرم وأهل بيته (صلوات
الله عليهم) من تعاليم الشريعة المقدسة في جوانبها المختلفة، وتعدُّ الإمامة
من أهم الموضوعات التي سلَّطت الضوء عليها تلك الروايات، فضلاً
عن المواقف العملية الجليلة في ذلك.

وللإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أحاديث مهمة في بيان ذلك،
تُظهر مقامهم الإلهي الذي اختاره الله تعالى لهم، ومن ذلك حديثه
المبارك عن الاصطفاء الإلهي لخلفائه، في جوابه الشافي لسؤال سألته
المأمون العباسي عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ * صُطِفَيْنَا
مِنْ عِبَادِنَا﴾^(١)، وإنَّه عليه السلام يستشهد بحديث مبارك طويل أسميته (حديث
الاصطفاء) وعلاقة ذلك بالقرآن الكريم على بيان مقام أهل البيت:
وفضلهم من دون الأمة كلها، والاستدلال بها على إمامتهم خاصة، من
دون الأمة عامة.

لقد فصل الإمام الرضا عليه السلام بيان حقيقة هذا الاصطفاء في اثني عشر موضعاً، وسيتم اختيار ستة منها في هذه الصفحات الموجزة من البحث، تقسم على مطالب ستة بعد مقدمة وتمهيد ثم خاتمة، وتسليط الضوء عليها قرآنيًا وعقديًا في قراءة تفسيرية موازنة بما يؤيد ذلك في تفاسير المسلمين المشهورة، من خلال عرض أقوالهم المختلفة بما يتعلق بموارد الاستدلال في الرواية الرضوية، وبيان مدى موافقتها، فضلاً عن بيان مقام الإمام عليه السلام من خلال الاستدلال بالقرآن الكريم، وأهمية هذا المنهج القائم على معارف الثقلين.

أسأله تعالى التوفيق في بيان ما ورد من علوم آل محمد (صلوات الله عليهم)؛ لتكون منهلاً خالصاً لعقيدة المسلمين؛ ودعوةً لبيان فضلهم ومقامهم وآثارهم؛ والتمسك بهم، وأرجو للسادة القائمين على هذا المؤتمر في العتبة العباسية المقدسة التسديد والنجاح فيما يقومون به من جهود كبيرة في كل عام من أجل نشر وإحياء تراث الأئمة: في الأمة، إنه سميع مجيب.



تمهيد: المقام الإلهي لأهل البيت :

إنَّ مسألة الإمامة من المسائل العقديّة المهمة التي يدور البحث فيها بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم منذ اليوم الأول لوفاة رسول الله ﷺ إلى يومنا الحاضر، على الرغم من بيانها وصراحة النصوص فيها من خلال القرآن والسنة الشريفة المتواترة، ولكن الأهواء وتقديس الأشخاص دون النظر إلى الإساءة إلى الشريعة الإسلامية المقدسة كانت من أهم الأسباب في الابتعاد عن الحق، وقال الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م) حيث يصف ذلك الانقلاب الذي حدث في الأمة: ((وأعظم خلاف في الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سُلَّ سيفٌ في الإسلام على قاعدة دينيةٍ مثلما سُلَّ على الإمامة في كُلِّ زمانٍ))^٢، فاختلفت الأمة بذلك على مدرستين رئيسيتين، الأولى مدرسة النص والتي أتخذت من أتباع أهل البيت مرجعية لها. والأخرى مدرسة الشورى التي أتخذت من الصحابة مرجعية لها.

وإنَّ الآيات القرآنية المتعددة وكثير من الروايات الشريفة تؤكد مقام الأئمة : ومنزلتهم التي لم يشاركهم فيها أحد من تصدى للخلافة من المسلمين^(٣)، فضلاً عن الأدلة العقلية الدالة على ذلك، والنبى ﷺ قد أشار إلى ذلك في أواخر أيام حياته الشريفة، إذ يروي الطبراني (ت ٣٦٠هـ / ٩٧١م) ما أكده النبى ﷺ للأمة في حجة الوداع بما لا يقبل أدنى شك في ذلك، فقال: ((نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْجُحْفَةِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَا أَجِدُ لِنَبِيِّ إِلَّا نَصْفَ عُمَرِ الَّذِي قَبْلَهُ، وَإِنِّي أَوْشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبُ، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ قَالُوا: نَصَحْتَ.... فَأَنْظِرُوا كَيْفَ تُخْلَفُونِي فِي الثَّقَلَيْنِ؟ فَنَادَى مُنَادٍ: وَمَا الثَّقَلَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ طَرَفٌ بِيَدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَطَرَفٌ بِأَيْدِيكُمْ فَاسْتَمْسِكُوا بِهِ لَا تَضَلُّوا، وَالْآخِرُ عِثْرَتِي، وَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ نَبَّأَنِي أَنَّهِنَّ لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْخَوْصَ، وَسَأَلْتُ ذَلِكَ

هَلُمَّا رَبِّي، فَلَا تَقْدُمُوهُمَا فَتَهْلِكُوا، وَلَا تَقْصُرُوا عَنْهُمَا فَتَهْلِكُوا، وَلَا تَعْلَمُوهُمْ
فَاتِمُّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ. ثُمَّ أَخَذَ يَبْدُ عَلِيٍّ (عليه السلام) فَقَالَ: مَنْ كُنْتُ أَوَّلِي بِهِ مِنْ نَفْسِي
فَعَلِيٌّ وَلِيُّهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ)) (٤).

وهذه هي عقيدتنا تجاه الأئمة: أنها قائمة بالنص، قال الشيخ
المظفر (رحمته الله) (ت ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م): ((نَعْتَقِدُ أَنَّ الْإِمَامَةَ كَالنَّبُوءَةِ لَا تَكُونُ
إِلَّا بِالنَّصِّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، أَوْ لِسَانِ الْإِمَامِ الْمَنْصُوبِ
بِالنَّصِّ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ عَلَى الْإِمَامِ مِنْ بَعْدِهِ، وَحُكْمُهَا فِي ذَلِكَ حُكْمُ
النَّبُوءَةِ بِلَا فَرْقٍ، فَلَيْسَ لِلنَّاسِ أَنْ يَتَحَكَّمُوا فِي مَنْ يُعَيِّنُهُ اللَّهُ هَادِيًا وَمُرْشِدًا
لِعَامَّةِ الْبَشَرِ، كَمَا لَيْسَ لَهُمْ حَقٌّ تَعْيِينِهِ أَوْ تَرْشِيحِهِ أَوْ اخْتِيَابِهِ)) (٥).

إنَّ «حديث الاصطفاء» هو من عيون تراث الإمام الرضا (عليه السلام) في الجانبين
العقدي والتفسيري، ومن سبل الدعوة والاحتجاج بالحسنى في بيان العقيدة
الإسلامية، ويلحظ الباحث من خلال منهج الاستدلال وقوة الحجج التي
يستند إليها الإمام في ذلك المجلس الذي ضم المأمون العباسي وعدداً كبيراً
من العلماء أنه أستطاع محاجّة القوم وإقامة الدليل على ما يدعيه من خلال
القرآن الكريم، والمشهور من الروايات، وبيانه أهمية الركون إلى منهج
الثقلين في ذلك، وقد أطلقت على هذا الحديث عنوان «حديث الاصطفاء»
أستناداً لما ورد في مقدمة الرواية أي سؤال المأمون للعلماء عن معنى هذه
الآية ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾.

وهذا الحديث يظهر منزلته (عليه السلام) العلمية التي أشار إليها الأعلام في
مؤلفاتهم الدالة على مقامه وعلو منزلته؛ فضلاً عن علومه التي هي أمتداد
لعلوم آبائه (عليهم السلام)، قال الذهبي (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م): ((وَكَانَ مِنَ الْعِلْمِ
وَالدِّينِ وَالسُّوْدِ بِمَكَانٍ، وَقَدْ كَانَ كَبِيرَ الشَّأْنِ، أَهْلًا لِلْخِلَافَةِ)) (٦)، وقال
كذلك: ((علي بن موسى الرضا كبير الشأن، له علم، وبيان، ووقع في
النفوس، صيرهُ المأمون وليَّ عهده لجلالته، فتوفي سنة ثلاث ومئتين)) (٧).

وقال ابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ / ١٥٦٦م): ((علي الرضا وهو
أنبهم ذكراً، وأجلهم قدراً، ومن ثم أحله المأمون محلَّ مهجته، وأشركه
في مملكته))^(٨).

إنَّ الحديث -موضوع البحث كما تقدم- قد تضمَّن اثني عشر موضعاً
في بيان أصطفاء الله تعالى الأئمة على الأمة، وسوف أذكر في هذه الصفحات
موضوع الاستشهاد منه بما يدور البحث حوله في الموارد الستة المختارة^(٩)،
وقد اخترت لها عنوانات ملائمة لمواردها في الرواية التفسيرية الرضوية،
وسيتم تقسيم البحث على المطالب الآتية:

- المطلب الأول: آية البيوت قبلة.
- المطلب الثاني: آية حق القربى.
- المطلب الثالث: آية الصلاة على النبي.
- المطلب الرابع: آية الخمس.
- المطلب الخامس: آية التحريم.
- المطلب السادس: آية مؤمن آل فرعون.

حديث الاصطفاء:

عن الريان بن الصلت قال: حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرور وقد اجتمع في مجلسه جماعة علماء أهل العراق وخراسان.
فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾^(١٠)؟

فقلت العلماء: أراد الله عز وجل بذلك الأمة كلها.

فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟

فقال الرضا عليه السلام: لا أقول كما قالوا، ولكني أقول: أراد الله تبارك وتعالى بذلك العترة الطاهرة:

فقال المأمون: وكيف عني العترة من دون الأمة؟

فقال له الرضا عليه السلام: إنه لو أراد الأمة لكانت أجمعها في الجنة، لقول الله عز وجل: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإذن الله ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾^(١١). ثم جمعهم كلهم في الجنة فقال عز وجل: ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ﴾^(١٢) « فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم

فقال المأمون: فهل فضل الله العترة على سائر الناس؟

فقال أبو الحسن: إن الله العزيز الجبار أبان فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه.

فقال المأمون: وأين ذلك من كتاب الله؟

قال الرضا عليه السلام: في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾^(١٣) وقال الله في موضع آخر: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾^(١٤) ثم رد المخاطبة في

إثر هذه إلى سائر المؤمنين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١٥) يعني الذين قرنهم بالكتاب والحكمة وحُسدوا عليهما فقوله عز وجل: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ يعني الطاعة للمصطفين الطاهرين، فالملك ههنا الطاعة لهم.

فقلت العلماء: فأخبرنا هل فسّر الله عز وجل الاصطفاء في الكتاب؟ فقال الرضا عليه السلام: فسّر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موطنًا وموضعًا....^(١٦)

المطلب الأول: آية البيوت قبلة.

قال الإمام الرضا عليه السلام: ((وأما الرابعة: فأخرجهُ الناس من مسجده ما خلا العترة حين تكلم الناس في ذلك، وتكلم العباس فقال: يا رسول الله تركت عليًا وأخرجتني^(١٧)؟

فقال رسول الله ﷺ: ما أنا تركته وأخرجتكم، ولكن الله تركه وأخرجكم.

وفي هذا بيان قوله لعلي عليه السلام: أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى.

قالت العلماء: فأين هذا من القرآن؟

قال أبو الحسن عليه السلام: أوجدكم في ذلك قرآنًا أقرؤه عليكم.

قالوا: هات.

قال عليه السلام: قول الله عز وجل: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾^(١٨) ففي هذه الآية منزلة هارون من موسى، وفيها أيضًا منزلة علي عليه السلام عن رسول الله ﷺ، ومع هذا دليل ظاهر في قول رسول الله ﷺ حين قال: إِنَّ هَذَا الْمَسْجِدَ لَا يَحِلُّ حُتْبٍ وَلَا لِحَائِضٍ إِلَّا لِلْحَمْدِ وَآلِ مُحَمَّدٍ.

فقلت العلماء: هذا الشرح وهذا البيان لا يوجد إلا عندكم معشر أهل

بيت رسول الله ﷺ؟

قال أبو الحسن عليه السلام: وَمَنْ يَنْكُرْ لَنَا ذَلِكَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يقول: أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا، فَمَنْ أَرَادَ مَدِينَةَ الْعِلْمِ فَلْيَأْتِهَا مِنْ بَابِهَا....))^(١٩).

إنَّ ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام في هذه الرواية التفسيرية الشريفة للآية المباركة تؤكده مجموعة من الشواهد التفسيرية والحديثية الواردة في المصادر الإسلامية عامة، ويمكن بيان مدى موافقة تلك الشواهد مع الرواية الرضوية بإيجاز من خلال ما يأتي، والذي يؤكد قول الإمام الرضا عليه السلام في الاصطفاء الإلهي لآل محمد ﷺ، وهذا ما ورد في بعض التفاسير صراحةً أو تلميحاً.

١ - قال الشيخ محمد بن مسعود العياشي (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٢م): ((عن أبي رافع قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خطبَ النَّاسَ فقال: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ مُوسَى وَهَارُونَ أَنْ يَبْنِيَا لِقَوْمِهِمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا، وَأَمَرَهُمَا أَنْ لَا يَبِيتَ فِي مَسْجِدِهِمَا جُنُبٌ، وَلَا يَقْرَبَ فِيهِ النِّسَاءُ إِلَّا هَارُونَ وَذُرِّيَّتُهُ، وَأَنْ عَلِيًّا مَنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ وَذُرِّيَّتِهِ مِنْ مُوسَى، فَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَقْرَبَ النِّسَاءَ فِي مَسْجِدِي، وَلَا يَبِيتُ فِيهِ جُنُبًا إِلَّا عَلِيٌّ وَذُرِّيَّتُهُ، فَمَنْ سَاءَ ذَلِكَ فَهَذَا هُنَا، وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ الشَّامِ))^(٢٠).

إنَّ هذه الرواية التفسيرية تبين أسباب نزول الآية المباركة وتشريعات الله تعالى، بأنَّ يُجعل بيت نبيه موسى ووصيه هارون عليه السلام قبلةً لأتباعهما في الصلاة، على اختلاف ما ورد عن المفسرين من أقوال في (القبلة)^(٢١) من جهة، وبيان بعض الأحكام الشرعية المترتبة على هذا الجعل من جهة أخرى، وتأكيد النبي ﷺ على المقاربة بين (بيتي موسى وهارون ومسجده المبارك)، والأحكام المتعلقة به من حيث الطهارة وعدمها، وأنَّ يختص الدخول أو المكوث فيه إلا (لنفسه ووصيه وذريته)، وفي ذلك كمال

الاصطفاء الإلهي لآل محمد (صلوات الله عليهم)، وتتضمن الرواية وجود اعتراضات من قبل آخرين من المسلمين لهذا الحكم، وإن لم يتم بيان ذلك تصريحًا، ولكن يفاد ذلك من قوله (فمن ساء ذلك فيها هنا)، وفي ذلك حكمة بالغة ليعلن النبي لهم أن هذا هو من عند الله تعالى، وأنه حكم الله عز وجل في اختيار بقاء بيت الإمام علي (عليه السلام) خاصة من دون غيره، وأنه بمنزلة هارون من دون أي شك.

٢- قال السيوطي (ت ٩٩١ هـ / ١٥٠٥ م) عند ذكره للروايات الواردة في تفسير الآية المباركة: ((وأخرج ابن عساكر عن أبي رافع رضي الله عنه: ((إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ مُوسَى وَهَارُونَ أَنْ يَتَّبِعُوا لِقَوْمِهِمَا بُيُوتًا، وَأَمَرَهُمَا أَنْ لَا يَبْنِيَا فِي مَسْجِدِهِمَا جُنُبًا، وَلَا يَقْرُبُوا فِيهِ النِّسَاءَ إِلَّا هَارُونَ وَذُرِّيَّتُهُ، وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَقْرُبَ النِّسَاءَ فِي مَسْجِدِي هَذَا، وَلَا يَبْنِيَا فِيهِ جُنُبًا إِلَّا عَلِيٌّ وَذُرِّيَّتُهُ)) (٢٢).

إن السيوطي وهو من مفسري العامة المشهورين في عرضه للروايات الواردة في تفسير الآية المباركة قد ذكر (روايات سبع)، فكانت إحداها هذه الرواية بسنده الخاص عن أبي رافع إحدى الروايات التفسيرية للآية المباركة، والتي قد تقدّمت في تفسير العياشي مع اختلاف يسير جدًا بينهما، وقد أختصت بتفصيل سبب النزول، من دون غيرها من الروايات الأخرى التي أكدت على المراد من (القبلة) وكيفية جعل تلك البيوت قبلة، وفي ذلك دلالة على ورودها في المصادر الحديثية والتفسيرية العامة، وأن الرواة والمختصين في نقل الحديث يعرفون ذلك ويروونه في مؤلفاتهم.

٣- قال الشيخ الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ / ١٦٨٠ م): ((في العلل (٢٣)، والعياشي: أن رسول الله ﷺ.... [إلى آخر الحديث المتقدم]) (٢٤).

٤- قال الشيخ عبد الحسين الحويزي (ت ١١١٢ / ١٧٠٠ م): ((في كتاب علل الشرائع بإسناده إلى أبي رافع قال.... [إلى آخر الحديث المتقدم]) (٢٥).
 إن ذكر الرواية التفسيرية المتقدمة نفسها في تفسيري الفيض الكاشاني والحويزي وغيرهما من التفاسير التي أعتمدت منهج التفسير بالمأثور يدل على عدم وجود غيرها من الروايات بسند آخر، وأن أول مصدر لها هو تفسير العياشي الذي بين أيدينا من التفاسير المطبوعة، وقد أعتمدها كل من أتى بعده كالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ / ٩٩١ م) في كتابه علل الشرائع وغيره من المؤلفين والمفسرين.

ومما تقدم تبين أن أستشهاد الإمام الرضا عليه السلام بهذه الآية المباركة فيها دلالة وبيان واضح على العلاقة الوثيقة بين (النبي محمد ووصيه علي عليه السلام)، كما كانت العلاقة الوثيقة بين (النبي موسى ووصيه هارون عليه السلام) والروايات التفسيرية المتقدمة قد أكدت ذلك صراحة.

وإن هذا الاصطفاء من الله تعالى تؤكد السنة الشريفة في مواقف متعددة، ومن أهمها ما قام به النبي صلى الله عليه وآله من سد أبواب بيوت أقاربه وصحابته إلا باب وصيه علي بن أبي طالب عليه السلام، وبيانه أسباب عدم سد هذا الباب من دون غيره من الأبواب، والروايات في ذلك كثيرة نذكر بإيجاز بعضها؛ لبيان مقامهم (صلوات الله عليهم) وآثار ذلك في أصطفائهم.

- روى ابن المغازلي الشافعي (ت ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م) الرواية بتفاصيل أخرى بسنده عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: ((لما قدم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله المدينة لم يكن لهم بيوت يبيتون فيها، فكانوا يبيتون في المسجد، فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله: ((لَا تَبْتَئُوا فِي الْمَسْجِدِ فَتَحْتَلِمُوا)). ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ بَنَوْا بَيوتًا حَوْلَ الْمَسْجِدِ وَجَعَلُوا أَبْوَابَهَا إِلَى الْمَسْجِدِ، وَإِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله بَعَثَ إِلَيْهِمْ مَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ فَنَادَى أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَأْمُرُكَ أَنْ



تخرج من المسجد. فقال: سمعاً وطاعة، فسَدَّ بَابَهُ وخرج من المسجد. ثم أرسل إلى عمر فقال: إنَّ رسولَ الله ﷺ يأمرُكَ أَنْ تُسَدَّ بَابَكَ الذي في المسجد وتخرج منه. فقال: سمعاً وطاعة لله ولرسوله غيرَ أَنِّي أرغبُ إلى الله في خوخة في المسجد، فأبلغه معاذُ ما قالَ عمر! ثم أرسل إلى عثمان وعنده رقية فقال: سمعاً وطاعة، فسَدَّ بَابَهُ وخرج من المسجد. ثم أرسل إلى حمزة فسَدَّ بَابَهُ وقال: سمعاً وطاعة لله ولرسوله. وعليَّ على ذلك يتردَّد لا يدري أهوَ فيمن يقيم أو فيمن يخرج. وكان النبي ﷺ قد بنى له بيتاً في المسجد بين أبياتِهِ، فقال له النبي ﷺ: ((أَسْكُنْ طَاهِراً مُطَهَّراً)). فبلغ حمزة قول النبي ﷺ لعليٍّ فقال: يا محمد خُرجْنا وتُمتسِكُ غلمانَ بني عبدِ المطلب؟ فقال له نبيُّ الله: ((لَا، لَوْ كَانَ الْأَمْرُ لِي مَا جَعَلْتُ مِنْ دُونِكُمْ مِنْ أَحَدٍ، وَاللهُ مَا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ إِلَّا اللهُ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ، أَبْشِرْ))، فبشَّره النبي ﷺ فَقَتِلَ يَوْمَ أَحَدٍ شهيداً. ونفسُ ذلك رجالٌ على عليٍّ فوجدوا^(٢٦) في أنفسهم، وتبيَّن فضلُهُ عليهم وعلى غيرهم من أصحابِ النبي ﷺ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقام خطيباً فقال: ((إِنَّ رِجَالاً يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ فِي أَنِّي أَسْكَنْتُ عَلِيّاً فِي الْمَسْجِدِ، وَاللهُ مَا أَخْرَجْتُهُمْ وَلَا أَسْكَنْتُهُ! إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ: ﴿أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، وَأَمَرَ مُوسَى أَنْ لَا يَسْكُنَ مَسْجِدَهُ، وَلَا يَنْكِحَ فِيهِ، وَلَا يَدْخُلَهُ إِلَّا هَارُونَ وَذُرِّيَّتُهُ، وَأَنْ عَلِيّاً مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، وَهُوَ أَخِي دُونَ أَهْلِي، وَلَا يَحِلُّ مَسْجِدِي لِأَحَدٍ يَنْكِحُ فِيهِ النِّسَاءَ إِلَّا عَلِيٌّ وَذُرِّيَّتُهُ، فَمَنْ سَاءَهُ فَهَاهُنَا، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ نَحْوَ الشَّامِ))^(٢٧).

وهذه الرواية بتفصيلها تؤكد الأمر الإلهي للنبي ﷺ بوجوب تبليغ قومه بسد جميع الأبواب إلا باب وصيه الإمام علي عليه السلام، وتظهر الأجواء العامة للمسلمين في تلقّي هذا الخبر من النبي، وما ظهر من بعضهم

علانية، والرواية في الوقت نفسه تؤكد أن النبي لم يقم بذلك من تلقاء نفسه تجاه أهل بيته وأصحابه، وإنما هو تبليغ إلهي.

وروى ابن المغازلي كذلك بسند ثانٍ أن رسول الله ﷺ قال: ((سُدُّوا الأبوابَ غَيْرَ بَابِ عَلِيٍّ)). قال: فتكلّم في ذلك ناسٌ. قال: فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ((أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَمَرْتُ بِسَدِّ هَذِهِ الأبوابِ غَيْرِ بَابِ عَلِيٍّ فَقَالَ فِيهِ قَائِلُكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا سَدَدْتُ شَيْئًا وَلَا فَتَحْتُه، وَلَكِنِّي أَمَرْتُ بِشَيْءٍ فَاتَّبَعْتُهُ)) (٢٨).

وذكر بسندٍ ثالثٍ عن رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَى مُوسَى ﷺ أَنْ أَبْنِيَ مَسْجِدًا طَاهِرًا لَا يَكُونُ فِيهِ غَيْرَ مُوسَى وَهَارُونَ، وَأَبْنِيَ هَارُونَ شُبْرًا وَشُبَيْرًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ مَسْجِدًا طَاهِرًا لَا يَكُونُ فِيهِ غَيْرِي، وَغَيْرِ أَخِي عَلِيٍّ، وَغَيْرِ أَبْنِي الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ﷺ)) (٢٩).

وحديث المنزلة من الأحاديث المتواترة بين المسلمين، وقد ذكرتها الموسوعات الحديثية في كتب الخاصة والعامة بما لا شبهة في تواتره (٣٠).

المطلب الثاني: آية حق القربى.

قال الإمام الرضا ﷺ: ((وَأَمَّا الْخَامِسَةُ: فَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ (٣١) خصوصية خصّهم الله العزيز الجبار بها وأصطفاهم على الأمة.

فلما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ قال: أدعوا لي فاطمة، فدعوا لها. فقال: يا فاطمة.

قالت: لبيك يا رسول الله.

فقال: إِنَّ فِدْكَ لَمْ يَوْجَفْ عَلَيْهَا بِخَيْلٍ وَلَا رَكَابٍ، وَهِيَ لِي خَاصَّةٌ دُونَ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ جَعَلْتُهَا لَكَ لَمَّا أَمَرَنِي اللَّهُ بِهِ، فَخُذْهَا لَكَ وَلَوْلَدِكَ. فهذه الخامسة)) (٣٢).

إنَّ ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام في أمر (فدك) التي أنحلها النبي صلى الله عليه وآله وأبنته الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام قد ورد تأكيده في تفاسير المسلمين، فضلاً عن الروايات الواردة بذلك، ويؤكد ذلك الروايات التفسيرية الرضوية المتقدمة حول الاصطفاء الإلهي لآل محمد .:

١- قال الطبري (ت ٣١٠هـ / ٩٢٣م): ((أختلف أهل التأويل في المعنيِّ بقوله: ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقُّهُ﴾ فقال بعضهم: عني به قرابة الميت من قبل أبيه وأمه، أمر الله جلَّ ثناؤه عباده بصليَّتها. (ذكر مَنْ قال ذلك): حدثنا عمران بن موسى وقال آخرون: بل عني به قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله، (ذكر مَنْ قال ذلك): حدثني محمد بن عمار الأسدي عن السُّدي، عن أبي الديلم، قال: قال علي بن الحسين عليه السلام لرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ: أقرأت القرآن؟ قال: نعم. قال: أفما قرأت في بني إسرائيل ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقُّهُ﴾. قال: وإنَّكُمْ لِلْقُرَابَةِ التي أمر الله جلَّ ثناؤه أَنْ يُؤْتَىٰ حَقُّهُ. قال: نعم)) (٣٣).

إنَّ الروايات التفسيرية وإن اختلفت في بيانها وأسانيد المتعددة، ولكنها لا يمكن أن تحمي بيانها لمقام آل محمد في الشريعة المقدسة، والحقوق الواجبة تجاههم؛ لاستفاضة الروايات في ذلك من جهة، وتأکید القرآن الكريم عليهم من جهة ثانية، فالقربى في الآية الشريفة هم القربى أنفسهم في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (٣٤)، وإنها حقيقة ثابتة وإن حاول بعض إخفاؤها، أو إبعادها عن أهل البيت، وقد أشار إلى ذلك مفسرو العامة في تفاسيرهم المختلفة، فقد روى الزمخشري (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٣م): ((وقيل: أراد بذی القربى أقرباء رسول الله صلى الله عليه وآله)) (٣٥)، وروى الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ / ١١٥٣م): ((أعلم أنَّ هذا هو النوع الرابع من أعمال الخير والطاعة المذكورة في هذه الآيات وفيه مسائل: المسألة الأولى: قوله: ﴿وَأَتِ﴾ خطاب مع مَنْ؟ فيه قولان: القول الأول: إنه خطاب للرسول صلى الله عليه وآله فأمره

الله أن يؤتي أقاربه الحقوق التي وجبت لهم في الفياء والغنيماء، وأوجب عليه أيضاً إخراج حق المساكين وأبناء السبيل أيضاً من هذين المثالين)) (٣٦).

فهذه التفاسير المتقدمة الثلاثة من أهم المصادر التفسيرية عن العامة، والتي يرجع إليها المسلمون عامة، والباحثون خاصة منذ مئات السنين.

٢- قال الشيخ محمد بن مسعود العياشي: ((عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كان رسول الله أعطى فاطمة فداً. قال: كان وقفها، فأنزل الله: ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ فأعطاها رسول الله حقها، قلت: رسول الله أعطها؟ قال: بل الله أعطها)) (٣٧).

إن التأمل في هذه الرواية التفسيرية يرى مدى أعتناء الراوي بالأمر حيث يريد التأكد على أن ما قام به النبي من عطاء لابنته هل يحتمل فيه العاطفة والأبوة، ومدى دقة جواب الإمام الصادق عليه السلام في ذلك حيث التأكيد على أن الأمر هو متعلق بالله تعالى، وأن النبي لا يقوم بأمر إلا من عند الله (بل الله أعطها)، وفيه بيان على تأكيد المظلومية التي لحقت بحقوق السيدة الزهراء بعد وفاة أبيها من جهة، ومخالفة تعاليم الشريعة المقدسة في أمر ثابت معلوم مشهور من جهة أخرى.

وقد ذكر العياشي في ذلك روايات ست تؤكد إعطاء النبي عليه السلام فاطمة فداً (٣٨).

وبقي موضوع فدا من الموضوعات التي يتنازع عليها الحكام الذين خلفوا الأوائل، وهناك روايات قد فصلت حدود فدا الجغرافية وبيان مساحتها، فضلاً عن بيان أنها من حقوق آل محمد، فقد روى شيخنا الكليني رحمه الله عن علي بن أسباط قال: ((لما ورد أبو الحسن موسى [الكاظم] عليه السلام على المهدي رآه يرد المظالم. فقال: يا أمير المؤمنين ما بال مظلمتنا لا ترد؟ فقال له: وما ذاك يا أبا الحسن؟ قال: إن الله تبارك وتعالى لما فتح على نبيه عليه السلام فداً وما والاها،

لم يوجِفْ عليه بخيلٍ ولا ركابٍ، فأنزل الله على نبيه ﷺ ﴿وَأَتَا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ فلم يَذَرِ رسول الله ﷺ مَنْ هُمْ، فراجع في ذلك جبرئيل، وراجع جبرئيل (عليه ربه)، فأوحى الله إليه أَنْ أَدْفِعْ فِدْكَ إِلَى فَاطِمَةَ (عليها السلام)، فدعاها رسول الله ﷺ فقال لها: يَا فَاطِمَةُ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَدْفِعَ إِلَيْكَ فِدْكَ. فقالت: قَدْ قَبِلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ اللَّهِ وَمِنْكَ)) (٣٩).

٣- قال الشيخ الطبرسي رحمته الله (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م): ((عن السُّدي قال: إنَّ علي بن الحسين عليه السلام قال لرجل من أهل الشام حين بعث به عليه السلام عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية أقرأت القرآن؟ قال: نعم. قال أما قرأت ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقُّهُ﴾؟ قال: وإنكم ذو القربى الذي أمر الله أن يؤتى حقه؟ قال: نعم.

إنَّ الشيخ الطبرسي قد جمع في تفسيره للآية المباركة ما يتعلق بحق أهل البيت : وبيان حقوقهم التي شرَّعها الله تعالى في الآية من جهة، وما يتعلق بحق فاطمة (عليها السلام) خاصة في فلك، وهذا يبيِّن مدى اشتها ر أمر فلك بين الرواة والمؤرخين والمفسرين.

ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ﴿ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاطِمَةَ فَأَعْطَاهَا فَدَكَ ﴾^(٤١)، ((وَأُخْرِجَ ابْنُ مُرْدَوَيْهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا» قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ وَآتَ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ﴾ أَقْطَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاطِمَةَ فَدَكًا))^(٤٢).

إنَّ ما ذكره أعلام المفسرين المسلمين في تفاسيرهم التي تقدمت وغيرها تؤكد مصداقية الرواية التفسيرية الرضوية وحقيقتها في بيان مقام آل محمد، وأصطفائهم من قبل الله تعالى من دون سواهم من الأمة، وهذا ما يجب على الأمة الاعتراف به، والإذعان إليهم صلوات الله عليهم.

- المطلب الثالث: آية الصلاة على النبي.

قال الإمام الرضا عليه السلام: ((وَأَمَّا السَّابِعَةُ فيقول الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٤٣) وقد علم المعاندون [منهم] أنه لما نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله، قد عرفنا التسليم [عليك] فكيف الصلاة عليك؟

فقال: تقولون: ((اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ)) وهل بينكم معاصر الناس في هذا اختلاف؟ قالوا: لا.

فقال المأمون: هذا ما لا اختلاف فيه [أصلاً] وعليه الإجماع، فهل عندك في الآل شيء أوضح من هذا في القرآن؟

قال أبو الحسن عليه السلام: أخبروني عن قول الله: ﴿يَسْ * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٤٤) فَمَنْ عَنِ بَقُولِهِ: يس؟ قال العلماء: يس محمد، ليس فيه شك.

قال أبو الحسن عليه السلام: أعطى الله محمدًا وآل محمدٍ من ذلك فضلًا لم يبلغ أحدٌ كُنْهَ وَصْفِهِ لِمَنْ عَقَلَهُ، وذلك أَنَّ اللهَ لم يسلم على أحدٍ إلا

على الأنبياء [صلوات الله عليهم] فقال تبارك وتعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾^(٤٥)، وقال: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾^(٤٦)، وقال: ﴿سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾^(٤٧)، ولم يقل: سلامٌ على آل نوح، ولم يقل: سلامٌ على آل إبراهيم، ولا قال: سلامٌ على آل موسى وهارون، وقال عز وجل: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ يعني آل محمد.

فقال المأمون: لقد علمتُ أن في معدن النبوة شرح هذا وبيانه^(٤٨).

لقد ورد فيما يتعلق بالآية المباركة ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ قراءات مختلفة بين القُرَّاء بما يؤيد الرواية التفسيرية الرضوية، وقد ذكر الإمام الرضا عليه السلام ما عليه القُرَّاء المشهورون في ذلك، وهذا ما سنراه ظاهراً في تفاسير المسلمين، عند تفسيرهم الآية المباركة، والتأكيد على العترة الطاهرة:

١ - قال الطبري: ((وأختلفت القُرَّاء في قراءة قوله: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ فقرأته عامة قُرَّاء مكة والبصرة والكوفة: (سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ) بكسر الألف من (إبراهيم)، فكان بعضهم يقول: هو أسم إبراهيم، ويقول: إنه كان يُسمَّى باسمين: إلياس، وإلياسين مثل إبراهيم، وإبراهيم.... وقرأ ذلك عامة قُرَّاء المدينة: (سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ) بقطع آل من (ياسين)، فكان بعضهم يتأول ذلك بمعنى: سلام على آل محمد....^(٤٩))).

إنَّ هذا الاختلاف للقُرَّاء الذي ذكره الطبري يؤكد وجود روايات متعددة في القراءة الدالة على أهل البيت (آل ياسين)، وأنها صادرة من نصف القُرَّاء السبعة المشهورين، فضلاً عن قراءات غيرهم، وهذا الرأي مما لا يمكن العدول عنه بسهولة، إلا إذا كان هناك إصرار على إخفاء مقام آل محمد ﷺ، وهذا لا يمكن تحقيقه مع وجود ذلك العدد من القُرَّاء الكبار، فضلاً عن الرواة المشهورين، والأسانيد المتعددة في ذلك.

٢- قال الشيخ الطوسي ١ (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م): ((وقرأ نافع وأبن عامر ويعقوب (سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ) على إضافة (آل) إلى (ياسين). الباقون (على إِيَّاسِينَ) موصولة. مَنْ أَضَافَ أَرَادَ بِهِ عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لِأَنَّ (يس) أَسْمَ مِنْ أَسْمَاءِ مُحَمَّدٍ عَلَى مَا حَكِيْنَاهُ))^(٥٠).

وقد ذكر الشيخ الطوسي في تفسير أول سورة يس: ((وقال محمد بن الحنفية (يس) معناه يا إنسان يا محمد، وروي عن علي ﷺ أنه قال: سَمَّى اللهُ تَعَالَى النَّبِيَّ ﷺ فِي الْقُرْآنِ بِسَبْعَةِ أَسْمَاءٍ: مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدٌ، وَطِهٌ، وَيَسٌ، وَالْمَزْمَلُ، وَالْمَدَثَرُ، وَعَبْدُ اللهِ))^(٥١).

٣- قال الفخر الرازي: ((قَرَأَ نَافِعٌ وَأَبْنُ عَامِرٍ وَيَعْقُوبُ (آلِ يَاسِينَ) عَلَى إِضَافَةٍ لَفْظِ (آلٍ) إِلَى لَفْظِ (يَاسِينَ) وَالْبَاقُونَ بِكَسْرِ الْأَلِفِ وَجَزْمِ اللَّامِ مَوْصُولَةٌ بِيَاسِينَ، أَمَّا الْقِرَاءَةُ الْأُولَى ففِيهَا وُجُوهٌ الْأَوَّلُ: وَهُوَ الْأَقْرَبُ أَنَّا ذَكَرْنَا أَنَّهُ إِيَّاسٌ بَنُ يَاسِينَ فَكَانَ إِيَّاسُ آلِ يَاسِينَ. الثَّانِي: (آلِ يَاسِينَ) آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ. وَالثَّلَاثُ: أَنَّ يَاسِينَ أَسْمُ الْقُرْآنِ، كَأَنَّهُ قِيلَ سَلَامٌ اللهُ عَلَى مَنْ آمَنَ بِكِتَابِ اللهِ الَّذِي هُوَ يَاسِينَ))^(٥٢).

إِنَّ مَا ذَكَرَهُ الْفَخْرُ الرَّازِي فِي الْوَجْهِ الْأَوَّلِ بِقَوْلِهِ: ((وَهُوَ الْأَقْرَبُ أَنَّا ذَكَرْنَا أَنَّهُ إِيَّاسٌ بَنُ يَاسِينَ فَكَانَ إِيَّاسُ آلِ يَاسِينَ)) هُوَ قَوْلٌ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ، فَمَجْرَدُ ذِكْرِ الْأَسْمِ لَا يَعْنِي أَنَّهُ هُوَ الْمُرَادُ، وَخُصُوصًا مَعَ كَثْرَةِ الْقُرَاءَةِ الَّتِي لَا يَقْرَءُونَ بِمَا يَرَاهُ الرَّازِي، وَالرَّوَايَاتُ الْمُؤَكَّدَةُ الْقِرَاءَةَ الثَّانِيَةَ وَالْوَارِدَةُ فِي كَثِيرٍ مِنْ مَوْלَفَاتِ الْعَامَّةِ، وَأَغْلَبُ مَوْلَفَاتِ الْخَاصَّةِ، بَلْ مَا وَرَدَ مِنْ قِرَاءَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ، وَهُمْ الْأَعْرَفُ بِمَا نَزَلَ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى.

٤- قال السيوطي: ((وَأَخْرَجَ أَبْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَالطَّبْرَانِيُّ وَأَبْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ أَبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ ﴿سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾ قَالَ: نَحْنُ آلُ مُحَمَّدٍ ﴿إِلِ يَاسِينَ﴾))^(٥٣).

إِنَّ هَذِهِ الرِّوَايَةَ تُؤَكِّدُهَا غَيْرُهَا مِنْ رَوَايَاتِ الْعَامَّةِ، قَالَ أَبُو حَجَرٍ
 الْهَيْتَمِيُّ (ت ٩٧٤هـ / ١٥٦٧م) فِي بَيَانِهِ عَنِ الْآيَاتِ الْوَارِدَةِ بِحَقِّ أَهْلِ
 الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ): ((الآيَةُ الثَّلَاثَةُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾ فَقَدْ نَقَلَ
 جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ سَلَامٌ عَلَى آلِ
 مُحَمَّدٍ وَذَكَرَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ أَنَّ أَهْلَ بَيْتِهِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) يَسَاوُونَهُ فِي خَمْسَةِ أَشْيَاءَ:
 فِي السَّلَامِ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾.

وَفِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ فِي التَّشَهُّدِ.

وَفِي الطَّهَارَةِ قَالَ تَعَالَى: ﴿طَه﴾ ^(٥٤) أَيُّ يَا طَاهِرُ، وَقَالَ: ﴿وَيُطَهِّرْكُمْ
 تَطْهِيرًا﴾ ^(٥٥).

وَفِي تَحْرِيمِ الصَّدَقَةِ وَفِي الْمَحَبَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ ^(٥٦)،
 وَقَالَ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ ^(٥٧) ((٥٨)).

وَقَدْ ذَكَرَ السَّيِّدُ هَاشِمُ الْبَحْرَانِيُّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (١١٠٧هـ / ١٦٩٥م) فِي تَفْسِيرِهِ
 (أَنْتَبِهِ عَشْرَةَ) رَوَايَةً بِأَسَانِيدٍ وَمَصَادِرَ مُخْتَلِفَةٍ، يُؤَكِّدُ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ قَوْلِهِ
 تَعَالَى: ﴿سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾ هُمْ آلُ مُحَمَّدٍ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) ^(٥٩)، وَفِي
 ذَلِكَ تَأَكِيدُ مَا رَوَى عَنْ الْإِمَامِ الرِّضَا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي الرِّوَايَةِ التَّفْسِيرِيَّةِ.

وَوُرِدَتْ رَوَايَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ فِي بَيَانِ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ وَأَنَّهَا مُخْتَصَّةٌ بِآلِ مُحَمَّدٍ،
 ذَكَرَهَا الْأَعْلَامُ فِي مَوْلاَتِهِمْ، رَوَى شَيْخُنَا الصَّدُوقُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي ذَلِكَ أَحَادِيثَ
 (خَمْسَةَ) بِأَسَانِيدٍ مُخْتَلِفَةٍ تُؤَكِّدُ الرِّوَايَةَ التَّفْسِيرِيَّةَ الرِّضْوِيَّةَ، وَمِنْهَا: ((حَدَّثَنَا
 مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ الطَّالِقَانِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حَدَّثَنَا وَهْبُ
 بْنِ نَافِعٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي كَادِحٌ (قَادِحٌ)، عَنْ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ
 أَبِيهِ، عَنْ آبَائِهِ عَنْ عَلِيٍّ: فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾. قَالَ:
 يَاسِينَ مُحَمَّدٌ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَنَحْنُ آلُ يَاسِينَ)) ^(٦٠).

وأن شيخنا العلامة المجلسي رحمته الله قد ذكر تلك الروايات المتعددة، وأقوال المفسرين من العامة^(٦١)، وغيرهم^(٦٢)، فضلاً عن مؤلفات خاصة في هذه القراءة ووجوهها وما يتعلق بها^{٦٣}.

وفصل بعض الأعلام ما يتعلق بترجيح هذه القراءة التفسيرية في آل محمد : وبيان أسباب ذلك، قال السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني رحمته الله (ت ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م) بعد ذكره لأقوال القراء والتفاسير الواردة في الآية: ((الأرجح عندي قراءة (آل يس) بفتح الهمزة وكسر اللام وحدها وذلك للوجوه الآتية))^(٦٤).

المطلب الرابع: آية الخمس.

قال الإمام الرضا عليه السلام: ((وأما الثامنة فقول الله عز وجل: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٦٥) فقرن سهم ذي القربى مع سهمه وسهم رسوله عليه السلام فهذا فصل بين الآل والأمة؛ لأن الله جعلهم في حيز، وجعل الناس كلهم في حيز دون ذلك، ورضي لهم ما رضي لنفسه وأصطفاهم فيه، وأبتدأ بنفسه ثم ثنى برسوله، ثم بذى القربى في كل مَنْ كان الفيء والغنيمة وغير ذلك مما رضىه عز وجل لنفسه ورضيه لهم فقال - وقوله الحق - : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ فهذا تأكيد مؤكد وأمر دائم لهم إلى يوم القيامة في كتاب الله الناطق الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٦٦).

وأما قوله: ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ﴾ فإنَّ اليتيم إذا أُنْقِطِعَ يَتَمُّه خرج من المغنم ولم يكن له نصيب، وكذلك المسكين إذا أُنْقِطِعَت مسكنته لم يكن له نصيب في المغنم، ولا يحل له أخذه، وسهم ذي القربى إلى يوم القيامة قائم فيهم للغني والفقير؛ لأنه لا أحد أغنى من الله ولا من رسوله عليه السلام فجعل

لنفسه منها سهماً، ولرسوله ﷺ سهماً، فما رضي لنفسه ولرسوله رضيهم لهم، وكذلك الفيء ما رضيهم لنفسه ولنبيه ﷺ رضيهم لذي القربى، كما جاز لهم في الغنيمة فبدأ بنفسه، ثم برسوله ﷺ، ثم بهم، وقرن سهمهم بسهم الله وسهم رسوله ﷺ وكذلك في الطاعة قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٦٧) فبدأ بنفسه، ثم برسوله ﷺ، ثم بأهل بيته، وكذلك آية الولاية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٦٨) فجعل ولايتهم مع طاعة الرسول مقرونة بطاعته، كما جعل سهمه مع سهم الرسول مقروناً بأسهمهم في الغنيمة والفيء، فتبارك الله ما أعظم نعمته على أهل هذا البيت، فلما جاءت قصة الصدقة نزّه نفسه عزّ ذكره، ونزّه رسوله ﷺ، ونزّه أهل بيته عنها فقال: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾^(٦٩)، فهل تجد في شيء من ذلك أنه جعل لنفسه سهماً، أو لرسوله ﷺ أو لذي القربى؛ لأنه لما نزّههم عن الصدقة نزّه نفسه، ونزّه رسوله، ونزّه أهل بيته، لا بل حرّم عليهم؛ لأن الصدقة محرمة على محمد وأهل بيته وهي أوساخ الناس لا تحل لهم؛ لأنهم طهّروا من كلّ دنس ووسخ، فلما طهّروا وأصطفاهم رضي لهم ما رضي لنفسه، وكره لهم ما كره لنفسه^(٧٠).

إنّ ما ورد من بيان للإمام الرضا عليه السلام في الرواية التفسيرية لهذه الآية المباركة وما يتعلق بها، يؤكد عمق الاستدلال والترابط القرآني في الآيات الخاصة بآل محمد عليه الصلاة والسلام، وما في ذلك من معارف تُظهِر أثر الثقلين في المعارف الإسلامية، وفي كلّ ما تقدّم روايات تفسيرية تضمّنتها تفاسير المسلمين، ويعدّ تفسير الطبري من أوائل تلك التفاسير التي فصّلت في الروايات التفسيرية المتعلقة بآية الخمس عامة، وحق أهل البيت : خاصة، وسوف يتم بيان ذلك بإيجاز؛ لتأكيد الرواية التفسيرية الرضوية للآية المباركة.

١ - قال الطبري في بيانه لتفسير الآية والأقوال الواردة: ((وقال آخرون: معنى ذلك: فإنَّ بيت الله خمسهُ وللرسول وقال آخرون: ما سُمِّيَ لرسول الله ﷺ من ذلك فإنما هو مراد به قرابته، وليس لله ولا لرسوله منه شيء وأما قوله: ﴿وَلِذِي الْقُرْبَى﴾، فإنَّ أهل التأويل اختلفوا فيهم. فقال بعضهم: هم قرابة رسول الله ﷺ من بني هاشم عن مجاهد قال: كان آل محمد ﷺ لا تحلُّ لهم الصدقة، فجعل لهم خمس الخمس^(٧١). وقال آخرون: بل هم قريش كلها وقال آخرون: بل سهم ذي القربى كان لبني هاشم وبني المطلب خاصة....))^(٧٢).

إنَّ هذه الروايات في الغالب تؤكد حق أهل البيت: القرآن الكريم من هذا السهم المالي المذكور في القرآن الكريم، وهذا يبيِّن مقامهم في الأمة وحقوقهم تجاههم، ولا بد على الأمة من أداء ذلك الحق الإلهي المتعلق بخمس أرباح أموالهم، كما هو مفصَّل في المؤلفات الفقهية.

ثم ذكر الطبري الأقوال الواردة في هذا السهم بعد رحيل النبي ﷺ وكيفية أدائه، وما حَقَّ أهل البيت فيه: ((وأختلف أهل العلم في حكم هذين السهمين أعني سهم رسول الله ﷺ وسهم ذي القربى بعد رسول الله ﷺ، فقال بعضهم: يُصْرَفَانِ في معونة الإسلام وأهله وقال آخرون: سهم ذوي القربى من بعد رسول الله ﷺ مع سهم رسول الله ﷺ إلى ولي أمر المسلمين وقال آخرون: سهم رسول الله ﷺ مردود في الخمس وقال آخرون: الخمس كُلُّه لقرابة رسول الله ﷺ، حدثني الحارث قال حدثنا عبد العزيز، قال حدثنا عبد الغفار، قال حدثنا المنهال بن عمرو قال: سألت عبد الله بن محمد بن علي، وعلي بن الحسين عن الخمس فقالا هو لنا. فقلت لعلي: إنَّ الله يقول: ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾. فقالا: يتامانا ومساكيننا))^(٧٣).

إنَّ الاطلاع على الآراء التي تبينَّ صرف حق الرسول وذي القربى
توجب الغرابة في ذلك؛ فرغم وجود أهل بيته عليهم السلام وذريته فلماذا يتم صرفه
لغيرهم؟! وإنَّ هذه الحالة -للأسف- رأيناها موجودة في كتب التاريخ
والحديث والتفسير، ومحاولة إخفاء فضائل أهل البيت!!

٢- قال الشيخ العياشي رحمته الله: ((عن محمد بن مسلم عن أحدهما قال: سألته عن قول الله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ خُمُسُهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ قال: هم أهل قرابة رسول الله «عليه وآله السلام»، فسألته: منهم اليتامى والمساكين وأبن السبيل؟ قال: نعم)) (٧٤).

وقد ذكر شيخنا العياشي (روايات عشر) بأسانيد مختلفة أن لأهل البيت: حقاً في الخمس كما أشارت إليه الآية المباركة، وأكدت مقامهم الرواية التفسيرية الرضوية^(٧٥).

٣- قال الشيخ الطوسي رحمته الله: ((وأما خمس الغنيمة، فإنه يقسم عندنا ستة أقسام: فسهم الله، وسهم لرسوله للنبي، وهذان السهمان مع سهم ذي القربى، للقائم مقام النبي صلوات الله عليه ينفقها على نفسه وأهل بيته من بني هاشم، وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لأبناء السبيل من أهل بيت الرسول لا يشركهم فيها باقي الناس؛ لأنَّ الله تعالى عوَّضهم ذلك عما أباح لفقراء المسلمين ومساكينهم وأبناء سبيلهم من الصدقات إذا كانت الصدقات محرمة على أهل بيت الرسول: وهو قول علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ومحمد بن علي الباقر أبنه: رواه الطبري بإسناده عنها)) (٧٦).

إِنَّ شَيْخَنَا الطُّوسِيَّ رحمته الله يؤكد منهج مدرسة أهل البيت: فيما يتعلق بموارد صرف الخمس، وأنَّ حق النبي في الخمس يكون لأهل بيته، مع بيانه الحكمة الإلهية في تخصيص ذلك لهم اعتماداً على رواية مختلفة، وهذا

ما أكده بقوله: (لَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَوَّضَهُمْ ذَلِكَ عَمَّا أَبَاحَ لِفُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَمَسَاكِينِهِمْ وَأَبْنَاءِ سَبِيلِهِمْ مِنَ الصَّدَقَاتِ إِذَا كَانَتِ الصَّدَقَاتُ مُحَرَّمَةً عَلَى أَهْلِ بَيْتِ الرَّسُولِ)، وقد أفاد ذلك من الآية المباركة والروايات الشريفة المتعددة التي تَضَمَّنَتْها الموسوعات الحديثية المختصة، فضلاً عما تم بيانه في المؤلفات الفقهية.

٤- قال الزمخشري: ((فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ قِسْمَةُ الْخُمْسِ؟ قُلْتُ: عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُمَا كَانَتْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى خَمْسَةِ أَسْهُمٍ: سَهْمٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَسَهْمٌ لِدَوِيِّ قَرِيبَاءٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَلَبِ، دُونَ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ وَبَنِي نُوْفَلٍ، أَسْتَحْقُوهُ حِينَئِذٍ بِالنَّصْرَةِ وَالْمَظَاهِرَةِ، لَمَا رَوَى عَنْ عِثْمَانَ وَجُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا قَالَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: هَؤُلَاءِ إِخْوَتُكَ بَنُو هَاشِمٍ لَا نَنْكُرُ فَضْلَهُمْ لِمَكَانِكَ الَّذِي جَعَلَكَ اللَّهُ مِنْهُمْ، أَرَأَيْتَ إِخْوَانَنَا بَنِي الْمُطَلَبِ أُعْطِيَتْهُمْ وَحَرَمْتَنَا، وَإِنَّمَا نَحْنُ وَهُمْ بِمَنْزِلَةِ وَاحِدَةٍ. فَقَالَ ﷺ: إِنَّهُمْ لَمْ يَفَارِقُونَا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ، إِنَّمَا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَلَبِ شَيْءٌ وَاحِدٌ، وَشَبَكُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ)) (٧٧).

إنَّ الزمخشري في بيانه لما يتعلق بتوزيع الخمس يؤكد حق أهل البيت: في ذلك بما جعله الله لهم في كتاب الله تعالى، وأنَّ حقهم ثابت في حياة النبي وبعده، على رغم الاختلاف في التوزيع بين أتباع المذاهب الإسلامية.

وقد تتبع المحدث الشيخ هاشم البحراني الروايات المتعددة الواردة في المصادر الحديثية لتفسير الآية المباركة، فذكر (خمساً وعشرين روايةً) وأكد حق الأئمة: في الخمس (٧٨)، وفي ذلك غنى تاماً للرواية التفسيرية الرضوية الدالة على مقام آل محمد: وفضلهم وشرفهم عند الله تعالى.

المطلب الخامس: آية التحريم.

قال الإمام الرضا (عليه السلام): ((وأما العاشرة فقول الله عز وجل في آية التحريم: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٧٩) أخبروني هل تصلح أبنتي أو ابنة أبنّي، أو ما تناسل من صلبّي لرسول الله أن يتزوجها لو كان حيًّا؟ قالوا: لا.

قال (عليه السلام): فأخبروني هل كانت ابنة أحدكم تصلح له أن يتزوجها؟ قالوا: بلى.

قال: فقال (عليه السلام): ففي هذا بيان أنا من آلِهِ، ولستم من آلِهِ، ولو كنتم من آلِهِ لحُرِّمَتْ عليه بناتكم كما حُرِّمَتْ عليه بناتي؛ لأننا من آلِهِ وأنتم من أمتِهِ، فهذا فرق بين الآل والأمة؛ لأن الآل منه، والأمة إذا لم تكن الآل فليست منه^(٨٠).

إن هذه الرواية الشريفة تبين بكل وضوح أن الإمام الرضا (عليه السلام) إنما أسْتَشْهَدَ بها اعتمادًا على ما أوتي من علم نبوي توارثه عن آبائه المعصومين: في بيان دلالة الأحكام الشرعية من خلال كتاب الله تعالى وعمق الاستدلال به، فقد أكد من خلال هذه الآية المباركة بما لا يقبل أي تفسير أو تأويل؛ حيث ظهور الحكم الشرعي ووضوحه في حرمة التزويج من المحارم، ولعله أفاد بما ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) في ذلك، والتي وردت في تفاسير الخاصة.

روى شيخنا علي بن إبراهيم القمي رحمته الله (ت ق ٣هـ): ((وحدثني أبي عن ظريف بن ناصح، عن عبد الصمد بن بشير، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا أبا الجارود ما يقولون لكم في الحسن والحسين عليهما السلام؟

قلت: ينكرون علينا أنهما أبنا رسول الله صلى الله عليه وآله!

قال: فأئي شيء أحتججتهم عليهم؟

قلت: أحتججنا عليهم بقول الله عز وجل في عيسى بن مريم من ذرية إبراهيم عليه السلام: ﴿وَمَنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ - إِلَى قَوْلِهِ - وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ^(٨١) فجعل عيسى بن مريم من ذرية إبراهيم عليه السلام.

قال: فأئي شيء قالوا لكم؟

قلت: قالوا: قد يكون ولد البنت من الولد، ولا يكون من الصلب!

قال: فبأي شيء أحتججتهم عليهم؟

قال: قلت: أحتججنا عليهم بقول الله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ ^(٨٢).

قال: فأئي شيء قالوا لكم؟

قلت: قالوا: قد يكون في كلام العرب أبناء رجل، والآخر يقول: أبناؤنا.

قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: يا أبا الجارود لأعطينكها من كتاب الله أنهما من صلب رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يرثها إلا الكافر.

قال: قلت: جعلت فداك وأين؟

قال: من حيث قال الله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ - الْآيَةَ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى قَوْلِهِ - وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾،

فَسَلِّمُوا يَا أبا الجارود هل كان يحل لرسول الله صلى الله عليه وآله نكاح حليلتيهما؟

فإن قالوا: نعم، فكذبوا - والله - وفجروا، وإن قالوا: لا، فهما والله

أبناؤه لصلبه، وما حُرِّمَتْما عليه إلا للصلب ^(٨٣).

ونقل هذه الرواية الشريفة المفسرون الآخرون والمحدثون اعتماداً على ما تقدم من رواية الشيخ علي بن إبراهيم القمي^(٨٤).

وقال شيخنا الطوسي رحمته الله: ((قال ابن عباس: حرّم الله في هذه الآية سبّاً بالنسب، وسبّاً بالسبب، فالمحرمات من النسب الأمهات، ويدخل في ذلك أمهات الأمهات وإن علون، وأمّهات الآباء مثل ذلك، والبنات، ويدخل في ذلك بنات الأولاد، وأولاد البنين، وأولاد البنات وإن نزلن، والأخوات سواء كنّ لأب وأم، أو لأب، أو لأم، وبنات الأخ، وبنات الأخت وإن نزلن. والمحرمات بالسبب الأمهات من الرضاعة، والأخوات أيضاً من الرضاعة....))^(٨٥).

مما تقدم يظهر لنا ما ورد من بيان خصوصية الآل على الأهل في الرواية التفسيرية الرضوية، وأنّ حكم التحريم في حقهم ثابت؛ لأصل قرابتهم من النبي صلّى الله عليه وآله.

المطلب السادس: آية مؤمن آل فرعون.

قال الإمام الرضا عليه السلام: ((وأما الحادية عشر فقوله في سورة المؤمن حكاية عن قول رجل: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾^(٨٦) وكان ابن خال فرعون فنسبه إلى فرعون بنسبه، ولم يصفه إليه بدينه، وكذلك خصصنا نحن إذ كنّا من آل رسول الله صلّى الله عليه وآله بولادتنا منه، وعممنا الناس بدينه، فهذا فرق ما بين الآل والأمة^(٨٧).

في الرواية الشريفة يستدل الإمام الرضا عليه السلام على ما يريد تأكيده بشخصية مهمة سلط الضوء عليها القرآن الكريم، وهو مؤمن آل فرعون الذي ورد ذكره فيه روايات، وقد عدّ من الصّديقين الثلاثة المشهورين

في الروايات المتواترة، فعن النبي ﷺ قوله: ((الصَّدِيقُونَ ثَلَاثَةٌ: حَزَقِيلُ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ، وَحَبِيبُ النَّجَّارِ صَاحِبُ آلِ يَسَ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وَهُوَ أَفْضَلُهُمْ))^(٨٨)، وروى عنه عليه السلام: ((سُبَّاقُ الْأُمَمِ ثَلَاثَةٌ لَمْ يَكْفِرُوا بِاللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَصَاحِبُ يَاسِينَ، وَمُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ، فَهُمْ الصَّدِيقُونَ، وَعَلِيُّ أَفْضَلُهُمْ))^(٨٩)، وقد تضمنت مصادر متعددة بيان ما يتعلق باسمه والآيات التي تناولت قصته مع فرعون وبني إسرائيل^(٩٠).
وقد ورد في بيان علاقته النسبية بفرعون قولان:

الأول: إنه (أبن خاله) كما في رواية الإمام الرضا عليه السلام التفسيرية.

والآخر: إنه (أبن عمّه) كما في روايات أخرى، فقد روى الطبري عن السدي ((أَنَّ مُؤْمِنَ آلِ فِرْعَوْنَ كَانَ أَبْنَى عَمِّ فِرْعَوْنَ))^(٩١)، وروى الزمخشري: ((وَكَانَ قَبْطِيًّا أَبْنَى عَمِّ لِفِرْعَوْنَ))^(٩٢)، وروى الشيخ الطبرسي: ((عن السدي ومقاتل أَبْنَى عَمِّ فِرْعَوْنَ))^(٩٣).

إن الاستدلال في التفسير الوارد عن الإمام الرضا عليه السلام في بيان مقام آل محمد على الأمة لم يرد في رواية أخرى عن النبي أو الأئمة عليهم السلام، وفيه توجيه عظيم منه عليه السلام في الإفادة من اللفظ القرآني والسياق الذي يفهم من خلاله المراد، فالآية المباركة أكدت أن العلاقة السببية بين حزقيل وفرعون يمكن أن يطلق عليها (الآل) وليس (الأمة)، وإذا كان هذا ثابتاً كما أكد القرآن عليه فهو ثابت في آل محمد في نسبتهم إلى النبي ﷺ، بل أكثر تأكيداً حيث أنسابهم إليه عقيدة كذلك.

إن الطبري رجّح في تفسيره لآية مؤمن آل فرعون أن (الآل) هنا قرينة عن الانتساب السببي من جهة، ولكنه من جهة أخرى لم يوافق ذلك في آية الاصطفاء في سورة آل عمران، فقال عن آية (مؤمن آل فرعون): ((أَخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي هَذَا الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ مِنْ قَوْمِ

فرعون، غير أنه كان قد آمن بموسى، وكان يُسرّ إيمانه من فرعون وقومه خوفاً على نفسه.... عن السديّ قال: هو ابن عمّ فرعون.... وقال آخرون: بل كان الرجل إسرائيلياً، ولكنه كان يكتُم إيمانه من آل فرعون....^(٩٤). وبعد بيانه لهذين القولين في الآية (أنه من آل فرعون أو من قوم فرعون) قال: ((وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي، القول الذي قاله السديّ من أن الرجل المؤمن كان من آل فرعون))^(٩٥).

ولكنه ذكر أن (الآل) لا يختص بأقاربه وأهله خاصة، بل يطلق على الأهل وعلى المؤمنين كذلك من الأمة، قال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: ((وإنما عنى بـ: «آل إبراهيم وآل عمران» المؤمنين.... قال: هُم المؤمنون من آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد، يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾^(٩٦) وهُم المؤمنون))^(٩٧).

ومما ينبغي بيانه والتأكيد عليه أن الأئمة هم من (الآل) بالخصوص، وقد أكدته روايات تفسيرية أخرى، كالتى وردت في بيان آية الاصطفاء في سورة آل عمران، فقد روى العياشي في تفسير آية الاصطفاء: ((عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ^(٩٨) قال: نحن منهم، ونحن بقيّة تلك العترة))^(٩٩).

قال السيد الطباطبائي رحمه الله (ت ١٤٠٣هـ ١٩٨٢م) تعقيماً على هذه الرواية: ((أقول: قوله عليه السلام: ونحن بقيّة تلك العترة، العترة بحسب الأصل في معناها الأصل الذي يعتمد عليه الشيء، ومنه العترة للأولاد والأقارب الأدين من ماضى، ومنه يظهر أنه عليه السلام استفاد من قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ أنها عترة محفوظة أخذة من آدم إلى نوح إلى آل إبراهيم

و آل عمران، ومن هنا يظهرُ النكتَةُ في ذكرِ آدمَ و نوحٍ معَ آلِ إبراهيمَ وعمرانَ، فهي إشارةٌ إلى اتِّصالِ السلسلةِ في الاصطفاءِ))^(١٠٠).

وذكر السيد هاشم البحراني في تفسيره مجموعة من الروايات المؤكدة على مقام آل محمد ﷺ وأنهم من (الآل) في قوله تعالى: ﴿وَآلِ إِبْرَاهِيمَ﴾^(١٠١). هذا آخر ما تم بيانه من الروايات التفسيرية الرضوية الدالة على أصطفاء الله

تعالى لآل محمد ﷺ على الأمة، بنص القرآن الكريم الناطق بالحق، وأرجو أني وفقت في عرضها موازنة مع التفاسير القرآنية الماثورة عن الأعلام، والروايات التفسيرية الواردة عن النبي وآله الكرام ﷺ



خاتمة:

إنَّ الروايات التفسيرية التي تضمنتها مؤلفات أعلامنا تعدُّ من الروايات المهمة التي يجب الرجوع إليها في معرفة تفسير الآيات المباركة؛ لأنهم عدل القرآن الكريم الذين أوصى النبي الأكرم ﷺ بالرجوع إليهم؛ حفظاً من الضلال والانحراف.

إنَّ هذه الرواية التفسيرية الشريفة الواردة عن الإمام الرضا عليه السلام هي رواية مهمة، ويمكن دراستها من جوانب مختلفة، حيث تضمنت أسلوباً علمياً من أساليب الحجاج، وإقامة الحجة والبيان على الآخر في معرفة حقيقة ما يتم ادعاؤه، من خلال الاستدلال القرآني في بيان وإثبات العقيدة. لقد سلَّط الإمام عليه السلام الضوء على مقام أهل البيت: من خلال الرجوع إلى مصدر التشريع الأول للمسلمين، وهو القرآن الكريم وتأييد ذلك ببعض الروايات الشريفة، مما يؤكد وحدة المنهج بين القرآن والسنة الشريفة على ذلك. إنَّ رجوع الباحث إلى التفاسير المختلفة في بحثه والتي تعد من المصادر التفسيرية للمسلمين؛ لبيان مدى مطابقة تلك الروايات التفسيرية لما تم ذكره في حديث الإمام الرضا عليه السلام، وهذا ما ظهر جلياً في صفحات البحث، على رغم محاولة بعض التفاسير إخفاء مقامهم ع.

يؤكد الباحث أهمية دراسة الروايات التفسيرية الواردة عن الأئمة: دراسة تحليلية، لا سردية أو استدلالية فحسب؛ لإمكان الاستفادة منها في جوانب متعددة، فضلاً عن الفهم للنص القرآني المبارك.

إنَّ الدراسات الموازنة أو المقارنة تفتح الآفاق نحو أبحاث دقيقة أخرى، وخصوصاً ما يتعلق بالتراث الروائي لأئمة أهل البيت عليه السلام، بما يظهر مقامهم جلياً في ريادتهم للجوانب المعرفية المختلفة.

الهوامش:

- ١- سورة فاطر: الآية ٣٢.
- ٢- الملل والنحل، عبد الكريم، تقديم وإعداد: الدكتور عبد اللطيف محمد العبد، (مط الأنجلو المصرية، مصر، ط ١، ١٩٧٧م) ص ٢٥.
- ٣- للتفصيل ينظر مثلاً: النكت الاعتقادية، محمد بن النعمان الشيخ المفيد، تحقيق: رضا المختاري، (دار المفيد، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ ١٩٩٣)، قواعد المرام في علم الكلام، ميثم بن علي بن ميثم البحراني، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، (مط الصدر، ط ٢، ١٤٠٦هـ، د.م)، مناهج اليقين في أصول الدين، الحسن بن يوسف بن المطهر العلامة الحلي، تحقيق: يعقوب الجعفري المراغي، (مط إسوة، ط ١، ١٤١٥هـ، د.م)، منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، الحسن بن يوسف بن المطهر العلامة الحلي، تحقيق: عبد الرحيم مبارك، (مط الهادي، قم، ط ١، ١٣٧٩ش).
- ٤- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، (الناشر: مكتبة أبن تيمية، القاهرة، ط ٢، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، د.مط) ج ٥ ص ١٦٦.
- ٥- عقائد الإمامية، محمد رضا، تحقيق: عبد الكريم الكرمانى، (مؤسسة الرافد، بغداد، ٢٠١١م، د.ط) ص ٧٤.
- ٦- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (ط ٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م) ج ٩ ص ٣٨٨.
- ٧- المصدر نفسه ج ١٣ ص ١٢١.
- ٨- الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، أحمد بن حجر، تحقيق وتعليق: عادل شوشة، (مكتبة فياض، مصر، ط ١، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م) ص ٥٥٦-٥٥٩.
- ٩- وقد تحدثت عن الموارد الستة الأخرى في بحث عنه ﷺ تمت المشاركة فيه في المؤتمر العلمي الدولي السنوي الثاني عشر الذي أقامته الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة بعنوان (الإمام الرضا ﷺ منهج نبوة، وعمق إمامة، وشمس هداية) للمدة ٢٧-٢٨ ربيع الأول ١٤٤٥هـ الموافق ١٣-١٤/١٠/٢٠٢٣م.
- ١٠- سورة فاطر: الآية ٣٢.
- ١١- سورة فاطر: الآية ٣٢.
- ١٢- سورة الرعد: الآية ٢٣.
- ١٣- سورة آل عمران: الآيتان ٣٣-٣٤.
- ١٤- سورة النساء: الآية ٥٤.
- ١٥- سورة النساء: الآية ٥٩.



١٦- عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ محمد بن علي بن الحسين الصدوق، تصحيح وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ج ٢ ص ٢٠٩-٢١٧.

١٧- وفي رواية أن الذي تكلم في ذلك عم النبي الحمزة بن عبد المطلب ٧.

١٨- سورة يونس: الآية ٨٧.

١٩- عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٢٠٩.

٢٠- تفسير العياشي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية لمؤسسة البعثة، (مؤسسة البعثة، قم، ط ١، ١٤٢١هـ) ج ٢ ص ٢٨٤، وينظر: البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ٢، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م) ج ٤ ص ٤٣-٤٥.

٢١- ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن ج ١٥ ص ١٧٢-١٧٦، مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، مؤسسة الأعلمي، (بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) ج ٥ ص ٢١٩-٢٢٠.

٢٢- الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت) ج ٤ ص ٣٨٣.

٢٣- ينظر: علل الشرائع، الشيخ محمد بن علي بن الحسين الصدوق (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م)، (المكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م، د.ط) ج ١ ص ٢٠١-٢٠٢. باب (١٥٤) العلة التي من أجلها سد رسول الله صلى الله عليه وآله الأبواب كلها إلى المسجد، وترك باب علي عليه السلام الحديث ٣.

٢٤- التفسير الصافي، المولى محمد مرتضى الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م)، (مؤسسة الهادي، قم، ط ٢، ١٤١٦هـ) ج ٢ ص ٤١٤-٤١٥.

٢٥- نور الثقلين، الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (ت ١١١٢هـ/ ١٧٠٠م)، تصحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، (مؤسسة إسماعيليان، قم، ط ٤، ١٤١٢هـ) ج ١ ص ٣١٥.

٢٦- الوجئد: أي الحزن. ينظر: لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، (مط الميرية ببولاق، مصر، ط ١، ١٣٠١هـ) مادة (وجد).

٢٧- مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، علي بن محمد، تحقيق: أبو عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعي، (دار الآثار، صنعاء، ط ١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) ج ١ ص ٣٢٢.

وقد ذكرت الرواية كاملة بطولها ليطلع الباحث على الأجواء العامة والخاصة للتبليغ

الإلهي من قبل النبي إلى أهل بيته وأصحابه، ومدى استعداد نفوسهم لاستقبال هذا الخبر في سد أبوابهم جميعاً، فضلاً عن مواقفهم الخاصة.

٢٨- مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ج ١ ص ٣٢٤.
وقد ذكر ذلك بأسانيد متعددة في (سبع) روايات تتعلق بحديث (سد الأبواب) تحت عنوان (باب حديث سد الأبواب). ينظر: ج ١ ص ٣٢٢-٣٣١.

٢٩- المصدر نفسه ج ١ ص ٣٢٦.

٣٠- ينظر على سبيل المثال: الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، تصحيح: علي أكبر الغفاري، (الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٣، ١٣٨٨ هـ، د. مط) ج ٨ ص ٢٦ الحديث ٤ وج ٨ ص ١٠٧ الحديث ٨٠، معاني الأخبار، الشيخ محمد بن علي الصدوق، تصحيح: علي أكبر الغفاري، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٣٧٩ هـ، د. ط) ص ٥٧ (باب معاني أساء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة) الحديث ٥، و ص ٧٤ (باب معنى قول النبي ﷺ لعلي عليه السلام أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) الحديث ١، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، د. ت) ج ٤ ص ١٨٧٠ (باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه) الحديث ٢٤٠٤، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (الناشر: دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢ هـ، د. م) ج ٥ ص ١٩ (باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه) الحديث ٣٧٠٦، وج ٦ ص ٣ (باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة) الحديث ٤٤١٦، مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ج ١ ص ٧٢-٨٣ فقد ذكر (سبع عشرة) رواية بأسانيد مختلفة.

٣١- سورة الإسراء: الآية ٢٦.

٣٢- عيون أخبار الرضا ج ٧ ص ٢١١.

٣٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير، تحقيق وتعليق: محمود محمد شاكر، (دار ابن الجوزي، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨ م) ج ١٧ ص ٤٢٦.

٣٤- سورة الشورى: الآية ٢٣.

٣٥- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمر، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ) ج ٢ ص ٦٦١.

٣٦- مفاتيح الغيب، محمد بن عمر بن الحسين، (دار إحياء التراث العربي، بيروت،

- ط ٣، ١٤٠٧هـ).
- ٣٧- تفسير العياشي ج ٣ ص ٤٥.
- ٣٨- ينظر: المصدر نفسه ج ٣ ص ٤٥-٤٦.
- ٣٩- الكافي ج ١ ص ٥٤٣، باب (الفيء والأنفال وتفسير الخمس وحدوده وما يجب فيه) الحديث ٥.
- ٤٠- مجمع البيان في تفسير القرآن ج ٦ ص ٢٤٣.
- ٤١- الدر المنثور في التفسير بالماثور ج ٥ ص ٢٧٣.
- ٤٢- المصدر نفسه ج ٥ ص ٢٧٤.
- ٤٣- سورة الأحزاب: الآية ٥٦.
- ٤٤- سورة يس: الآيات ١-٤.
- ٤٥- سورة الصافات: الآية ٧٩.
- ٤٦- سورة الصافات: الآية ١٠٩.
- ٤٧- سورة الصافات: ١٢٠.
- ٤٨- عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٢١٣-٢١٤.
- ٤٩- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٢١ ص ١٠١-١٠٣.
- ٥٠- التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت) ج ٨ ص ٥٢٣.
- ٥١- المصدر نفسه ج ٨ ص ٤٤١.
- ٥٢- مفاتيح الغيب ج ٢٦ ص ٣٥٤.
- ٥٣- الدر المنثور في التفسير بالماثور ج ٧ ص ١٢٠.
- ٥٤- سورة طه: الآية ١.
- ٥٥- سورة الأحزاب: الآية ٣٣.
- ٥٦- سورة آل عمران: الآية ٣١.
- ٥٧- سورة الشورى: الآية ٢٣.
- ٥٨- الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقه، تحقيق وتعليق: عادل شوشة، (مكتبة فياض، المنصورة، ط ١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) ص ٤٢٨-٤٢٩.
- ٥٩- ينظر: البرهان في تفسير القرآن ج ٦ ص ٤٤٨-٤٥١.
- ٦٠- معاني الأخبار ص ١٢٢ باب (معنى آل ياسين) الحديث ٢.
- ٦١- بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ/ ١٧٠٠م)، (مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ج ٣ ص ١٦٧-١٧١.

وقال في ختام بيانه الروايات والأقوال: ((أقول: فظهر اتفاق الكل على القراءة والرواية، لكن بعضهم حملتهم العصبية على عدّ هذا الاحتمال مع مطابقتها لرواياتهم مرجوحاً)) ج ٣ ص ١٧١.

٦٢- ينظر مثلاً: ينايع المودة لذوي القربى، سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، (مط أسوة، الناشر: دار الأسوة، قم، ط ٢، ١٤٢٢هـ) ج ١ ص ٣٨، نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار، مؤمن بن حسن الشبلنجي الشافعي، (ط ١، ذوي القربى، قم، ١٣٨٤هـ) ج ١ ص ١٠٩.

٦٣- ينظر: آل ياسين قراءة قرآنية أصيلة، الشيخ علي الشكري الغدادي، (مط الغدير، قم، ط ١، ١٤١٩هـ، ٢٠٠٨م).

٦٤- القراءات القرآنية في مخطوطات السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، الشيخ الدكتور عماد الكاظمي، (دار الكفيل، كربلاء المقدسة، ط ١، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٧م) ص ٢٠١-٢٠٥.

٦٥- سورة الأنفال: الآية ٤١.

٦٦- سورة فصلت: الآية ٤٢.

٦٧- سورة النساء: الآية ٥٩.

٦٨- سورة المائدة: الآية ٥٥.

٦٩- سورة التوبة: الآية ٦٠.

٧٠- عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج ٢ ص ٢١٥-٢١٦.

٧١- وذكر في هذا القول أحاديث سبعة بأسانيد مختلفة. ينظر: ج ١٣ ص ٥٥٣-٥٥٥.

٧٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٣ ص ٥٤٨-٥٥٥.

٧٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٣ ص ٥٥٦-٥٥٩.

٧٤- تفسير العياشي ج ٢ ص ١٩٩.

٧٥- ينظر: المصدر نفسه ج ٢ ص ١٩٩-٢٠٢.

٧٦- التبيان في تفسير القرآن ج ٥ ص ١٢٣.

٧٧- تفسير الكشاف ج ٢ ص ٢٢١.

٧٨- ينظر: البرهان في تفسير القرآن ج ٣ ص ٣٢٢-٣٣٤.

٧٩- سورة النساء: الآية ٢٣.

٨٠- عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج ٢ ص ٢١٦.

٨١- سورة الأنعام: الآيتان ٨٤-٨٥.

٨٢- سورة آل عمران: الآية ٦١.





- ٨٣- تفسير القمي، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام)، (الناشر: مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام)، قم، ط ١، ١٤٣٥هـ، د. مط) ج ١ ص ٣٠٧-٣٠٨.
- ٨٤- ينظر مثلاً: الكافي ج ٨ ص ٣١٧-٣١٨ الحديث ٥٠١، تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٤٦١.
- ٨٥- التبيان في تفسير القرآن ج ٣ ص ١٥٧.
- ٨٦- سورة غافر: الآية ٢٨.
- ٨٧- عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج ٢ ص ٢١٦.
- ٨٨- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٧ ص ٥٣.
- ٨٩- بحار الأنوار ج ١٣ ص ٥٨.
- ٩٠- ينظر مثلاً: أعلام القرآن، عبد الحسين الشبستري، (مط مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط ١، ١٤٢١هـ) ص ٤٦٤-٤٦٥.
- ٩١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٢١ ص ٣٧٥.
- ٩٢- تفسير الكشاف ج ٤ ص ١٦٢.
- ٩٣- مجمع البيان في تفسير القرآن ج ٨ ص ٤٣٧.
- ٩٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٢١ ص ٣٧٥-٣٧٦.
- ٩٥- المصدر نفسه ج ٢١ ص ٣٧٦.
- ٩٦- سورة آل عمران: الآية ٦٨.
- ٩٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٦ ص ٣٢٦.
- ٩٨- سورة آل عمران: الآيتان ٣٣-٣٤.
- ٩٩- تفسير العياشي ج ١ ص ٢٩٩.
- ١٠٠- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٣هـ ١٩٨٢م)، تصحيح: الشيخ حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م) ج ٣ ص ١٩٥.
- ١٠١- ينظر: البرهان في تفسير القرآن ص ٢٣-٢٨.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

* آل ياسين قراءة قرآنية أصيلة، الشيخ علي الشكري الغدادي، (مط الغدير، قم، ط ١، ١٤١٩ هـ / ٢٠٠٨ م).

* أعلام القرآن، عبد الحسين الشبستري، (مط مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط ١، ١٤٢١ هـ).

* بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١ هـ / ١٧٠٠ م)، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م).

* البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني (١١٠٧ هـ / ١٦٩٥ م)، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١٤٢٧، ٢٠٠٦ م).

* التبيان في تفسير القرآن، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت).

* تفسير الصافي، المولى محمد مرتضى الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ / ١٦٨٠ م)، مؤسسة الهادي، قم، ط ٢، ١٤١٦ هـ).

* تفسير العياشي، الشيخ أبو النضر محمد بن مسعود العياشي (ت ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، مؤسسة البعثة، قم، ط ١، ١٤٢١ هـ).

* تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي (ق ٣ هـ) تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي،

(الناشر: مؤسسة الإمام المهدي، قم، ط ١، ١٤٣٥ هـ، د.مط).

* تفسير نور الثقلين، الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (ت ١١١٢ هـ / ١٧٠٠ م)، تصحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة إسماعيليان، قم، ط ٤، ١٤١٢ هـ).

* جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ / ٩٩٢ م)، تحقيق وتعليق: محمود محمد شاكر، (دار ابن الجوزي، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨ م).

* الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (الناشر: دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢ هـ، د.م).

* الدر المنثور، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)، (دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت).

* سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (٩ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣ م).

* الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة أحمد بن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤ هـ / ١٥٦٧ م)، تحقيق وتعليق:



عادل شوشة، (مكتبة فياض، المنصورة، ط ١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

* عقائد الإمامية، الشيخ محمد رضا المظفر (ت ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م)، تحقيق: عبد الكريم الكرماني، (مؤسسة الرافد، بغداد، ٢٠١١م، د.ط.).

* علل الشرائع، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين الصدوق (ت ٣٨١هـ/٩٩١م)، (المكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م، د.ط.).

* عيون أخبار الرضا، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين الصدوق (ت ٣٨١هـ/٩٩١م)، تصحيح وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

* القراءات القرآنية في مخطوطات السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، الشيخ الدكتور عماد الكاظمي، (دار الكفيل، كربلاء المقدسة، ط ١، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م) * قواعد المرام في علم الكلام، كمال الدين ميثم بن علي البحراني (ت ٦٧٩هـ/١٢٨٠م)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، (مط الصدر، ط ٢، ١٤٠٦هـ/٢٠٠٤م).

* الكافي، الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ/٩٤٠م)، تصحيح: علي أكبر الغفاري، (الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٣، ١٣٨٨هـ/د.مط.). * الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، جار الله محمود بن عمر الزنجشري

(ت ٥٣٨هـ/١١٤٣م)، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ).

* لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ/١٣١١م)، (مط الميرية بيولاقي، مصر، ط ١، ١٣٠١هـ).

* مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

* المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ/٨٧٥م): تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.).

* معاني الأخبار، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين الصدوق (ت ٣٨١هـ/٩٩١م)، تصحيح: علي أكبر الغفاري، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٣٧٩هـ/د.ط.).

* المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ/٩٧١م)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، (الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، د.مط.).

* مفاتيح الغيب، محمد بن عمر بن الحسين الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ).

* الملل والنحل، عبد الكريم الشهرستاني

(ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م)، تقديم وإعداد:
الدكتور عبد اللطيف محمد العبد، (مط
الأنجلو المصرية، مصر، ط١، ١٩٧٧م).

* مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
رضي الله عنه، علي بن محمد بن محمد
الواسطي المالكلي، المعروف بابن المغازلي
(ت ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م)، تحقيق: تركي بن
عبد الله الوادعي، (دار الآثار، صنعاء،
ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م).

* مناهج اليقين في أصول الدين، الحسن
بن يوسف بن المطهر العلامة الحلي
(ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م)، تحقيق: يعقوب
الجعفري المراغي، (مط إسوة، ط١،
١٤١٥هـ، د.م).

* منهاج الكرامة في معرفة الإمامة،
الحسن بن يوسف بن المطهر العلامة
الحلي (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م)، تحقيق: عبد
الرحيم مبارك، (مط الهادي، قم، ط١،
١٣٧٩ش).

* الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد
حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٣هـ ١٩٨٢م)،

تصحيح: الشيخ حسين الأعلمي،
مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ
١٩٩٧م.

* النكت الاعتقادية، محمد بن النعمان
الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ / ١٠٢٢م)،
تحقيق: رضا المختاري، (دار المفيد،
بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ ١٩٩٣).

* نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي
المختار، مؤمن بن حسن الشبلنجي
الشافعي، (ت ١٣٠٨هـ / ١٨٩١م)، (ط١،
ذوي القربى، قم، ١٣٨٤هـ).

* نور الثقلين، الشيخ عبد علي بن جمعة
العروسي الحويزي (١١١٢هـ / ١٧٠٠م)،
تصحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي
المحلاتي، (مؤسسة إسماعيليان، قم، ط٤،
١٤١٢هـ).

* ينابيع المودة لذوي القربى، سليمان
بن إبراهيم القندوزي الحنفي
(ت ١٢٩٤هـ / ١٨٧٧م)، تحقيق: سيد
علي جمال أشرف الحسيني، (مط أسوة،
الناشر: دار الأسوة، قم، ط٢، ١٤٢٢هـ).



شرح حديث رأس الجالوت للمولى محمد مهدي
النراقي (ت ١٢٩٧هـ)
-دراسة في المنهج والمضامين التربوية -

أ. د. مزاحم مطر حسين
جامعة القادسية / كلية التربية

الملخص:

(حديث رأس الجالوت) هو جواب الإمام الرضا عليه السلام على أسئلة كبير علماء اليهود (رأس الجالوت) في مجلس عقده المأمون العباسي و جمع فيه أصحاب المقالات وأهل الأديان والمتكلمين من جميع الملل لسمع كلامه وكلامهم، وقد حضر في هذا المجلس كبار رجالات الدولة وجماعة من الطالبين والهاشميين و كبار قُواد الجيش.

وقد حظي هذا الحديث الشريف باهتمام العلماء والشرّاح فخصصوا له شروحا متعددة ومن هذه الشروح ، شرح الشيخ محمد الملقّب بعبد الصاحب بن أحمد بن مهدي النراقي (ت ١٢٩٧ هـ) وقد اهتم البحث بمنجز هذا الشرح الأخير لما تمتع به من استيعاب للشروح السابقة ، وقدرة على الإيجاز في إيراد العبارة ، وبراعة في منهج الشرح ، وتبيان المقاصد. وهذه الدراسة تحاول الكشف عن المنهج الذي سلكه المولى محمد مهدي النراقي في شرح (حديث رأس الجالوت) ، واستكشاف أهم المضامين التربوية المستخلصة من هذا الحديث وشرحه.

Abstract

(The Hadith of the Head of Al-Jalut) is the answer of Imam Al-Rida (peace be upon him) to the questions of the chief Jewish scholar (the head of Al-Jalut) in a council held by Al-Ma'mun Al-Abbasi, in which he gathered writers of articles, people of religions, and theologians from all sects, to hear his words and theirs. The senior figures of the state were present at this council. And a group of Taliban, Hashemites, and senior army commanders.

This honorable hadith has received the attention of scholars and commentators, and they have devoted multiple explanations to it. Among these explanations is the explanation of Sheikh Muhammad, known as Abd al-Sahib bin Ahmad bin Mahdi al-Naraqi al-Kashani (d. 1297 AH). The research focused on completing this last explanation due to its understanding of previous explanations and the ability to be concise. In the presentation of the phrase, ingenuity in the method of explanation, and clarifying the objectives.

This study attempts to reveal the approach taken by Mawla Muhammad Mahdi al-Naraqi in explaining (the hadith of Ras al-Jalut), and to explore the most important educational implications extracted from this hadith and its explanation.

مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين
محمد وآله الطيبين الطاهرين ، واللعنة الدائمة على أعدائهم ومبغضهم إلى
قيام يوم الدين .

وبعد :

سعى الإنسان منذ وقت مبكر جاهداً لفهم العالم من حوله، وتكوين
أفكاره الخاصة حول مختلف القضايا، وبرزت الحوارات كأداة أساسية
للتواصل وتبادل الأفكار، ونشر المعرفة، والتأثير على القناعات.
وعلى مر العصور، خاض الأئمة المعصومون (عليهم السلام) حوارات تأريخية مع
مختلف فئات المجتمع، من علماء ورجال دين وسياسيين وفلاسفة، ناقشوا
فيها مختلف القضايا الدينية والفلسفية والعلمية. وتعدّ هذه المحاورات
من أهمّ المصادر التي يُمكننا الاستفادة منها لفهم العقائد والأحكام،
ونشر المعرفة والحقيقة، وإزالة الشكوك، ودحض الأفكار الخاطئة، و
هداية الناس إلى طريق الصواب، والرد على الشبهات.

كما يظهر من خلالها منهج الأئمة (عليهم السلام) في مواجهة مختلف الأفكار والآراء
بمنطق سليم وحجج قاطعة، أدت في نهاية المطاف إلى إقناع خصومهم
وانتصار البرهان على الجدل، وذلك لما تميزت به هذه الحوارات من
خصائص فريدة، من المنطق القويم، والعمق المعرفي، والصبر والأناة،
واحترام الآخر.

ويُعدّ حديث رأس الجالوت من أهمّ الأحاديث الشريفة التي تُجسّد
حواراً دينياً علمياً دار بين الإمام الرضا (عليه السلام) ورأس الجالوت، كبير علماء
اليهود، في مجلس عقده المأمون العباسي. وقد حظي هذا الحديث باهتمام



العلماء والشرّاح فخصصوا له شروحا متعددة، من أهمّها شرح الشيخ محمّد الملقّب بعبد الصاحب بن أحمد بن مهدي النراقي الكاشاني (ت ١٢٩٧ هـ). وتطلع هذه الدراسة إلى الكشف عن المنهجية المتميزة التي اتّبعها النراقي في شرحه، وأن تُبرز القيم التربوية الجليلة التي يُنطوي عليها هذا الحديث وشرحه.

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى ثلاثة مباحث رئيسية، فكان المبحث الأول تحت عنوان: حديث رأس الجالوت وشرّحه، تناولت في هذا المبحث التعريف بحديث رأس الجالوت وأهميته، كما عرضت فيه أهمّ الشروح التي كتبت على هذا الحديث .

أما المبحث الثاني فكان تحت عنوان: منهج المولى محمد مهدي النراقي في الشرح، وقد ركّزت في هذا المبحث على تحليل منهج المولى محمد مهدي النراقي في شرح حديث رأس الجالوت، وشمل ذلك دراسة أسلوبه في الشرح، وطريقة تناوله للشواهد والأدلة على المطالب التي يعرض لها .

أما المبحث الثالث فكان تحت عنوان: المضامين التربوية في شرح حديث رأس الجالوت، إذ عمدت في هذا المبحث إلى استخراج القيم التربوية التي يُمكن استخلاصها من شرح النراقي لحديث رأس الجالوت. وختمًا، توجّبت الدراسة جهدا بعرض أهمّ النتائج التي توصلت إليها، والتي تُعدّ ثمرة لرحلتها المعرفية في رحاب حديث رأس الجالوت وشرحه.

أخيرًا، تضمّنت الدراسة قائمةً شاملةً بأهمّ المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها، والتي شكّلت ينابيع المعرفة التي ارتوت منها الدراسة، مع ملخص للبحث باللغة الإنجليزية.

المبحث الأول : حديث رأس الجالوت و شروحه :

حديث رأس الجالوت هو جواب الإمام الرضا عليه السلام على أسئلة رأس الجالوت الذي يُعدّ كبير علماء اليهود ، في المجلس الذي عقده المأمون العباسي والذي جمع فيه أصحاب المقالات وأهل الأديان والمتكلمين من جميع الملل ليسمع كلامه وكلامهم ، وقد حضر في هذا المجلس كبار رجالات الدولة وجماعة من الطالبين والهاشميين والقواد^(١)

وهذا نص الحديث (سأل رأس الجالوت مولانا الرضا عليه السلام فقال: يا مولاي، ما الكفر؟ وما الإيمان؟ وما الكفران؟ وما الجنة والنيران، وما الشيطانان اللذان كلاهما مرجوان؟ وقد نطق كلام الرحمن بما قلت حيث قال في سورة الرحمن: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾. فلما سمع الرضا عليه السلام كلامه لم يُحر جواباً، ونكت بإصبعه الأرض وأطرق ملياً.

فلما رأى رأس الجالوت سكوته عليه السلام حمله على عيّه ، وشجّعته نفسه لسؤال آخر .

فقال : «يا رئيس المسلمين ، ما الواحد المتكثّر والمتكثّر المتّوحد الموجد والموجد والجاري المنجد والناقص الزائد» .

فلما سمع الرضا عليه السلام كلامه ، ورأى تسويل نفسه له ، قال: «يا ابن أبيه، أي شيء تقول ، وممن تقول ، ولمن تقول ؟ بينا أنت أنت صرنا نحن نحن . فهذا جوابٌ موجز .

وأما الجواب المفصّل فأقول: اعلم ، إن كنت الداري والحمد لله الباري . إنّ الكفر كفران ؛ كفرٌ بالله ، وكفرٌ بالشيطان ، وهما الشيطان ، المقبولان المردودان ، لأحدهما الجنة وللآخر النيران . وهما الشيطان المتفقان المختلفان وهما المرجوان ، ونصّ به القرآن حيث قال تعالى شأنه :

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ ﴾ . ويعلم قولنا من كان من سنخ الإنسان وبها قلنا يظهر جواب باقي سؤالاتك ، والحمد لله الرحمن ، والصلاة على رسوله المبعوث إلى الإنس والجان ، ولعنة الله على الشيطان . فلما سمع رأس الجالوت كلامه ﷺ بهت وتحير وشهق شهقة وقال : « أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَأَنَّكَ وَلِيُّ اللَّهِ وَوَصِيُّ رَسُولِهِ وَمَعْدِنُ عِلْمِهِ حَقًّا حَقًّا » (٢) وقد حظي هذا الحديث الشريف باهتمام العلماء والشرّاح فخصصوا له شروحا كثيرة منها:

الفوائد الرضوية (شرح حديث رأس الجالوت) تأليف: القاضي محمد سعيد شريف القمّي (ت ١١٠٧هـ) (٣) وقد طبع هذا الكتاب مع تعليقة السيد الخميني عليه تحت عنوان (تعليقة على الفوائد الرضوية) بعناية قسم التحقيق في مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني (قدس سره) فرع قم المقدسة، بطبعة أولى في سنة ١٤١٧هـ.

شرح الحكيم العارف عبد الرحيم بن محمد يونس الدماوندي (ت ١١٥٨هـ) (٤)

شرح حديث رأس الجالوت للعلامة المحقق الكبير الميرزا أبو القاسم الجيلاني القمّي المتوفى سنة ١٢٣١هـ (٥)

شرح حديث رأس الجالوت . للشيخ أحمد بن زين الإحسائي المتوفى سنة (١٢٤٣هـ) (٦)

شرح المولى محمد بن الحاج محمد حسن المشهدي الطوسي المتوفى سنة (١٢٥٧هـ) ضمن كتابه (غنيمة الحجاز في حل الألغاز) الذي شرح فيه حديثين أحدهما عن الإمام أمير المؤمنين ﷺ والآخر حديث رأس الجالوت (٧)



شرح حديث رأس الجالوت. للشيخ محمد الملقّب بعبد الصاحب بن أحمد بن مهدي النراقي الكاشاني (ت ١٢٩٧ هـ) وقد طبع الكتاب في الجزء الثاني من (ميراث حديث شيعة) بتحقيق محمد رضا حسيني، مؤسسة دار الحديث، ايران - قم ١٣٨٠ هـ . ش ، وهي الطبعة المعتمدة في بحثنا هذا. وكثرة شروح هذا الحديث لها ما يُسوّغ وجودها، إذ ما فتى الشراح يكررون أن هذا الحديث من الاحاديث التي تحتاج إلى الشرح والتفصيل، فالقاضي محمد سعيد شريف القمي (ت ١١٠٧ هـ) يرى في هذا الحديث الحكمة المتعالية، والفلسفة الرسمية، كما يرى فيه أسراراً لا ينالها إلا من أتى البيوت من أبوابها^(٨) وأن الله قد فتح عليه بعض الفتوحات ومن تلك الفتوحات ما ألهمه من شرح هذا الحديث الذي يصفه بالحديث (العويص)^(٩) الذي يصعبه فهمه، والعويص كما معلوم أحد أسماء أو أنواع (اللغز) كما نص عليه بعض النقاد والبلاغيين^(١٠)

وهو ينص على أن ما جاء في هذا الحديث يتضمن بعض الألغاز التي تحتاج إلى من يحلها، إذ يقول بعدما انتهى من شرح معاني الألفاظ: (وإذ قد بلغنا هذا المبلغ في شرح الألفاظ فلنأخذ في ذكر الفوائد لحلّ الألغاز والله المستعان)^(١١)

أما المولى محمد بن الحاج محمد حسن المشهدي الطوسي المتوفى سنة (١٢٥٧ هـ) فقد جعل هذا الحديث ضمن أحاديث (الألغاز) التي تحتاج إلى من يستخرج معناها ويحلّ غامضها؛ إذ وضع هذا الحديث في كتابه (غنيمة الحجاز في حلّ الألغاز) الذي شرح فيه حديثين أحدهما عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) والآخر حديث رأس الجالوت هذا

أما الشيخ محمد مهدي النراقي (ت ١٢٩٧ هـ) فقد رأى في هذا الحديث أنه أشبه ما يكون بالحديث (المرموز) من جهة السؤال والجواب، إذ يقول: (إنّ بعض الفضلاء الأركياء الأصدقاء سألني عن بيان معنى هذا الحديث

الشريف الذي هو شبه المرموز سؤالاً وجواباً، فأجبتة مع قصور البال و
اختلال الأحوال إذ لم يسعني ردّه^(١٢) ويرى في موضع آخر أن أسئلة رأس
الجالوت (إنما أوردتها ثانياً شبه ألغاز وأحجية)^(١٣)

ونصوص الشراح المتقدمة تُجمع على أن حوار الإمام الرضا عليه السلام مع رأس
الجالوت من الأحاديث التي تحتاج إلى شرح وتفصيل، وذلك لما يتضمنه
من معاني عميقة وحكم متعالية وفلسفة رسمية وأسرار لا ينالها إلا من
أتى البيوت من أبوابها.

المبحث الثاني: منهج المولى محمد مهدي النراقي في الشرح :

مؤلف هذا الشرح هو محمد بن أحمد بن محمد مهدي بن أبي ذر النراقي
الكاشاني، الشهير بالشيخ عبد الصاحب (١٢١٥ - ١٢٩٧ هـ): عالم إمامي،
فقيه، مجتهد، تتلمذ على يد والده الفقيه الشهير أحمد (المتوفى سنة ١٢٤٥
هـ)، تولى المدرسة السلطانية في مدينة كاشان^(١٤)، وعاش ما يزيد عن
الثمانين عاماً، لأنه ولد في سنة ١٢١٥ هـ وتوفي في سنة سبع وتسعين بعد
الألف والمائتين^(١٥) وقد خلف مصنفات علمية في أبواب متعددة منها^(١٦)
ومن ضمن ما خلفه لنا المولى النراقي من نفائس ثمينة كتابه (شرح
حديث رأس الجالوت) الذي حققه محمد رضا حسيني

يتدئ المؤلف الملا عبد الصاحب محمد بن أحمد النراقي شرحه بمقدمة
استهلها بالبسملة بالتحميد والثناء الصلاة على محمد وآله الطاهرين^(١٧)
ثم يذكر لنا سبب تأليف هذا الشرح، والذي يتمثل في أن بعض أصدقائه
الفضلاء قد سأله بيان معنى هذا الحديث الشريف، مقراً بأن هذا الحديث
أشبه ما يكون بالمرموز سؤالاً وجواباً، ولم يكن في وسع المؤلف أن يردّ
طلب هذا الصديق العزيز، قائلاً: (يقول الرّاجي إلى رحمة ربّه الباقي محمد
بن أحمد بن محمد مهدي النراقي: إن بعض الفضلاء الأركياء الأصدقاء



سألني عن بيان معنى هذا الحديث الشريف الذي هو شبه المرموز سؤالاً وجواباً، فأجبتُه مع قصور البال واختلال الأحوال إذ لم يسعني ردّه^(١٨)

ثم يورد نص كلام هذا الصديق الذي يطلب بيان معنى هذا الحديث الشريف وشرحه على وجه التفصيل^(١٩) ويفهم من نص كلام الصديق أن من يتصدى لشرح الكلام المرموز لابد أن يكون من العلماء العارفين بأسرار كلمات المعصومين (عليه السلام) حتى يتمكن من كشف معاني هذا الحديث وبيانها وشرحه على وجه التفصيل ، إذ يقول في مخاطبة النراقي: (أيها العالم الرباني، والعارف الصمداني، والكاشف لأسرار كلمات المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، المأمول من لطاف جنابكم أن تمنّوا عليّ بيان معنى هذا الحديث الشريف وشرحه وتبينه على وجه التفصيل)^(٢٠)

وقد بدا واضحاً أن تعدد أشكال المرموز في هذا الحديث في أسئلة رأس الجالوت ، الذي سأل عن أمور متعددة بطريقة مرموزة يشوبها الكثير من الغموض والخفاء.

أما ما يخص أجوبة الإمام المرموزة فتتمثل في الإجابة على أسئلة رأس الجالوت بجمل استفهامية تحاكي الرمزية المستعملة في الأسئلة إذ يقول الإمام في جوابه المختصر: (يا ابن أبيه ، أي شيء تقول ، ومَنْ تقول ، ولمن تقول ؟ بينا أنت أنت صرنا نحن نحن . فهذا جوابٌ موجز)^(٢١) ويكمن الترميز العالي في الإجابة على السؤال باستفهامات متعددة متتابعة .

أما ما يخص منهج النراقي في كشف المعاني المرموزة في هذا الحديث فقد جرى معالجتها في مستويات متعددة ، فعمد أولاً إلى الكشف عن غرض السائل، إذ سلط الضوء على غرض السائل (رأس الجالوت) من توجيه هذه الأسئلة إلى الإمام الرضا (عليه السلام) ؛ إذ أن معرفة الغرض من السؤال كفيلة إلى حدّ ما بكشف الغموض الذي يكمن وراء الأسئلة المرموزة ،

و النراقي يشخص بدقة ووضوح أن السائل (رأس الجالوت) كان يعمد إلى تفريع الأسئلة وتكثيرها من باب (الألغاز) و(الأحجية) فقال عن تكرار الأسئلة مع إنها عبارة عن سؤال واحد: (فإنه ظاهر في كون مدّعه في سؤالاته واحداً ، وإنما أوردتها ثانياً شبه ألغاز وأحجية) (٢٢)

وقد حدد النراقي الغرض الأصلي من المحاجة مع الإمام عليه السلام برغبة (رأس الجالوت) بإفحام الإمام وإظهار عجزه عن الإجابة (٢٣) وهو يؤكد أن قصد رأس الجالوت (من الاستفهام مجرد المحاجة لا استفادة الحق) (٢٤) وإذا كان غرض السائل قطع المسؤول عن الإجابة، وإظهار عجزه أمام الناس؛ كان من الطبيعي أن يلجأ إلى إيراد الأسئلة مرموزة أشبه ما تكون بالألغاز والأحاجي، حتى يضيق على المسؤول سبل الإجابة.

بعد ذلك سارع النراقي إلى الكشف عن مجموعة الأفكار والعقائد التي اتكأ عليها رأس الجالوت في توجيه هذه الأسئلة المرموزة إلى الإمام الرضا عليه السلام؛ لأن من شأن الكشف عن متبنيات السائل أن يسهم في توجيه الأسئلة وحلها، فابتدأ النراقي أولاً بتعريف شخصية رأس الجالوت قائلاً: (أقول: رأس الجالوت هو أكبر علماء اليهود، كما أن القسيس والجالتيق والبطريق من رؤساء علماء النصارى) (٢٥)

ثم عرّف ثانياً باليهود ومن أين جاءت تسميتهم بهذا الاسم (٢٦)، ثم أوضح أهم الادعاءات التي يؤمن بها اليهود (واليهود ادّعوا أن الشريعة لا تكون إلا واحدة وهي ابتدأت بموسى عليه السلام وتمت به، فلم تكن قبله شريعة إلا حدود عقلية وأحكام مصلحية، كما لم يكن قبل التوراة كتاباً وإنما صحف ومواعظ، ولا يكون بعده شريعة أخرى؛ لأن النسخ في الأحكام بداء وهو ممتنع على الله سبحانه. وقد حكى الله تعالى عنهم نفى البداء لقوله عز وجل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ (٢٧)

ثم يبيّن أهم مرتكز من متبنيات رأس الجالوت في طرح الأسئلة وهو عقيدة (الجبر) بمعنى أن الإنسان مجبور على أفعاله قائلًا: (وتلك السؤالات لرأس الجالوت مبيّنة على مذهب الجبر والاضطرار في أفعال الإنسان، وغرضه من الإيراد أصحاب الشرائع والأديان في تمييزهم بين الكفر والإيمان في استحقاق الجنة والنار والأجر والعقاب ، والاستمداد له على طريق الحاجة بالآية الشريفة) (٢٨)

فالأساس الذي ينطلق منه رأس الجالوت في استفهاماته مبني على أن الإنسان مجبور على أفعال الخير والشر؛ ولذا لا يكون هناك بحسب هذه العقيدة ما يستلزم وجود المؤاخذه والعقاب والأجر والثواب، والنراقي يكرر التأكيد على هذه الفكرة التي ينطلق منها رأس الجالوت قائلاً: (الاستفهامات منساقّة للإيراد على التفرقة بين الكفر والإيمان في المؤاخذه والعقاب والأجر والثواب، على رأيه الفاسد من مجبوريّة كلّ أحدٍ على ما عليه من الكفر أو الإيمان، فلا يكون هناك ما يستلزم العذاب^(٢٩)

ويؤكد هذه الفكرة في موضع آخر قائلاً: (تلك استفهامات مبنية أيضاً على الإنكار على التمييز بين الكفر والإيمان باستحقاق الثواب أو العقاب في الجزاء) (٣٠)

وإذا كان هذا منطلق رأس الجالوت في طرح الأسئلة؛ سهل علينا فيما بعد أن نعرف أنه لم يكن يستفهم عن ماهية تلك الأمور وحقيقتها المتعارفة، بل كان يرمز بتلك المصطلحات إلى أمور أبعد من ذلك، وهذا ما رصده النراقي في تعقيبه على سؤال رأس الجالوت (ما الكفر وما الإيمان؟) فقد ذهب إلى أن رأس الجالوت يرمي بذلك إلى بطلان العذاب على من يكفر لأن الإنسان مجبور على الكفر والإيمان، ولم يكن يستعلم حقيقة عن ماهية الكفر والإيمان^(٣١)

أما الخطوة التالية في منهج النراقي فهي القيام بعملية البحث عن طبيعة الأسئلة المرموزة الموجهة إلى الإمام ، وتلخيص محتواها، وحصرها في سؤال واحد، وقد انتهى النراقي إلى إرجاع الأسئلة المتعددة إلى مقصد واحد، ذلك أن منطلقها واحد فيكون المراد منها واحداً ، وقد استدل على ذلك من خلال أجوبة الإمام التي تظهر أن الإجابة عن الأسئلة المختلفة يكفيها جواب واحد، لقوله (عليه السلام) : (وبما قلنا يظهر جواب باقي سؤالاتك) (٣٢) إذ يقول النراقي معقبا على الكلام المتقدم إن هذا الجواب من الإمام (ظاهر في كون مدعاه في سؤالاته واحداً) (٣٣) ويقول في موضع آخر: (وأجوبة الإمام (عليه السلام) عنها الظاهرة في كون المقصود منها واحداً ، كما سننبه عليه) (٣٤) ويقول في موضع آخر (وعرفت أن المقصود منها واحداً فيكفيها جواب واحد) (٣٥) وفحوى السؤال الواحد: كيف يستحق الإنسان العذاب أو الثواب وهو مجبور على الفعل؟ بحسب مدعاه.

ومن خلال شرح النراقي يمكن الكشف عن بناء الكلام المرموز، والتعرف على الأسباب التي تكمن خلف جعل كلام معين أشبه بالألغاز أو الأحجية أو بمعنى آخر ما الذي يجعل الكلام مرموزاً، فالبعبارة المرموزة قد تعتمد في غموضها على صورة السؤال والجواب، والكلام المرموز يقوم عادة (شأنه في ذلك شأن بقية أنواع الكلام المملغز) على قسمين اثنين: أولهما السؤال المرموز الذي يصنعه السائل بمواصفات التمويه والتلبيس من اجل إظهار البراعة في إفحام الشخص المسؤول. أما القسم الآخر فيتمثل في جواب السؤال المرموز والذي يقوم به الشخص الذي يتصدى لحل الكلام المرموز.

وقد تجسد الرموز بقسميه في حديث رأس الجالوت، فقسمه الأول هو سؤال رأس الجالوت الموجه للإمام الرضا (عليه السلام) (سأل رأس الجالوت مولانا



الرضا عليه السلام فقال: يا مولاي، ما الكفر؟ وما الإيمان؟ وما الكفران؟ وما الجنة والنيران، وما الشيطانان اللذان كلاهما مرجوآن؟ وقد نطق كلام الرحمن بما قلت حيث قال في سورة الرحمن: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ ^(٣٦)... «يا رئيس المسلمين، ما الواحد المتكثر والمتكثر المتوحد الموحد والموجد والجاري المنجد والناقص الزائد» ^(٣٧)

أما القسم الآخر فتمثل في جواب الإمام الرضا عليه السلام على هذا السؤال المرموز بجواوين أحدهما موجز وثانيهما مفصل، (فلما سمع الرضا عليه السلام كلامه، ورأى تسويل نفسه له، قال: «يا ابن أبيه، أي شيء تقول، وممن تقول، ولمن تقول؟ بينا أنت أنت صرنا نحن نحن. فهذا جوابٌ موجز. وأما الجواب المفصل فأقول اعلم إن كنت الداري والحمد لله الباري...» ^(٣٨))

وقد استثمر السائل (رأس الجالوت) ما في الاستفهام من طاقة التشويق، إذ من شأن السؤال بطبيعته أن يثير فضول السامع، ويجذب انتباهه، ويشدّ ذهنه، فإذا جمع له التمويه وقصد التلبيس وإعياء السائل كان ذلك أكثر إثارة في التحدي، وأشدّ إحكاما في المعايّة، وأزيد في جعل السامع متيقظا، وهو ما نجده في الأسئلة المرموزة التي وجهها (رأس الجالوت)

والملاحظ في جواب الإمام الرضا عليه السلام على السؤال المرموز أنه استثمر طاقة الاستفهام تلك في الردّ على أسئلة رأس الجالوت، فأجاب على الاستفهامات المرموزة باستفهامات مرموزة أيضا في الجواب الموجز ((فلما سمع الرضا عليه السلام كلامه، ورأى تسويل نفسه له، قال: «يا ابن أبيه، أي شيء تقول، وممن تقول، ولمن تقول؟ بينا أنت أنت صرنا نحن نحن. فهذا جوابٌ موجز» ^(٣٩))

ومن شأن هذه الاستفهامات المرموزة المجملّة والمكثّفة والمبهمة أن تدخل السائل نفسه في حيرة الترقب والتطلع والتشوق إلى معرفة التفاصيل في الجواب المفصل، ويزيد الجواب تمكنا في النفس، فالمعاني إذا أُلقيت على سبيل الإجمال

والإيهام تشوقت نفس السامع إلى معرفة تفاصيلها، وعندما يأتي التفصيل والإيضاح، يكون أشد وقعاً وأقوى أثراً، لأنه جاء والنفس تبحث عنه، فيكون شعورها به أتم ولذتها بالعلم به أكمل، لأن الشيء إذا نبّل بعد الطلب والمشقة والبحث والتنقيب، يكون أوقع في النفس وأشد تأثيراً.

أما الآلية الأخرى التي يقوم عليها بناء الكلام المرموز فهي إيهام اجتماع المتنافيين وهي استراتيجية معتمدة في كثير من نصوص الكلام المرموز أو الملغز، فالسائل يبني السؤال على إيهام السامع أن العبارة تستلزم اجتماع المتضادين أو الحكم بوجود المتنافيين، وهو أمر لا يتقبله العقل السليم والفطرة الإنسانية الصحيحة، فالعقل يحكم ببطلان اجتماع الشيء ونقيضه في الآن نفسه، ومن شواهد إيهام اجتماع المتنافيين ما ذهب إليه رأس الجالوت في استدلاله بالآيات القرآنية من سورة الرحمن، فقد ذهب إلى إن الشيطانين اللذين يسببان الكفر (هما من النعماء المرجوة التي من الله بها على عباده في سورة الرحمن في قوله ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾^(٤٠) حيث إن الآية في مقام الامتنان، ودلت على مجبورية الكفر والإيمان، فيكون سببها مرجواً)^(٤١) وعليه (فالإغواء الذي ينسب إلى النفس الأمارة هو من الفطرة الأصلية والجبلة الخلقية، وما ينسب إلى الشيطان من الوسوسة والإضلال هو من تعليم الله سبحانه)^(٤٢)

وهو بهذا يريد إيهام التناقض بين إيقاع العقوبة على من يكفر بالله وبين كون الموجد لذلك هو الله، فكيف يعذب الله شخصاً على ما أوجده فيه؟ وقد يعمد الشخص المرمز إلى الجمع في كلامه بين الشيء وضده، مما يجعل السامع في دائرة الحيرة والغموض من اجتماع المتناقضات في الوقت ذاته، ويوقعه في شرك توهم اجتماع المتنافيين، ومن شواهد ذلك ما في قول رأس الجالوت سائلاً الإمام الرضا عليه السلام (يا رئيس المسلمين، ما الواحد المتكثر والمتكثر المتوحد الموجد والموجد والجاري

وإما بالطريق الثالث وهو الاستعلام كما بينه النراقي .

وقد طبق المولى النراقي مسألة الاحتكام إلى العرف واللغة بمستويات متعددة ، يأتي في مقدمتها شرح المفردات وإيضاح معانيها، فقد يقف عند اللفظة ويُبيّن بابها الصرفي، ومعناها اللغوي ، ووجه العلاقة المعنوية لها، كما في وقوفه عند الفعل (يُحِر) في عبارة (فلما سمع الرّضا عليه السلام كلامه لم يُحِر جواباً)^(٤٦)

إذ يقول ((لم يُحِر) من باب الفعل الأجوف الواويّ ، من المحاوراة بمعنى المجاورة ، لما فيها من مراجعة كلّ من المتحاورين القول وردّ الكلام، يقال: تحاور الرجلان: إذا ردّ كلّ منهما على صاحبه)^(٤٧)

وكما فعل عند وقوفه على لفظة (نَكَت) في عبارة (ونكت بإصبعه الأرض)^(٤٨) إذ يقول : (ونكت من ينكّت بضمّ الكاف : أي يفكّر ويحدّث نفسه . ونكت الأرض بالقضيب ، وهو أن يخطّ بها خطأً فيؤثر فيها كالفكّر المهموم)^(٤٩)

وقد يعزز الشرح اللغوي بذكر بعض المعاجم اللغوية التي تؤيد ما ذهب إليه في تفسير تلك اللفظة ، كما نرى ذلك عند وقوفه على لفظة (أطرق) في عبارة (وأطرق ملياً)^(٥٠)

إذ يقول : (و « أطرق » أي أرخى عينيه ينظر إلى الأرض . وفي الصّحاح عن يعقوب : أطرق الرّجل إذا سكت فلم يتكلّم)^(٥١)

وقد يعتمد إلى بيان اصل بعض الألفاظ ، وذكر معناها مستندا إلى بعض المعاجم ، كما في كشف معنى (بَيَّنّا) في جواب الإمام عليه السلام (بَيَّنّا أنت أنت صرنا نحن نحن)^(٥٢)

إذ يقول الشارح : (وبَيَّنّا أصله : بين والألف حصل من إشباع الفتحة، يقال: بينا ، وبينما بزيادة كلمة « ما » ، والمعنى واحدٌ ، تقول : بينا نحن نرقبه أئانا ، وتقديره : بين أوقات رَقَبْنَا أئانا . وفي النّهاية : بينا وبيننا ظرفان

بمعنى المفاجأة ، مضافان إلى جملة ، يحتاجان إلى جواب يتم به المعنى^(٥٣) وقد يستعين بالنصوص القرآنية في فهم المفردات كما نرى ذلك في إيضاح سبب اطلاق لفظة (اليهود) عليهم ، إذ يقول: (واليهود من هاد الرجل إذا تاب ورجع قَبَلَ إيمانه ، فلهم هذا الاسم لقول موسى ﷺ : «إِنَّا هُذْنَا إِلَيْكَ»^(٥٤) أي رجعنا وتضررنا)^(٥٥)

وربما عمد النراقي إلى الاستعانة ببعض النصوص القرآنية في تقوية ما يذهب إليه في فهم المراد من بعض العبارات، كما في ذهابه إلى إمكان أن يكون المراد بتعليم البيان من الله هو تعليم العقائد الإيمانية الحقّة ، إذ يقول: (ويمكن أن يكون المراد بالبيان العقائد الإيمانيّة الحقّة ، أو ما يعمّ نحوها من العلوم الدنيّة وبتعليمها إعطاء أسباب حصولها من نصب دلائل الربوبيّة، وإيجاد المشاعر الإدراكيّة ، بأن ركب في عقولهم ما يدعوهم إلى الإقرار بالعقائد الإيمانيّة ، وهو الفطرة التي فطر الناس عليها ، ومنّ عليهم بها. ومنّ عمي وكفر ، فقد غشاها وعليها ستر، بسوء اختياره من التماهي في الغفلة واتباع الشّهوات . ويشير إلى هذا قوله سبحانه : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾^(٥٦) يعني نشر حقائقهم من أصلاب معادنها الأصليّة ومبادئها العقلانيّة، ونصب لهم دلائل الربوبيّة وأعطاهم القوى الإدراكيّة والمشاعر العقليّة الداعية إلى الإقرار بها ، وصارت بها ذواتهم شهوداً ويسمعون بها خطاب «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ» كما يسمعون الخطاب في الدنيا بالقوى البدنيّة الحيوانيّة ، وقالوا باللسنة تلك العقول: بلى أنت ربّنا . وهذا الاستشهاد من جهة كراهة أن يقول الجاحدون يوم القيامة: «إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ»^(٥٧) دلّت الآية على إقرار الجميع باقتضاء فطرتهم الأصليّة بالربوبيّة ، وعلى إمكان خروجها عنها بالغفلة)^(٥٨)

وقد يعمد النراقي إلى تسويغ ورود بعض الألفاظ في سياقات لغوية محددة، كما في توضيح العلة التي من أجلها بدأ الإمام جوابه المفصل بتحميد الله الباري في عبارة (اعلم إن كنت الداري والحمد لله الباري)^(٥٩) إذ يقول النراقي: (وبدأ بحمد الله الباري ؛ ليكون أوّل كلامه ردّاً على شبهة السائل ، لأنّ كلمة التحميد المعروفة في الألسنة والأسماع الدالة على استحقاقه تعالى للحمد كلّ . فتوصيفه بالباري المشعر بالعلية يشهد بأن فعله مطلقاً - خصوصاً خلق الأشياء الذي منه خلق الإنسان - محمودٌ وخير محض ، فلا يصدر عنه الشرّ ولا يظلم ، ولا يجوز في الجزاء بتوهم كونه شرّاً ، كما وقع للسائل في خلقة الكفر خطأً في الفكر القاصر)^(٦٠)

وكما فعل في كشف العلة التي من أجلها ختم الإمام جوابه بتحميد (الرحمن) و(الصلاة على رسوله) ، و(لعن الشيطان) في عبارة (وبما قلنا يظهر جواب باقي سؤالاتك ، والحمد لله الرحمن ، والصلاة على رسوله المبعوث إلى الإنس والجان ، ولعنة الله على الشيطان)^(٦١)

إذ يقول الشارح (قوله عليه السلام): « والحمد لله الرحمن » إلى آخر الحديث، شكرٌ لله عزّ وجلّ على إلزام الخصم وتسكينه ، وذكر الرحمن للإشارة إلى رحمته العامّة الدالة عليها الآية السابقة التي عرفت شمولها للمؤمن والكافر من خلقهما ، والتنبية على كونه وجه تصدير السورة باسم الرحمن. والصلاة واللعن إرشاد لرأس الجالوت بالتوسّل بالرسول ﷺ المبعوث على الثقلين للهداية إتماماً للحجّة ، والاستعاذة من الشيطان المخلوق في قبالة للغواية تكميلاً للامتحان)^(٦٢)

وربما عمد النراقي إلى تعداد المعاني المحتملة الممكنة في العبارات اللغوية، فيضع أمام القارئ توجيهات متعددة للعبارة الواحدة من غير ترجيح لأحدها، في إشارة واضحة إلى إمكانية إرادة تلك المعاني في تلك

العبرة لتناسب تلك الاحتمالات وعدم التنافي بينها، كما فعل في تعداد المعاني المحتملة في عبارة (وما الكفران؟) (٦٣)

إذ يقول النراقي في تعداد المعاني المحتملة: (والكفران يحتمل أن يكون عطفاً تفسيرياً للكفر والإيمان، فكان المراد بهما الكفر بالرحمن والكفر بالشيطان. والتعبير عنهما ثانياً؛ للإشارة إلى ما عبّر عنهما بالكفر في القرآن... وأن يكون المراد منهما الكفر بالمعنى المتداول، بملاحظة أرباب المذهبين، حيث يسمي كل منهما معتقداً آخر كفراً، وإن اختص أحدهما بهذا الاسم في نفس الأمر. ويحتمل أن يكون المراد كفران النعمة، أي مطلق العصيان الموجب للمؤاخذة على اعتقاد المسلمين) (٦٤)

وقد يحتمل النراقي رواية أخرى لبعض الألفاظ الواردة ويبنى عليها احتمال المعنى الآخر، كما فعل في احتمال أن تكون الرواية بالسين وليس بالشين في لفظة (الشيطان) في عبارة الإمام (عليه السلام) (إنَّ الكفر كفران؛ كفرٌ بالله، وكفرٌ بالشيطان، وهما الشيطان المقبولان المردودان، لأحدهما الجنة وللآخر النيران وهما الشيطان المتفقان المختلفان وهما المرجوان، وهما الشيطان المقبولان المردودان) (٦٥)

إذ يقول (ويحتمل أن يكون المذكور في الرواية «السيان» بالسين المهملة، والمقصود واحدٌ يعنى هما متماثلان من جهة الاختيار وعدم الإكراه والإجبار، والقبول والردّ لهما موكولٌ إلى إرادة الإنسان واختياره) (٦٦) وهذه هي أهم الطرق المقررة في العرف واللغة التي استفاد منها النراقي في فهم المراد من الخطاب في هذا الحديث الشريف

المبحث الثالث: المضامين التربوية في حديث رأس الجالوت:

يتضمن هذا الحديث الشريف مجموعة من القيم التربوية الرائعة يأتي في مقدمتها التواضع للعالم وإظهار الاستعداد للتعليم، وهو دليل على شرف

النفس وسمو الذات^(٦٧) ويظهر ذلك واضحاً في هذا الشرح من خلال طلب بعض الفضلاء الأذكىاء من المولى النراقي بيان معنى هذا الحديث الشريف، بعبارات التواضع التي تظهر الاحترام الشديد للعالم من خلال استخدام ألفاظ التعظيم والتبجيل مثل «أيها العالم الرباني» و«الكاشف لأسرار كلمات المعصومين» في قولهم «أيها العالم الرباني، والعارف الصمداني، والكاشف لأسرار كلمات المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، المأمول من أطفاف جنابكم أن تمنوا عليّ بيان معنى هذا الحديث الشريف وشرحه وتبيينه على وجه التفصيل»^(٦٨)

إذ تظهر هذه الكلمات إقرار السائل بجهله والطلب من العالم شرح الحديث الشريف وتبيينه على وجه التفصيل، كما يؤكد السائل على مكانة العالم العلمية وفضله من خلال استخدام عبارات مثل «المأمول من أطفاف جنابكم».

والمبادرة إلى إجابة طالب العلم يظهر الشعور الداخلي الذي يلزم العالم ببذل قصارى جهده لنشر العلم والمعرفة بين الناس، والإجابة على أسئلتهم بدقة، وتتمثل هذه القيمة في عدم تأخر المولى النراقي في إجابة السائل الذي طلب بيان معنى الحديث، إذ يقول: (إن بعض الفضلاء الأذكىاء الأصدقاء سألني عن بيان معنى هذا الحديث الشريف الذي هو شبه المرموز سؤالاً وجواباً، فأجبتهم مع قصور البال واختلال الأحوال إذ لم يسعني رده^(٦٩) فعلى الرغم من قلة وقته وانشغاله، بادر العالم إلى الإجابة عن سؤال السائل، وعبر عن شعوره بالمسؤولية بقوله «لم يسعني رده»، كما يظهر حرص العالم على شرح الحديث الشريف بأسلوب سهل وبسيط. وأهمية التفكير والتأمل في السؤال قيمة تربوية سامية ينبغي على العلماء التحلي بها قبل الإقدام على الإجابة عن أسئلة الآخرين، وأن يحسن التأمل في

السؤال (٧٠) ومما يؤيد الجانب التربوي في هذا التأني وعدم التسرع أن العرب كانت تضع للحكيم أمارة وهي التروي وعدم الاستعجال في الجواب حتى (قيل: من أمارة الحكيم التروّي في الجواب بعد استيعاب الفهم) (٧١)

وعندما سأل رأس الجالوت مولانا الرضا عليه السلام، لم يُجِبْ الإمام على الفور مع حضور الجواب عنده ذلك (لما سمع الرضا عليه السلام كلامه لم يُحِر جواباً، ونكت بإصبعه الأرض وأطرق ملياً) (٧٢) في إشارة واضحة إلى أهمية التّفكّر والتّأمّل قبل الإجابة عن أيّ سؤال، مع لحاظ علم الإمام الواسع بمجريات الأمور وأحداثها .

ذلك اليهودي - أنه يسأل منه سؤالاً آخر وأراد أن يُجيب عنهما بجواب واحد إظهاراً لِعُلُوِّ فضله وتعريضاً على افتخاره بعلمه ، ليكون أتمّ في إسكاته وإفحامه ، وكان كالإعجاز له أو لتوقير الحكمة . كما روي عن مولانا وسيّدنا أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه سئل عن مسألة فتراخى في الجواب، وأجاب بعد التأمل . فقليل له في ذلك، فقال: توقيراً للحكمة (٧٣)

ويُظهر لنا النص قيمة تربية أخرى تتمثل في كون الحوار الهادي والعقلاني هو السبيل الأمثل لنشر الدين وإقناع الآخرين، وهو ما يؤكد عليه دعاة الحوار الهادي اليوم (٧٤) وقد ظهر في النص جلياً (فلما سمع رأس الجالوت كلامه (عليه السلام) بهت وتحيّر وشهق شهقة...) (٧٥)

حيث استطاع الإمام (عليه السلام)، من خلال حوارهِ مع رأس الجالوت، أن يهديه إلى طريق الحق، إذ لم يلجأ الإمام (عليه السلام) إلى العنف أو التهديد في حوارهِ مع رأس الجالوت، بل استخدم الحوار الهادي والعقلاني ، واستند الإمام (عليه السلام) في حوارهِ على العقل والمنطق، مقدّماً حججاً قوية وبرهاناً دامغاً ، وهو ما أوجد التأثير الإيجابي على شخصية رأس الجالوت، وجعله متحيراً مبهوراً مسلماً بأدلة الإمام (عليه السلام) وبراهينه ويعلن استسلامه للحق .

أما التسامح وتقبل الآخر اللذان ظهرا في الحديث فهما من أهم القيم الإنسانية التي تُعزّز التآخي والترابط بين أفراد المجتمع، وهو ينبثق من الإيمان بالله تعالى ورحمته الواسعة. وقد تجلّت هذه القيمة جليّةً في حديث رأس الجالوت ، إذ اتّصف الإمام (عليه السلام) بالتسامح مع أصحاب المذاهب المختلفة، واحترامه لآرائهم، حتى لو كانت مخالفة لرايه ، وتمثل في استماع الإمام (عليه السلام) باهتمام لآراء مخالفة لرايه (فلما سمع الرضا (عليه السلام) كلامه لم يُجر جواباً ، ونكت بإصبعه الأرض وأطرق مليّاً) (٧٦) وهذا ينبئ عن سعة صدر الإمام (عليه السلام) ويُظهر صبره على سماع الآراء المخالفة له، وتفنيدها بأسلوب هادي ومنطقي.

ومن القيم التربوية التي وردت في هذا الشرح هي المسؤولية الفردية عن اختيار في الأفعال، التي تُشكل ركيزة أساسية في تربية الإنسان على الأخلاق الحميدة والسلوك القويم^(٧٧)، والتي تعني أن الإنسان مخلوق مسؤول عن أفعاله، وأنه يملك حرية الاختيار بين الخير والشر، ولذا يُحاسب على أفعاله، إذ يقول النراقي في شرح بعض كلام الإمام عليه السلام: (خلق الإنسان على وجه يقبل التعلّم، وعلمه ما يفصل ويبين كلّ شيء فإنه خلق الإنسان وسوّى نفسه فألهمها فجورها وتقواها، وهده النجدين سبيل الخير وسبيل الشرّ، فمن يَحْيَ يَحْيَ عن بَيِّنَةٍ، ومن يهلك يهلك عن بَيِّنَةٍ، وهما من أجلّ نعماء الله عزّ وجلّ للإنسان).

فلا يستلزم جبراً ولا إكراهاً، إذ إرشاد السبيل وإراءة طريق الخير والشرّ ليس بمعنى إلزامه والإكراه عليه^(٧٨).

فالنص يُؤكّد على أن الإنسان يملك حرية الاختيار بين الخير والشرّ، وأنه مسؤول عن أفعاله. ويُشير إلى أن الله تعالى هدى الإنسان سبيل الخير وسبيل الشرّ، دون إجبار أو إكراه على أيّ منهما، وهو ما يؤكد على أن الإنسان يملك حرية الاختيار في أفعاله الصالحة والطالحة، والعقل حاكم بأنّ الإنسان مسؤول عنها، وأنه لا يُمكن تحميله مسؤولية أفعال لم يخترها، وأنه سيحاسب على أفعاله في الدنيا والآخرة، وهذه القيمة من أهمّ القيم التربوية الإسلامية التي تُساعد الإنسان على بناء شخصيته الأخلاقية، لأنه مسؤول عن أفعاله، ويجب أن يُحاسب عليها، كما يجب عليه أن يسعى جاهداً لتنمية أخلاقه الحميدة وسلوكه القويم.

كما يُقدم لنا النص نموذجاً هاماً لتحليل دوافع طرح الأسئلة، حيث يُشير الشارح إلى أن قصد رأس الجالوت (من الاستفهام مجرد المحاجة لا استفادة الحق)^(٧٩) فهو لا يسعى من خلال أسئلته إلى المعرفة، بل إلى الجدل والمُحاجة،

فطرح الأسئلة لا يعني بالضرورة السعي للمعرفة فقد يكون الهدف من طرح الأسئلة هو الجدال أو التشكيك أو المحاجة ، ولذا ينبغي التمييز بين طالب المعرفة والمجادل ، فطالب المعرفة يسعى لفهم الحقائق وتوسيع آفاقه ، بينما المجادل يسعى لإثبات وجهة نظره أو إضعاف وجهة نظر الآخر .

كما يُقدّم النصّ نموذجاً رائعاً لأدب الحوار الذي يجمع بين الإيجاز والدقة والشرح والتفسير والتحليل ، إذ قدّم الإمام (عليه السلام) جوابين أحدهما موجز والآخر مفصل (فهذا جوابٌ موجز ، وأمّا الجواب المفصل فأقول: اعلم) ^(٨٠) وهو ما يسهم في تحقيق التواصل الفعّال بين الناس ، ويُظهر أهمية التوازن بين الإيجاز والتفصيل في الحوار . ففي بعض الأحيان ، يكون الإيجاز كافياً لفهم المعنى ، بينما في أحيان أخرى ، يكون من الضروري التفصيل والشرح لتجنب الغموض . ويعتبر التسليم والاعتراف بالحق من القيم التربوية التي يمكن استخلاصها من النص (فلما سمع رأس الجالوت كلامه (عليه السلام) بهت وتحيّر وشهق شهقة وقال : (أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمداً رسول الله ﷺ ، وأنتك وليّ الله وصيّ رسولِهِ ومَعْدِنُ عِلْمِهِ حقاً حقاً) ^(٨١)

حيث يظهر لنا رأس الجالوت نموذجاً للإنسان الذي يواجه الحق فيسلم به ويقرّ به ، تاركاً وراءه كل ما قد يعيق قبوله ، ويُظهر لنا موقف رأس الجالوت الأخير كيف أنّ التسليم للحق لا ينحصر في الإيمان بالله تعالى فقط ، بل يتعداه إلى الإيمان برسول الله ﷺ ووصيه الإمام (عليه السلام) ، ولم يكتفِ رأس الجالوت بالتسليم للحق ، بل اعترف به علناً ، متحدّياً بذلك كلّ الضغوطات التي قد يتعرض لها .

خاتمة البحث :

بعد رحلة علمية عبر صفحات هذا البحث، حان وقت حصاد النتائج وخلاصة الأفكار التي تم طرحها، ويمكن تلخيصها بالآتي :

يُعدّ حديث رأس الجالوت من الأحاديث الشيعية المهمة، لما تضمنه من معارف عميقة في مختلف المجالات، ويُصنّف من الأحاديث المعقدة والمليئة بالألغاز، ممّا يتطلب بذل جهد كبير لفهم معانيه. وقد حظي هذا الحديث باهتمام كبير من قبل العلماء والشرّاح، ممّا أدّى إلى كتابة العديد من الشروح والتفسيرات التي تُثري فهمنا للحديث وتُساعدنا على استخراج معانيه المختلفة.

تميز منهج النراقي في شرحه بالتحليل الدقيق؛ إذ كشف عن الغرض من الأسئلة المرموزة والأفكار والعقائد التي اعتمدها رأس الجالوت، وأظهر قدرة فائقة في كشف بناء الكلام المرموز وتفسيره، وأكد على أهمية فهم الخطابات الموجهة للمتلقّي من خلال طرق محدّدة، وتميز شرحه بالدقة اللغوية والاعتماد على المعاجم والآيات القرآنية.

يُعدّ شرح المولى النراقي لحديث رأس الجالوت نموذجاً غنياً بالقيم التربوية، ويُقدّم دروساً هامة في التواضع واحترام المعلم، والتأني في الإجابة، والحوار الهادئ، والتسامح، وتأكيد المسؤولية الفردية عن اختيار الأفعال، وتحليل دوافع طرح الأسئلة، وأدب الحوار، والتسليم والاعتراف بالحق.

الهوامش:

- ١- ينظر عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، الشيخ الصدوق، ص ١٤٠-١٤٢
- ٢- شرح حديث رأس الجالوت، ملا عبد الصاحب محمد بن أحمد النراقي، تحقيق: محمد رضا حسيني، مجلة (ميراث حديث شيعه)، ج ٢، ص ٢٤١-٢٤٢
- ٣- معجم ما كتب عن الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، ج ٨، عبد الجبار الرفاعي، ص ٥١٨
- ٤- ينظر: التعليقة على الفوائد الرضوية، مقدمة التحقيق، ص ١٠
- ٥- ينظر: معجم ما كتب عن الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، ج ٨، عبد الجبار الرفاعي، ص ٤٩٤
- ٦- ينظر: معجم ما كتب عن الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، ج ٨، ص ٤٩٤
- ٧- الذريعة، ج ١٦، ص ٧٠
- ٨- ينظر: التعليقة على الفوائد الرضوية، ٤٠
- ٩- م. ن: ٤١
- ١٠- ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٣، ص ١٦٢
- ١١- التعليقة على الفوائد الرضوية، ص ٧٦
- ١٢- شرح حديث رأس الجالوت، ٢/ ٢٤٠
- ١٣- م. ن: شرح حديث رأس الجالوت، ج ٢، ص ٢٤٦
- ١٤- ينظر: معجم طبقات المتكلمين، ج ٥، ص ٢١٧، وينظر: موسوعة طبقات الفقهاء، ج ١٣، ص ٧٤٢، وينظر: لباب الألقاب في القاب الأطياب في معرفة أحوال الرجال من علماء الشيعة، ٢٣-٢٤.
- ١٥- ينظر: لباب الألقاب في القاب الأطياب في معرفة أحوال الرجال من علماء الشيعة، ٢٣-٢٤.
- ١٦- ينظر: م. ن، ٢٤. وينظر: مشارق الأحكام، المقدمة ص ٥
- ١٧- ينظر: شرح حديث رأس الجالوت، ج ٢، ص ٢٤٠
- ١٨- م. ن، ج ٢، ص ٢٤٠
- ١٩- ينظر: شرح حديث رأس الجالوت، ج ٢، ص ٢٤٠
- ٢٠- م. ن، ج ٢، ص ٢٤٠
- ٢١- م. ن، ج ٢، ص ٢٤١
- ٢٢- م. ن، ج ٢، ص ٢٤٦
- ٢٣- شرح حديث رأس الجالوت، ج ٢، ص ٢٤٧-٢٤٨

- ٢٤- م. ن. ج، ٢، ص ٢٤٦
- ٢٥- م. ن. ج، ٢، ص ٢٤٦
- ٢٦- م. ن. ج، ٢، ص ٢٤٦
- ٢٧- م. ن. ج، ٢، ص ٢٤٢-٢٤٣. والآية من سورة المائدة، الآية ٦٤
- ٢٨- شرح حديث رأس الجالوت، ج ٢، ص ٢٤٣
- ٢٩- م. ن. ج، ٢، ص ٢٤٣
- ٣٠- م. ن. ج، ٢، ص ٢٤٦
- ٣١- ينظر: م. ن. ج، ٢، ص ٢٤٣
- ٣٢- شرح حديث رأس الجالوت، ج ٢، ص ٢٤٦
- ٣٣- م. ن. ج، ٢، ص ٢٤٦
- ٣٤- م. ن. ج، ٢، ص ٢٤٣
- ٣٥- م. ن. ج، ٢، ص ٢٥٤
- ٣٦- سورة الرحمن، الآيات ١ - ٤
- ٣٧- شرح حديث رأس الجالوت، ج ٢، ص ٢٤٠-٢٤١
- ٣٨- م. ن. ج، ٢، ص ٢٤١
- ٣٩- شرح حديث رأس الجالوت، ج ٢، ص ٢٤١
- ٤٠- سورة الرحمن، الآية ٣ و ٤
- ٤١- شرح حديث رأس الجالوت، ج ٢، ص ٢٤٤
- ٤٢- شرح حديث رأس الجالوت، ج ٢، ص ٢٤٥
- ٤٣- م. ن. ج، ٢، ص ٢٤١
- ٤٤- م. ن. ج، ٢، ص ٢٤٦-٢٤٧
- ٤٥- شرح حديث رأس الجالوت، ج ٢، ص ٢٤٨
- ٤٦- م. ن. ج، ٢، ص ٢٤١
- ٤٧- شرح حديث رأس الجالوت، ج ٢، ص ٢٤٥
- ٤٨- م. ن. ج، ٢، ص ٢٤١
- ٤٩- م. ن. ج، ٢، ص ٢٤٥
- ٥٠- م. ن. ج، ٢، ص ٢٤١
- ٥١- م. ن. ج، ٢، ص ٢٤٥ وينظر: . الصحاح: ج ٤، ص ١٥١٥
- ٥٢- م. ن. ج، ٢، ص ٢٤١
- ٥٣- شرح حديث رأس الجالوت، ج ٢، ص ٢٤٧، وينظر: النهاية في غريب الحديث

والأثر: ١/ ١٩٦

٥٤- سورة الأعراف: ١٥٦

٥٥- شرح حديث رأس الجالوت، ج ٢، ص ٢٤٢

٥٦- سورة الأعراف، الآية ١٧٢

٥٧- سورة الأعراف، الآية ١٧٢

٥٨- شرح حديث رأس الجالوت، ج ٢، ص ٢٤٩-٢٥٠.

٥٩- م. ن. ج ٢، ص ٢٤١

٦٠- م. ن. ج ٢، ص ٢٥١-٢٥٢.

٦١- م. ن. ج ٢، ص ٢٤٢

٦٢- شرح حديث رأس الجالوت، ج ٢، ص ٢٥٤

٦٣- م. ن. ج ٢، ص ٢٤١

٦٤- م. ن. ج ٢، ص ٢٤٣

٦٥- شرح حديث رأس الجالوت، ج ٢، ص ٢٤١-٢٤٢.

٦٦- م. ن. ج ٢، ص ٢٥٢

٦٧- ينظر: الفكر التربوي الإسلامي عند الإمام جعفر بن محمد الصادق، ص ٢٢٠

٦٨- شرح حديث رأس الجالوت ج ٢، ص ٢٤٠

٦٩- شرح حديث رأس الجالوت، ج ٢، ص ٢٤٠

٧٠- ينظر: النخبة في الحكمة العملية والأحكام الشرعية، الفيض الكاشاني، ص ١٨٠

٧١- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج ١، الراغب الأصفهاني، ص ٩٥

٧٢- شرح حديث رأس الجالوت، ج ٢، ص ٢٤١

٧٣- شرح حديث رأس الجالوت، ج ٢، ص ٢٤٥-٢٤٦. وينظر: سفينة البحار ومدينة

الحكم والآثار، ج ٣، ص ١٧، وفيه الرواية عن رسول الله ﷺ

٧٤- ينظر: إضاءات في الفكر والدين والاجتماع، ج ٤، ص ٤٥٧

٧٥- شرح حديث رأس الجالوت، ج ٢، ص ٢٤٢

٧٦- شرح حديث رأس الجالوت ج ٢، ص ٢٤١

٧٧- ينظر: الطفل بين الوراثة والتربية، ج ٢، ص ٢٠٩

٧٨- شرح حديث رأس الجالوت، ج ٢، ص ٢٤٩

٧٩- م. ن. ج ٢، ص ٢٤٦

٨٠- شرح حديث رأس الجالوت، ج ٢، ص ٢٤١

٨١- م. ن. ج ٢، ص ٢٤٢



المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

* إضاءات في الفكر والدين والاجتماع،
حيدر حب الله ، مؤسسة البحوث
المعاصرة، ١٤٣٤ هـ. ق ، الطبعة الأولى

* الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ،
الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

* تراث الحديث الشيعي (ميراث حديث
شيعه) ، مهدي مهريزي وعلي صدرائي
خوئي ، مؤسسة دار الحديث ، ايران -
قم ١٣٨٠ هـ . ش

* التعليقة على الفوائد الرضوية ، السيد
الخميني (ت ١٤٠٩ هـ) مؤسسة نشر آثار
الإمام الخميني - تهران ، ١٣٧٨ هـ ،
الطبعة الثانية

* الذريعة ، آقا بزرك الطهراني
(ت ١٣٨٩ هـ) ، دار الأضواء - بيروت -
لبنان ، الطبعة الثالثة .

* سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار،
الشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩ هـ) دار
اسوه - قم (ايران) ، ١٤١٤ هـ . ق ،
الطبعة الأولى .

* الصحاح ، الجوهري (٣٩٣ هـ) تحقيق
:أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم
للملايين - بيروت - لبنان ، ١٤٠٧ -
١٩٨٧ م ، الطبعة الرابعة.

* الطفل بين الوراثة والتربية ، الشيخ
محمد تقى فلسفي (ت ١٤١٨ هـ) ، تعريب
وتعليق : فاضل الحسيني الميلاني ، مكتبة
الأوحد ، ١٤٢٦ - ٢٠٠٥ م.

* عيون أخبار الرضا عليه السلام ، الشيخ
الصدوق (ت ٣٨١ هـ) ، تصحيح وتعليق
وتقديم : الشيخ حسين الأعلمي ،
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت
- لبنان ، ١٤٠٤ - ١٩٨٤ م

* الفكر التربوي الإسلامي عند الإمام
جعفر بن محمد الصادق ، حسناء ديلمه ،
المكتبة العصرية - صيدا (لبنان) ، ١٤٣١
هـ . ق ، الطبعة الأولى .

* محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء
والبلاء ، الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ)
تحقيق : عمر فاروق طباع ، دار الأرقم بن
أبي الأرقم - بيروت ، ١٩٩٩ ق ١٤٢٠ ،
الطبعة الأولى.

* معجم ما كتب عن الرسول صلى الله عليه وآله وأهل
بيته عليهم السلام ، عبد الجبار الرفاعي ، وزارت
إرشاد - تهران ، ١٣٧١ ش ، الطبعة الأولى
* الملل والنحل ، الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ)
تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة -
بيروت - لبنان.

* النخبة في الحكمة العملية والأحكام
الشرعية ، الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ)
، تحقيق وتقديم : مهدي الأنصاري القمي
، مركز الطباعة والنشر لمنظمة الإعلام
الإسلامي ، ربيع الأول ١٤١٨ ، الطبعة
الثانية

* نهاية الأرب في فنون الأدب ، النويري
(ت ٧٣٣ هـ) ، وزارة الثقافة والإرشاد
القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف
والترجمة والطباعة والنشر.



مؤتمر الإمام الجواد عليه السلام

الأثر الفقهي والعقائدي لمناظرات المعصومين عليه السلام في العصر العباسي الأوّل مناظرة الإمام الجواد عليه السلام مع يحيى بن أكثم (إنموذجاً)

الباحث حسين جويد الكندي

المقدمة

نشطت حركة المناهج النقدية حديثاً لاسيما تلك التي تستند إلى الدرس اللساني وما قدمته من نتائج في تحليل اللغة ودراستها، وظل النص الأدبي حقلاً خصباً لها، والدراسة التداولية تتجاوز الاهتمام بالوحدات اللغوية وتعالقها في التراكيب أو تحصيل المعنى فيما بين تراكيب النص، إلى الاهتمام بنوايا المتكلم ومقاصده والاعتداد بالظروف المحيطة بإنتاج النص وتلقيه، وهذه الدراسة تجتهد في بيان ماتقدمه اللسانيات التداولية؛ باعتبارها آخر مولود للسانيات لدراسة النص التراثي والظفر بالدلالة الكاملة والكامنة في النص ذاته وفي نفس منتجه وفي نفس متلقيه وفي عناصر السياق المختلفة التي تحيط بعملية انجازه وأدائه، وقد اختار الباحث نصاً روائياً يتمحور حول مناظرة حجاجية لدراسة أبعاده التداولية .

موضوع الدراسة : اكتشاف البعد التداولي في النص التراثي، وقد وقع الاختيار على مناظرة جرت بين الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام وبين يحيى بن أكثم قاضي القضاة في عهد المأمون العباسي



أهمية الدراسة: تنظر التداولية إلى اللغة باعتبارها نشاطاً وليست مجرد بنية ونظاماً مغلقاً، بل هي وسيلة تواصل واتصال مع الغير ولا يتحقق هذا النشاط إلا من خلال الاستعمال اليومي المستمر من قبل المتكلمين في سياق معين. ومن هنا فإن مفهوم الفعل الكلامي هو نواة مركزية في كثير من الأعمال الروائية من وجهة نظر تداولية؛ لأن وظيفة اللغة الأساسية ليست إيصال المعلومات والتعبير عن الأفكار فحسب، إنما هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال إلى أفعال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية.

منهج الدراسة: اتبع الباحث المنهج التداولي في تحليل النص الروائي للمناظرة، وكذلك المنهج الوصفي التحليلي عند بسطه للعبارات والتراكيب التي وردت في النص

خطة الدراسة: تألف البحث من ثلاثة فصول، كان الأول منها مختصاً بالتعريف بالإمام الجواد عليه السلام، وتناول الفصل الثاني الأدب السياسي في مناظرات العصر العباسي، أما الفصل الثالث فكان في المفاهيم الأساسية والتصورات التداولية للحجاج.



الفصل الأول

الإمام الجواد (١٩٥ - ٢٢٠ هـ)

اسمه وكنيته، مولده ونشأته، دلائل إمامته، إمامته، مكانته عند عموم المسلمين، الزوجات والاولاد، ظروف شهادته

أسمه وكُنيته : هو الإمام محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. تاسع أئمة الشيعة الاثني عشرية والمعروف بالجواد أو جواد الأئمة. كنيته أبو جعفر ويذكر في المصادر الحديثية بكنية أبي جعفر الثاني حتى لا يُشتبه بأبي جعفر الأول وهو الإمام الباقر عليه السلام^١ ومن ألقابه: التقي، والمرضى، والقانع، والرضي، والمختار، والمتوكل، والمتجب^٢، وأشهرها. الجواد أبوه الإمام الرضا عليه السلام وهو الإمام الثامن للشيعة الاثني عشرية، وأمه سبيكة وهي من أسرة مارية القبطية زوجة نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وآله وقد ذكرت بعض المصادر أن أمه كانت تسمى بخيزران أو ریحانة^٣،

مولده ونشأته: ولد في المدينة المنورة في سنة ١٩٥ هـ،، وقد اختلفت كلمة المؤرخين في اليوم والشهر اللذين ولد فيهما الإمام الجواد عليه السلام، فذهب المشهور ومنهم الشيخ الطوسي في مصباح المتعجد إلى أن ولادته كانت في العاشر من شهر رجب^٤، لكن أكثر المصادر تذكر أن تاريخ ولادة الإمام كان في شهر رمضان المبارك^٥ فقال البعض ولد في ١٥ رمضان^٦ وقال آخرون في ١٩ رمضان^٧. ولد الإمام الجواد عليه السلام في أواخر أيام أبيه عليه السلام، ولم يكن للإمام الرضا عليه السلام ولد قبله؛ لذلك بثَّ بعض المخالفين بين المسلمين بأن الإمام الرضا عليه السلام لم يورث، وأنَّ الإمامة ستنتهي به، والواقع أنَّهم أرادوا بهذه الشبهة إظهار بطلان كلام رسول الله صلى الله عليه وآله عندما قال: «الأئمة من بعدي اثنا عشر إماماً»؛ لأنَّ الإمام الرضا عليه السلام لم

يعقب، وأن سلسلة الإمامة قد ختمت بالإمام الثامن! لكن حينما ولد الإمام الجواد عليه السلام وجاءوا به إلى أبيه وهو صغير قال عليه السلام: «هذا المولود الذي لم يولد مولود أعظم على شيعتنا بركة منه»^٨.

كان الإمام الجواد عليه السلام يقيم في المدينة المنورة، لكنه رحل عنها مكرهاً إلى بغداد بطلب من السلطة، وختم سفره الثاني الذي كان بأمر المعتصم بشهادته. فقد سافر إلى بغداد مرة في خلافة المأمون (٢١٤ أو ٢١٥ هـ)، وبعد توقف قصير هناك وإجراء مناظرة علمية عاد إلى المدينة ومعه زوجته أم الفضل (ابنة المأمون) وذلك عند موسم الحج. وأما رحلته إلى بغداد فقد كانت أيام خلافة المعتصم، فلم يمكث فيها إلا عدة أيام، عمد خلالها إلى إجراء عدة مناظرات مع العلماء والفقهاء والقضاة المعروفين في قصر الخلافة وغيرها وفي شتى المسائل المختلفة^٩.

دلائل الإمامة: ودلت على إمامته روايات وقرائن منها ما ورد عن صفوان بن يحيى أنه سأل الإمام الرضا عليه السلام يوماً عن من يخلفه بعده؟ فأشار بيده إلى أبي جعفر الإمام الجواد عليه السلام وهو قائم بين يديه^{١٠}، وفي رواية أخرى عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «هذا أبو جعفر قد أجلسه مجلسي، وصيرته مكاني، إنا أهل بيت يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا القذة بالقذة»^{١١}، وفي رواية أخرى عن أبي الحسن بن محمد - وهو من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام - يقول سمعته يقول: «أبو جعفر وصيي وخليفتي في أهلي من بعدي»^{١٢} وحصلت في حياة الإمام الجواد عليه السلام عدة مناظرات بينه وبين علماء البلاط العباسي، وقد وردت أحاديث كثيرة في الكتب الروائية عنه عليه السلام في المسائل العقدية وتفسير القرآن ومختلف أبواب الفقه. وكان يتواصل مع شيعته عبر وكلائه وعن طريق المكاتبات.



تسَنَّم الإمام الجواد عليه السلام منصب الإمامة وهو في الثامنة من عمره، وهذه المسألة أدَّت ببعض الشيعة إلى عدم قبول إمامته والذهاب إلى القول بإمامة غيره، فيما بقى البعض الآخر متحيراً في أمره حتى اتَّضحت هذه المسألة وهي إمكان أن يتسَنَّم الإمام الإمامة في أيام صباه. عندها اعتقدوا بإمامته، وهذه كانت من المسائل والشبهات التي طرحها البعض في زمن الإمام الرضا عليه السلام وفي حياة الإمام الجواد عليه وقد أجاب عنها مستشهداً بالقرآن الكريم، فقد ورد في إحدى الأجوبة إشارة إلى نبوة النبي يحيى عليه السلام الذي بعث للنبوّة صبيّاً قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾ مريم / ١٢، والجواب الآخر كان كلام النبي عيسى عند ولادته^{١٣} وقد بين الله سبحانه في كتابه العزيز في الآية ٣٠ - ٣٢ من سورة مريم على لسان عيسى بن مريم عليه السلام ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً * وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً * وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً﴾ مريم ٣٠ / ٣٢.

إمامته : كان في الثامنة من عمره عندما تولى الإمامة بعد استشهاد أبيه الرضا عليه السلام ، واستمرت إمامته ١٧ سنة. فأدّى صغر سنه إلى أن يتردد جمع من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام في إمامته، إلا أن معظم الشيعة اعتقدوا بإمامة الجواد عليه السلام خلفاً لأبيه.

استمرت إمامة الإمام الجواد عليه السلام سبعة عشر عاماً، أي: من سنة ٢٠٣ هـ السنة التي استشهد فيها الإمام الرضا عليه السلام حتى سنة ٢٢٠ هـ. وقد عاصر الإمام الجواد عليه السلام خليفتي من خلفاء الدولة العباسية هما: المأمون (١٩٣ - ٢١٨ هـ) حيث عاصره الإمام عليه السلام خلال ٢٣ سنة من خلافته، والمعتصم العباسي (٢١٨ إلى ٢٢٧ هـ) فقد عاصره الإمام عليه السلام خلال سنتين من خلافته.

مكانته عند عموم المسلمين : ساهمت مناظرات وحوارات الإمام الجواد عليه السلام في عصر حكومتي المأمون والمعتصم في الإجابة على كثير من الإشكالات والمسائل العلمية والفقهية، وأدت إلى إعجاب خصوم الإمام وكذا العلماء والمفكرين الإسلاميين شيعة وسنة وإشادتهم بشخصيته معترفين بالإمام كشخصية مرموقة.

فعن السبط ابن الجوزي: «لقد كان في علمه وتقواه وزهده وعفوه على سر أبيه»^{١٤}.

عن الجاحظ، عثمان المعتزلي - وقد كان من مخالفي آل علي عليه السلام : «إن الإمام الجواد عليه السلام هو العاشر من الطالبين الذين قال عنهم: إن كلاً منهم كان عالماً، وزاهداً، وعابداً، وشجاعاً، وسخياً ونقياً وطاهراً»^{١٥}.

عن ابن حجر الهيثمي: «قال له - المأمون يوماً - أنت ابن الرضا حقاً، وأخذه معه، وأحسن إليه، وبالغ في إكرامه. فلم يزل مشفقاً به لما ظهر له بعد ذلك من فضله وعلمه وكمال عظمتهم وظهور برهانه مع صغر سنه، وعزم على تزويجه بابتته أم الفضل، وصمم على ذلك»^{١٦}.

عن الفتال النيشابوري: «وكان المأمون قد شغف بأبي جعفر عليه السلام لما رأى من فضله مع صغر سنه وبلوغه في العلم والحكمة والأدب وكمال العقل، ما لم يساوه فيه أحد من مشايخ أهل الزمان»^{١٧}.

الزوجات والأولاد: تزوج الإمام الجواد عليه السلام في سنة ٢١٥ هـ أو (٢١٤ هـ) من أم الفضل ابنة المأمون العباسي^{١٨} وقد حصل الزواج بطلب من المأمون، فوافق الإمام الجواد عليه السلام على ذلك، وعيّن لها من الصداق مهر جدته السيدة الزهراء عليها السلام أي ٥٠٠ درهم. ولم تنجب أم الفضل ولداً للإمام عليه السلام، فجميع أولاد الإمام كانوا من زوجته الأخرى سمانة المغربية^{١٩}، وقيل: إن الإمام الجواد عليه السلام قد سافر إلى

خراسان حين إقامة الإمام الرضا عليه السلام فيها مرة واحدة^{٢٠} وفي تلك السفرة زوجه المأمون ابنته أم الفضل.

وذهب ابن كثير إلى القول بأن عقد الزواج بينهما تمّ في حياة الإمام الرضا عليه السلام والزواج سنة ٢١٥ هجرية حيث قال: «في أواخر المحرم من سنة خمس عشرة ومائتين ركب المأمون في العساكر من بغداد قاصداً بلاد الروم لغزوهم، فلما كان بتكرت تلقاه محمد بن علي بن موسى عليه السلام من المدينة، فأذن له المأمون في الدخول على ابنته أم الفضل بنت المأمون. وكان معقود العقد عليها في حياة أبيه علي بن موسى عليه السلام»^{٢١}. ولا منافاة بين هذا الكلام وبين من قال بأن زواجه عليه السلام كان في سنة ٢٠٢ هـ، لكنه لا ينسجم مع ما ورد من مناظرة مشهورة للإمام عليه السلام مع يحيى بن أكثم في بغداد

وقد ذكر الشيخ المفيد في الإرشاد أن الجواد عليه السلام خلف بعده من الولد علياً، وموسى، وفاطمة، وأمّامة^{٢٢}، وذكر البعض أن بنات الإمام ثلاثة: حكيمة، وخديجة، وأم كلثوم^{٢٣}.

ظروف شهادته : استدعى المعتصم العباسي الإمام الجواد عليه السلام من المدينة إلى بغداد. فدخل بغداد في اليوم الثامن والعشرين من شهر محرم سنة ٢٢٠ هـ، فأقام بها حتى توفي أواخر ذي القعدة من ذلك العام^{٢٤}، وله ٢٥ سنة على يد المعتصم العباسي؛ وعليه كان أقل أئمة أهل البيت عليه السلام سنّاً حينما استشهد، ودفن في حرم الكاظمية إلى جوار قبر جدّه موسى بن جعفر عليه السلام.

أما اليوم والشهر الذي توفي فيه، فقد ذكرت بعض المصادر أنّه اليوم الأخير من ذي القعدة^{٢٥}، وفي بعضها الآخر الخامس أو السادس من ذي الحجة^{٢٦}، قيل في سبب وفاته أن قاضي بغداد ابن أبي داود وشاه عند

الخليفة المعتصم العباسي؛ ذلك لأنّ الأخير كان قد قبل رأي الإمام عليه السلام في قطع يد السارق، مما أدى إلى فضيحة ابن أبي داود وكثير من الفقهاء والحاشية، فلما سمع الخليفة وشايته، همّ بقتله رغم صغر سنه عليه السلام. فنقذ المعتصم هذه النية المشؤومة على يد كاتب أحد وزرائه، فسَمّ الأخير الإمام وقتله^{٢٧}. ويعتقد البعض أن سمّ الإمام عليه السلام كان عن طريق زوجته أم الفضل بنت المأمون^{٢٨}.

قال الشيخ المفيد (المتوفي سنة ٤١٣ هـ) عن وفاة الإمام الجواد عليه السلام: «وقيل: إنّه مضى مسموماً، ولم يثبت بذلك عندي خبر، فأشهد به»^{٢٩}. أمّا المسعودي (ت ٣٤٦ هـ) فيقول: «لم يزل المعتصم وجعفر بن المأمون يدبّرون، ويعملون الحيلة في قتله، فقال جعفر لأخته أم الفضل... لأنّه وقف على انحرافها عنه وغيرتها عليه لتفضيله عليه السلام أمّ أبي الحسن ابنه عليها (أي على أم الفضل)... فجعلت السمّ في عنب، وناولته للإمام عليه السلام». ثم استطرد المسعودي قائلاً: «لقد ندمت أم الفضل بعد هذا العمل ندماً عظيماً، وبكت بكاءً شديداً، ولما أكله بكت، فقال: لم تبكين ليضربنك الله بفقر لا يجبر وبلاء لا يستر، فبليت بعله أنفقت عليها جميع ما تملكه»^{٣٠}.

الفصل الثاني

الأدب السياسي في مناظرات العصر العباسي

بعد انتشار الفرق الكلامية أصبحت المجالات التي ينفذ من خلالها الخصوم نحو تغليب رأي سياسي معين تتخذ أشكالاً أدبية شتى، وكانت المناظرة هي الإطار الذي يستطيع من خلاله المتخالفون من طرح أفكارهم وآرائهم على العامة، فأشتهر في العصر العباسي نوعاً أدبياً خاصاً هو أدب المناظرة وأصبحت له قواعد يلتزم من خلالها المتناظرون بمراعاة تلك الآداب والقواعد، وغالباً ما تكون المناظرة بين أصحاب المقالات أنفسهم أو ممن يثقون بمقدرته على إدارة المناظرة بالكيفية التي يتمكن من خلالها كسب الجولات المعدة لها .

وقد شهد عصر المأمون ذروة هذا الاتجاه، وقد حدثت مناظرات تاريخية للإمام الرضا عليه السلام مع رؤساء الأديان والمذاهب بإشراف وإدارة الخليفة ذاته، بل كان شاهداً عليها بنفسه، وتوالت بعد ذلك حتى وصلت الدور لولده الإمام الجواد عليه السلام، فبعد استشهاد الإمام الرضا عليه السلام سنة ٢٠٣ هـ، استلم الإمام الجواد عليه السلام الإمامة بعد أبيه، وقد أدت هذه المسألة إلى الاختلاف بين الشيعة حيث ذهب بعضهم إلى عبد الله بن موسى بن جعفر أخي الإمام الرضا عليه السلام فسألوه عدة أسئلة؛ لأن ديدن الشيعة عدم التسليم لإمامة أحد دون دليل. وعندما تحيّر في الجواب تركوه، كما مال بعض الشيعة إلى الواقفية، ومن هنا ذهب النوبختي إلى القول بأن علة ظهور الاختلاف، هو عدم اعتبارهم البلوغ شرطاً من شرائط الإمامة^{٣١}. كان الإمام الجواد عليه السلام يتصل بالشيعة من خلال وكلائه الذين عينهم في المناطق المختلفة من العالم الإسلامي، إذ أن الإمام عليه السلام كان يُراقب أشدّ المراقبة من قبل السلطة الحاكمة آنذاك، وكان للإمام الجواد عليه السلام وكيل



أو عدة وكلاء في البلدان الإسلامية المختلفة، كبغداد، والكوفة، وأهواز، والبصرة، وهمدان، وقم، والري، وسيستان، وبُست^{٣٢}، وكان عليه السلام يرتبط بالشيعة من خلال المراسلة، فإن أكثر المعارف والمفاهيم التي وصلتنا عن الإمام الجواد عليه السلام، هي من رسائله للشيعة^{٣٣}، فقد كانوا يسألونه عما يشكل عليهم من المسائل الفقهية وغيرها، فيجيب الإمام عليه السلام عنها.

كانت فرق أهل الحديث، والواقفة، والزيدية، والغلاة لها نشاط في فترة إمامة الإمام الجواد عليه السلام، فكان ينهي الشيعة من الصلاة خلف مَنْ يعتقد بالتجسيد (أي: تجسيم الله)، ودفع الزكاة إليهم^{٣٤}، وهناك روايات ورد فيها ذم الإمام للواقفة^{٣٥}، ووضع الإمام الزيدية والواقفة في ضمن النواصب^{٣٦}، ولعن الإمام الجواد عليه السلام الغلاة كأبي الخطاب وأتباعه، وقد لعن أيضاً مَنْ تردد أو شك في لعن أبي الخطاب، وبين الإمام أن أبا الغمر، وجعفر بن واقد، وهاشم بن أبي هاشم هم من أتباع أبي الخطاب، وقال أن هؤلاء باسمنا أهل البيت عليه السلام يستغلون الناس^{٣٧}، وحدثت في زمن الإمام الجواد عليه السلام عدة مناظرات ظهر تفوقه العلمي أمام علماء عصره، منها مناظراته في مجلس المأمون مع قاضي القضاة ببغداد.

وقد روي أن مجادلات سبقت هذه المناظرة وصلت إلى حد الاعتراض من قبل حزب من العباسيين على قرار المأمون تزويج بنته أم الفضل للإمام الجواد عليه السلام، عن الريان بن شبيب^{٣٨} قال: لما أراد المأمون أن يزوج ابنته أم الفضل أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام بلغ ذلك العباسيين فغلظ عليهم ذلك، واستنكروا منه وخافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما انتهى مع الرضا عليه السلام، فخاضوا في ذلك واجتمع منهم أهل بيته الأدنون منه، فقالوا: نشدك الله يا أمير المؤمنين أن تقيم على هذا الأمر الذي قد عزمته عليه من تزويج ابن الرضا عليه السلام؛ فإننا نخاف أن يخرج به عنا أمر قد ملكناه الله،



ويتنزع منا عزا قد ألبسناه الله، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً، وما كان عليه خلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم، وقد كنا في وهلة من عملك مع الرضا ما عملت، وكفانا الله المهم من ذلك، فאלله الله أن ترديا إلى غم قد انحسر عنا، واصرف رأيك عن ابن الرضا عليه السلام وأعدل إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره، فقال لهم المؤمنون: أما ما بينكم وبين آل أبي طالب فأنتم السبب فيه، ولو أنصفتهم القوم لكان أولى بكم، وأما ما كان يفعله من قبلي بهم، فقد كان به قاطعاً للرحم، وأعوذ بالله من ذلك، والله ما ندمت على ما كان مني من استخلاف الرضا ولقد سألته أن يقوم بالأمر وأنزعه من نفسي فأبى، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وأما أبو جعفر محمد بن علي، فقد اخترته لتبريزه على كافة أهل الفضل في العلم والفضل، مع صغر سنه والأعجوبة فيه بذلك، وأنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه، فيعلموا أن الرأي ما رأيته، فقالوا: إن هذا الفتى وإن راقك منه هديه فإنه صبي لا معرفة له ولا فقه، فأمهله ليتأدب ثم اصنع ما ترا بعد ذلك، فقال لهم: ويحكم أني أعرف بهذا الفتى منكم، وأن هذا من أهل بيت علمهم من الله تعالى ومواده وإلهامه، لم يزل آباءه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حد الكمال، فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يتبين لكم به ما وصفت لكم من حاله، قالوا: لقد رضينا لك يا أمير المؤمنين ولأنفسنا بامتحانه، فخل بيننا وبينه لننصب من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة، فإن أصاب في الجواب عنه لم يكن لنا اعتراض في حقه، وظهر للخاصة والعامة سديد رأي أمير المؤمنين فيه وإن عجز عن ذلك فقد كفينا الخطب في معناه، فقال لهم المؤمنون: شأنكم وذلك متى أردتم، فخرجوا من عنده واجتمع رأيهم على مسألة يحيى بن أكثم - وهو يومئذ قاضي

الزمان - على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها، ووعدوه بأموال نفيسة على ذلك، وعادوا إلى المأمون فسأله أن يختار لهم يوماً للاجتماع فأجابهم إلى ذلك، واجتمعوا في اليوم الذي اتفقوا عليه، وحضر معهم يحيى بن أكثم^{٣٩}.

نص المناظرة

أمر المأمون أن يفرش لأبي جعفر^{عليه السلام} دست ويجعل له فيه مسورتان ففعل ذلك، وخرج أبو جعفر^{عليه السلام} وهو يومئذ ابن تسع سنين وأشهر، فجلس بين المسورتين، وجلس يحيى بن أكثم بين يديه. فقام الناس في مراتبهم، والمأمون جالس في دست متصل بدست أبي جعفر^{عليه السلام}. قال يحيى بن أكثم للمأمون: تأذن لي يا أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر عن مسألة؟.

فقال المأمون: استأذنه في ذلك،

فأقبل عليه يحيى بن أكثم فقال: أتأذن لي جعلت فداك في مسألة؟.

فقال أبو جعفر^{عليه السلام}: سل إن شئت.

فقال يحيى: ما تقول جعلت فداك في محرم قتل صيداً؟.

فقال أبو جعفر^{عليه السلام}: قتله في حل أو حرم، عالماً كان المحرم أو جاهلاً، قتله عمداً أو خطأ، حراً كان المحرم أو عبداً، صغيراً كان أو كبيراً، مبتدئاً بالقتل أو معيداً، من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها، من صغار الصيد أم من كبارها، مصرأ على ما فعل أو نادماً، في الليل كان قتله للصيد أم بالنهار، محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرماً؟.

فتحير يحيى بن أكثم وبان في وجهه العجز والانقطاع، وتلجلج حتى عرف جماعة أهل المجلس عجزه.

فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي، ثم نظر إلى أهل بيته فقال لهم: أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟ ثم أقبل إلى أبي جعفر فقال له: أتخطب يا أبا جعفر؟ .

قال عليه السلام : نعم . يا أمير المؤمنين .

فقال له المأمون: اخطب لنفسك جعلت فداك، فقد رضيتك لنفسي وأنا مزوجك أم الفضل ابنتي وإن رغم أنوف قوم لذلك.

فقال أبو جعفر (عليه السلام): الحمد لله إقراراً بنعمته، ولا إله إلا الله إخلاصاً
لوحداثيته، وصلى الله على سيد بريته، والأصفياء من عترته، أما بعد: فقد
كان من فضل الله على الأنعام أن أغناهم بالحلال عن الحرام فقال سبحانه:
﴿وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء
 يغنيهم الله من فضله والله واسع عليم﴾ النور / ٣٢، ثم إن محمد بن
علي بن موسى يخطب أم الفضل بنت عبد الله المأمون، وقد بذل لها من
الصداق مهر جدته فاطمة بنت محمد (عليه السلام)، وهو: (خمسائة درهم) جيادا
فهل زوجته يا أمير المؤمنين بها على هذا الصداق المذكور؟

فقال المأمون: نعم. قد زوجتك يا أبا جعفر أم الفضل ابنتي على الصداق المذكور، فهل قبلت النكاح؟ .

قال أبو جعفر عليه السلام : نعم. قد قبلت ذلك ورضيت به .

فأمر المأمون أن يقعد الناس على مراتبهم من الخاصة والعامة^{٤٠}.

قال الريان: ولم نلبث أن سمعنا أصواتا تشبه الملاحين في محاوراتهم، فإذا الخدم يجرون سفينة مصنوعة من فضة تشد بالحبال من الإبريسم، على عجلة مملوءة من الغالية، فأمر المأمون أن تخضب لحي الخاصة من تلك الغالية ففعلوا ذلك، ثم مدت إلى دار العامة فتطيّبوا بها، ووضعت الموائد فأكل الناس، وخرجت الجوائز إلى كل قوم على قدرهم، فلما تفرق الناس وبقي من الخاصة من بقي.

قال المأمون لأبي جعفر عليه السلام : جعلت فداك ! إن رأيت أن تذكر الفقه فيما فصلته من وجوه قتل المحرم لنعلمه ونستفيده.

فقال أبو جعفر عليه السلام : نعم إن المحرم إذا قتل صيداً في الحل وكان الصيد من ذوات الطير وكان من كبارها فعليه شاة، وإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً، وإذا قتل فرخاً في الحل فعليه حمل قد فطم من اللبن، فإذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ، فإذا كان من الوحش وكان حمار وحش فعليه بقرة وإن كان نعامة فعليه بدنة، وإن كان ظيباً فعليه شاة، فإن كان قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة، وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدي فيه وكان إحرامه للحج نحره بمنى، وإن كان إحرام بعمره نحره بمكة وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء، وفي العمد عليه المأثم، وهو موضوع عنه في الخطأ، والكفارة على الحر في نفسه، وعلى السيد في عبده، والصغير لا كفارة عليه، وهي على الكبير واجبة، والنادم يسقط ندمه عنه عقاب الآخرة، والمصر يجب عليه العقاب في الآخرة.

فقال المأمون: أحسنت يا أبا جعفر أحسن الله إليك. فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سأل.

فقال أبو جعفر ليحيى: أسألك؟ .

قال يحيى بن أكثم: ذلك إليك جعلت فداك، فإن عرفت جواب ما تسألني عنه وإلا استفدته منك .

فقال أبو جعفر عليه السلام : أخبرني عن رجل نظر إلى امرأة في أول النهار فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار حلت له، فلما زالت الشمس حرمت عليه، فلما كان وقت العصر حلت له، فلما كانت الشمس حرمت عليه، فلما دخل وقت العشاء الآخرة حلت له، فلما كان وقت انتصاف

الليل حرمت عليه، فلما طلع الفجر حلت له، ما حال هذه المرأة، وبماذا حلت له وحرمت عليه؟ .

فقال له يحيى بن أكثم: لا والله لا اهتدي إلى جواب هذا السؤال، ولا أعرف الوجه فيه، فإن رأيت أن تفمدا.

فقال أبو جعفر عليه السلام: هذه أمة لرجل من الناس، نظر إليها أجنبي في أول النهار فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاهما فحلت له، فلما كان عند الظهر أعتقها فحرمت عليه، فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها^٤ فحرمت عليه، فلما كان وقت العشاء الآخرة كفر عن الظهر فحلت له، فلما كان نصف الليل طلقها طليقة واحدة فحرمت عليه، فلما كان عند الفجر راجعها فحلت له.

قال الريان بن شبيب: فأقبل المأمون على من حضر من أهل بيته وقال لهم: هل فيكم من يحيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب، أو يعرف القول فيما تقدم من السؤال؟ .

قالوا: لا والله، إن أمير المؤمنين أعلم بما رأى .

فقال المأمون : ويحكم إن أهل هذا البيت خصوا من الخلق بما ترون من الفضل ، وإن صغر السن لا يمنعهم من الكمال ، أما علمتم أن رسول الله ﷺ افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهو ابن عشر سنين ، وقبل منه الإسلام وحكم له به ، ولم يدع أحداً في سنه غيره ، وبائع الحسن والحسين عليهما السلام وهما دون الست سنين ولم يبايع صبيا غيرهما ؟ أو لا تعلمون الآن ما اختص الله به هؤلاء القوم وأنهم ذرية بعضها من بعض ، يجري لآخرهم ما يجري لأولهم ؟.

قالوا: صدقت يا أمر المؤمنين^{٤٢}.

ثم نهض القوم، فلما كان من الغد حضر الناس وحضر أبو جعفر عليه السلام، وصار القواد والحجاب والخاصة والعمال لتهنئة المأمون وأبي جعفر عليه السلام فأخرجت ثلاثة أطباق من الفضة، فيها بنادق مسك وزعفران معجون في أجواف تلك البنادق، ورقاع مكتوبة بأموال جزيلة وعطايا سنية، وإقطاعات. فأمر المأمون بنشرها على القوم من خاصته، فكان كل من وقع في يده بندقية أخرج الرقعة التي فيها والتمسه فأطلق له، ووضعت البدر فشر ما فيها على القواد وغيرهم، وانصرف الناس وهم أغنياء بالجوائز والعطايا، وتقدم المأمون بالصدقة على كافة المساكين، ولم يزل مكرماً لأبي جعفر عليه السلام معظماً لقدره مدة حياته، يؤثره على ولده وجماعة أهل بيته^٣. وللإمام الجواد عليه السلام مناظرات كثيرة مع مختلف أصحاب الآراء وقد ذكرنا طرفاً من تصديده للواقفية وغيرهم، وله عليه السلام ردود حول مسائل عدة كان أغلبها في مجلس المأمون العباسي، فلما زوج المأمون ابنته أم الفضل أبا جعفر عليه السلام كان يعقد للإمام عليه السلام مجلساً عنده وفي هذا المجلس علماء الأمة وأهل الخاصة منهم، وفي أحد هذه المجالس كان أبو جعفر عليه السلام عند المأمون ويحيى بن أكثم وجماعة كثيرة.

فقال له يحيى بن أكثم: «ما تقول يا ابن رسول الله ﷺ، في الخبر الذي روي أنه نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ، وقال: يا محمد ﷺ إن الله عز وجل يقرؤك السلام، ويقول لك: سل أبا بكر هل هو عني راض؟ فأني عنه راض».

فقال أبو جعفر عليه السلام: «لست بمنكر فضل أبي بكر، ولكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله ﷺ في حجة الوداع قد كثرت عليّ الكذابة، وستكثر بعدي، فمن كذب عليّ متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار، فإذا أتاكم الحديث عني، فاعرضوه على كتاب

الله وسنتي، فما وافق كتاب الله وسنتي، فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنتي، فلا تأخذوا به، وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله، وقوله تعالى «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» فالله عز وجل خفي عليه رضاء أبي بكر من سخطه حتى سأل عن مكنون سره هذا مستحيل في العقول»^{٤٤}.

قال يحيى بن أكثم: قد روي «أن مثل أبي بكر وعمر في الأرض كمثل جبرئيل وميكائيل في السماء».

قال عليه السلام: «وهذا أيضاً يجب أن يُنظر فيه؛ لأن جبرئيل وميكائيل ملكان لله مقربان لم يعصيا الله قط، ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة، وهما قد أشركا بالله عز وجل، وإن أسلما بعد الشرك، وكان أكثر أيامهما في الشرك بالله، فمحال أن يشبههما بهما»^{٤٥}.

وحدثت جملة حوادث أيام إقامة الإمام الجواد عليه السلام في بغداد في عهد المعتصم أدت إلى علو قدره عليه السلام ومكانة الإمامة بين الناس، ويمكن الإشارة هنا كنموذج إلى فتوى الإمام عن السارق الذي أقر على نفسه بالسرقة في مجلس الخليفة، فجمع الخليفة الفقهاء وقد حضر الإمام الجواد عليه السلام أيضاً، فاختلفوا في الموضع الذي يجب أن تقطع اليد منه، فقال بعضهم: من المعصم، وقال آخرون: من المرفق، فطلب المعتصم من الإمام عليه السلام أن يبدي رأيه، فامتنع الإمام عليه السلام بادئ الأمر قائلاً: «قد تكلم القوم فيه» لكن الخليفة ألح عليه في الجواب، فأجاب عليه السلام بعد إصرار الخليفة قائلاً: «إن القطع يجب أن يكون من مفصل الأصابع فيترك الكف» فقال الخليفة: وما الحجة في ذلك؟ فقال: قوله تعالى «وَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا» فأعجب المعتصم ذلك وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع^{٤٦}.

الفصل الثالث

المفاهيم الأساسية والتصورات التداولية للحجاج

يتجلى البعد التداولي للخطاب الحجاجي في الحوار أو الحوارية، إذا كنا نقصد بالحجاج عملية تكييف للمبادئ الحوارية العامة مع متطلبات وظيفة خاصة، وهي وظيفة إدارة الخلاف، ذلك أن الحوار -كأي نسق- يتطلب آليات تنظيمية، تواجه القضايا الخلافية، بوضع الحجة في محيط الخلاف المفتوح أو المتضمن أو المسقط، وإعطائها وظيفة تداولية، ما دام الخلاف له علاقة بين الأفعال اللغوية الحوارية، أيًا كانت القضايا المرتبطة بهذه الأفعال، فالمجتمعات الإنسانية تستعمل أساليب خطابية في الإقناع متعارف عليها لدى عامة الناس، معتقدين أنهم يمارسون استدالات منطقية -أرسطية- في إثبات صحة دعوى ما أو تفنيدها، مغفلين أهم عامل في توجهاتهم الحجاجية ألا وهو ضابط اللغة؛ لأن اللغة بما تتميز به من طواعية الاستعمال وبراء أبنيتها اللغوية تكون بمثابة الكفيل لجعلها محور الدراسة الحجاجية، إن الاعتماد على المرجعيات المعرفية في تحليل النصوص الفكرية والفلسفية أساس في فهم هذه النصوص، لكن حصر هذه المرجعيات في نصوص دون الرجوع إلى أسسها الثقافية والاجتماعية يبقى فهماً ناقصاً إلى حد كبير وقد يؤدي إلى استنتاجات فكرية وسياسية مبهمة ومشوشة تؤسس لوعي مغلوط حول التاريخ والثقافة. وهو ما حدث بالنسبة للخطاب الحجاجي الذي أبعد من سياق التحليل الفكري والفلسفي، تماماً كما تم تحليل التأريخ للمجتمع بعيداً عن الفكر، فترابط الأقوال لا يستند إلى قواعد الاستدلال المنطقي وإنما هو ترابط حجاجي؛ لأنه مسجل في أبنية اللغة بصفته علاقات توجه القول وجهة دون أخرى، وتفرض ربطه بقول دون آخر، فموضوع الحجاج في اللغة هو بيان ما

يتضمنه القول من قوة حجاجية تمثل مكوناً أساسياً لا ينفصل عن معناه،
يجعل المتكلم، في اللحظة التي يتكلم فيها، يوجه قوله وجهة حجاجية ما،
ونحن هنا أردنا أن نحلل هذا الخطاب تداولياً يتحتم علينا فحص الجانب
التخصصي في المحاوراة الحجاجية لنقف على الأبعاد الأخرى الفاعلة في
استنطاق النص الذي يشكل تمام صورة البرنامج السردى للمتناظرين .



المحور التخصصي

أولاً- المشاركون والحضور : شارك في هذه المناظرة مجموعة من الفقهاء والقضاة وبعض المتكلمين ممن كان يحضر مجلس المأمون، وطائفة كبيرة من الوزراء والأمراء العباسيين، إضافة إلى المأمون، والإمام الجواد عليه السلام، وقاضي قضاة المملكة يحيى بن أكثم .

التقى هذا التجمع بهدف التناظر في قضايا ظاهرها فقهية إلا أن مضمونها إفحام المخالف العقدي المتمثل بالإمام الجواد عليه السلام، وقد جرت المناظرة في قصر المأمون العباسي وبمحضره بناء على رغبة من قبله ومن حضر مجلسه من الفقهاء والوزراء، ورغبة وقبول الإمام الجواد عليه السلام في الحضور .

سادت المناظرة علاقة غير حيادية، عززتها مواقف شخصية من قبل المأمون وبعض الحاضرين اتجاه الإمام الجواد عليه السلام دعمت مجريات التفاعل وعرقلة حيادية المناظرة، وتبلورت على هيئة سلوكيات انفعالية كأمتناع العباسيين من أجراء المقابلة مخافة تغلب حجة الامام الجواد عليه السلام في نهاية الأمر، وهو ما حدث، وما كانوا يخشونه .

كانت للإمام الجواد عليه السلام منافذ للتواصل الفكري بينه وبعض ممن حضر مجلس المناظرة من الفقهاء أو حتى المأمون ذاته الذي كان قريباً من الايمان بقوة حجة الإمام الجواد عليه السلام وعدم امكانية يحيى بن أكثم التغلب عليه، في الوقت الذي انعدمت مثل تلك المنافذ بينه وبين البعض الآخر ممن حضر المجلس ذاته من العباسيين .

كشف اسلوب يحيى بن أكثم عن عدم مقدرة على استخدام أساليب الاتصال التناظري، وهي إشارات متغيرة ومتصلة وتستخدم خصائص الوسط الذي تستخدم فيه. اسفرت المناظرة عن حضور جمع من المهتمين

من الفقهاء، وعدد لا بأس به من الوزراء وأمرأ البيت العباسي ممن كانوا يتشوفون نتائج هذه المناظرة .

ثانياً- النص : يدل النص على حصول مناظرة في الفقه وأصوله وبصورة خاصة فيما يتعلق بالأحكام، وهي بذلك تمثل حلقة من حلقات السباق الفقهي والكلامي المحموم الذي كان شائعاً في ذلك الوقت بل يعتبر سمة تاريخية من سمات تلك الفترة، ولم تشهد المناظرة ظهور للمد الفلسفي أو المنطقي خلال الحوار؛ إذ لم نشهد تشغيل الأقيسة مثلاً أو غيرها من الإستحسانات العقلية والمنطقية

النمط التناظري استهلك الخطاب الفقهي من خلال طرح الإشكالات المتقابلة، وغلب عليه النمط التقابلي لكل فرضية فقهية طرحت من خلال إيراد النصوص واسقاط حكم كل حالة أمام المسألة الفقهية المفترضة .

موضوع الطرح الاشكالي بيان حكم المحرم للحج أو العمرة عند قتله صيداً، وخلال احتجاج طرفي المناظرة اثرت بصورة متداخلة قضايا جانبية لا صلة لموضوع المناظرة مثل قضية المرأة التي تحل وتحرم للرجل في أوقات مختلفة من اليوم، وهذا الاداء الحجاجي يمكن إرجاعه الى:

آ- الاختلاف في مصدر فقه كل من طرفي المناظرة، والذي نشأ من اختلاف عقائدي في تعيين المأخوذ منه أصول الدين وفروعه، هل هو أهل البيت (عليه السلام) ممثلين في صدر الدعوة الاسلامية وبعد وفاة النبي - أم من أصحاب النبي - .

ب- منهج المتناظرين في مناقشة القضايا الفقهية .

يعد التداخل في الأجوبة والإشكالات، وتوليد سؤا في داخل سؤا والتكرار من سمات العرض الغالبة، مما يعكس واقع التناظر واستطراذيته، فقد اختفى الترتيب المعهود ونشأ بدلاً عنه ترصد لنقاط الضعف وتذكير والحاح عليها .

لم يفعل النسق الاجرائي المعهود في المناظرات من تقديم يسبق المناظرة يتم من خلاله طرح الأفكار التي ستكون موضوع المناظرة، بالرغم من إرادة يحيى بن أكتهم وتصريحه في الرغبة للاستفادة من الإمام الجواد عليه السلام والنزول عند رأي الإمام عليه السلام، ومما كان له دور في وجود هذا الاتجاه (فقال أبو جعفر ليحيى: أسألك؟ قال: ذلك إليك جعلت فداك، فإن عرفت جواب ما تسألني عنه وإلا استفدته منك).

أما فيما يخص الممارسات الاجتماعية فقد توفرت عليها مفردات المناظرة، نظير امتناع باقي العلماء من سؤال الإمام عليه السلام؛ لما شاهدوا يحيى بن أكتهم وقد القم حجته وهو كبيرهم، تراجع العباسيين عن ثني المأمون من تزويج ابنته أم الفضل للإمام الجواد عليه السلام بعد أن رأوا قوة حجته، وهذا التصرف يشير إلى :

- ١ - الخوف من مصير يحيى بن أكتهم بالنسبة لباقي العلماء فيما لو تصدى واحداً منهم للمناظرة فيقطعه الإمام عليه السلام كما قطع كبيرهم وتلك فيها من المثالب مافيهما على دين الدولة الرسمي المخالف لمنهج أهل البيت عليه السلام وبنوا العباس كذلك والعامة من الناس بل وجودهم في ساحة الحوار الفكري والنظري .
- ٢ - جهل الباقيين من العلماء بما في عقائدهم من الضعف والفتور، فسكتوا مخافة انكشاف زيف عقائدهم ومن عدول الناس إلى مذهب أهل البيت عليه السلام .

ثالثاً - الراوي والرواية والبرنامج السردى :

شخصية الراوي محددة ومعروفة، ولها تضامن معروف مع أحد أطراف المناظرة وهو (الإمام الجواد عليه السلام) فهو يتفق معه عقائدياً ويقول بمقاتلته في الإمامة، إلا أن ذلك لم يمنعه من تقديم رواية موضوعية، تترفع عن الاختلاق والتدليس، وقد ظهر تضامنه من خلال :

١ - تقديم الإمام الجواد عليه السلام بعناية فائقة، في مقابل التقليل من شأن يحيى بن أكثم .

٢ - اظهار ارتياح المأمون وانبساطه من أجوبة وحجج الامام الجواد عليه السلام ، مما ساهم في تعجيل الطلب للإمام عليه السلام في طلب يد ابنته أم الفضل وموافقته العلنية قبل خطبة الإمام عليه السلام ام الفضل لنفسه .
آالبناء السردى متدرج ومؤطر داخل العملية الحجاجية مما سهل الأمر في طرح الإشكالات الفقهية وإيراد الحكم الشرعي أزاء كل منها .
ب - الاسلوب السردى مباشر، كما تناوب على الرواية شخصان، الإمام الجواد عليه السلام أحدهما، ولم يتم الانتقال بينهما بشكل متناوب إذ كان الموقف يتسيدة الإمام عليه السلام .

ج - رواية النص سردية، لم تبد خلالها أي تقنية أو تشكيل سردي يبرز الحوار بصورة أكثر عمقاً .

انجز الراوى مهمته بصورة واضحة محددة، ركز اهتمامه خلالها بكل المعلومات الملقاة في المناظرة، دون وعي يذكر بسمات الخطاب الشفوي من تسجيل للبيانات الصوتية والمظاهر الاليقاعية المميزة للإرسال المنطقي أو رصد للتركيبات الاليائية والتعبيرات الجسدية والانفعالات والمصاحبات الفسيولوجية لها، مما افقد الخطاب روح الممارسة اللفظية بصفة عامة .



المحور عبر التخصصي

أولاً - النشاط السلوكي: وهو النشاط الذي يصدر من الإنسان سواء كان نشاطاً ذهنياً أو حركياً، أي جميع ما يصدر عن الفرد من استجابات مختلفة ازاء موقف يواجهه أو أزاء مشكلة يحلها، أو خطر يتهده، أو مشروع يخطط له، أو مناظرة يجريها، أو كتاب يؤلفه، أو درس يحفظه، ومن خصائص هذا النشاط أن يكون غائياً، فالإنسان يشرب الماء لأنه عطشان ويأكل لأنه يشعر بالجوع، فشربه وأكله غايتها سد شعور العطش والجوع، فالغاية من الخصائص الأساسية التي تميز سلوك الإنسان وهي التي تجعل سلوكه يتصف بالمرونة والقابلية للتغيير والتنوع والتكيف للظروف المختلفة .

١ - الدوافع والاسباب : لكل سلوك إنساني دوافع تحدد قوة الفعل السلوكي شدة وضعفاً، وقد تقدم أن لكل فعل لفظي او حركي أسباب تعد الغاية التي من أجلها خرج هذا السلوك من مستوى القوة الكامنة إلى مستوى الفعل المنتج، وبالنسبة إلى مناظرة الإمام الجواد عليه السلام مع يحيى بن أكثم، فأن :

الإمام الجواد عليه السلام : بيان الحكم الشرعي الواقعي، وبيان تهافت الاحكام الأخرى التي تستند في أسسها على أدلة غير مستقاة من الشريعة المحمدية الصحيحة .

المأمون العباسي: التقليل من أهمية الإمام الجواد العلمية، عند رصده لمناظرته أفقه القضاة حسب اعتقاده، وكذلك أقناع بنو العباس المعترضين عليه في تزويجه لابنته أم الفضل للإمام الجواد عليه السلام بأنه أولى الناس بمصاهرته لعلمه وفضله وأن لا يوازي مكانة المأمون في الامة إلا رجل يحمل مواصفات الإمام الجواد عليه السلام حسب اعتقاده .

يحيى بن أكثم : الإيقاع بالإمام الجواد عليه السلام وبيان تهافت مبانيه الفقهية والحديثية.

فقههاء السلطة ممن حضر المجلس : إرادتهم إمكانية إظهار تهافت مباني الإمام الجواد عليه السلام الفقهية، وإحراجه بغية إثارة الشكوك في إمامته مستندين إلى صغر سنه، مما يثير الريبة والشك في صلاحيته لشغل منصب الإمام ومن ثم تفريق الشيعة عنه .

الوزراء والأمراء والقادة من بنو العباس : إرادتهم لتخذيل الإمام الجواد عليه السلام، وتضعيفه إمام الفقهاء لينصرف نظر المأمون عنه ومن ثم إبعاد الإمام الجواد عليه السلام وعزله اجتماعياً ومن ثم إلغاء فكرة تزويجه من ابنته أم الفضل .

٢- الاتجاهات النفسية : انطوت البنية المعرفية الاعتقادية للمتناظرين على عدد من المبادئ والأصول .

الإمام الجواد عليه السلام ، البنية الاعتقادية تنطوي على اليقين (فأقبل عليه يحيى بن أكثم فقال: أتأذن لي جعلت فداك في مسألة؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: سل إن شئت) . وهذا الأسلوب يهدف إلى ضبط إيقاع المناظرة بعد أن كان الجواد العام لها يشير إلى اعتقاد الطرف الآخر بعدم أهلية الإمام الجواد عليه السلام للرد على الحجة بالحجة .

يحيى بن أكثم، الشك في إمكانية التغلب على الإمام الجواد عليه السلام بمجرد طرح الأسئلة، فلجأ إلى إيراد شواهد أخرى اعتقادية يؤمن بها لإيقاع الإمام الجواد في مأزق الانتقاص من الشيخين، بعد أن فشل في الإيقاع به عليه السلام في مأزق عدم المعرفة الدقيقة بالأحكام الشرعية .

٣- الفروق الفردية : ثمة فروق كانت واضحة بين المتناظرين :

الإمام الجواد عليه السلام ، أظهرت جواباته أعلمية واضحة على من كان متواجداً في المناظرة من الفقهاء والمتكلمين وأهل النظر والفكر؛ استبانته وظهرت بتفريعه لعدة مسائل من أصل واحد، وإجابته عن كل مسألة بجوابين أو

أكثر، (قال المأمون لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك! إن رأيت أن تذكر الفقه فيما فصلته من وجوه قتل المحرم لنعلمه ونستفيده. فقال أبو جعفر عليه السلام: نعم إن المحرم إذا قتل صيدا في الحل وكان الصيد من ذوات الطير وكان من كبارها فعليه شاة، وإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفا، وإذا قتل فرخا في الحل فعليه حمل قد فطم من اللبن، فإذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ، فإذا كان من الوحش وكان حمار وحش فعليه بقرة وإن كان نعاما فعليه بدنة، وإن كان ظبيا فعليه شاة، فإن كان قتل شيئا من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفا هديا بالغ الكعبة، وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدي فيه وكان إحرامه للحج نحره بمنى، وإن كان إحرامه بعمرة نحره بمكة وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء، وفي العمدة عليه المأثم، وهو موضوع عنه في الخطأ، والكفارة على الحر في نفسه، وعلى السيد في عبده، والصغير لا كفارة عليه، وهي على الكبير واجبة، والنادم يسقط ندمه عنه عقاب الآخرة، والمصر يجب عليه العقاب في الآخرة).

يحيى بن أكرم، أظهرت ردوده عجز كامل عن مجارة الإمام الجواد عليه السلام على العكس مما بدأ فيه مناظرته إذ استأذن هو في البداية في طرح الإشكالات وهذا يدل على شعوره بالتفوق واعتقاده بعدم إمكانية الطرف الآخر من الرد. بنو العباس ممن حضر المناظرة، اظهروا قدراً كبيراً من الانكفاء على الذات وعدم الرضا بما جرى، مع شيء من التحفظ بسبب خوفهم من المأمون للدرجة التي لم يرد أي منهم عندما وبخهم وأظهر خطأ اعتقادهم في الإمام الجواد عليه السلام، (قال الريان بن شبيب: فأقبل المأمون على من حضر من أهل بيته وقال لهم: هل فيكم من يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب، أو يعرف القول فيما تقدم من السؤال؟ قالوا: لا والله إن أمير المؤمنين أعلم بما رأى فقال المأمون: ويحكم إن

أهل هذا البيت خصوا من الخلق بما ترون من الفضل، وإن صغر السن لا يمنعهم من الكمال، أما علمتم أن رسول الله ﷺ افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو ابن عشر سنين، وقبل منه الإسلام وحكم له به، ولم يدع أحداً في سنه غيره، وبايع الحسن والحسين عليهما السلام وهما دون الست سنين ولم يبايع صبياً غيرهما؟ أو لا تعلمون الآن ما اختص الله به هؤلاء القوم وأنهم ذرية بعضها من بعض، يجري لآخرهم ما يجري لأولهم قالوا: صدقت يا أمير المؤمنين، والخوف حافز قوي، ويلعب دوراً مهماً في تحديد طبيعة الموقف الذي يتخذه الأفراد من شخص أو جهة أو فكرة، وانخراط العباسيين في مثل هذه الأعمال تساهم في جهودهم لدعم آليات الدفاع عن الأنا.

٤ - السلوك الدفاعي

العباسيين أنكروا على المأمون تقريبه الإمام الجواد عليه السلام، اذ ينطوي الإنكار على رفض قبول حقيقة الموقف؛ لأنه مؤلم أو محزن للغاية. عندما ينكر العباسيين على المأمون تصرف ما، فهم إنما يتخذون صورة ذاتية إيجابية لاتجاههم ومعتقدهم. فيكون إلقاء اللوم على المأمون وسيلة لإنكار دورهم في خلق مشكلة مستقبلاً شبيهة بتلك التي حصلت معه أبيه عليه السلام أو تفاقمها (قال: لما أراد المأمون أن يزوج ابنته أم الفضل أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام بلغ ذلك العباسيين فغلظ عليهم ذلك، واستنكروا منه وخافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما انتهى مع الرضا عليه السلام، فخاضوا في ذلك واجتمع منهم أهل بيته الأذنون منه، فقالوا: نشدك الله يا أمير المؤمنين أن تقيم على هذا الأمر الذي قد عزمت عليه من تزويج ابن الرضا عليه السلام فإننا نخاف أن يخرج به عنا أمر قد ملكناه الله، وينزع منا عزاً قد ألبسناه الله، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً وما كان عليه خلفاء



الراشدون قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم، وقد كنا في وهلة من عملك مع الرضا ما عملت، وكفانا الله المهم من ذلك، فالله الله أن ترديا إلى غم قد انحسر عنا، واصرف رأيك عن ابن الرضا عليه السلام وأعدل إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره، فقال لهم المأمون)

يحيى بن أكثم، اتجه نحو الميل إلى رؤية الذات في ضوء إيجابي مع التقليل من شأن العيوب التي تعترى مذهبه الفقهي والعقائدي أو إنكارها. فغالباً ما يحاول الأشخاص الذين يظهرون سلوكاً دفاعياً إنما يحاولون حماية احترامهم لذاتهم من خلال الحفاظ على صورة ذاتية إيجابية، فعند مواجهة أخطائهم قد يقاوم الأفراد الذين لديهم تميز قوي لتعزيز الذات تحمل المسؤولية، وبدلاً من ذلك يحاولون الالتفاف على الحقائق التي تمت مواجهته بها من خلال الانتقال إلى موضوع آخر ثم آخر والقيام بذلك يسمح لهم بالحفاظ على احترامهم لذاتهم وتجنب الشعور بعدم الكفاءة. (فقال له يحيى بن أكثم: «ما تقول يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، في الخبر الذي روي أنه نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال: يا محمد صلى الله عليه وآله إن الله عز وجل يقرؤك السلام، ويقول لك: سل أبا بكر هل هو عني راض؟ فأني عنه راض» فقال أبو جعفر عليه السلام: «لست بمنكر فضل أبي بكر، ولكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع قد كثرت عليّ الكذابة، وستكثر بعدي، فمن كذب عليّ متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار، فإذا أتاكم الحديث عني، فاعرضوه على كتاب الله وسنتي، فما وافق كتاب الله وسنتي، فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنتي، فلا تأخذوا به، وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله، وقوله تعالى «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» فالله عز وجل

خفي عليه رضاء أبي بكر من سخطه حتى سأل عن مكنون سره هذا مستحيل في العقول». قال يحيى بن أكثم: «قد روي «أن مثل أبي بكر وعمر في الأرض كمثل جبرئيل وميكائيل في السماء» قال عليه السلام: «وهذا أيضاً يجب أن يُنظر فيه؛ لأن جبرئيل وميكائيل ملكان لله مقربان لم يعصيا الله قط، ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة، وهما قد أشركا بالله عز وجل، وإن أسلما بعد الشرك، وكان أكثر أيامهما في الشرك بالله، فمحال أن يشبههما بهما» انظر الى كيفية انتقال ابن أكثم من موضوع الى آخر بعد ان استشعر عدم كفاءته في اتمام المناظرة، فانتقل الى موضع السائل بدلاً من المناظر.

٥- النشاط السلوكي العام، بدا النشاط السلوكي قوياً وحاداً داخل المناظرة؛ وذلك لأننا نلاحظ أن المناظرة ومن الأساس كانت لا تنتمي إلى اللقاءات الفكرية المفتوحة التي يكون التعويل فيها على المنطق العقلي - وإن التزم الإمام الجواد عليه السلام بهذا المنهج غير أن خصومه لم يكن الدافع لهم إلا التهوين بعقيدة وأعلمية الإمام الجواد بكافة الأساليب حتى وإن لم تكن الطريقة علمية، بينما انتهج الإمام الجواد عليه السلام إمكانية التوسع في استخدام الأدلة الذهنية وتشغيل الاستدلالات داخل النص، وترك أمر الانفعالات والوجدانيات للطرف الآخر الذي تعسف في استخدام التحدي لفظاً ورمزاً.

سكت يحيى بن أكثم عن الاشكالات التي طرحها الإمام الجواد عليه السلام والتي كان ينبغي عليه محاججته؛ نظراً لحساسيتها عندهم، وعدم تعقب الإمام الجواد عليه السلام تعقب موارد الخلاف بعد سكوت المناظر عن الإجابة، وهو أمر مقبول في علم النفس المعرفي في ظل عمل العقل بشكل انتقائي لمحاوَر الخطاب الحجاجي ومفاصله.

ثانياً. السمات الاجتماعية: من فضل القول بأن لكل إنسان مجموعة من الخصائص النفسية والأخلاقية والعقلية وهي الصفات أو السمات هي التي تحدد كيفية تعامله مع محيطه ومع الآخرين ممن ينتمون إلى حلقة الاجتماعية، وتتفاوت الناس في مقدار اكتساب تلك السمات تبعاً لقابليتهم في طريق الكسب المعنوي فضلاً عما حباه الله لعباده من طيب ما يرثونه من سجايا وصفات من آبائهم، الوراثة تؤثر في تحديد أغلب خصائص وصفات الشخصية، حيث تخلق الاستعداد في النفس، فاذا وجدت البيئة المناسبة نمت وترعرعت بالاتجاه المناسب لها^{٤٧}. وقد أثبت كثير من العلماء دور الوراثة في تحديد الصفات النفسية والروحية والعقلية للإنسان.

١ - البناء الاجتماعي: يمثل الإمام الجواد (عليه السلام) قمة الهرم العلمي والروحي والاجتماعي عند نصف الأمة الإسلامية فهو إمام وابن إمام ووالد إمام، مضافاً إلى هذه المركزية الاجتماعية، فهو بالنتيجة حفيد نبي الإسلام الذي تأسست دولة العباسيين على الاسس التي حكمها ونظمها بحسب ادعائهم، ومن هنا جاءت فلسفة شعور أي مدع للخلافة سواء عند الأمويين أو العباسيين بالخطر من الإمام المنصوب؛ لذلك كان يلجأ ملوك بنو العباس إلى استقدام الإمام من المدينة المنورة ويجعله عنده في بغداد وهو ما فعله المأمون مع الامام الجواد (عليه السلام)، همّة المكانة يمكن أن نلمح صورتها في محاولة ثني العباسيين المأمون عن إرادته لتقريب الإمام الجواد (عليه السلام) وتزويجه ابنته أم الفضل، قال الريان بن شبيب (لما أراد المأمون أن يزوج ابنته أم الفضل أبا جعفر محمد بن علي (عليه السلام) بلغ ذلك العباسيين فغلظ عليهم ذلك، واستنكروا منه وخافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما انتهى مع الرضا (عليه السلام)، فحاضوا في ذلك واجتمع منهم أهل بيته الأدنون منه، فقالوا: ننشدك الله يا أمير المؤمنين أن تقيم على هذا الأمر الذي قد عزمت



عليه من تزويج ابن الرضا عليه السلام فإننا نخاف أن يخرج به عنا أمر قد ملكناه الله، ويتنزع منا عزاً قد ألبسناه الله، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً وما كان عليه خلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم، وقد كنا في وهلة من عملك مع الرضا ما عملت، وكفانا الله المهم من ذلك، فאלله الله أن ترديا إلى غم قد انحسر عنا، واصرف رأيك عن ابن الرضا عليه السلام وأعدل إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره، فقال لهم المؤمنون: أما ما بينكم وبين آل أبي طالب فأتتم السبب فيه، ولو أنصفتهم القوم لكان أولى بكم، وأما ما كان يفعله من قبلي بهم، فقد كان به قاطعاً للرحم، وأعوذ بالله من ذلك، ووالله ما ندمت على ما كان مني من استخلاف الرضا ولقد سألته أن يقوم بالأمر وأنزعه من نفسي فأبى، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وأما أبو جعفر محمد بن علي، فقد اخترته لتبريزه على كافة أهل الفضل في العلم والفضل، مع صغر سنه والأعجوبة فيه بذلك، وأنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه، فيعلموا أن الرأي ما رأيته، فقالوا: إن هذا الفتى وإن راقك منه هديه فإنه صبي لا معرفة له ولا فقه، فأمهله ليتأدب ثم اصنع ما ترا بعد ذلك، فقال لهم: ويحكم أي أعرف بهذا الفتى منكم، وأن هذا من أهل بيت علمهم من الله تعالى ومواده وإلهامه، لم يزل أبأؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حد الكمال، أما مناظريه فيمثلون طائفة من الفقهاء والمتكلمين وجلاس المؤمنون من الأمراء والوجهاء وأصحاب الرأي .

شكل الانتفاء العقدي فارقاً نوعياً واضحاً في المناظرة، ففي الوقت الذي ينتمي الإمام الجواد عليه السلام إلى المدرسة النبوية، بل هو الممثل الشرعي الوحيد لها في المناظرة، تجد يحيى بن أكثم يمثل الاتجاه الآخر الذي يعتمد في اعتقاداته على نقل الأصحاب ويظهر انحيازه لهذا الاتجاه واضحاً،

وكانه يقابل الإمام الجواد عليه السلام في اعتقاده بالإمامة، إمامة آبائه وإمامته هو نفسه، عندما يسأله عن سؤال الله للنبي عن أبي بكر هل هو راض عنه أم لا، وعن كونهما (أبي بكر وعمر) كمثل جبرائيل وميكائيل في المنزلة، وهذا واضح في اتخاذ الرجل الجانب الآخر المقابل لعقيدة الإمام الجواد عليه السلام في خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله .

٢- الممارسة السياسية: اتسمت سياسة المأمون بعد توليه الخلافة بعدد من السمات التي قد يعارض بعضها البعض الآخر وما تقول فيمن يغدر ويفجر، وتلك لعمرى هي سمة السياسة بشكل عام، فغالباً ما يناقض السياسي نفسه، ويكذب عليها، ومن هنا نفهم نفور أهل المعرفة منها يقول أمير المؤمنين علياً عليه السلام "وما معاوية بأدهى مني ولكنه امرء يغدر ويفجر"، أما المأمون فهو وإن كان في ظاهره ميالاً للعلويين إلا أنه وفي مضمون خطابه السياسي الذي نستجليه من سيرته معهم لا يعدو أن يكون إلا عدواً لهم، ومن سياسته في فترة حكمه :

أولاً- سياسته اتجاه الفرس : اتسمت سياسة المأمون بأنها جمعت بين المواقف المتناقضة التي يصعب التوفيق بينها، فكان يميل إلى الفرس تارة ثم إلى العلويين تارة أخرى ثم يميل إلى أهل السنة والجماعة تارة ثالثة، فاستطاع بتلك السياسة البراغماتية أن يجمع بين المواقف المتناقضة وأن يرضي جميع الأحزاب ويتغلب على معظم الصعاب. بويع بالخلافة أثناء وجوده في خراسان ولهذا لم ينتقل إلى بغداد مقر الخلافة العباسية، بل ظل مقيماً في مدينة مرو بخراسان مدة ست سنوات تقريباً انتقل بعدها إلى بغداد سنة ٢٠٤ هـ ويقال أن سبب ذلك هو أن المأمون كان يخشى أهل بغداد أنصار أخيه وقيل كذلك أن وزيره الفضل بن سهل هو الذي أقنعه بذلك.

ثانياً- سياسته اتجاه العلويين : أما من جهة سياسة المأمون نحو العلويين فكانت تتسم ظاهراً بالعطف والتسامح؛ وكأنه أراد بذلك أن يتلافى مغبة السياسة القاسية التي سلكها آباؤه العباسيون نحوهم من قبل ويلاحظ أن ميل المأمون إلى العلويين لم يتفق مع إرادة البيت العباسي، فكما حال رؤساء هذا البيت بين المأمون والإمام الرضا (عليه السلام)، ومن ثم عملهم على تصفية الإمام (عليه السلام)، أضف إلى ذلك عدم اعتقاد المأمون بإمامة الرضا (عليه السلام) بدليل أنه تراجع عن كل هذه الإجراءات حينما دعت الضرورة إلى ذلك.

٣- نمط الأداء الثقافي : أدى التنوع الثقافي العام لتهيئة المناخ للتعاور والجدل، وكانت المناظرات تشغل الناس على اختلاف مشاربهم وطبقاتهم، وكان مستوى ثقافة الحوار هو امتداد للثقافة السائدة التي تسعى إلى جعل المناظرات توسيعاً للمدارك وفتحاً للأفاق الجديدة في الوعي، فكانت وسيلة من وسائل تنمية المعرفة الصحيحة وممارسة العقل السليم؛ لأن الهدف هو الوصول الى الحق (قال المأمون: أحسنت يا أبا جعفر أحسن الله إليك. فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سأل، فقال أبو جعفر ليحيى: أسألك؟ قال يحيى بن أكثم: ذلك إليك جعلت فداك، فإن عرفت جواب ما تسألني عنه وإلا استفدته منك)، فكان مدار عقد المناظرات هو الاستفادة في الوصول الى الحق .

فترة حكم المأمون والمعتصم والواثق هي العصر الذهبي لنشاط المعتزلة. ولا بد من الإشارة إلى أن مقولة خلق القرآن تقع بين مستوين من علاقة الإلهي بالبشري في النص المنزل، فقد ارتبطت هذه المقولة مع مقولة القضاء والقدر واثبات مسؤولية الإنسان وحرية في الوجود أولاً، وتاريخانية النص ثانياً ورفض سياسة الجور بمبررات شرعية ثالثاً؛ لذلك نجد أن علم الكلام قد عاش محناً كثيرة بسبب تلك المقولات

التي تصنّف على أنها موجهة ضد السلطة ، ومن الجدير بالذكر أن هذه المناظرات التي كانت تجري برعاية دار الخلافة وتحت إشراف الخليفة ذاته. قد أثرت في الاتجاه العقائدي العام للخليفة ذاته أو لحاشيته المقربين ممن كانوا ليسوا على دراية كاملة باصول الأديان وفلسفة الأحكام وبعلم المعرفة المختلفة؛ لذلك كان الخلفاء العباسيين شديدي الحرص على الرجوع إلى العاصم الأعظم للإمامة وصمام أمانها المتمثل بأهل بيت النبي صلى الله عليه واله، فكان المأمون والمعتصم على حد سواء عندما تدلهم الخطوب وتحار العقول في التوفيق بين مدعيات الفرق الكلامية التي كانوا يعتقدون مناظراتهم في قصورهم، يرجعون إلى أئمة الهدى من آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم، فيقولون الكلمة الفصل في أي نزاع عقائدي، وهذا بحد ذاته اعتراف ليس بفضلهم وبسابقتهم في علوم الأديان، بل اعترافاً بمشروعيتهم في إمامة الأمة وسيادة الناس، وما دونهم إنما هم بمثابة الرعية إلى السلطان، فهم أئمة الناس وما دونهم عيال عليهم.

أنموذج المناظرة بين أهم فرقتين فكريتين في العصر العباسي، يقودنا للمضي في البحث عن الأنساق المعرفية التي سادت في العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية، من خلال اصطحاب فرقة من أهل السنة، واحد أهم رجالها، هو يحيى بن أكثم، ومن المؤكد أن مناظرات متكلمي الإمامية مع شيوخ مدرسة الصحابة كانت جزءاً كبيراً من أدبيات تلك الفترة، وقد يكون اختلاف المواقف السياسية بين المتناظرين، من حيث التأييد أو المعارضة لحكم بني العباس، معياراً آخر لحجّة الآراء.

إنّ ثقافة الحوار هي ثقافة اجتماعية تواصلية، وهي عرض لجوهر حضاري، تبلغ نضجها عند اكتمال البناء الفكري المتحرر للأفراد، والأجدر أن تتبناها النخب الثقافية في المجتمع، فهي الأكثر إدراكاً لأهمية

الحوار ودوره في تكامل الرصيد المعرفي، ولكن يبدو أن الانساق المعرفية لا تستطيع الإفلات من قيود الموروث، وأن جذورها تمتد عميقاً في دهاليز البداوة، ومن الصعب الالتزام بأصول الحوار في تحرير محل النزاع والاحتكام الى المعايير المناسبة.

النمط الاتصالي كان في أفضل حالاته، بدأ من الاستئذان لبدء المناظرة وانتهاء بالاعتراف بأحقية المناظر، تخلل لك ترتيب للردود متناسق مع هيئة المناظرة التي كانت منساقة بالكامل نحو تحقيق علة أنعقادها، ولم تشهد المناظرة انحرافاً تقتضيه طبيعة الجدل العقائدي أو مناورة الغرض منها الالتفاف على إجابات الطرف الآخر.

اختلاف المنظومة العقائدية لطرفي التناظر في الاطار العام، ظهرت بعض القوالب الثقافية التي تستند الى القدر المشترك من الخبرة بعقيدة الطرف الآخر، (فقال أبو جعفر عليه السلام : «لست بمنكر فضل أبي بكر، ولكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع قد كثرت عليّ الكذابة، وستكثر بعدي، فمن كذب عليّ متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار، فإذا أتاكم الحديث عني، فاعرضوه على كتاب الله وسنتي، فما وافق كتاب الله وسنتي، فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنتي، فلا تأخذوا به)

٤ - أدبيات الحوار وقواعد السلوك : ساد المناظرة جو من التصرفات الدبلوماسية المعهودة في حضرة الملوك والسلاطين، وشاع الجانب الرسمي في الحديث مع المأمون والإمام الجواد بصورة خاصة، مما ساهم في أن يكون الخطاب جامداً إلا أن ذلك لم يمنع يحيى بن أكثم من إبداء مشاعر الاحترام والتعاطف مع الاحتفاظ بالمستوى اللغوي المعروف في المناظرات. قال يحيى بن أكثم للمأمون : تأذن لي يا أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر

عن مسألة؟ ، فقال المأمون: استأذنه في ذلك، فأقبل عليه يحيى بن أكثم فقال: أتأذن لي جعلت فداك في مسألة؟)

النوبات الكلامية قليلة بل تكاد تكون بنسبة متدنية من أحد أطراف المناظرة لقوة حجة الطرف الآخر، الذي يمثلها الإمام الجواد عليه السلام .

احتفظت المناظرة بمعايير اللياقة الأخلاقية حين تلاشت معدلات الانتقاص والإهانة في جميع مراحل المناظرة (قال يحيى بن أكثم : لا والله لا اهتدي إلى جواب هذا السؤال، ولا أعرف الوجه فيه، فإن رأيت أن تفيدنا).

٥ . المعايير الاجتماعية وحدود الضبط والجزآآت : حينما حاول الاتجاه العباسي المناهض لوجود الامام عليه السلام قريباً من المأمون أن يقلل من شأنه عليه السلام، (واصرف رأيك عن ابن الرضا وأعدل إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره)، أبان الإمام عليه السلام صرامة جمعية كانت كفيلة بمواجهة نوبة التقليل من الشأن العلمي للإمام عليه السلام (أقبل إلى أبي جعفر فقال له: أتخطب يا أبا جعفر؟ قال عليه السلام : نعم. يا أمير المؤمنين ..) وهو بذلك تصرف بخلاف رغبة العباسيين ولم يخضع لرغباتهم في نفيه عن دار الخلافة

ثالثاً- الوسائل التواصلية : التفاعل في المناظرة في أعلى درجات الانضباط بالإضافة الى أنه كان تفاعلاً حراً وغير مقيد بحائل الاختلاف، كان فيه يحيى بن أكثم هو المبادر في توجيه الاسئلة، موجهاً تساؤلاته عن أول نقاط الإشكال الذي تم طرحه بصورة مباشرة وواضحة (قال يحيى بن أكثم : أتأذن لي جعلت فداك في مسألة؟).

كان الإمام الجواد عليه السلام الداعي الى طرح الاسئلة، محتفظاً بأسلوب ضبط المناظرة من خلال بيان أحقيته في المراجعة والسؤال وأن الجواب الواقعي لا يصدر إلا منه (فقال الامام الجواد : سل إن شئت).

ظلت الاستجابات في مجملها من كلا طرفي المناظرة واعية ومناسبة، وإن بدت من يحيى بن أكثم استجابات مشوشة ومبتورة، وأحياناً مراوغة، مثل طلبه رأي الإمام عليه السلام في أحاديث في فضل الشيخين، على الرغم من معرفته بحساسية مثل هذه الأسئلة بالنسبة إلى الإمام عليه السلام، وكذلك بعدم وجود وحدة موضوع بين المحور الذي عقدت من أجله المناظرة والسؤال الذي طُرح فيها وبين ما طرحه في نهاية المناظرة، بل بعد انتهائها وحصول الخطبة والحفل الذي تلاها واذعان العباسيين ممن اعترض على المأمون. ساهم التكنيك المتصل للمناظرة في ارتفاع مستوى الإنصات وتحقيق أعلى معدلاته خاصة مع اختفاء المقاطعات وتضاؤل فرص التشويش، وهذا أدى في النهاية إلى انخفاض معدل التفاعل التبادلي بين المتناظرين، مع بقاء الفجوات الاتصالية حاضرة وبشدة لدى أطراف المناظرة؛ لعدم وجود مسلمات مشتركة في إطار موضوع المناظرة كمادة للتناظر وإلقاء الخطاب الحجاجي.

رابعاً. استراتيجية الخطاب: خطاب المناظرة طرح فقهي يروم اجهاض الاستدلالات التي يوردها الخصم ومن ثم الاسهام بتنكيس وهدم البنية المعرفية له، ثم إعادة تدويرها ببنية معرفية جديدة؛ وذلك من خلال استثمار توجهات ذهنية للمشاركين في مجلس المناظرة والعمل على تفعيل المقاربات الاستدلالية، بقصد تثبيت البنية الجديدة وحمايتها من إمكانية ردها من قبل الخصم (فأقبل المأمون على من حضر من أهل بيته وقال لهم: هل فيكم من يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب، أو يعرف القول فيما تقدم من السؤال؟ قالوا: لا والله إن أمير المؤمنين أعلم بما رأى). الإمام الجواد عليه السلام: أداء حجاجي إقناعي يهدف إلى تحقيق نتائج حاسمة من خلال التفوق المعرفي على الخصم ورد حججه أو الإجابة عن إشكالاته

داخل مقام الاستدلال بوصفه المنطلق الاساسي للإثبات واحراز صلاحية الفروض وشرعيتها في مناظرة عقلانية لا مكان فيها لمدى مقبولية المناظر أو قوة شخصيته او مكانته الاجتماعية أو فاعلية سلطته فضلاً عن مصداقيته، فاستهدف الإمام عليه السلام الحقائق الملموسة والشواهد مركزاً في الوقت ذاته على دور البرهنة الفكرية والنموذج الاستدلالي وذلك من خلال :

١ - العمل على إيراد الجواب من خلال دلالات الألفاظ باستخدام الشواهد والقرائن الحالية والمقالية (فقال أبو جعفر عليه السلام : هذه أمة لرجل من الناس، نظر إليها أجنبي في أول النهار فكان نظره إليها حراما عليه، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلت له، فلما كان عند الظهر أعتقها فحرمت عليه، فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه، فلما كان وقت العشاء الآخرة كفر عن الظهر فحلت له، فلما كان نصف الليل طلقها طليقة واحدة فحرمت عليه، فلما كان عند الفجر راجعها فحلت له .)

٢ - تنفيذ افتراضات الخصم من خلال تفعيل السبر والتقسيم (فقال أبو جعفر عليه السلام : قتله في حل أو حرم، عالما كان المحرم أو جاهلا قتله عمدا أو خطأ، حرا كان المحرم أو عبدا، صغيرا كان أو كبيرا، مبتدئا بالقتل أو معيدا، من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها، من صغار الصيد أم من كبارهم مصرأ على ما فعل أو نادما، في الليل كان قتله للصيد أم بالنهار، محرما كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرما؟).

٣ - الاستدلال بالعام على الخاص او بالمتفق عليه على المختلف فيه بصورة خاصة في مورد الإجابة (فقال أبو جعفر عليه السلام : «لست بمنكر فضل أبي بكر، ولكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله ﷺ في حجة الوداع قد كثرت عليّ الكذابة،

وستكثر بعدي، فمن كذب عليّ متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار، فإذا أتاكم الحديث عني، فاعرضوه على كتاب الله وسنتي، فما وافق كتاب الله وسنتي، فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنتي، فلا تأخذوا به، وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله، وقوله تعالى «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» فالله عز وجل خفي عليه رضاء أبي بكر من سخطه حتى سأل عن مكنون سره هذا مستحيل في العقول». (فحديثه ﷺ) كثرت علي الكذابة) متفق عليه، أما فضل أبي بكر فمختلف عليه .

٤ - تكوين انساق معرفية هدفها التهوين من استدلالات الخصم، مثل استخدام المقارنات العقلية والعرفية، وهو ما نلمسه في معرض جوابه على صحة حديث ان أبا بكر وعمر مثلهما مثل جبرائيل وميكائيل (قال ﷺ : «وهذا أيضاً يجب أن يُنظر فيه؛ لأن جبرئيل وميكائيل ملكان لله مقربان لم يعصيا الله قط، ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة، وهما قد أشركا بالله عزّ وجلّ، وإن أسلما بعد الشرك، وكان أكثر أيامهما في الشرك بالله، فمحال أن يشبههما بهما»)، وهذا نوع من عقد مقابلات مركبة بين النسق المتبنى والنسق المضاد .

٥ - الاعتماد على البديهيات المستقرة وتشغيل فروض العقل الجمعي واستخدم المفهوم المشترك لدى العقلاء أي الإحالة إلى فروض العقلاء
٦ - اتباع استراتيجية الترغيب من خلال وصف الإطار العقائدي، راصداً مكانته في حياة الجماعة، ومدى ارتباطه بأمور تتعلق بتشغيل الوعي نظير ردوده ﷺ في مقام فضل الشيخين، وهو رد يثير تساؤلات عند الطرف الآخر تتعلق بصلب عقيدته بالصحابه .

٧- العمل على تشغيل القوالب الثقافية الجاهزة التي ارتبطت بتجارب معرفية وإنسانية بوصفها محوراً للاستدلال ونقل الخبرة، فكل ذلك ارتبط بالتجربة المعرفية الإنسانية وجعل تلك المعرفة محوراً للاستدلال .

العباسيون ممن حضر المناظرة: انطلق برنامج العباسيين المضاد في اتجاهين هدفوا من خلاله إحداث خلل معرفي عند الإمام الجواد عليه السلام بهدف سحب اتجاهه بوساطة :

١- نسج مآزق فكرية بغية إيقاع الإمام عليه السلام بالخطأ أو العدول عن رأي مشهور له أو لمذهبه الكلامي (... بلغ ذلك العباسيين فغلظ عليهم ذلك، واستنكروا منه وخافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما انتهى مع الرضا عليه السلام، فخاضوا في ذلك واجتمع منهم أهل بيته الأدنون منه....) .

٢- تشويه اعتقادات الخصم و بث الشكوك فيها والتهوين من حجيتها بغية اخلال المنظومة اليقينية التي ينطلق منها المناظر الآخر في بيان إراداته. خامساً- مغالطات حجاجية : انحراف يحيى بن أكثم عن الواقع الموضوعي، ولم يتصل حجاجه بشرائط البرهان ومقتضيات الاستدلال، بل صدر عن وعي مغلوط ومعالجة مشوهة حين :

١- تخطى النسق الايدلوجي المضاد إلى باقي الانساق الأخرى، مانحي تعصبهم مساحة علمية مقنعة وواسعة .

٢- تصدير أفكار وإشكالات ناتجة من استيعاب غير دقيق لظاهر النصوص، أو المسلمات الدينية، يدل عليه طريقة طرحه للإشكالات خاصة فيما تعلق بفضل الشيخين فقد امتاز بطابع السؤال وليس طرح هذه القضية كإشكالية معرفية .

سادساً- الاستشهاد : لم يرد نص رئيس للاستشهاد بسبب عدم اتحاد طرفي التناظر على منظومة عقدية واحدة تسمح برصد النصوص وتوجيهها،

وان ظل ورود بعض النصوص الدينية من قبيل الاستقصاء أو المناقشة أو الاستفهام المتضمن عدم اليقين أما بدلالاتها أو أسانيدها من غير نية تدعيم رأي المناظر الآخر

سابعاً - مستوى التأثير : أتاح اتساع نطاق ممارسة الأنشطة الذهنية للخروج بنتائج منظمة، فقد اتضحت في الخطاب الذي صدر من الإمام الجواد عليه السلام المقدرة الإقناعية له، بتسجيل خصومه أقصى درجات الاستسلام والقبول برأيه عليه السلام ، وما ذاك إلا لقوة حجته ووضوح برهانه :

المأمون العباسي : تأثر المأمون كثيراً بقوة حجة الإمام عليه السلام وبأن إزعاجه للحجج التي أوردها الإمام عليه السلام مما أدى إلى إزالة بعض الشكوك التي كانت تراوده والتي من أجلها عقد المناظرة والتي كان من مناشئها صغر سن الإمام عليه السلام ، ودعاية العباسيين في التهوين من قيمة علوم الإمام عليه السلام (فقال المأمون: أحسنت يا أبا جعفر أحسن الله إليك. فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألت).

العباسيون: استسلم العباسيون بشكل ملفت للنظر، والقمو فلم يحاروا جواباً غير قولهم للمأمون أن الرأي ما رأيت بعد أن كانوا من أشد المعارضين لتقريب الإمام منه (فأقبل المأمون على من حضر من أهل بيته وقال لهم: هل فيكم من يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب، أو يعرف القول فيما تقدم من السؤال؟ قالوا: لا والله إن أمير المؤمنين أعلم بما رأى. فقال المأمون: ويحكم إن أهل هذا البيت خصوا من الخلق بما ترون من الفضل، وإن صغر السن لا يمنعهم من الكمال، أما علمتم أن رسول الله ﷺ افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو ابن عشر سنين، وقبل منه الإسلام وحكم له به، ولم يدع أحداً في سنه غيره، وباع الحسن والحسين عليهما السلام وهما دون الست سنين ولم يبايع صبياً غيرهما؟ أو لا تعلمون الآن ما اختص الله به هؤلاء القوم وأنهم ذرية بعضها من بعض، يجري لأخراهم ما يجري لأولهم؟).

الخاتمة

في ختام هذا البحث توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، وهي كالآتي:

١ - اعتمد المنهج التداولي على الحجاج في اللغة من خلال بنيتها التي تدي وظيفة حجاجية انطلاقاً مما تتضمنه من عوامل حجاجية توجه الملفوظ وجهة معينة بحيث يخرج من حيز الإعلام إلى التأثير، وهذا ما يعطي الملفوظ طاقة حجاجية يكون له أثر في ترتيبه داخل السلم الحجاجي الخطابي

٢ - يشكل خطاب المناظرات مادة دسمة للدراسات التداولية لما فيه من قضايا لغوية وسياقية، فهو يحمل الكثير من القيم الاجتماعية التي جعلته قريباً من واقع الحياة اليومية، كما أنه غني بجوانب مهمة من الدرس التداولي، فقد تنوعت فيه الأفعال الكلامية بمختلف أنواعها، ويزخر باللغة الحجاجية، إذ نلمس في معظم عباراته بعداً حجاجياً، يحاول من خلاله المتكلم إقناع السامع، وبذلك فإن الآليات التداولية تسمح بالولوج في مضامين النصوص التراثية من خلال ما صُرح به، وما سُكت عنه، لاستكناه خباياها، ومعرفة أسرارها.

٣ - ولجت التداولية النصوص الروائية والأدبية، واستثمرت نظرياتها في علم اللغة النصي، واستطاعت فك شفراته بإدخال السياق أثناء الدراسة، على الرغم من الصعوبات التي واجهتها؛ لأن النص لروائي بعيد عن سياقه.

٤ - تعد المعرفة المشتركة من أبرز العناصر الخارجية التي تتحكم في بنية الخطاب، وتؤيِّله التأويل المقصود؛ فالتكلم يعتمد عليها أثناء إنجازه للأفعال اللغوية؛ لأنها تساعد على فهم القول وإحالة مبهمات على مراجعها الحقيقية، لذلك نجد اختلافاً في بنية الملفوظات للمتكلم الواحد، وهو ما تتحكم فيه المعارف المشتركة بينه وبين متلقيه، فإذا توفرت بين طرفي



الخطاب يستخدم المتكلم العناصر الإشارية دون التصريح بمراجعتها؛ لأنه يعرف أن المتلقي بإمكانه فهمها واحالتها على مراجعتها الحقيقية، وفي حالة عدم توفرها يعتمد المتكلم إلى الابتعاد عن المبهات، أو الاستعانة بكلمات تساعد على إحالتها لفك غموضها.

٥ - فرضت المواقف التواصلية في خطاب المناظرات على المتكلم استخدام أفعال غير مباشرة، تستمد قوتها الإنجازية من السياق؛ لأنها محكومة بعوامل خارجية لعل أهمها سلطة المرسل، والتأدب في الحديث الذي جسّد الاستراتيجية التضامية بين طرفي العملية التواصلية في النص الروائي، والعدول عن محاولة إكراه المرسل إليه أو إحراجه لإنجاز الفعل.

٦ - ارتبطت الاستعارة الحجاجية في خطاب المناظرة بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التخاطبية والتواصلية، وتعدّ من أهم الآليات البلاغية التي فرضت نفسها على المتكلم بهدف التأثير والإقناع، حيث استخدمها لتوجيه خطابه، وتحقيق أهدافه الحجاجية.

٧ - يلعب السياق دوراً بارزاً في تحويل الملفوظ إلى حجة، فالعبارة الواحدة قد تكون حجة أو نتيجة حسب السياق، كما يتدخل في إظهار الحجة واضمارها، وهذا ينطبق أيضاً على النتيجة والرابط الحجاجي الذي يربط بينهما.

٨ - تعتبر مناظرات العصر العباسي في عصره الذهبي من أهم الموارد الحجاجية التي يمكن دراستها اليوم وفق المنهج التداولي لمعرفة مدى تأثيرها في الأوساط الاجتماعية والعلمية خاصة وأن تلك الفترة شهدت صياغات رائدة في المجالات المعرفية كافة، ومنها الصياغات اللغوية .

الهوامش:

- ١- المجلسي، بحار الأنوار، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، ٥٠ : ١.
- ٢- ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، بيروت، دار الأضواء، ط ٢، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م، ٤ : ٣٧٩.
- ٣- الكليني، أصول الكافي، بيروت، دار المحجة البيضاء، ط ١، ١٤١٤ / ١٩٩٢، ١ : ٤٩٢-٣١٥.
- ٤- الطوسي، مصباح المتعبد، بيروت، مؤسسة فقه الشيعة، ط ١، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م، ص ٨٠٤-٨٠٥.
- ٥- المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، قم، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٣ هـ.. ٢: ٢٧٣.
- ٦- الأشعري، المقالات والفرق، طهران، مطبعة حيدري، ١٣٤١ ش، ص ٩٩.
- ٧- الإرزلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، قم، الشريف الرضي، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م، ٢: ٨٦٧.
- ٨- المجلسي، بحار الأنوار، ٥٠ : ٢٣-٣٥.
- ٩- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ٤ : ٣٨٠.
- ١٠- المفيد، الإرشاد، ٢: ٢٦٥.
- ١١- المفيد، الإرشاد، ٢: ٢٦٦.
- ١٢- الصدوق، عيون أخبار الرضا، قم، جماعة المدرسين، ١٣٧٧ هـ، ٢: ٥٨٦.
- ١٣- الكليني، أصول الكافي، ١: ٣٨٢.
- ١٤- سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص ٣٥٩.
- ١٥- العاملي، جعفر مرتضى، الحياة السياسية للإمام الجواد، بيروت، المركز الإسلامي للدراسات، ط ٣، ١٤٢٥ هـ..، ص ١٠٦.
- ١٦- الهيثمي، ابن حجر، الصواعق المحرقة، خرج احاديثه عبد الوهاب عبد اللطيف، القاهرة، مكتبة القاهرة، د. ت، ص ٢٠٦.
- ١٧- النيسابوري، فتال، روضة الواعظين، بيروت، الاعلامي، ١٩٨٦ م، ط ١، ص ٢٣٧.
- ١٨- وقد ذكر الطبري أن زواج الإمام الجواد من أم الفضل كان سنة ٢٠٢ هـ. أنظر: الطبري، التاريخ، بيروت: مؤسسة الاعلامي للمطبوعات، د. ت، ٧ : ١٤٩.
- ١٩- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ٤ : ٣٨٠.
- ٢٠- القمي، منتهى الآمال في تواريخ النبي وآل، بيروت، دار المصطفى، ٢٠١١، ط ٣، ٢: ٢٣٥.
- ٢١- ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م، ١٠ : ٢٩٥.
- ٢٢- المفيد، الإرشاد، ٢: ٢٨٤..

- ٢٣- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ٤: ٣٨٠.
- ٢٤- المفيد، الارشاد، ص ٤٨١.
- ٢٥- الأشعري، كتاب المقالات والفرق، ص ٩٩.
- ٢٦- الطبرسي، اعلام الوري، ٢: ١٠٦.
- ٢٧- العياشي، تفسير العياشي، بيروت، المكتبة العلمية الاسلامية، ١٩٩٨ م، ١: ٣٢٠.
- ٢٨- العاملي، جعفر مرتضى، الحياة السياسية للإمام الجواد، ص ١٥٣.
- ٢٩- المفيد، الإرشاد، ٢: ٢٩٤، مؤتمر الشيخ المفيد، ١٤١٣ هـ.
- ٣٠- المسعودي، إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب، قم، مؤسسة أنصاريان، ط ٣، ١٤٢٦ هـ. ص ١٩٢.
- ٣١- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ١: ٣٨٢.
- ٣٢- جاسم، حسين، تاريخ سياسي غيبت امام دوازدهم (التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر)، [، ترجمه: محمد تقى آيت اللهى، طهران، مؤسسة انتشارات امير كبير، ١٣٨٦ ش، ص ٧٩.
- ٣٣- جعفران، رسول، حيات فكري وسياسي امامان شيعه (الحياة الفكرية والسياسية لائمة الشيعة)، بيروت، دار الحق، ط ١، ١٩٩٤ م، ص ٤٨٩.
- ٣٤- الصدوق، محمد بن علي، التوحيد، تصحيح: هاشم حسيني الطهراني، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، د.ت.، التوحيد، ص ١٠١.
- ٣٥- العطاردي، عزيز الله، مسند الإمام الجواد عليه السلام، قم، المؤتمر العالمي للإمام الرضا، ١٤١٠ هـ، ص ١٥٠.
- ٣٦- الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، تصحيح وتعليق: حسن مصطفوي، مشهد، جامعة مشهد، ١٣٤٨ ش، ص ٤٦٠.
- ٣٧- الكشي، رجال الكشي، ص ٥٢٩ - ٥٢٨.
- ٣٨- قال العلامة الحلي في القسم الأول من كتاب الخلاصه (الريان أن شبيب - بالشين المعجمة وبعدها باء منقطه - خال المعتصم، ثقة). ص ٧١
- ٣٩- الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب، الاحتجاج، قم، انتشارات أسوه، ط ١، ١٤١٣ هـ، ٤٠: ٢٤١.
- ٤٠- الطبرسي، الاحتجاج، ٢: ٢٤٢.
- ٤١- الظهار هو: أن يقول الرجل لزوجته (أنتي علي كظهر أمي) فإذا قال لها ذلك: حرمت عليه ولا يرجع بها إلا بعد أن يعطي الكفارة.
- ٤٢- الطبرسي، الاحتجاج، ٢: ٢٤٤.
- ٤٣- الطبرسي، الاحتجاج، ٢: ٢٤.
- ٤٤- المسعودي، إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ص ١٨٩ - ١٩١.
- ٤٥- الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٧٨.
- ٤٦- العياشي، كتاب التفسير، ١: ٣١٩ - ٣٢٠.
- ٤٧- القرشي، النظام التربوي في الاسلام، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٨ هـ. ص

المصادر والمراجع:

- * ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، بيروت، دار الأضواء، ط ٢، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م.
- * ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م.
- * الأربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، قم، الشريف الرضي، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.
- * الأشعري، المقالات والفرق، طهران، مطبعة حيدري، ١٣٤١ ش.
- * جاسم، حسين، تاريخ سياسي غيب امام دوازدهم (التاريخ السياسي لغبية الإمام الثاني عشر)، [، ترجمه: محمد تقى آيت اللهى، طهران، مؤسسة انتشارات امير كبير، ١٣٨٦ ش.
- * جعفرى، رسول، حيات فكرى وسياسى امامان شيعه (الحياة الفكرية والسياسية لائمة الشيعة)، بيروت، دار الحق، ط ١، ١٩٩٤ م.
- * الصدوق، عيون أخبار الرضا، قم، جماعة المدرسين، ١٣٧٧ هـ.
- * الصدوق، محمد بن علي، التوحيد، تصحيح: هاشم حسيني الطهراني، قم، مؤسسة النشر الإسلامى، د.ت.
- * الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب، الإحتجاج، قم، انتشارات أسوه، ط ١، ١٤١٣ هـ.
- * الطبري، التاريخ، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، د.ت.
- * الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، تصحيح وتعليق: حسن مصطفوي، مشهد، جامعة مشهد، ١٣٤٨ ش.
- * الطوسي، مصباح المتجهد، بيروت، مؤسسة فقه الشيعة، ط ١، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.
- * العاملي، جعفر مرتضى، الحياة السياسية للإمام الجواد، بيروت، المركز الإسلامى للدراسات، ط ٣، ١٤٢٥ هـ.
- * العطاردى، عزيز الله، مسند الإمام الجواد عليه السلام، قم، المؤتمر العالمى للإمام الرضا، ١٤١٠ هـ.
- * العياشى، كتاب التفسير، المكتبة العلمية الاسلاميه، بيروت، ١٩٩٨ م.
- * القرشي، النظام التربوي في الاسلام، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٨ هـ.
- * القمي، منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل، بيروت، دار المصطفى، ٢٠١١، ط ٣.
- * الكليني، أصول الكافي، بيروت، دار المحجة البيضاء، ط ١، ١٤١٤ / ١٩٩٢.
- * المجلسي، بحار الأنوار، بيروت، دار إحياء التراث العربى، ط ٣، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- * المسعودي، إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب، قم، مؤسسة أنصاريان، ط ٣، ١٤٢٦ هـ.
- * المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، قم، المؤتمر العالمى لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٣ هـ..
- * المفيد، الإرشاد، ٢ : ٢٩٤، مؤتمر الشيخ المفيد، ١٤١٣ هجرية.
- * النيسابوري، فتال، روضة الواعظين، بيروت، الأعلمي، ١٩٨٦ م، ط ١.
- * الهيثمي، ابن حجر، الصواعق المحرقة، خرجه عبد الوهاب عبد اللطيف، القاهرة، مكتبة القاهرة، د. ت.

مرويات الامام محمد بن علي الجواد عليه السلام في تفسير عقيدة التوحيد

م. د. امل حمودي رشيد

الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية / قسم التاريخ

ملخص البحث:

وردت في سيرة النبي الاكرم محمد صلى الله عليه وآله العديد من الاحاديث الدالة دلالة قطعية على أن أتباع اهل البيت عليهم السلام هو الطريق السليم والمنجى من الهلاك في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ومن هنا تأتي أهمية تتبع سيرة اهل البيت عليهم السلام في تفسير آيات القرآن الكريم وما ورد عنهم ومنهم الامام التاسع من ائمة اهل البيت عليهم السلام وهو الامام محمد بن علي الجواد عليه السلام، فهم الامتداد الطبيعي لرسول الله محمد صلى الله عليه وآله وهم الثقل الأصغر وعِذْل القرآن الكريم، والذين امر الله عز وجل باتباعهم، وقد وردت عنهم روايات كثيرة في تفسير آيات القرآن الكريم، هذا البحث يتناول مسألة التوحيد التي هي اهم ركائز الدين الاسلامي، وما رُوي عن الإمام الجواد عليه السلام في بيان هذه العقيدة.



Abstract

In the biography of the Noble Prophet Muhammad (may God's prayers and peace be upon him and his family) there are many hadiths that definitively indicate that following the Ahl al-Bayt, peace be upon them, is the sound path and the one who saves from destruction in this life and the afterlife. Hence comes the importance of following the biography of the Ahl al-Bayt, peace be upon them, in interpreting the verses of the Holy Qur'an. And what was reported from them (peace be upon them), and among them is the ninth Imam of the Twelver Imams of Ahl al-Bayt, peace be upon them, is Imam Muhammad bin Ali al-Jawad (peace be upon him), because they are the natural extension of the Messenger of God Muhammad (may God's prayers and peace be upon him and his family) and they are the weight of the Noble Qur'an, and those whom God has commanded. God Almighty followed them, and there were narrations from them in interpreting the verses of the Holy Century. This research dealt with the issue of monotheism, which is the most important pillar of the Islamic religion.

المقدمة

وردت في سيرة النبي الاكرم محمد ﷺ العديد من الاحاديث الدالة دلالة قطعية على أن اتباع منهج اهل البيت ﷺ هو الطريق السليم والمنجي من الهلاك في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ومن هنا يأتي اهمية تتبع سيرة اهل البيت ﷺ في تفسير آيات القران الكريم وما ورد عنهم ﷺ ومنهم الامام التاسع من ائمة اهل البيت ﷺ الاثني عشرية هو الامام محمد بن علي الجواد ﷺ وقد اشتمل البحث على مبحثين الاول (سيرة الامام محمد بن علي الجواد ﷺ): تناول فيه اسمه ونسبه وكناهه والقابه، وشأله وحكام عصره. بصورة إجمالية وبما يتناسب مع البحث فلا يمثل كل ما ذكر وما ينبغي أن يقال عن سيرته العطرة ﷺ، بل هو مختصر لها.

المبحث الثاني بعنوان (التفسير الوارد عن الامام محمد الجواد ﷺ في

بيان عقيدة التوحيد):

ولا يصل البحث في صفحاته القلائل حد الكمال او التمام إلا أن المرجو أن يصل حد التنبيه والانارة لما ورد عن الامام محمد الجواد ﷺ في مسألة التوحيد



المبحث الاول

سيرة الامام محمد بن علي الجواد عليه السلام

الامام محمد الجواد عليه السلام وهو تاسع أئمة اهل البيت الاثني عشر عليه السلام^(١)، الذين ثبتت فيهم الإمامة والعصمة^(٢) من ذرية الإمام الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام، بعد ان ثبت بالدليل القطعي وما ورد من آيات واحاديث شريفة بأنَّ أهل بيت النبي هم: (علي وفاطمة وابناهما) وذريتهم^(٣).

اولا: اسمه ونسبه وكنيته ومولده عليه السلام :

ورد اسم الامام في المصادر التاريخية على النحو الاتي هو: ((محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو جعفر الهاشمي الحسيني))^(٤)، عرف عنه في التاريخ انه: ((كان من سروات آل بيت النبي - عليه السلام))^(٥).

كان للإمام محمد الجواد عليه السلام كنى والقاب عدة، اشهر ما ذُكر في المصادر التاريخية منها هو: أبو جعفر الثاني، وابو علي، والخاص، والمختار، والمرضي، والمتوكل، وظاهر المعاني، ومنبع النبوة، والعالم الرباني، وقليل التواني، والزكي، والمتقي^(٦). الا ان اشهر القاب عليه السلام هي: الجواد؛ وذلك لكثرة سخائه وعطائه، والمرضى والقانع^(٧).

كان مولد الامام الجواد عليه السلام بالمدينة المنورة في النصف من شهر رمضان المبارك، وقيل في العشرين منه، وقيل العاشر من شهر رجب من سنة (١٩٥ هـ / ٨١٠ م)^(٨)، وأمه ام ولد تسمى سبيكة^(٩).

ثانياً: امامته وصفاته عليه السلام :

تسلم منصب الامامة بعد وفاة ابيه الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام، وكان عليه السلام يبلغ من العمر آنذاك ستّ سنين وأشهرًا، هذا الامر جعل من امامته موضع تساؤلات المشككين وقليلي اليقين بقدره الله العزيز الحكيم وهو سبحانه أعلم اين يضع مستودع علمه، إلّا أنّ الامام علي الرضا عليه السلام بين هذا الامر قبل وفاته، عندما سأله أصحابه الخُلص واتباعه لمن سيكون الامر من بعده؟ فأجابهم عليه السلام مبيّناً لهم حكم الله سبحانه وتعالى واجابهم قائلاً: ((إلى ابني ابي جعفر... ان الله بعث عيسى بن مريم قائماً بشريعة في دون السن التي يقوم فيها أبو جعفر ست سنين وشهوراً))^(١٠).

وقد كثرت الروايات في بيان شمائله، فمنها ما ذكرت أنه كان شاباً حسن الوجه أبيض البشرة، معتدل القامة^(١١)، وفي بعض الروايات بانه كان شديد الأدمة اي شديد السمرة^(١٢)، وكان أحد: ((الموصوفين بالسّخاء، ولذلك لُقّب بالجواد.))^(١٣). وقد جمع الامام محمد الجواد عليه السلام كرم آبائه وجودهم فقيل في حقّه: ((فاق الناس بطهارة العنصر، وزكاء الميلاد، وافترع قلة العلاء، فما فاز به أحد ولا كاد...))^(١٤).

وقد فاق الامام محمد الجواد عليه السلام في علمه اهل زمانه وذلك لعدة اسباب أهمها تصديّه للإجابة على الفتاوي وهو في سن مبكرة جداً، فضلاً عمّا ذكر من تسلّمه إدارة شؤون والده الرضا عليه السلام في المدينة المنورة بعدما أشخصه المأمون الى خراسان فيكتب اليه الكتب بأحسن بلاغة وفصاحة^(١٥)، ثم توالى الاخبار عن علمه حتى وصلت الى مسامع المأمون، فعقد له مجالس لمناظرة علماء زمانه والتي سجّل فيها الامام الجواد أروع الأجوبة^(١٦).

أما عن عبادته عليه السلام، فقد كان شأنه شأن آبائه الطاهرين عليه السلام في العبادة والزهد بالدنيا رغم صغر سنه، فقد عُرف عنه انه كان أعظم عبّاد أهل

زمانه، وأخلصهم طاعة الله عز وجل، مجسداً المثل الأعلى لكل شاب في مستقبل عمره، فقد استفاد ما نقل عنه من أنواع عباداته منها: نوافله، وأذكاره وأدعيته ومناجاته، وكثرة حجه وغيرها من الأمور العبادية^(١٧).

ثالثاً: الامام محمد الجواد عليه السلام وحكام بني العباس:

بدأت امامة محمد الجواد عليه السلام بعد وفاة ابيه الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام عام (٢٠٣هـ / ٨١٨م) استمرت (١٧ سنة) اي السنوات (٢٠٣-٢٢٠هـ / ٨١٨-٨٣٥م)، عاصر فيها الامام اثنان من حكام بني العباس، وهما:

١- حكم المأمون (١٩٨-٢١٧هـ / ٨١٣-٨٣٢م): الذي عاصره الامام عليه السلام في القدر الأكبر من مدة إمامته أي ما يقارب (١٥) سنة، وقد وضع المأمون الامام محمد الجواد عليه السلام تحت المراقبة في كل تحركاته، وعندما ذاع صيته في العلم والفقه وإجابة المسائل الفقهية، أشخصه الى بغداد وزوجه ابنته وهي (أم الفضل ابنة المأمون)^(١٨)، وقد اعترض العباسيون من اولاد عمومته على هذا الزواج وجعلوا هذا الزواج مشروطاً بأبثبات علمية الامام الجواد عليه السلام، لذا عمّد الخليفة المأمون الى المناظرات العلمية^(١٩) كي يفند مزاعمهم ويثبت لهم تأهل الامام محمد الجواد عليه السلام، والمنزلة التي خصّ الله عز وجل بها أهل البيت عليه السلام^(٢٠) ولا يحتاج العارف لمنزلة أهل البيت عليه السلام عند الله تعالى لمثل هذه المناظرات.

٢- حكم المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ / ٨١٨-٨٤١م): وكانت سستان (٢١٨-٢٢٠هـ / ٨٣٣-٨٣٥م) سستان من أصعب سني حياته اذ ضيق المعتصم على الامام كلّ تحركاته عندما استدعاه الى بغداد في شهر محرم لسنة (٢٢٠هـ / ٨٣٥م) ليكون تحت أنظاره، علّم الامام محمد الجواد عليه السلام انه إشخاصه الى بغداد وتركه لمدينة جده عليه السلام - المدينة المنورة - بانه لن يرجع اليها، لذا عهد

الى أبنه الامام علي الهادي عليه السلام وسلمه موارث آبائه الائمة وأوصى إليه، ونص عليه، ثم غادر الى بغداد^(٢١).

رابعا: وفاته عليه السلام: وردت روايتان عن تأريخ وفاة^(٢٢) الامام محمد الجواد عليه السلام: الاولى سنة (٢١٩ هـ / ٨٣٤ م) والرواية الثانية سنة^(٢٣) (٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م)، الا ان القول المشهور في وفاته عليه السلام أنها كانت في (العاشر من شهر ذي الحجة لسنة^(٢٤) ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م)، اما عن مكان دفنه عليه السلام فقد دفن ببغداد عند قبر جدّه موسى الكاظم عليه السلام^(٢٥).

المبحث الثاني

تفسير الامام محمد الجواد عليه السلام للآيات الشريفة الدالة على التوحيد

امر الله عز وجل اتباع اهل البيت عليهم اسلام يعد وفاة النبي الاكرم محمد بن عبد الله عليه السلام باتباع أمير المؤمنين عليه السلام والأوصياء من بعده عليه السلام، وقد جاء امر اتباعهم في مواضع عديدة منها آيات بينات قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٢٦)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢٧)، كونهم يمثلون الخط المحمدي الاصيل وهم المعبر عنهم بالراسخون في العلم في كتاب الله تعالى، لأنهم عدل القرآن الكريم، وهذا ما جاء على لسان النبي الاكرم محمد ﷺ وهو يعظ الأمة ويرسم لها طريقها من بعده قائلا بصريح العبارة: ((إِنِّي تَارِكُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، وَأَنْهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَبَدًا))^(٢٨)، وهذا الحديث حجة على المسلمين بان اهل بيت رسول الله ﷺ هم عدل الكتاب -القران الكريم- إذ لا بد ان يكون قرين القرآن عالماً بكل آياته وتفسيره وتأويله، محيطاً بأسراره

ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه، لذا فَهْمُ القرآنِ الناطقِ الَّذي يهدي للتي هي أقوم، بَيَّنَّ النبيُّ الأكرم (ﷺ) ان أولي الامر الذين يجب اتباعهم هم اهل بيته (عليه السلام)، ومنها ما نقلته ام سلمة (رضي الله عنها) زوج الرسول المصطفى ﷺ في أن هذه الآية نزلت في بيتها قائلة: ((إن النبي جَلَلَّ على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا»، فقلت، وأنا معهم يا رسول الله ؟ قال: إنك الى خير))^(٢٩). ومنها احاديث ومرويات عن رسول الله ﷺ كما في قوله: ((مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى))^(٣٠). إِذَا هُمْ المفسِّرون الحقيقيون لآيات القرآن الكريم كما أنزله عز وجل وأراده، وَهُمْ دون غيرهم العالمون بتأويله، وعالمون بباطنه وظاهره.

اولا: منهج الامام محمد الجواد في تفسيره للآيات القرآنية المباركة:

الاستدلال اصطلاحا: وهو لفظٌ جامعٌ مانعٌ يستعمل عند اهل المنطق وغيرهم من أهل العلوم، وعُرِّفَ بانه: ((استنتاج قضية مجهولة من قضية أو عدة قضايا معلومة، أو هو: التوصل إلى حكم تصديقي مجهول بواسطة حكم تصديقي معلوم أو بملاحظة حكمين فأكثر من الأحكام التصديقية المعلومة))^(٣١).

لقد عاش الامام محمد الجواد (عليه السلام) عصر ازدهار التيارات الدينية لاسيما المعتزلة المعزز من قبل حكام بني العباس وأخذ استفاد الامام الجواد من هذا الأمر فأوصل التعاليم الاسلامية المستندة على مفاهيم أهل البيت (عليه السلام) عن طريق الاستدلال والتفكير العقلي والمنطقي لأنها الركائز المتاحة آنذاك، وكان (عليه السلام) يبرهن على أحقية وصحة ما تذهب إليه الامامية من خلال الادلة والبراهين، فالآية عندهم وفي منهج اهل

البيت مفسرة وشاهدة على الآية الأخرى، هذا ما اشار اليه الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) عندما وصف القرآن بقوله: ((كِتَابُ اللَّهِ تُبْصِرُونَ بِهِ وَتَنْطِقُونَ بِهِ وَتَسْمَعُونَ بِهِ وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ وَلَا يَخْتَلِفُ فِي اللَّهِ وَلَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللَّهِ))^(٣٢). ويعد هذا المنهج في الاستدلال أحد المناهج في فهم آيات القرآن الكريم، ويسمى بمنهج (تفسير القرآن بالقرآن) وهو من افضل المناهج فيما لو صدر من الإمام المعصوم (عليه السلام) دون باقي البشر؛ لأنهم الأعلم بظاهر القرآن وباطنه دون غيرهم، وقد اتبع الامام محمد الجواد (عليه السلام) مسالك عديدة للكشف عن المعنى المراد من الآيات المباركة، وأولها عن طريق الاستدلال على الآية بآية أخرى، وثانيها الاستدلال العقلي على صحة ما يذهب إليه، وثالثها المقاربة بين التمثيل الحسي والمعنى المجرد لمعاني الالفاظ الواردة في الآيات. لقد نهج الإمام محمد الجواد (عليه السلام) نهج آبائه واجداده (عليهم السلام) في الاستدلال بإقامة الدليل على كل ما يفسره ويحتج به، ومن الواجب ذكر ما ورد عنه في تفسير معنى التوحيد الوارد في الآيات المباركة عن طريق ذكر روايات الامام الجواد (عليه السلام)، في مقام معنى التوحيد الخالص لله تعالى.

ثانيا: تفسيره (عليه السلام) للتوحيد عن طريق الآيات القرآنية:

ان ما وصل إلينا من تفسير أئمة اهل البيت (عليهم السلام) لآيات القرآن الكريم ما هو إلا نزر يسير لما يعلموه وما عندهم من علومه، فقد تصدّوا لتفسير القرآن الكريم تفسيراً لا يمكن للمسلمين الاستغناء عنه، لما في تفسيرهم من اشارات أصيلة لفهم كتاب الله عز وجل، والتركيز على إدراك معانيه وسلامته من التحريف، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣٣)،

واهل البيت عليهم السلام على علم ودراية كاملة بتفسير القرآن الكريم وهم اهل الذكر، لاسيما مسألة التوحيد التي اكد عليها جميع الانبياء والرسل في دعوتهم الى الوحدانية، فتصدى الإمام ابي جعفر محمد الجواد عليه السلام لأفهام مبدأ الوحدانية باستخدامه لهذا المنهج في تفسيره آيات القرآن الكريم، وقد وردت جملة من الروايات عن اصحابه ومن سعى للاستفادة من علومه في مسألة التوحيد، ومن هذه الروايات:

٣- معنى (التوحيد): ان التوحيد أساس كل الدعوات الالهية التي جاء بها الأنبياء والرسل، وقد اوجب الدين الإسلامي توحيد الله عز وجل على كل مسلم، واوجب تنزيهه، والتوحيد أول الشروط للدخول في الإسلام، فقد وردت رواية عن عبد الرحمن بن أبي نجران انه قال: ((سألت الإمام الجواد عليه السلام عن التوحيد فقلت: أتوهم شيئاً؟ فقال: «نعم، غير معقول ولا محدود، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه، ولا يشبهه شيء ولا تدركه الأوهام، وكيف تدركه الأوهام وهو خلاف ما يُعقل، وخلاف ما يتصور في الأوهام؟ إنما يتوهم شيء غير معقول ولا محدود))^(٣٤)، وهذا المعنى اكد عليه الامام علي بن ابي طالب عليه السلام في معرفة الله تعالى من اجل الوصول الى فهم الدين فقال عليه السلام: ((أول الدين معرفته))^(٣٥). وفي هذه الرواية استخدم الامام الجواد عليه السلام الاستدلال العقلي للوصول الى نتيجة توحيد الخالق جلّ وعلا، لاسيما وان في عصره عليه السلام كانت المعتزلة والزيدية وكذلك الامامية يقولون أنّ معرفة الله عز وجل: ((بالعقل اي بالنظر والاستدلال))^(٣٦)، في حين خالف هذا القول الاشاعرة، بقولهم: ((انه السمع))^(٣٧). وكلا الفريقين ساق أدلة على وجود الله عز وجل كدليل الحدوث والصنع وغيرها، يتضح مما سبق ذكره عدم حصول خلاف في مفهوم التوحيد على إجماله، وإنما حصول الخلاف في الصفات

فَأَتَى يُؤْفَكُونَ ﴿٤٤﴾- (٤٥). التوحيد وروي أيضاً عن أبي داود بن القاسم الجعفري أنه قال : قلت (لأبي جعفر الثاني): ((قل هو الله أحد))، ما معنى الأحد؟ قال: المجمع عليه بالوحدانية أما سمعته يقول : ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ...﴾ ﴿٤٦﴾ ثم يقولون بعد ذلك له شريك وصاحبة ﴿٤٧﴾. وقد ذهب اغلب المفسرين الى ما مفسره الامام الجواد عليه السلام ﴿٤٨﴾.

٥- معنى (الصمد): عن داود بن قاسم الجعفري قال : قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام: ((جعلت فداك ما الصمد؟ قال : السيد المصمود إليه في القليل والكثير)) ﴿٤٩﴾. وفي رواية أخرى عن ابن شعبة الحراني عن عن داود بن القاسم انه قال: ((سألته -أي الإمام الجواد عليه السلام- عن (الصمد)؟ فقال: «الذي لا سر له، قلت: فإنهم يقولون: إنه الذي لا جوف له؟ فقال: كل ذي جوف له سر»)) ﴿٥٠﴾. وفي رواية أخرى عن الامام محمد الجواد بان الصمد هو السيد المصمود اليه في الحوائج ﴿٥١﴾، وهذا ايضا ما ورد في رواية عن الامام جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن جده عليه السلام انه قال: ((خطب أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام في الناس فقال: الحمد لله الواحد الأحد الصمد المتفرد الذي لا من شيء كان ولا من شيء خلق ما كان قدرته بان بها من الأشياء وبانت الأشياء منه، وبالإسناد نفسه عن الإمام علي عليه السلام قال: «الصمد الذي لم تغيره صروف الأزمان»)) ﴿٥٢﴾.

٦- في قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ ﴿٥٣﴾. ذهب أكثر المفسرين الى ان الشرك بالله هو اكبر الكبائر مستندين على روايات اهل البيت عليه السلام ومنها ما ورد عن الامام محمد الجواد عليه السلام انه قال: ((سمعت أبي

يقول سمعت أبي موسى بن جعفر عليهما السلام يقول: دخل عمرو عبيد على أبي عبد الله عليه السلام فلما سلم وجلس، تلا هذه الآية: ﴿الَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كِبَاءَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ...﴾^(٥٤)، ثم أمسك؟ فقال له: أبو عبد الله عليه السلام: ما أسكتك؟ قال: أحب أن أعرف الكبائر من كتاب الله عز وجل؟ فقال: نعم يا عمرو، أكبر الكبائر الإِشْرَاقُ بالله ويقول: ﴿... من يُشْرِكْ بالله فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ...﴾^(٥٥) ((٥٦)).

الختامة:

يتضح مما سبق ذكره من الروايات الواردة عن الامام محمد بن علي الجواد عليه السلام امور عدة اهمها:

- لم يصل اليها الكثير من تفسير الامام محمد بن علي الجواد عليه السلام للقران الكريم رغم انه عاش في عصر ازدهار الكتابة، وذلك بسبب محاصرته عليه السلام من قبل السلطة الحاكمة، عن طريق الاقامة الجبرية، ومراقبة تحركاته، ولعله ايضا بسبب اندثار بعضها، وضياع القسم الاخر، لما عانوه ائمة اهل البيت عليه السلام من تعميم اعلامي، ومراقبة مستمرة، محاولة للحد من انتشار منهجهم بين الاوساط الاجتماعية والفكرية.

- يتضح من تراث الامام الجواد عليه السلام أهمية منهج الاستدلال بالقران والعقل وبديهية الفطرة لدى الانسان، كمسلك لبيان المراد من الآيات المباركة من القران الكريم، وهو منهج علمي سليم يتفق مع الفطرة السليمة لكل انسان، اذ ان منهج الامام محمد الجواد عليه السلام جاء بليغاً قوياً الحجة لأن استدلاله كان بنصوص الآيات القرآنية. بالإضافة الى أن المنهج العقائدي يحتاج الى الاستدلال بالدليل العقلي البديهي وله علاقة بما هو محكي بالتفسير الصحيح.

- استند على منهج الامام محمد الجواد عليه السلام اغلب المفسرين كونه منهج يوصل الى الحقيقة المرادة من الفاظ الآيات ومعانيها الدقيقة.

- لا بد من الاشارة الى أن ما جاء من تفسير آيات التوحيد على لسان الامام محمد الجواد عليه السلام ما هو الا صورة واضحة لما ورد عن جده الامام علي بن ابي طالب عليه السلام عن النبي محمد عليه السلام المرسل من الله عز وجل.

- تُشكّل القواعد الأصولية جزءاً من المنهج العام لفهم الشريعة واستنباط

أحكامها، وعدم جواز استنباط الأحكام النظرية من ظواهر القرآن إلا بعد معرفة تفسيرها من الأئمة.

- كان للإمام الجواد عليه السلام الأثر الكبير في محافظة على عقيدة التوحيد في عصره، مع انتشار معتقدات مذاهب أخرى وأراء خاطئة في هذه المسألة المهمة، الا انه استطاع ان يجعل له قاعدة من الاصحاب لنقل الصحيح والسليم في مسألة التوحيد، وبهذا يكون الامام مكملاً لمسيرة الائمة عليهم السلام في الحفاظ على ركائز الدين الاسلامي، واهمها التوحيد. هذا و اخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الهوامش:

- ١- الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري الصغير (١١٤١هـ/ ١٠٢٠م)، دلائل الامامة، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية (مؤسسة البعثة، قم المقدسة، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م)، ص ٢٠٠؛ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)، اثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، (بيروت - لبنان، دار الأضواء، ١٩٨٨م)، ص ٢٣٤؛ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت: ٤١٣هـ / ١٠٢٢م)، الارشاد في معرفة العباد، تحقيق: مؤسسة اهل البيت عليه السلام لاهياء التراث، (مطبعة مهر، قم المقدسة، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م)، ج ٢، ص ٢٧٦.
- ٢- الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م)، اصول الكافي، (دار المرتضى، بيروت، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م)، ج ١، ٣٧٦؛ ابن شهر اشوب، محمد بن علي ابن شهر اشوب (ت: ٥٨٨هـ / ١١٩٢)، مناقب ال أبي طالب، (دار الاضواء، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م)، ج ٤، ص ١٢٣٣.
- ٣- الكليني، أصول الكافي، ج ١، ص ٤٠٣؛ المسعودي، اثبات الوصية، ص ١٧٩- ١٨٠؛ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت: ٣٨١هـ / ٩٩١م)، الأمالي، تقديم: حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، لبنان، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م)، ص ٤٤٨؛ الانصاري، محمد علي، أهل البيت إمامتهم حياتهم، ط ١، (مجمع الفكر الإسلامي، مطبعة شريعت، قم المقدسة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م)، ص ٣٧.
- ٤- الطبري، دلائل الامامة، ص ٢٠٥؛ الكليني، أصول الكافي، ج ١، ص ٣٧٦.
- ٥- الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، تحقيق: بشار عواد معروف، ط ١، (بيروت، دار المغرب، الإسلامي، ٢٠٠٣م)، ج ٥، ص ٤٤٦؛ رشيد، أمل حمودي رشيد، أهل البيت في مؤلفات الذهبي، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، بغداد، ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م)، ص ٤٠٨.
- ٦- ابن شهر اشوب، مناقب، ج ٤، ص ١٢٣٣؛ الاربلي، أبي الحسن علي بن عيسى أبي الفتح (ت ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م)، كشف الغمة في معرفة الائمة، ط ٢، (دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م)، ج ٣، ص ١٦١.
- ٧- الطبري، دلائل الامامة، ص ٢٠٥؛ ابن شهر اشوب، مناقب، ج ٤، ص ١٢٣٣.
- ٨- الكليني، أصول الكافي، ج ١، ص ٣٧٦؛ المفيد، الارشاد، ج ٢، ص ٢٧٣.
- ٩- ورد اسم ام الامام اكثر من لفظ منها مريسية، ودره، وريحانة، وكنيتها ام الحسن، وقد اطلق زوجها الامام علي الرضا عليه السلام عليها اسم (خيرزان)، اصلها من النوبة، من اهل مارية القبطية زوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت افضل نساء زمانها، وقد ارتاب في نسبه المرتابون لشدة سواده وقد اهتمت به امه، الا ان والده الامام علي بن موسى الرضا



عليهما السلام تصدى لتلك الشكوك بالبراهين والحجج. للمزيد من التفاصيل ينظر: الكليني، أصول الكافي، ج ١، ص ٣٧٦؛ المسعودي اثبات الوصية، ص ٢٣٠.

١٠ - الطبري، دلائل الامامة، ص ٢٠٠؛ المسعودي، اثبات الوصية، ص ٢٣٤؛ المفيد، الارشاد، ج ٢، ص ٢٧٦.

١١ - ابن شهر اشوب، مناقب، ج ٤، ص ١٢٣٣.

١٢ - الطبري، دلائل الامامة، ص ٢٠٠.

١٣ - الذهبي، تاريخ، ج ٥، ص ٤٤٦.

١٤ - الاربلي، كشف الغمة في معرفة الائمة، ج ٣، ص ١٦٣.

١٥ - المسعودي، اثبات الوصية، ص ٢٣٢؛ مجموعة مؤلفين، اعلام الهداية الامام الجواد عليه السلام، (منشورات المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام)، قم المقدسة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ج ١١، ص ٨٢.

١٦ - الطبري، دلائل الامامة، ص ٢٠٢؛ المسعودي، اثبات الوصية، ص ٢٣٨-٢٣٩؛ المفيد، الارشاد، ج ٢، ص ٢٨٣-٢٩٠.

١٧ - مجموعة مؤلفين، اعلام الهداية الامام الجواد عليه السلام، ج ١١، ص ٣٧-٤٤.

١٨ - الطبري، دلائل الامامة، ص ٢٠٤؛ المفيد، الارشاد، ج ٢، ص ٢٩٥ ابن شهر اشوب، مناقب، ج ٤، ص ١٢٤٥-١٢٤٦؛ مجموعة مؤلفين، اعلام الهداية الامام الجواد، ج ١٠، ص ١٢٧-١٢٨..

١٩ - للاطلاع على مناظرته مع قاضي القضاة وعالم زمانه يحيى بن أكثم. ينظر: الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م)، الثاقب في المناقب، تحقيق: نبيل رضا علوان، مؤسسة أنصاريان، قم المقدسة، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ٥٠٥-٥٠٦؛ الطبرسي، أبو منصور احمد بن علي بن ابي طالب (ت: ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م)، الاحتجاج، تعليق: محمد باقر الموسوي الرخساني، ط ٤، (منشورات ذوي القربى، قم، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩)، ج ٢، ص ١٨٩-١٩٧؛ ابن شهر اشوب، مناقب، ج ٤، ص ١٢٣٧.

٢٠ - المفيد، الارشاد، ج ٢، ص ٢٨٨-٢٨٩.

٢١ - المسعودي، اثبات الوصية، ص ٢٤١.

٢٢ - استغل المعتصم غيرة ابنة اخيه ام الفضل على الامام الجواد عليه السلام فحرضها على دس السم بسبب اتحاذة اماء اخريات، مستغلا ولائها المطلق له، فقد دس له السم في العنب في نفس السنة التي قدم فيها الى بغداد. للمزيد ينظر: الطبري، دلائل الامامة، ص ٢٠٤؛ المفيد، الارشاد، ج ٢، ص ٢٩٥؛ ابن شهر اشوب، مناقب، ج ٤، ص ١٢٤٣.

٢٣ - الطبري، دلائل الامامة، ص ٢٠٤؛ الكليني، أصول الكافي، ج ١، ص ٣٨٠.

٢٤ - المفيد، الارشاد، ج ٢، ص ٢٩٥؛ ابن شهر اشوب، مناقب، ج ٤، ص ١٢٣٣؛ الاربلي، كشف الغمة، ج ٣، ص ١٥٥.

٢٥ - الطبري، دلائل الامامة، ص ٢٠٥؛ المسعودي، أثبات الوصية، ص ٢٤٢ .

٢٦ - سورة المائدة، الآية ٥٥ .

٢٧ - سورة النساء، الآية ٥٩ .

٢٨ - أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٣، ص ١٤، ٢٦، ٥٩؛ الكليني، محمد بن يعقوب (ت: ٣٢٨هـ / ٩٣٩م)، اصول الكافي، (دار المرتضى، بيروت، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م)، ج ١، ٢٣٣ .

٢٩ - الترمذي، ابو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م)، سنن الترمذي، تحقيق: ابراهيم عطوة عوض، (مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م)، ج ٥، ص ٦٩٩؛ أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال (ت: ٢٤١هـ / ٨٥٦م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (دار الحديث، القاهرة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م)، ج ٥، ص ١٨٠؛ ج ٤٤، ص ١١٨-١١٩ .

٣٠ - الحاكم النيسابوري، ابو عبد الله النيسابوري (ت ٤٠٥هـ / ١٠١٤م)، المستدرک على الصحيحين، (مكتبة المطبوعات الاسلامية، بيروت، ب. ت)، ج ٢، ص ٣٤٣ .

٣١ - فتحي عبد الرحمن جروان، تعليم التفكير مفاهيم وتطبيقات، ط ٣، (دار الفكر الأردن، عمان، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م)، ص ٢٥٦ .

٣٢ - نهج البلاغة وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (عليه السلام)، شرح: محمد عبدة، (دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان، د. ت)، ج ٢، ص ١٣٣ .

٣٣ - سورة العنكبوت، الآية ١٦ .

٣٤ - الكليني، اصول الكافي، ج ١، ص ٨٢؛ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت: ٣٨١هـ / ٩٩١م)، التوحيد، تحقيق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، (منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، د. ت)، ص ١٠٦ .

٣٥ - شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٧٢ .

٣٦ - الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م)، الإقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد، (منشورات مكتبة جامع جهلستون، مطبعة الخيام، طهران، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م)، ص ٤٢ .

٣٧ - العلامة الحلي، إحقاق الحق، ج ١، ص ٣٨ - ٤٠ .

٣٨ - الشهرستاني، نهاية الاقدام، ص ١٨١ .

٣٩ - القاضي عبد الجبار المعتزلي، عبد الجبار بن احمد الهمداني (ت: ٤١٥هـ / ١٠٢٤م)، شرح الاصول الخمسة، تعليق: احمد بن الحسين بن هشام، (دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م)، ص ١٨٢ .

٤٠ - الطوسي، الإقتصاد، ص ٧٨؛ القاضي عبد الجبار المعتزلي، الاصول



الخمس، ص ١٨٢.

٤١ - حد التعطيل هو عدم اثبات الوجود والصفات الكمية والفعلية والاضافية له تعالى، وحد التشبيه الحكم والاشترار مع الممكنات في حقيقة الصفات وعوارض الممكنات. ينظر: الابطحي، محمد باقر الموسوي الموحد (١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م)، مستدرك عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام)، ط ١، (مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م)، ج ٢٣، ص ٣٥٣ - ٣٥٤.

٤٢ - مستدرك عوالم العلوم، ج ٢٣، ص ٣٥٣ - ٣٥٤.

٤٣ - سورة الاخلاص، الآية ١.

٤٤ - سورة العنكبوت، الآية ١٦.

٤٥ - الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٦٦؛ الصدوق، التوحيد، ص ٨٩.

٤٦ - سورة العنكبوت، الآية ١٦.

٤٧ - الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٦٥.

٤٨ - الطوسي أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م)، التبيان، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، (مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، قم، إيران، ١٣٩٢هـ / ١٩٩٧م)، ج ١٠، ص ٤٣؛ الطبرسي، ابو علي الفضل بن الحسن بن الفضل (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م) تفسير مجمع البيان، (بيروت لبنان، دار العلوم، ٢٠٠٥م)، ج ١٠، ص ٧٢٣-٧٢٤؛ الفيض الكاشاني، المولى محمد محسن بن مرتضى (ت: ١٠٩١هـ / ١٦٨٠م)، المحجة البيضاء في شرح احياء علوم الدين للغزالي، (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م)، ج ٥، ص ٣٩٠-٣٩١.

٤٩ - الكليني، أصول الكافي، ج ١، ص ١٢٣.

٥٠ - الخرائي، الحسن بن علي بن شعبة الخرائي (كان حيا: ٣٨١هـ / ٩٩١م)، تحف العقول عن آل الرسول، عنى بتصحيحه والتعليق عليه: على اكر الغفاري، ط ٣، (مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م)، ص ٤٦٥.

٥١ - الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٦٦.

٥٢ - الصدوق، التوحيد، ص ٤٤.

٥٣ - سورة المائدة، الآية ٧٢.

٥٤ - سورة النجم، الآية ٣٢.

٥٥ - سورة المائدة، الآية ٧٢.

٥٦ - الكليني، اصول الكافي، ج ١، ص ٢٨٥؛ الحر العاملي، محمد بن الحسن الحر (ت: ١١٠٤هـ / ١٥٩٦م)، وسائل الشيعة، تحقيق: مؤسسة البيت (عليه السلام) لأحياء التراث، ط ١، (مؤسسة البيت (عليه السلام)، قم المقدسة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م)، ص ١١، ص ٢٥٢.

قائمة المصادر والمراجع:

القران الكريم.

اولاً: المصادر الاولى:

* أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد

بن محمد بن حنبل بن هلال (ت:

٢٤١هـ / ٨٥٦م)، مسند الإمام أحمد

بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر،

(دار الحديث، القاهرة، ١٤١٦هـ /

١٩٩٦م)

* الاربلي، أبي الحسن علي بن عيسى

ابي الفتح (ت ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م)،

كشف الغمة في معرفة الائمة، ط ٢،

(دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٥هـ /

١٩٨٥م).

* الترمذي، ابو عيسى محمد بن عيسى

(ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م)، سنن الترمذي

تحقيق: ابراهيم عطوة عوض (مطبعة

مصطفى الباوي الحلبي القاهرة

١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م).

* الحاكم النيسابوري، ابو عبد الله

النيسابوري (ت ٤٠٥هـ / ١٠١٤م)،

المستدرک على الصحيحين، (مكتبة

المطبوعات الاسلامية، بيروت،

ب.ت.).

* الحر العاملي، محمد بن الحسن

الحر (ت: ١١٠٤هـ / ١٥٩٦م)،

وسائل الشيعة، تحقيق: مؤسسة

ال البيت (عليه السلام) لأحياء التراث،

ط ١، (مؤسسة ال البيت (عليه السلام)، قم

المقدسة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).

* الحراني، الحسن بن علي بن شعبة

الحراني (كان حياً: ٣٨١هـ / ٩٩١م)،

تحف العقول عن آل الرسول، عنى

بتصحيحه والتعليق عليه: على اكبر

الغفاري، ط ٣، (مؤسسة النشر

الاسلامي التابعة لجامعة المدرسين

بقم المشرفة، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).

* الذهبي، أبو عبد الله محمد بن احمد

بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م)،

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير،

تحقيق: بشار عواد معروف، ط ١،

(بيروت، دار المغرب، الإسلامي،

٢٠٠٣ م).

* ابن شهر آشوب، محمد بن علي ابن

شهر آشوب (ت: ٥٨٨هـ / ١١٩٢)،

مناقب ال ابي طالب، (دار الاضواء،

بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

* الصدوق، أبو جعفر محمد

بن علي بن الحسين بن بابويه

القمي (ت: ٣٨١هـ / ٩٩١م)، الأمالي،

تقديم: حسين الأعلمي، (مؤسسة

الاعلمي، لبنان، ١٤٣٠هـ /

٢٠٠٩م).

* الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي

بن الحسين بن بابويه القمي (ت:

٣٨١هـ / ٩٩١م)، التوحيد، تحقيق:

السيد هاشم الحسيني الطهراني،

(مشورات جماعة المدرسين في الحوزة

العلمية في قم المقدسة، د.ت).

- * الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (ت: ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م)، الاحتجاج، تعليق: محمد باقر الموسوي الرخساني، ط٤، (منشورات ذوي القربى، قم، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩).
- * الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م) تفسير مجمع البيان، (بيروت لبنان، دار العلوم، ٢٠٠٥م).
- * الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري الصغير (٤١١هـ / ١٠٢٠م)، دلائل الإمامة، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية (مؤسسة البعثة، قم المقدسة، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م).
- * الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م)، الإقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد، (منشورات مكتبة جامع جهلستون، مطبعة الخيام، طهران، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).
- * الطوسي أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م)، التبيان، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، (مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، قم، إيران، ١٣٩٢هـ / ١٩٩٧م).
- * الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت: ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م)، الشاقب في المناقب، تحقيق: نبيل رضا

- علوان، (مؤسسة أنصاريان، قم المقدسة، ١٤١١هـ / ١٩٩١م).
- * الفيض الكاشاني، المولى محمد محسن بن مرتضى (ت: ١٠٩١هـ / ١٦٨٠م)، المحجة البيضاء في شرح أحياء علوم الدين للغزالي، (مؤسسة الأعلمي للطبوعات، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).
- * القاضي عبد الجبار المعتزلي، عبد الجبار بن أحمد الحمداني (ت: ٤١٥هـ / ١٠٢٤م)، شرح الأصول الخمسة، تعليق: أحمد بن الحسين بن هشام، (دار أحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).
- * الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م)، أصول الكافي، (دار المرتضى، بيروت، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م).
- * المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)، اثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، (بيروت - لبنان، دار الأضواء، ١٩٨٨م).
- * المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت: ٤١٣هـ / ١٠٢٢م)، الارشاد في معرفة العباد، تحقيق: مؤسسة أهل البيت عليه السلام، (مطبعة مهر، قم المقدسة، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).

* نهج البلاغة وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (عليه السلام)، شرح: محمد عبدة، (دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان، د. ت) المراجع:

* الابطحي، محمد باقر الموسوي الموحد (١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م)، مستدرك عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام)، ط ١، (مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة، ١٤١٣هـ / ١٩١٣م).

* الانصاري، محمد علي، أهل البيت إمامتهم حياتهم، ط ١، (مجمع الفكر الإسلامي، مطبعة شريعت، قم المقدسة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).

* فتحي عبد الرحمن جروان، ١٩٨٩، تعليم التفكير مفاهيم وتطبيقات، ط ٣، (دار الفكر الأردن، عمان، ط ٣، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م).

* مجموعة مؤلفين، اعلام الهداية الامام الجواد (عليه السلام)، (منشورات المجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام)، قم المقدسة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م). الرسائل والاطاريح:

* رشيد، امل حمودي رشيد، اهل البيت في مؤلفات الذهبي، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، بغداد، ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م).



مناظرات الإمام الجواد عليه السلام وأثرها في نشر الفكر الديني

أ.م.د. جبار محارب عبدالله

جامعة الكوفة/كلية التربية الاساسية

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

من مبادئ الدين الإسلامية الحث على التعلم والتفكير، واعتبر حرية الفكر من الاسس المهمة لبناء المجتمع، فالمجتمع الجاهل الذي لا يفكر لا يمكنه أن يتقدم في ركب الحياة، بحيث يكون مجتمعاً منتجاً، ويمكن أن يقال إنَّ طرح الأسئلة المختلفة في كل مجتمع علامة على التحرك الفكري والحضاري والثقافي للناس.

وقد مدح الاسلام الإنسان المفكر، وجعل تفكر ساعة خير من قيام ليلة، حيث ورد في الحديث الشريف في تفسير العياشي: عن أبي العباس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «تفكر ساعة خير من عبادة سنة، إنما يتذكر أولو الألباب»^(١).

وعن الحسن الصيقل قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عما يروي الناس: تفكر ساعة خير من قيام ليلة، قلت: يتفكر ساعة خير من قيام ليلة؟ قال عليه السلام: نعم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تفكر ساعة خير من قيام ليلة. قلت: كيف يتفكر؟

قال ﷺ: يمر بالخربة وبالدار فيفكر، ويقول: أين ساكنوك؟، أين بانوك؟، مالك لا تكلمين^(٢).

وعلى العكس تماماً فعدم التفكير وتعطيل حركة العقل يؤدي إلى الضياع وخراب المجتمع، وبرز مثال يمكن ذكره في هذا المجال هو قوم فرعون، حيث عطلوا عقولهم وتركوا فرعون يفكر بالنيابة عنهم.

وأشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِّصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ * فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّرِينَ * فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾^(٣).

إن فرعون استخف عقول قومه، بمعنى أنهم منحوه حق التفكير بالنيابة عنهم، ومن جانبهم عطلوا عقولهم فلم يمنحوها فرصة التفكير للوصول إلى النتائج، ولهذا قبلوا النتائج التي كان يتبناها فرعون من دون نقاش، وكانت النتائج وخيمة وذات مردود سلبي جسيم على المجتمع. ويصف القرآن الكريم مثل هؤلاء الناس بقوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْإِطْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾^(٤).

ومن هنا جاءت بعض الآيات الكريمة، وروايات الأئمة ﷺ تهدف إلى تحريك المجتمع لتفعيل حركة الفكر من خلال أقوالهم وسلوكياتهم. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٥).

وفي هذا المجال يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا، وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ، وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيَّكُمْ، وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْ لَا تَجْهَلُوا، وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا، وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ، وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمُغِيبِ، وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ، وَالطَّاعَةُ حِينَ أَمُرُّكُمْ»^(٦).

وفي هذا الإطار تندرج المناظرات، وتتضح أهميتها في الحياة الفكرية والتطور العلمي، ولا ا جانب الصواب إذا قلت إن المناظرات هي الحجر الأساس للدراسات المقارنة في مختلف حقول المعرفة.

وعلى الرغم من قصر عمر الإمام الجواد (عليه السلام) وعمل السلطة على تحجيم دوره وعزله عن الحياة العامة إلا أن التاريخ حفظ لنا بعض المناظرات التي حصلت بين الإمام (عليه السلام) وبين فئات مختلفة من حيث العلم والتوجه.

وفي هذا البحث نسلط الضوء على مناظرات الإمام الجواد (عليه السلام)، وما ترتب عليها من أثر، والبحث في هذا الموضوع يقع في مبحثين:
الأول: في الاطار النظري للبحث، ويشتمل على تحديدات نظرية لعنوان البحث، والإشارة إلى أهمية المناظرة وآدابها، ونبذة مختصرة من حياة الإمام الجواد (عليه السلام).

الثاني: مناظرات الإمام محمد الجواد (عليه السلام) مع شخصيات مختلفة من حيث العلم والتوجه.

المبحث الأول: الاطار النظري للبحث.

في هذا المبحث يقع الكلام في تحديد مفاهيم المفردات الواردة في عنوان البحث، لكي يتحدد بذلك موضوع البحث، وما يتعلق بذلك من بحوث، أمثال أهمية المناظرة وآدابها، وغير ذلك، وكذلك ينبغي عرض شيء من سيرة الإمام الجواد عليه السلام.

وعلى ضوء ذلك يقع الكلام في مطلبين:

المطلب الأول: تحديدات نظرية لموضوع البحث.

أولاً: مفهوم المناظرة.

المناظرة في اللغة: المناظرة: مفاعلة من (النظر) بمعنى الفكر، أو النظر بمعنى الإبصار الحسي، أو النظر بمعنى الانتظار، أو من (النظر) أي المقابل والكفاء^(٧).

المناظرة في الاصطلاح:

المناظرة: «هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب»^(٨).

وقيل: «هي المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق»^(٩).

هذا التعريف باعتبار ذات المناظرة، وأمّا تعريفها باعتبارها علم من العلوم، فهي «علم باحث عن احوال المتخاصمين؛ ليكون ترتيب البحث بينهما على وجه الصواب، حتى يظهر الحق بينهما»^(١٠).

والمناظرة تنقسم على قسمين:

الأول: ممدوح، ويتمثل بالرغبة في استظهار الحق، ويندرج في هذا القسم جدل الملائكة، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي

جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾.

الثاني: مذموم، ويتمثل بالجدل بالباطل، كما في جدال إبليس لربه عز وجل، استكباراً وعلواً وجحداً للحقائق، باستخدام القياس الباطل، قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (١٢).

وقد وردت آيات كريمة في المجادلة والمناظرة، التي تدل بمجموعها على أن القرآن الكريم من أبرز الموارد الخصبية لأصول المناظرة عند المسلمين في صورتها النقيّة، وقوانينها في سلامتها واستقامتها.

وقد كانت المناظرة والجدل في عصر النبي ﷺ لمواجهة شبه المشركين والمنافقين، ثم ما تلاه من أزمنة لمواجهة شبه الفرق الضالة المبتدعة، ومع ظهور علم الكلام وانتشار الفلسفة دعت الحاجة إلى ضبط قوانين المناظرة؛ حتى لا تنقلب المناظرات إلى مشاغبات ومعاندات.

ثانياً: أسباب نشوء فن المناظرة عند المسلمين:

يعود نشوء فن المناظرة عند المسلمين إلى جملة من الأسباب أبرزها مايلي:

١- دحض العقائد الباطلة والآراء الفاسدة لأصحاب الفرق الضالة.

لقد ظهرت على الساحة الفكرية في العالم الإسلامي فرق كثيرة، وبعض تلك الفرق تبنت عقائد باطلة، وآراء فاسدة، كالخوارج، والقدريّة، والجهميّة، وغيرها؛ وقد تصدى علماء الاسلام لمواجهة تلك الأفكار ومناقشتها، ودفع فسادها، ومن هنا احتيج إلى وسيلة لتحقيق هذا الغرض، فكانت المناظرة والمجادلة العلميّة من الوسائل المهمة التي استندوا إليها.

٢. البرهنة على صحّة المذهب الفقهي.

لم تقتصر المناظرة على الأمور العلميّة العقائديّة، بل شملت كذلك الأمور العمليّة والفقهية بين أصحاب المذاهب الفقهية المختلفة، وقد دعا إلى ذلك حاجة أصحاب كلّ مذهبٍ للبرهنة على صحّة مذهبهم، وإثبات سلامة أقوالهم واختياراتهم؛ وكان في هذه المناظرات بيان لما أخذ أئمة المذاهب، ومشارت اختلافهم، ومواقع اجتهداهم.

والمعروف في بداية الأمر أنّ المناظرات كانت تعقد في المجالس، ولكنّ بمرور الزمن أخذت تُبثُّ في الكتب أيضاً، كما في الفقه المقارن.

٣. ضبط مجالس الجدل والمناظرة وتنظيم قواعدها.

ظهر فن المناظرة والجدل عند المسلمين تلبية لحاجة ضبط الاختلافات الناشئة بين ذوي الأفكار المتعارضة والآراء المتنافرة؛ فتداعت جهود العلماء إلى صياغة قانون وقواعد مطّردة يلتزم بها المتناظران، فنشأ على إثر ذلك: (علم آداب البحث والمناظرة)، و(علم الجدل).

يقول ابن خلدون، ت: ٨٠٨هـ، «لما كان باب المناظرة في الردّ والقبول متّسعاً، وكلّ واحدٍ من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج، ومنه ما يكون صواباً، ومنه ما يكون خطأ؛ فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آداباً وأحكاماً يقف المتناظران عند حدودها في الردّ والقبول»^(١٣).

ثالثاً: فوائد المناظرة.

يُعدّ علم المناظرة «من أرفع العلوم قدراً، وأعظمها شأنًا»^(١٤)، وإنّما كان كذلك لما يترتب عليه من ثمرات؛ حيث نصرة الحقّ وإشاعته، وقمع الباطل وإماتته، ورواج الحياة العلميّة والثقافيّة، ومن هنا فإنّ قواعد البحث والمناظرة «لا يستغني عنها ناظر، ولا يتمشى بدونها كلام مناظر»^(١٥)، و«منّ ليس له بضاعة من هذا الفنّ؛ لا يكاد يفهم أبحاث العلوم، خصوصاً الكلام وأصول الفقه...»^(١٦).

ولعلم المناظرة فوائد كثيرة، نذكر منها:

١- حفظ الدين ودفع الشبهات.

تُعَدُّ المناظرة من وسائل حفظ الدين أصولاً وفروعاً، عقائد وأحكاماً؛ فبالمناظرة تدفع الشبهات، وتقمع الجهالات؛ فإنَّ «من فوائد الجدل الصحيح، أنَّ صناعته حافظة للشريعة وموجبات العقول عن عبث الجهَّال، وحائلة بينها وبين تمويه المدلسين»^(١٧).

٢- ضبط الاستدلال بالمنقول والمعقول.

إنَّ مَنْ تَمرَسَ في علم المناظرة كان أكثر ضبطاً للاستدلال ممَّنْ لم يُعَنَّ بهذا العلم، وأشدَّ تحرزاً من الوقوع في الخطأ فيه؛ باعتبار أنَّه يتحرَّزُ عمَّا قد يتوجَّه إلى استدلاله من مناقشات واعتراضات، فينقح مطالبه ويذهبها ويزيل عنها ما يدعو إلى الاعتراض، ويستطيع أنَّ يحجب عمَّا يتوجَّه إليه من نقد.

٣- الإعانة على تثبيت الحقِّ والصواب وتمييزه من الباطل والغلط.

يُعَدُّ فن المناظرة والجدل من الفنون التي تعين صاحبها على حفظ القول الصحيح، وسلوك الجادة في الدفاع عنه؛ وذلك من خلال مراعاة قوانينه السليمة، ورسومه السديدة، مع ما يقع من المحاورة وتبادل الرؤى بين المتناظرين، وتنقيح الأدلَّة وضبط دلائلها.

٤- ضبط مجالات الخلاف وقصرها على محلِّها.

إنَّ قواعد المناظرة طريق لضبط الخلاف، الأمر الذي يؤدي إلى تضييق هوة الخلاف بين المتخالفين بتحديد مواضع النزاع بينهم، والاقتصار عليها، وعدم تشتت البحث وانتشاره.

٥- الدربة على الانقياد للحقِّ ونبد التعصب.

ينبغي أنَّ يكون واضحاً أنَّ الغرض من المناظرة هو إدراك الحقِّ، وإدراك المتناظرين لهذا المعنى والالتزام به من الأمور التي تكون عوناً

على تهذيب النفس، وتعويدها على الانقياد للحق ولو كان مع المخالف،
ونبذ روح التعصب والتخلي عن الانقياد المطلق للأشخاص، أو التمسك
بالواهي من الأقوال.

٦- تنشيط الذهن وتنمية المهارات الفكرية والملكات العقلية.

تعتبر المناظرة من الوسائل الموصلة إلى تنشيط الذهن وتنمية الفكر؛
لأنها تحمل المتناظرين على التدقيق فيما يعتقدان به من أقوال وأفكار،
وتحيص حججها وأدلتها قبل الإدلاء أو الاستدلال بها، والموازنة بينها
وبين حجج المناظر الآخر وأدلتها.

٧- فهم العلوم وتعميق النظر فيها.

أنَّ «مَنْ لَيْسَ لَهُ بَضَاعَةٌ مِنْ هَذَا الْفَنِّ - الْجَدَلِ وَالْمَنَاظَرَةِ - لَا يَكَادُ
يَفْهَمُ أَبْحَاثَ الْعُلُومِ»^(١٨)، فإنَّ المناظرات تدرِّب طالب العلم على
معرفة مواقع الخلاف، وتحرير أدلته، والتدقيق في مواضع النزاع،
ومعرفة مآخذ الأحكام، وطرائق معارضة الأقوال الضعيفة، وتزييف
المذاهب الفاسدة، وبيان وجوه الدلالة من الأدلة على الأحكام؛ ومن
هنا قيل: «مناظرة الأكفاء، ومعاشرة النظراء؛ تلقيح للعقول، وتهذيب
للنفوس، وتدريب لِمآخذ الأحكام»^(١٩).

رابعاً: آداب المناظرة^(٢٠):

هناك آداب ينبغي مراعاتها في كلِّ خلاف ونقاش، وهي:
أولاً: التثبت من قول المخالف، والوقوف على صحّة القول والتثبت
منه، فهذا أدب عام وسلوك قويم حثنا عليه ربنا تبارك وتعالى، فقال
سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا
بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(٢١).



وإذا كان ذلك في حقّ عموم المسلمين فهو في حقّ أهل العلم من طلاب وعلماء أولى، والتبين والتثبت أولى ما يكون في النقل عن أي من أهل العلم، وعلى مَنْ يتحرى قول غيره أن يعلم حقيقته بحواسه، مثل أن يسمع منه مباشرة دون واسطة، أو يقرأ ما كتبه، ولا يصحّ بناء أحكام على نقل الغير دون إحاطة به واستيلاء عليه، والناظر لواقعنا لا يخطئ ناظره أبداً حجم النزاع بل الشقاق والافتراق على أمور هي من مفردات الاختلاف السائغ، أحالها النقل بين طرفيها دون سماع من المصدر إلى فتنة وتضاد، وزادته مع الأيام تعميقاً وتجذراً، ولا شك في أنّ الطرفين مؤخذان بهذا، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾^(٢٢)، وعدم الاطلاع على قول الغير مع البناء عليه هو من قفو ما ليس لصاحبه به علم.

ثانياً: تحديد موضع الاختلاف وتحرير محلّ النزاع، وهذا الأدب من آداب الحوار والنقاش، وإذا انتبه إليه المتنازعان، واعتمدا في تناظرهما - دون مبالغة - يأتي على نصف الخلاف إمّا بحسم مادة الخلاف من أساسه أو بالتوصل إلى الصواب والاتفاق عليه قبل أن يتفاقم الاختلاف، فأكثر الاختلاف في عالمنا لا يعدو كونه لغطاً حول موضوع يتفق عليه الطرفان، ولكنّ الاندفاع والسطحية والرغبة في الإفحام يخرج الخلاف عن نطاقه ويتعمق ولا ينحسم.

ومن هنا تجد المحققين من العلماء دائماً ما يصدر ترجيحه للاختلاف بين الفقهاء بتحرير محلّ النزاع، وهكذا يجب أن يكون في كلّ اختلاف أن يتحرر فيه محلّ النزاع، ثمّ يكون الغوص على المعاني دون الألفاظ، وبذا تهدأ النفوس ويتحقّق المراد من الحوار.

ثالثاً: عدم اتّهام النيات؛ فإنّ سوء الظنّ مفسد لكلّ خلاف ومبطل لكلّ حوار، فإذا افترض مناظر في مناظره سوء النية فمن أين يأتي أدب الحوار؟، أن مَنْ يفترض هذا يعتبر مناظراً أو محاوراً لنفسه.

أن افتراض الإخلاص والبحث عن الحق في كل من يناظر في المسائل الشرعية واجب، ويجب أن تكون علاقة المتناظرين كأتهما ينشدان ضالة، فهي هدفهما، لا يباليان من وقع عليها، وانظر إلى اختلاف تسوده هذه الروح إلى أي أفق يسمو.

رابعاً: إخلاص النية، وإخلاص النية في هذا التجرد الله تعالى، كأن ينوي رفع الجهل عن نفسه وعن غيره، وهو من أعظم الأعمال، ولا شك في أن التنظير والمقابلة العلمية من أعلى درجات ومظاهر العلم، وأن ينوي رفع الخلاف بين المسلمين وإزالة الشقاق بينهم، وإخلاص النية باعث على رقي الاختلاف وموصل لسلامته ومحقق لإيجابيته.

خامساً: اتهام الرأي: أي أن يرى كل من المتناظرين أن قوله وما يراه قد يجانب الصواب، فينبغي أن تكون هناك مرونة وسعة، وأيضاً استعداد لأن يكون الحق عند غيره، وقبول ذلك والرضا به.

سادساً: قبول الحق من الغير فيما إذا كان في جانبه، وهذا هو ديدن العلماء الربانيين، وقد كان هذا سلوكاً معتاداً عند السلف، وخلاف هذا يعتبر تعصباً وهو محرم؛ لأنه يصد عن الحق.

سابعاً: حسن الاستماع: أي الإصغاء لمناظرك والاهتمام بما يقول، فإن ذلك فضلاً عن كونه معيناً على الفهم وحسن الجواب فإنه يشفي صدر المختلف معك، لما يرى من بحثك عن الحق، وأنت لم تدخل مناظرة محسومة.

ثامناً: إتاحة كل طرف لصاحبه الفرصة للحديث الكامل، وحسن العرض وفراغ غرضه من الكلام والتعبير، وهذا أخرى أن تتضح كل أبعاد الخلاف؛ ومن ثم حسمه كما يجب دون شقاق وهذا يستلزم عدم المقاطعة وقطع حبل أفكار مناظرك مما يثير الضجر وارتفاع الأصوات ومن ثم إفساد النقاش.

تاسعاً: طلب الإمهال: وذلك إذا استلزم البحث مثل هذا للمراجعة وإعادة ترتيب الأفكار والاستعانة بما يعين على المناظرة، ولا حرج في أن تستغرق المناظرة أو الحوار أياماً، أو عدداً من المجالس.

عاشراً: الحذر من المكابرة فلا تدخل حواراً شرعياً من أجل الاستعراض وقضاء المجالس والشهرة والسمعة فمعلوم عقوبة هذا عند الله تعالى.

الحادي عشر: تحديد المصطلحات: وهذا في غاية الأهمية، وبالأخص مع العلمانيين المعاصرين، فهم جهال، ولكنهم يستدرجون مَنْ يناظرهم إلى غموض المصطلحات وينساق خلف هذا مَنْ يناظر من العلماء كمصطلح الدولة المدنية.

الثاني عشر: وجوب التسليم وقبول الحق فيما إذا ظهر، والتواضع وخفض الجناح ولين الجانب.

الثالث عشر: قطع النقاش فوراً فيما إذا كان سيفضي إلى الشقاق والافتراق وفساد ذات البين؛ لأن الحفاظ على الأخوة أولى من حسم مناظرة.

الرابع عشر: أنصف أخاك من نفسك ولا تياس من قبوله الحق، وإذا رأيت أنه تزول أخوته إن خالف ما هو عليه فاتركه وشأنه، وأبق على الأخوة، فهذا هو واجبك، وأترك أمره إلى الله تعالى.

المطلب الثاني: نبذة من حياة الإمام الجواد عليه السلام (٢٣).

نسبه الشريف:

هو محمد الجواد بن علي الرضا، بن موسى الكاظم، بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر، بن علي زين العابدين، بن الحسين الشهيد، بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأما أمه فهي من أهل بيت مارية القبطية نوبية، كان الإمام الرضا عليه السلام يسميها (خيزران)، وقد صفها رسول الله ﷺ بأنها خيرة الإماء النوبية

الطيبة الفم، المنتجة الرحم (٢٤).

ولادته واستشهاده عليه السلام:

ولد عليه السلام في المدينة المنورة، في ١٠ رجب، سنة ١٩٥ هـ، وكانت مدة إمامته: ١٧ سنة، وقد وافاه الأجل المحتوم في ٢٩ ذي القعدة سنة ٢٢٠ هـ، وكان سبب وفاته هو أنه عليه السلام استشهد عليه السلام بالسهم على يد زوجته (أم الفضل) بتحريض من الخليفة العباسي (المعتصم)، فكان عمره الشريف: ٢٥ سنة، ودفن في مقابر قريش (حالياً مدينة الكاظمية) بجوار جدّه الإمام موسى الكاظم عليه السلام، في بغداد.

كناه وألقابه عليه السلام:

يكنى بأبي جعفر، وهي كنية جدّه الباقر عليه السلام، وللتمييز بينهما يكتنّى بأبي جعفر الثاني.

وأما ألقابه فهي كثيرة وتدلّ على معالم شخصيته العظيمة وسمو ذاته، وهي:

- ١ - الجواد: لُقّب به؛ لكثرة ما أسداه من الخير والبر والإحسان إلى الناس.
- ٢ - التقى: لقب به؛ لأنّه اتقى الله وأناب إليه، واعتصم به ولم يستجب لأي دافع من دواعي الهوى.
- ٣ - المرتضى.
- ٤ - القانع.
- ٥ - الرضي.
- ٦ - المختار.
- ٧ - باب المراد.

وكان نقش خاتمه (العزّة لله)، وهو يدلّ على شدّة انقطاعه إلى الله سبحانه. الإمام أبو جعفر محمّد بن عليّ الجواد عليه السلام هو التاسع من أئمّة أهل البيت عليهم السلام الذين أوصى إليهم رسول الله ﷺ بأمر من الله سبحانه لتوليّ مهام الإمامة والقيادة من بعده، بعد أن نصّ القرآن على عصمتهم

وتواترت السنة الشريفة بذلك، وتجسّدت في شخصية هذا الإمام العظيم كسائر آبائه الكرام جميع المثل العليا، والأخلاق الرفيعة، التي تؤهّل صاحبها للإمامة الرسالية والزعامة الربّانية، وتقلّد الإمامة العامّة وهو في السابعة من عمره الشريف، وليس في ذلك ما يدعو إلى العجب، فقد تقلّد عيسى بن مريم عليه السلام النبوة وهو في المهد.

وهذا ما حصل مع الإمام الجواد عليه السلام، فعلى الرغم من عمره القصير وطبيعة الظرف الصعب الذي عاشه الإمام عليه السلام وشيعته، إلا أنّ التراث الذي وصل إلينا نجد أنّه متنوع في مجالاته، غزير في محتواه ومضمونه، ذلك العلم الذي بدأ بالإشعاع والعطاء منذ ولادته عليه السلام وحتى سنيّ إمامته، وهو لم يبلغ عقداً واحداً من العمر.

المبحث الثاني: مناظرات الإمام الجواد عليه السلام.

من الأساليب التي أعتمدها الإمام محمد الجواد عليه السلام لأجل نشر الفكر الديني والثقافة الإسلامية هي المناظرة، وقد نقل لنا التاريخ بعض المناظرات التي جرت بين الإمام عليه السلام وبين بعض الشخصيات على تنوعها واختلافها من حيث الثقافة والتوجه الفكري والعقدي.

ويمكن تصنيف تلك المناظرات بحسب موضوعها إلى صنفين رئيسين، وهما الأفكار العقديّة، والأحكام التشريعيّة، وعلى هذا الأساس يقع الكلام في هذا المبحث في مطلبين.

المطلب الأول: مناظرات الإمام عليه السلام في باب العقائد.

أن بعض الآيات القرآنيّة التي تتحدث عن مناظرات الأنبياء لأرباب النحل المختلفة، وكذلك بعض مناظرات النبي الأكرم عليه السلام مع أصحاب العقائد الخمسة: (اليهوديّة، والنصرانيّة، والدهريّة، والثنويّة، ومشركي العرب)، تدلّ على أن أساس موضوعات تلك المناظرات هو أصول العقائد، التي هي: (إثبات الصانع، وخلق العالم، والتوحيد، وصفات الله تعالى، والنبوة، والمعاد) وبعض الموضوعات التي كانت سائدة في تلك العصور، أمثال: إمكان نسخ الشرائع، وقضية الملائكة، والخير والشر^(٢٥). وقد دخلت موضوعات جديدة في مضمار المسائل الكلامية الإسلامية عند دخول أرباب الثقافات الأخرى في صدر الإسلام المراكز العلميّة للمسلمين، وكان من تلك المسائل:

١- مسألة الإمامة وخلافة النبي عليه السلام، وهي التي قال عنها الشهرستاني، ت: ٥٤٩هـ: «أعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سُلّ سيف في الاسلام على قاعدة دينيّة مثل ما سُلّ على الإمامة في كلّ زمان»^(٢٦).

٢- مسألة الشورى واختلاف الآراء فيها، وقد وقع على إثر هذه المسألة فتن بين المسلمين^(٢٧).

٣- مفهوم الإيمان وصلته بالعمل، حيث ظهر إثر مسألة ارتكاب الكبيرة، وظهرت تلوها الآراء الأربعة: الكفر، والنفاق، والفسق، وبقاء الإيمان^(٢٨)، وعرف الرأي الأخير بمذهب الإرجاء الذي يذهب أتباعه إلى القول: «لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة»^(٢٩).

وقد حذر الأئمة المعصومون عليهم السلام من خطر هذا المذهب وذكره مرات عديدة^(٣٠).

٤- مسألة القضاء والقدر (الخير والشر في أفعال العباد) التي نشأت في أواخر عصر الصحابة، وكانت محلّ جدل وكلام بين العدليّة^(٣١)، والجبريّة^(٣٢)، والقدريّة^(٣٣)، والمفوضة^(٣٤)، وغيرها^(٣٥).

قال أبو هلال العسكري: «إنّ معاوية أوّل مَنْ زعم أنّ الله يريد أفعال العباد كلّها»^(٣٦)، وذكر ابن أبي الحديد المعتزلي، ت: ٦٥٦هـ، أنّ معاوية كان يتظاهر بالجبر والإرجاء، وأنّ المعتزلة كفّروه لذلك، فهو مطعون في دينه^(٣٧)، وقال ابن المرتضى: إنّ رأي المجبرة ومذهبهم حدث في أيام معاوية وملوك بني مروان، ومستند في حدوثه لهم، وقد عظمت به الفتنة^(٣٨).

وتجدر الإشارة إلى أنّ الاختلافات الكلاميّة في صفوف الأمة الإسلاميّة ترجع إلى عوامل مختلفة، أبرزها: العصبية، والتشاحن القبلي، والحيلولة دون كتابة الحديث وروايته لعزل أهل البيت عليهم السلام وجحد فضائلهم^(٣٩)، ودخول الروايات الإسرائيليّة وثقافة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي^(٤٠)، وكذلك وضع الحديث.

أنّ هذه العوامل حثّت متكلّمي المذاهب الإسلاميّة على دحض شبهات المخالفين وتوضيح هذه الأمور، وأدّت إلى أنّ يظهر وعلمهم خلال المناظرات في الموضوعات الكلاميّة المستحدثة، مثل: التشبيه والتجسيم، والصفات الخبرية، ومسألة النسخ، وخلق القرآن، وغيرها من المسائل العقديّة.

وقبل أن نعرض نماذج من مناظرات الإمام الجواد عليه السلام يحسن أن نتعرف على مفهوم العقيدة في اللغة والاصطلاح.
أولاً: العقيدة لغة.

«العقد العهد، والجمع عقود، وهي أوكد العهود، ويقال: عهدتُ إلى فلانٍ في كذا وكذا، وتأويله ألزمته ذلك، فإذا قلت: عاقفته أو عقدت عليه فتأويله أنك ألزمته ذلك باستيثاق، والمعاقدة: المعاهدة، وعاقده: عهده، وتعاقد القوم: تعاهدوا»^(٤١).

قال ابن فارس: «عقد: العين والقاف والdal أصل واحد يدل على شدّ وشدة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلّها، من ذلك عقد البناء والجمع أعقاد وعقود»^(٤٢).

ثانياً: العقيدة اصطلاحاً.

عُرِفَت العقيدة في الاصطلاح بتعريفات عدّة عند علماء الكلام، ومن هذه التعريفات:

«هي ما عقد عليه القلب، واطمأن له القلب»^(٤٣)، وقيل: «هي الأمور التي يجب أن يصدق بها قلبك، وتطمئن إليها نفسك، وتكون يقيناً عندك، لا يهازجه ريب، ولا يخالطه شك»^(٤٤).

وعرّفها محمد الخطيب: «هي مجموعة من قضايا الحقّ البديهيّة المسلّمة بالعقل والسمع والفطرة، يعقد عليها الإنسان قلبه، ويثني عليها صدره، جازماً بصحّتها قاطعاً بوجودها وثبوتها لا يرى خلافها أنّه يصحّ أو يكون أبداً»^(٤٥).

وقيل: «هي مجموعة أفكار وقيم معيّنة يرتبط القلب بها ارتباطاً وثيقاً على مستوى التصديق والتدين عن طريق القناعة، بحيث يصعب فلها عن القلب وتكون بمثابة السبيكة المعدنية المتلاحمة التي يصعب فرز معادنها بعضها عن البعض الآخر بعد التداخل والتماسك»^(٤٦).

ومن خلال عرض هذه التعريفات يتّضح أنّ العقيدة الإسلاميّة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بنفس الإنسان وقلبه على وجه الاطمئنان والتصديق، وبعيداً عن الشكّ والريب.

وقد تنوعت مناظرات الإمام الجواد عليه السلام في مجال العقيدة، نظراً لكثرة المشاكل العقديّة التي طفت على الساحة الفكرية في عصره عليه السلام، وقد جاءت مناظرات الإمام الجواد عليه السلام في باب التوحيد والإمامة.

أولاً: مناظراته عليه السلام في باب التوحيد.

يُعَدّ البحث في التوحيد من أهمّ الأصول العقائديّة في منظومة الفكر الإسلامي، وهي الاصل بالنسبة لجميع المعارف الإسلاميّة، وقد عمل الأئمّة عليهم السلام على ترسيخ هذا المبدأ في نفوس المسلمين، وحاولوا جاهدين معالجة الشبه والاشكاليات التي تطرح هنا وهناك، من خلال الفتاوى المتاحة لهم في هذا المجال، وقد اعتمدوا الحجّة والبرهان والأدلة بحسب متطلبات الظروف الموضوعيّة.

وينبغي لنا ونحن نتحدث عن مناظرات الإمام الجواد عليه السلام في باب التوحيد أن نعرض أولاً إلى تعريف المصطلح أو المفهوم من حيث اللغة والاصطلاح، فإنّ من البدايات الأساسية عند بحث أي موضوع - وبالخصوص الموضوعات المهمة - أن يتطرق الباحث إلى هذه المسألة.

التوحيد لغة:

التوحيد: من وَحَدَ - الواو والحاء والdal -: أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الْإِنْفِرَادِ، وَالوَاحِدُ: الْمُنْفَرِدُ^(٤٧)، وَالوَاحِدُ: أَوَّلُ عَدَدِ الْحِسَابِ، وَالتَّوْحِيدُ: الْإِيمَانُ بِاللّهِ وَحْدَهُ، وَاللَّهُ الْأَوْحَدُ وَالتَّوْحِيدُ: ذُو الْوَحْدَانِيَّةِ^(٤٨)،

وَالوَاحِدُ وَالْأَحَدُ: مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ الْفَرْدُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ وَحْدَهُ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ آخَرٌ، وَقِيلَ: إِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا هُوَ أَنَّ الْأَحَدَ بُنِيَ لِنَفْيِ مَا يُذَكَّرُ مَعَهُ مِنَ الْعَدَدِ، تَقُولُ: مَا جَاءَنِي أَحَدٌ، وَالوَاحِدُ: اسْمُ بُنْيَ لِمَفْتَحِ الْعَدَدِ،

تقول: جاءني واحد من الناس، ولا تقول: جاءني أحد، فالواحد منفرد بالذات في عدم المثل والنظير، والأحد منفرد بالمعنى^(٤٩).

التوحيد اصطلاحاً:

لم يخرج استعمال التوحيد في علمي الفقه والكلام عن المعنى اللغوي، فهو في علم العقائد: الاعتقاد بأن الخالق والربّ والمعبود واحد لا ثاني له ولا شريك، وإن اختلفت عبائهم في تعريفه^(٥٠).

ولا بأس في أن نذكر بعض ما ذكره علماء الإمامية من تعريف للتوحيد بحسب اصطلاح المتكلمين:

١- التعريف الأول: «العلم بأن الله تعالى لا يشاركه فيما يوصف به على الحدّ الذي يوصف به غيره، والإقرار بذلك إذا أمكنه الإقرار»^(٥١).

٢- التعريف الثاني: «إثبات صانع واحد موجد للعالم، ونفي ما عداه»^(٥٢).

٣- التعريف الثالث: «أن يعرف أن الله تعالى واحد في الربوبية، ولا شريك له في المعبودية، ويتبعه النظر في الصفات من الثبوتيات والسلبيات»^(٥٣).

٤- التعريف الرابع: «الإعتقاد بوحدانية الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله»^(٥٤).

هذه بعض التعريفات الاصطلاحية للتوحيد، وتبيّن لنا منها طريقة تحقيق الاعتقاد الحقيقي بالتوحيد، وذلك من خلال (الإقرار) أو (العلم) أو (إثبات) وحدانية الله سبحانه وتعالى، ومن ثمّ الإيمان بذلك إيماناً مطلقاً. وتجدر الإشارة هنا أنّ التقليد لا يفيد في هذا المجال، ولا تفيد في ذلك أية واسطة، ولا ينفع الإتيان للغير؛ باعتبار أنّ المراد بأصول الدين عموماً وأصل التوحيد بشكل خاصّ هو الاعتقاد الحقيقي القلبي النابع عن قناعة شخصية، ووفق أدلة يؤمن بها الشخص نفسه، بحيث لو سئل عنها لأجاب، وهذا لا يتحقق إلا من خلال البحث والتحقيق.

وللتوحيد مراتب، كان بعض تلك المراتب محلاً للكلام بين متكلمي المسلمين، ونتج عن ذلك نشوء مذاهب وفرق، ومن تلك المراتب:

١- التوحيد في الذات:

وهو أوّل مراتب التوحيد، وهو يعني أنّه تعالى واحد لا ثاني له، ويصطلح عليه في ألسنة المتكلمين بالتوحيد الذاتي، يهدفون به نفى أي مثل له، وربما يطلق التوحيد الذاتي على كونه سبحانه واحداً بمعنى أنّه بسيط لا جزء له^(٥٥).

٢- التوحيد في الصفات:

المسلمون قد اتّفقوا على أنّ الله تعالى متّصف بصفات الكمال والجمال، من العلم والقدرة والحياة وغيرها من الصفات الذاتيّة، ولكنّهم اختلفوا في كيفيّة إجرائها عليه سبحانه، ونشأ عن ذلك ثلاثة أقوال:

الأوّل: نظريّة المعتزلة، حيث ذهبوا إلى أنّ ملاك إجراء هذه الصفات هو الذات، وليست هناك أية واقعيّة للصفات سوى ذاته المقدّسة، وهذا ما يعرف بنظريّة نيابة الذات عن الصفات^(٥٦).

الثاني: نظريّة الأشاعرة، حيث ذهبوا إلى وجود صفات كماليّة زائدة على ذاته سبحانه مفهوماً ومصداقاً، فلا فرق بين صفاته وصفات المخلوقين إلا في القدم والحدوث، فالصفات سواء كانت في الواجب أو الممكن هي زائدة على الذات، إلا أنّ صفات الواجب قديمة، بينما صفات الممكن حادثة^(٥٧).

الثالث: نظريّة الشيعة الإماميّة، حيث ذهبوا إلى عينية الصفات والذات، فهذه النظريّة تعترف بوجود العلم والقدرة في مقام الذات، والدليل على العينيّة هو أنّ القول باتّحاد ذاته سبحانه مع صفاته يوجب غناءه في العلم بما وراء ذاته عن غيره، فيعلم بذاته كلّ الأشياء من دون حاجة إلى شيء وراء الذات، وهذا بخلاف القول بالزيادة فإنّه يستلزم افتقاره سبحانه في العلم بالأشياء وخلقها إيّاها إلى أمور خارجة عن ذاته، فهو يعلم بالعلم الذي

هو سوى ذاته، ويخلق بالقدرة التي هي خارجة عن حقيقته، ويحيا بحياة غير ذاته، والواجب سبحانه منزه عن الإحتياج إلى غير ذاته، فهو غني في ذاته وفعله عمّن سواه»^(٥٨).

٣- التوحيد في العبادة:

التوحيد في العبادة يعني حصر العبادة في الله تعالى، فلا أحد يستحق أن يتخذ معبوداً مهما بلغ من الكمال والجلال، ولا يكون الانسان مسلماً إلا أن يخصص العبادة بالله وحده^(٥٩).

٤- التوحيد في الأفعال:

وهو يعني الاعتقاد أولاً بأن الله تعالى في أفعاله غير محتاج لأي أحد ولأي شيء، ولا يمكن لأي موجود أن يعينه وأن يقدم له المساعدة في فعله أو رأيه، وكيف يحتاج الله إلى مخلوق فقير وهو الخالق الغني، ثم إن الله تعالى علّة المخلوقات كلّها، والعلّة لا تحتاج إلى معلوها، والاعتقاد ثانياً بأن كلّ المخلوقات لا تكون إلا به، فلا الشمس تجري بذاتها، ولا الشجر ينمو بذاته، ولا النار تحرق بذاتها، بل كلّها تفعل ما تفعله بالله الذي أعطاها القدرة على الفعل^(٦٠).

ومن فروع التوحيد الأفعالي: التوحيد في الخالقية، التوحيد في الربوبية، التوحيد في الحاكمية، التوحيد في التشريع^(٦١).

وبعض هذه المراتب وقعت محلاً للجدل والأخذ والردّ بين علماء المسلمين، وكان لهذه المسائل نصيب في مناظرات الإمام الجواد عليه السلام، حيث إن الموضوع على درجة كبيرة من الأهمية، ومن المناظرات التي نقلت لنا عن الإمام الجواد عليه السلام في مجال التوحيد:

١- ما رواه أبو داود بن القاسم الجعفري^(٦٢)، حيث قال: قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام: قل هو الله أحد، ما معنى الأحد؟.

قال: المجمع عليه بالوحدانية، أما سمعته يقول: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٦٣)، ثم يقولون بعد ذلك، له شريك وصاحبة.

فقلتُ: قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾^(٦٤).

قال: يا أبا هاشم أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها، ولم تدرك ببصرك ذلك، فأوهام القلوب لا تدركه، فكيف تدركه الأبصار.

وسئل عليه السلام: أيجوز أن يقال لله: إنه شيء؟

فقال: نعم، تخرجه من الحدين: حد الإبطال، وحد التشبيه^(٦٥).

٢- وروي عن أبي هاشم الجعفري أنه قال: كنتُ عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فسأله رجل فقال: أخبرني عن الرب تبارك وتعالى أله أسماء وصفات في كتابه، وهل أسماؤه وصفاته هي هو؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: إن لهذا الكلام وجهين: إن كنتَ تقول: «هي هو» أنه ذو عدد وكثرة، فتعالى الله عن ذلك، وإن كنتَ تقول: هذه الأسماء والصفات لم تزل فإن لم تزل محتمل على معنيين: فإن قلتَ: لم تزل عنده في علمه وهو يستحقها، فنعم. وإن كنتَ تقول: لم تزل صورها وهجاؤها وتقطيع حروفها فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره، بل كان الله تعالى ذكره ولا خلق، ثم خلقها وسيلة بينه وبين خلقه، يتضرعون بها إليه ويعبدون، وهي: (ذكره) وكان الله سبحانه ولا ذكر، والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم يزل والأسماء والصفات مخلوقات، والمعني بها هو الله، لا يليق به الاختلاف ولا الائتلاف، وإنما يختلف ويتألف المتجزئ.

ولا يقال له قليل ولا كثير، ولكنه القديم في ذاته، لأن ما سوى الواحد متجزئ، والله واحد ولا متجزئ، ولا متوهم بالقلّة والكثرة،

وكلّ متجزّي أو متوهم بالقلّة والكثرة، فهو مخلوق دال على خالق له،
فقولك: «إنّ الله قدير» خبرت أنّه لا يعجزه شيء، فنفيت بالكلمة العجز،
وجعلت العجز لسواه. وكذلك قولك: عالم إنّما نفيت بالكلمة الجهل،
وجعلت الجهل لسواه، فإذا أفنى الله الأشياء أفنى (الصورة والهجاء
والتقطيع) فلا يزال من لم يزل عالماً.

فقال الرجل: فكيف سمينا ربنا سمياً؟

فقال: لأنّه لا يخفى عليه ما يدرك بالأسماع، ولم نصفه بالسمع المعقول
في الرأس، وكذلك سميناه (بصيراً)، لأنّه لا يخفى عليه ما يدرك بالأبصار
من لون أو شخص أو غير ذلك، ولم نصفه ببصر طرفة العين، وكذلك
سميناه (لطيفاً)، لعلمه بالشيء اللطيف مثل: (البعوضة) وما هو أخفى
من ذلك، وموضع المشي منها والشهود والسفاد، والحدب على أولادها،
 وإقامة بعضها على بعض، ونقلها الطعام والشراب إلى أولادها في الجبال
والمغاور والأودية والقفار، وعلمنا بذلك أنّ خالقها لطيف بلا كيف، إذ
الكيف للمخلوق المكيف، وكذلك سمينا ربنا (قوياً) بلا قوة البطش
المعروف من الخلق، ولو كانت قوته قوة البطش المعروف من الخلق لوقع
التشبيه واحتمل الزيادة، وما احتمل الزيادة احتمل النقصان، وما كان
ناقصاً كان غير قديم، وما كان غير قديم كان عاجزاً، فربنا تبارك وتعالى
لا شبه له، ولا ضد ولا ند، ولا كيفية، ولا نهاية، ولا تصارييف، محرّم على
القلوب أن تحتمله، وعلى الأوهام أن تحدّه، وعلى الضمائر أن تصوّره، جلّ
وعزّ عن أداة خلقه، وسمات بريته، تعالى عن ذلك علواً كبيراً^(٦٦).

ثانياً: مناظراته عليه السلام في باب الإمامة.

من أبرز ما جاء في مناظراته عليه السلام هو ما يرتبط بموضوع الإمامة، حيث جاءت مناظرات الإمام عليه السلام في موضوع إثبات إمامته عليه السلام وإبطال إمامة غيرهم عليه السلام، وقد واجه الإمام عليه السلام تشكيكات المشككين بالحجة والدليل والبرهان القاطع، الذي لا يقبل الشك في مجال إثبات إمامته عليه السلام، ولأجل الإحاطة بأطراف هذا الموضوع نعرض ما ورد من مناظراته عليه السلام في هذا المجال.

وينبغي قبل ذلك التعريف بالإمامة.

الإمامة في اللغة والاصطلاح.

أ: الإمامة لغة.

الإمام: كُلُّ مَنْ أَتَمَّ بِهِ قَوْمٌ، سواء كانوا على الصراط المستقيم أم كانوا ضالين^(٦٧)، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾^(٦٨)، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾^(٦٩).

وقيل: بمعنى القيادة والريادة، فكلٌّ مَنْ اتبعته فئة من الناس في فكره وعمله، كان قائداً وإماماً لهم^(٧٠).

ب: الإمامة اصطلاحاً.

هي «رئاسة عامة في الدين والدنيا لشخص إنساني خلافة عن النبي صلى الله عليه وآله»^(٧١).

والروايات التي تشتمل على مناظرات الإمام عليه السلام في هذا المجال على أصناف.

الصنف الأول: ما ورد في مجال إثبات نسبه عليه السلام.

لقد واجه الإمام عليه السلام بعض التحديات التي لم يسبق أن واجهها الأئمة الذين سبقوه، وكان لتلك التحديات الأثر البالغ في مسار التشيع، إلى الحد الذي جعل البعض يشكك في انتساب الإمام الجواد عليه السلام إلى أبيه الإمام الرضا عليه السلام، وبالتالي التشكيك بإمامته، خصوصاً وأن التشكيك كان من

قبل بعض أهل بيته وشيعة أبيه الرضا عليه السلام، وقد ساعد على ذلك الظرف الذي عاشه عليه السلام، وذلك من جهتين:

الأولى: إن الإمام الرضا عليه السلام لم يولد له ولد إلا بعد كبر سنه.

الجهة الثانية: ما لوحظ على الإمام عليه السلام من صفات خلقية لحقته من جهة أمه، حيث كان الإمام عليه السلام يوصف بأنه حائل اللون^(٧٢).

إن هذين الأمرين لم يسبق لهما أن وجدا في أحد الأئمة السابقين عليهما السلام، ومن هنا أخذت الاسئلة تثار هنا وهناك، وظهر التشكيك بإمامته عليه السلام على لسان البعض، وهذا يشكل تحدياً واضحاً لمسار التشيع وخط الإمامة.

وقد واجه الإمام عليه السلام تلك التحديات على الرغم من صغر سنّه، في أيام وجود أبيه الإمام الرضا عليه السلام وبعد استشهاد عليه السلام، وفي هذا المجال نذكر بعض الروايات التي تتحدث عن الجهتين، ثم بعد ذلك نذكر ما ورد من مناظراته عليه السلام في هذا المجال:

١- روى الحميري عن إبراهيم بن أبي إسرائيل قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام: أنا رأيتُ في المنام فقيل لي: لا يولد لك ولد حتّى تجوز الأربعين، فإذا جرت الأربعين ولد لك من حائلة اللون خفيفة الثمن^(٧٣).

٢- روى الشيخ الصدوق بإسناده عن عبد الرحمن بن أبي نجران وصفوان بن يحيى، قال: حدثنا الحسين بن قياما وكان من رؤساء الواقفة، فسألنا أن نستأذن له على الرضا عليه السلام، ففعلنا، فلمّا صار بين يديه، قال له: أنت إمام؟، قال: نعم.

قال: إنّي أشهد الله أنّك لست بإمام. قال: فنكت عليه السلام في الأرض طويلاً منكّس الرأس، ثم رفع رأسه إليه، فقال له: ما علمك أنّي لست بإمام؟. قال له: إنّنا قد روينّا عن أبي عبد الله عليه السلام: إنّ الإمام لا يكون عقيماً، وأنت قد بلغت هذا السنّ وليس لك ولد.

قال فنكس رأسه أطول من المرة الأولى، ثم رفع رأسه فقال: إني أشهد الله أنه لا تمضي الأيام والليالي حتى يرزقني الله ولداً مني.

قال عبد الرحمن بن أبي نجران: فعددنا الشهور من الوقت الذي قال، فوهب الله له أبا جعفر عليه السلام في أقل من سنة ^(٧٤).

٣- روى الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، وعلي بن محمد القاساني جميعاً، عن زكريا بن يحيى بن النعمان الصيرفي، قال: سمعتُ علي بن جعفر يحدث الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين، فقال: والله لقد نصر الله أبا الحسن الرضا عليه السلام.

فقال له الحسن: إي والله جعلت فداك لقد بغى عليه إخوته.

فقال علي بن جعفر: إي والله ونحن عمومته بغينا عليه.

فقال له الحسن: جعلتُ فداك كيف صنعتُم، فإني لم أحضركم؟.

قال: قال له إخوته ونحن أيضاً: ما كان فينا إمامٌ قطَّ حائل اللون.

فقال لهم الرضا عليه السلام: هو ابني.

قالوا: فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قد قضى بالقافة ^(٧٥)، فبيننا وبينك القافة.

قال: ابعثوا أئمة إليهم، فأما أنا فلا، ولا تعلموهم لما دعوتوهم، ولتكونوا في بيوتكم.

فلما جاءوا أقعدونا في البستان، واصطفَّ عمومته وإخوته وأخواته وأخذوا الرضا عليه السلام وألبسوه جبَّة صوف وقلنسوة منها، ووضعوا على عنقه مسحة، وقالوا له: أدخل البستان كأنك تعمل فيه.

ثم جاءوا بأبي جعفر عليه السلام، فقالوا: ألحقوا هذا الغلام بأبيه.

فقالوا: ليس له ها هنا أبٌ، ولكن هذا عمُّ أبيه، وهذا عمُّ أبيه، وهذا عمُّه، وهذه عمَّته، وإن يكن له ها هنا أبٌ فهو صاحب البستان، فإن قدميه وقدميه واحدة.

فلما رجع أبو الحسن عليه السلام، قالوا: هذا أبوه.

قال علي بن جعفر: فقمْتُ فمصصْتُ ريق أبي جعفر عليه السلام، ثم قلت له: أشهد أنك إمامي عند الله... (٧٦).

وعلى أي حال لقد واجه الإمام الجواد عليه السلام شبه المشككين بالحجة والدليل والبرهان القاطع، الذي لا يقبل الشك في مجال إثبات نسبه عليه السلام وبالتالي إمامته، والوارد من مناظراته عليه السلام في هذا المجال:

ما رواه أبو جعفر الطبري، عن أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام، قال: كان أبو جعفر عليه السلام شديد الأدمة، ولقد قال فيه الشاكون المرتابون - وسنّه خمسة وعشرون شهراً - إنه ليس هو من ولد الرضا عليه السلام، وقالوا عنهم الله: إنه من سُنيّف الأسود مولاه، وقالوا: من لؤلؤ، وإثم أخذوه، والرضا عليه السلام عند المأمون، فحملوه إلى القافة وهو طفل بمكة في مجمع من الناس بالمسجد الحرام، فعرضوه عليهم، فلما نظروا إليه وزرقوه بأعينهم خرّوا لوجوههم سُجّداً، ثم قاموا فقالوا لهم: يا ويحكم! مثل هذا الكوكب الدّري والنور المنير يعرض على أمثالنا، وهذا والله الحسب الزكي، والنسب المهذب الطاهر، والله ما تردد إلا في أصلاب زاكية، وأرحام طاهرة، والله ما هو إلا من ذرية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ورسول الله ﷺ فارجعوا واستقبلوا الله واستغفروه، ولا تشكّوا في مثله.

فنطق عليه السلام بلسان أرْهَف من السيف، وأفصح من الفصاحة، يقول عليه السلام: الحمد لله الذي خلقنا من نوره بيده، واصطفانا من بريته، وجعلنا أماناً على خلقه ووحيه. معاشر الناس، أنا محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي سيد العابدين بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وابن فاطمة الزهراء، وابن محمد المصطفى ﷺ، ففي مثلي يُشكّ، وعليّ وعلى أبويّ يُفترى، وأُعرّض على القافة؟!.

وقال عليه السلام: والله إنني لأعلم بأنسابهم من آبائهم، إنِّي والله لأعلم بواطنهم وظواهرهم، وإنِّي لأعلم بهم أجمعين، وما هم إليه صائرون، أقوله حقاً، وأظهره صدقاً، علماً ورثناه الله قبل الخلق أجمعين، وبعد بناء السماوات والأرضين.

وأيم الله، لولا تظاهر الباطل علينا، وغلبة دولة الكفر، وتوثب أهل الشكوك والشرك والشقاق علينا، لقلتُ قولاً يتعجب منه الأولون والآخرين. ثم وضع يده على فيه، ثم قال: يا محمد! أصمت كما صمت آباؤك...^(٧٧).

الصف الثاني: ما ورد في مجال تقلده الإمامة مع حادثة سنه عليه السلام. من الأمور التي واجهها الإمام عليه السلام هو التشكيك بإمامته، باعتبار حادثة سنه، فلم يُعهد فيما سبقه من آباءه عليه السلام أن تقلد الإمامة وهو صغير السن، وهذا الأمر دفع بالبعض إلى التشكيك بإمامته عليه السلام.

وقد واجه عليه السلام ذلك التشكيك بالحجة القاطعة، ومن المناظرات التي وردت في هذا المجال:

١- ما رواه الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، قال: قال علي بن حسان لأبي جعفر عليه السلام: يا سيدي! إن الناس ينكرون عليك حادثة سنك؟!.

فقال عليه السلام: وما ينكرون من ذلك قول الله عز وجل؛ لقد قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾^(٧٨)، فوالله ما تبعه إلا علي عليه السلام وله تسع سنين، وأنا ابن تسع سنين^(٧٩).

٢- وما رواه محمد بن يعقوب الكليني، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن سيف، عن بعض أصحابنا، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام، قال: قلتُ له: إنهم يقولون في حادثة سنك!.

فقال ﷺ: إنَّ الله تعالى أوحى إلى داود أن يستخلف سليمان وهو صبي يرعى الغنم، فأنكر ذلك عبّاد بني إسرائيل وعلماءهم، فأوحى الله إلى داود ﷺ: أن خذ عصا المتكلمين، وعصا سليمان، واجعلهما في بيت، واختم عليها بخواتيم القوم، فإذا كان من الغد، فمَنْ كانت عصاه قد أورقت وأثمرت فهو الخليفة.

فأخبرهم داود ﷺ، فقالوا: قد رضينا وسلّمنا^(٨٠).

الصف الثالث: مع المأمون العباسي في اثبات فضله وأهليته للإمامة.
روى ابن الصباغ المالكي، ت: ٨٥٥هـ، أنّه اتفق أنّ المأمون خرج يوماً يتصيد، فاجتاز بطرف البلد، وثمّ صبيان يلعبون، ومحمّد الجواد ﷺ واقف عندهم.

فلما أقبل المأمون فرّ الصبيان، ووقف محمّد الجواد ﷺ، وعمره إذ ذاك تسع سنين... فقال له: يا غلام ما منعك أن لا تفرّ كما فرّ أصحابك؟
فقال له محمّد الجواد ﷺ: يا أمير المؤمنين فرّ أصحابي خوفاً، والظنّ بك حسن، إنّه لا يفرّ منك مَنْ لا ذنب له، ولم يكن بالطريق ضيق فأتنحى...
وساق جواده إلى نحو وجهته، وكان معه بزة الصيد... فلما دنا منه الخليفة، قال: يا محمّد!

قال: لبيك يا أمير المؤمنين.

قال: ما في يدي؟!.

فأنطقه الله تعالى بأن قال: إنّ الله تعالى خلق في بحر قدرته، المستمسك في الجو، ببديع حكمته، سمكاً صغاراً، فصاد منها بزة الخلفاء كي يختبر بها سلالة بيت المصطفى.

فلما سمع المأمون كلامه تعجّب منه وأكثر، وجعل يطيل النظر فيه، وقال: أنت ابن الرضا حقّاً، ومن بيت المصطفى صدقاً...^(٨١).

الصف الرابع: مناظرته ﷺ مع يحيى بن أكثم في ابطال خلافة الشيخين.

روى الطبرسي، ت: ٦٢٠ هـ، أن المأمون بعد ما زوج ابنته أم الفضل أبا جعفر عليه السلام كان في مجلس، وعنده أبو جعفر عليه السلام ويحيى بن أكثم وجماعة كثيرة. فقال له يحيى بن أكثم: ما تقول يا ابن رسول الله ﷺ في الخبر الذي روي؛ أنه نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ وقال: يا محمد! إن الله عز وجل يقرؤك السلام، ويقول لك: سل أبا بكر، هل هو عني راض! فإني عنه راض!!.

فقال أبو جعفر عليه السلام: لست بمنكر فضل أبي بكر، ولكن يجب على صاحب هذا الخبر، أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله ﷺ في حجة الوداع: قد كثرت عليّ الكذّابة، وستكثر بعدي، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، فإذا أتاكم الحديث عني فأعرضوه على كتاب الله عز وجل وستتي، فما وافق كتاب الله وستتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وستتي فلا تأخذوا به.

وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلِمُ مَا تُوسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (٨٢)، فالله عز وجل خفي عليه رضاء أبي بكر من سخطه حتى سأل عن مكنون سره؟!.. هذا مستحيل في العقول.

ثم قال يحيى بن أكثم: وقد روي: أن مثل أبي بكر وعمر في الأرض كمثل جبرئيل وميكائيل في السماء.

فقال عليه السلام: وهذا أيضاً يجب أن ينظر فيه، لأن جبرئيل وميكائيل ملكان لله مقربان لم يعصيا الله قط، ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة، وهما قد أشركا بالله عز وجل، وإن أسلما بعد الشرك، فكان أكثر أيامهما الشرك بالله، فمحال أن يشبههما بهما.

قال يحيى: وقد روي أيضاً: أنهما سيّدا كهول أهل الجنة!!، فما تقول فيه؟.

فقال ﷺ: وهذا الخبر محال أيضاً، لأنَّ أهل الجنة كلَّهم يكونون شبَّاناً ولا يكون فيهم كهل، وهذا الخبر وضعه بنو أمية لمضادَّة الخبر الذي قاله رسول الله ﷺ في الحسن والحسين ﷺ بآتمها: سيِّدا شباب أهل الجنة.

فقال يحيى بن أكثم: وروي: أنَّ عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة.

فقال ﷺ: وهذا أيضاً محال، لأنَّ في الجنة ملائكة الله المقربين، وآدم ومحمَّد وجميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم، لا تضيء الجنة بأنوارهم حتى تضيء بنور عمر؟!.

فقال يحيى: وقد روي: أنَّ السكينة تنطق على لسان عمر.

فقال ﷺ: لست بمنكر فضل عمر، ولكنَّ أبا بكر أفضل من عمر، فقال - على رأس المنبر: إنَّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا ملت فسدِّدوني.

فقال يحيى: قد روي أنَّ النبي ﷺ، قال: لو لم أبعث لبعث عمر!!.

فقال ﷺ: كتاب الله أصدق من هذا الحديث، يقول الله في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾^(٨٣)، فقد أخذ الله ميثاق النبيين فكيف يمكن أن يبدل ميثاقه؛ وكلَّ الأنبياء ﷺ لم يشركوا بالله طرفة عين، فكيف يبعث بالنبوة مَنْ أشرك، وكان أكثر أيامه مع الشرك بالله؛ وقال رسول الله ﷺ: نبئت وآدم بين الروح والجسد.

فقال يحيى بن أكثم: وقد روي أيضاً، أنَّ النبي ﷺ، قال: ما احتبس عني الوحي قطَّ إلا ظننته قد نزل على آل الخطاب!!.

فقال ﷺ: وهذا محال أيضاً، لأنَّه لا يجوز أن يشكَّ النبي ﷺ في نبوته؛ قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾^(٨٤)، فكيف يمكن أن تتقل النبوة ممَّن اصطفاه الله تعالى إلى مَنْ أشرك به.

قال يحيى: روي أنَّ النبي ﷺ، قال: لو نزل العذاب لما نجا منه إلا عمر!!.

فقال عليه السلام: وهذا محال أيضاً، إن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(٨٥)، فأخبر سبحانه أنه لا يعذب أحداً ما دام فيهم رسول الله ﷺ، وما داموا يستغفرون الله تعالى^(٨٦).

الصف الخامس: مناظرته عليه السلام مع بعضهم في الإمامة.

روى محمد بن يعقوب الكليني، بإسناده عن محمد بن أبي العلاء، قال: سمعت يحيى بن أكثم - قاضي سامراء - بعد ما جهدت به، وناظرته، وحاوَرته، وواصلته، وسألته عن علوم آل محمد، فقال: بينا أنا ذات يوم دخلت أطوف بقبر رسول الله ﷺ، فرأيت محمد بن علي الرضا عليه السلام يطوف به، فناظرته في مسائل عندي، فأخرجها إليّ.

فقلت له: والله! إنّي أريد أن أسألك مسألة، وإنّي والله لأستحيي من ذلك.

فقال لي: أنا أخبرك قبل أن تسألني، تسألني عن الإمام؟.

فقلت: هو والله، هذا.

فقال: أنا هو.

فقلت: علامة؟.

فكان في يده عصا، فنطقت وقالت: إن مولاي إمام هذا الزمان، وهو الحجة^(٨٧).

الصف السادس: مناظرته عليه السلام في الإمامة وغيرها.

روي عن محمد بن الوليد الكرمانى، قال: أتيت أبا جعفر عليه السلام فوجدت في داره قوماً كثيرين، ورأيت مسافراً جالساً في معزل منهم، فعدلتُ إليه، فجلستُ معه حتّى زالت الشمس، فقمْتُ إلى الصلاة، فصلّيتُ الزوال، فرض الظهر، والنوافل بعدها، وزدتُ أربع ركعات وفرض العصر، وأحسستُ بحركة ورائي، فالتفتُ فإذا أنا بأبي جعفر عليه السلام، فقمْتُ إليه وسلّمتُ عليه وقبلتُ يديه ورجليه فجلس وقال عليه السلام لي: ما الذي أقدمك؟.

وكان في نفسي مرض من إمامته.

فقال لي: سلّم. فقلتُ: يا سيدي قد سلّمت. فقال لي: ويحك سلّم، وتبسّم في وجهي، فأنا ب إليّ عقلي، فقلتُ: سلّمتُ إليك يا بن رسول الله، وقد رضى بك إماماً، فكأن الله قد جلا عني غمي وأزال ما في قلبي من المرض من إمامته، حتّى لو أجتهدتُ ورميتُ الشكّ فيه ما وصلتُ إليه. ثمّ عدتُ من الغد وما معي خلق، ولا أرى خلقاً، وإنّما أتوقع أن يأتي أحد، فطال ذلك عليّ حتّى اشتد الحر وأشدت عليّ الجوع.

فبينما أنا كذلك إذا أقبل نحوي غلامٌ قد حمل إليّ خواناً عليه طعام ألوان، وغلام آخر معه طست وإبريق، حتّى وضعه بين يدي، فقالا لي: مولانا يأمرك أن تغسل يدك وتأكّل، فغسلتُ يدي وأكلتُ، فإذا أنا بأبي جعفر عليه السلام قد أقبل، فقمّتُ إليه، فأمرني بالجلوس والأكل، فجلستُ وأكلتُ... ثمّ قال لي: سل؟. فقلتُ: جعلتُ فداك ما تقول في المسك؟.

فقال لي: إنّ أبي الرضا عليه السلام أمر أن يتخذ له مسك فيه بان، فكتب إليه الفضل بن سهل يقول له: يا سيدي إنّ الناس يعيبون ذلك عليك.

فكتب إليه: يا فضل أما علمت أن يوسف الصديق عليه السلام كان يلبس الديباج مزرراً بإزار الذهب والجوهر، ويجلس على كراسي الذهب واللجين، فلم يضرّه ذلك، ولم ينقص من نبوته وحكمته شيئاً، وأن سليمان بن داود عليه السلام صنّع له كرسي من ذهب ولجين مرصّع بالجوهر والحلي، وعمل له درج من ذهب ولجين، فكان إذا صعد على الدرج اندرجت وراءه، وإذا نزل انتشرت بين يديه، والغمام تظّلّه، والجنّ والإنس وقوف بين يديه لأمره، والرياح تنسم وتجري كما أمرها، والسباع الوحش والهوام مذلّة عكف حوله، والملائكة تختلف إليه، فما ضرّه ذلك، ولا نقص من نبوته شيئاً، ولا منزلته عند الله، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (٨٨).

فقال له الغلام: يا مولاي بل أقيم بخدمتك، وأختار ما ذكرت.
وخرج الغلام إلى الخراساني، فقال له: يا غلام قد خرجت إليّ بغير الوجه
الذي دخلت به، فأعاد الغلام عليه قول الصادق عليه السلام.

فقال له: فاستأذن لي عليه بالدخول. فاستأذن له ودخل عليه وعرفه شدة
ولايته، فقبل قوله وشكره، وأمر للغلام في الوقت بألف درهم، وقال: هي
خير لك من كلّ مال الخراساني، فودّعه وسأله أن يدعو له، ففعل بلطف
ورفق وبشاشة بالخراساني، ثم أمر له برزمة عمام، فأحضرت.

وقال للخراساني: خذها، فإنّ كلّ ما معك يؤخذ منك في طريقك، وتبقى
عليك هذه العمام وتحتاج إليها.

فقبلها وسار، فقطع عليه الطريق، وأخذ كلّما كان معه غير تلك العمام،
فاحتاج إليها، فباع منها، وتحمل إلى أن وصل إلى خراسان.

قال الكرمانى: حسب مواليتهم بهذا شرفاً وفضلاً^(٩٠).

المطلب الثاني: مناظراته عليه السلام في باب الأحكام الشرعية الفرعية.

الحكم الشرعي: «هو التشريع الصادر من الله تعالى لتنظيم حياة الإنسان»^(٩١).

وفي هذا المجال وردت روايات تتحدث عن مناظرة الإمام الجواد عليه السلام
مع بعض فقهاء عصره ممن تصدى للفتيا في بعض المسائل الشرعية، وقد
أفحم الإمام عليه السلام فقهاء عصره، وألزمهم الحجّة، وذلك بعرض الدليل
وتقريب دلالاته على الحكم.

وهذه المناظرات تكشف للمجتمع الإسلامي أن بعض المتصدين للفتيا
وبيان الحكم الشرعي ليسوا بمؤهلين للقيام بهذه المهمة، هذا من جانب،
ومن جانب آخر يلفت انظارهم إلى أن هؤلاء من وعاظ السلاطين، الذين
يتزلفون للحكام ويحاولون التقرب إليهم.

ومن المناظرات التي جاءت في باب الأحكام الشرعية:

١- ما رواه ابن شعبة الحراني عن أن المأمون قال ليحيى بن أكثم: اطرح على أبي جعفر محمد بن الرضا عليه السلام مسألة تقطعه فيها.
فقال: يا أبا جعفر! ما تقول في رجل نكح امرأة على زنا أيحُلُّ أن يتزوّجها؟.

فقال عليه السلام: يدعها حتى يستبرئها من نطفته ونطفة غيره، إذ لا يؤمن منها أن تكون قد أحدثت مع غيره حدثاً كما أحدثت معه، ثم يتزوّج بها إن أراد، فإنما مثلها مثل نخلة أكل رجل منها حراماً، ثم اشتراها فأكل منها حلالاً.
فانقطع يحيى.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: يا أبا محمد ما تقول في رجل حرمت عليه امرأة بالغداة، وحلّت له ارتفاع النهار، وحرمت عليه نصف النهار، ثم حلّت له الظهر، ثم حرمت عليه العصر، ثم حلّت له المغرب، ثم حرمت عليه نصف الليل، ثم حلّت له الفجر، ثم حرمت عليه ارتفاع النهار، ثم حلّت له نصف النهار؟.

فبقي يحيى والفقهاء بلساً خرساً^(٩٢).

فقال المأمون: يا أبا جعفر، أعزّك الله، بين لنا هذا؟.

قال عليه السلام: هذا رجل نظر إلى مملوكة لا تحلّ له، اشتراها فحلّت له، ثم اعتقها فحرمت عليه، ثم تزوّجها فحلّت له، فظاهر منها فحرمت عليه، فكفّر الظهار فحلّت له، ثم طلقها تطليقة فحرمت عليه، ثم راجعها فحلّت له، فارتدّ عن الإسلام فحرمت عليه، فتاب ورجع إلى الإسلام فحلّت له بالنكاح الأوّل، كما أقرّ رسول الله صلى الله عليه وآله نكاح زينب مع أبي العاص بن الربيع حيث أسلم على النكاح الأوّل^(٩٣).

٢- روى الشيخ المفيد بإسناده عن الريان بن شبيب، قال: لما أراد المأمون أن يزوّج ابنته أم الفضل أبا جعفر محمّد بن علي عليه السلام، بلغ ذلك العباسيين، فغلظ عليهم واستكبروه، وخافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما انتهى إليه مع الرضا عليه السلام، فحاضوا في ذلك، واجتمع منهم أهل بيته الأذنون منه... فقالوا: إنّ هذا الفتى وإن راقك منه هديه، فإنّه صبي لا معرفة له ولا فقه، فأمهله ليتأدّب ويتفقّه في الدين، ثم اصنع ما تراه بعد ذلك.

فقال لهم: ويحكم إنّي أعرف بهذا الفتى منكم، وإنّ هذا من أهل بيت علمهم من الله، ومواده وإلهامه، لم يزل آبؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حدّ الكمال، فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر عليه السلام بما يتبيّن لكم به ما وصفت من حاله.

قالوا له: قد رضينا لك يا أمير المؤمنين ولأنفسنا بامتحانه، فخلّ بيننا وبينه لننصب مَنْ يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة، فإن أصاب الجواب عنه لم يكن لنا اعتراض في أمره، وظهر للخاصّة والعامة سديد رأي أمير المؤمنين، وإن عجز عن ذلك فقد كفينا الخطب في معناه.

فقال لهم المأمون: شأنكم وذاك متى أردتم.

فخرجوا من عنده، واجتمع رأيهم على مسألة يحيى بن أكثم، وهو قاضي الزمان على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها، ووعدوه بأموال نفيسة على ذلك. وعادوا إلى المأمون فسألوه أن يختار لهم يوماً للاجتماع، فأجابهم إلى ذلك. فاجتمعوا في اليوم الذي اتفقوا عليه، وحضر معهم يحيى بن أكثم، فأمر المأمون أن يفرش لأبي جعفر عليه السلام دست، ويجعل له فيه مسورتان^(٩٤)، ففعل ذلك. وخرج أبو جعفر عليه السلام وهو يومئذ ابن تسع سنين وأشهر، فجلس بين المسورتين، وجلس يحيى بن أكثم بين يديه، وقام الناس في مراتبهم، والمأمون جالس في دست متصل بدست أبي جعفر عليه السلام.

فقال يحيى بن أكثم للمأمون: أتأذن لي يا أمير المؤمنين! أن أسأل أبا جعفر؟
فقال له المأمون: استأذنه، في ذلك. فأقبل عليه يحيى بن أكثم، فقال:
أتأذن لي جعلت فداك في مسألة؟.

قال له أبو جعفر عليه السلام: سل إن شئت.

قال يحيى: ما تقول جعلني الله فداك، في محرم قتل صيداً؟.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: قتله في حلٍّ أو حرم؟، عالماً كان المحرم أم جاهلاً؟،
قتله عمدًا أو خطأ؟، حُرّاً كان المحرم أم عبداً؟، صغيراً كان أم كبيراً؟، مبتدئاً
بالبقتل أم معيداً؟، من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها؟، من صغار
الصيد كان أم من كبارها؟، مصرّاً على ما فعل أو نادماً؟، في الليل كان قتله
للصيد أم نهاراً؟، محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحيّج كان محرماً؟.

فتحير يحيى بن أكثم، وبان في وجهه العجز والانقطاع، ولجلج^(٩٥)
حتى عرف جماعة أهل المجلس أمره...

فلما تفرق الناس وبقي من الخاصة مَنْ بقي، قال المأمون لأبي
جعفر عليه السلام: إن رأيت جعلت فداك أن تذكر الفقه فيما فصلته من وجوه
قتل المحرم الصيد لتعلمه ونستفيده؟.

فقال أبو جعفر عليه السلام: نعم، إن المحرم إذا قتل صيداً في الحلّ، وكان الصيد
من ذوات الطير، وكان من كبارها، فعليه شاة، فإن أصابه في الحرم فعليه
الجزاء مضاعفاً.

فإذا قتل فرخاً في الحلّ، فعليه حمل قد فطم من اللبن، وإذا قتله في
الحرم، فعليه الحمل، وقيمة الفرخ، وإن كان من الوحش، وكان حمار
وحش، فعليه بقرة، وإن كان نعامة، فعليه بدنة، وإن كان ظيباً، فعليه شاة،
فإن قتل شيئاً من ذلك في الحرم، فعليه الجزاء مضاعفاً، هدياً بالغ الكعبة،
وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدي فيه، وكان إحرامه بالحيّج، نحره
بمنى، وإن كان إحرامه بالعمرة نحره بمكة.

وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء، وفي العمد له المأثم، وهو موضوع عنه في الخطأ.

والكفارة على الحرّ في نفسه، وعلى السيد في عبده، والصغير لا كفارة عليه، وهي على الكبير واجبة، والنادم يسقط بندمه عنه عقاب الآخرة، والمصرّ يجب عليه العقاب في الآخرة.

فقال له المأمون: أحسنت يا أبا جعفر، أحسن الله إليك، فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك؟.

فقال أبو جعفر عليه السلام ليحيى: أسألك؟.

قال: ذلك إليك جعلت فداك، فإن عرفت جواب ما تسألني عنه، وإلا استفدته منك.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: أخبرني عن رجل: نظر إلى امرأة في أول النهار، فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار، حلّت له، فلما زالت الشمس، حرمت عليه، فلما كان وقت العصر، حلّت له، فلما غربت الشمس حرمت عليه، فلما دخل عليه وقت العشاء الآخرة، حلّت له، فلما كان انتصاف الليل، حرمت عليه، فلما طلع الفجر، حلّت له. ما حال هذه المرأة؟، وبماذا حلّت له وحرمت عليه؟.

فقال له يحيى بن أكثم: والله ما أهتدي إلى جواب هذا السؤال، ولا أعرف الوجه فيه، فإن رأيت أن تفيدناه؟.

فقال أبو جعفر عليه السلام: هذه أمة لرجل من الناس، نظر إليها أجنبي في أول النهار، فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار، ابتاعها من مولاه، فحلّت له، فلما كان عند الظهر، أعتقها، فحرمت عليه، فلما كان وقت العصر، تزوّجها، فحلّت له، فلما كان وقت المغرب، ظاهر منها، فحرمت عليه، فلما كان وقت العشاء الآخرة، كفّر عن الظهار، فحلّت

له، فلمّا كان في نصف الليل، طلقها واحدة، فحرمت عليه، فلمّا كان عند الفجر، راجعها، فحلّت له.

قال: فأقبل المأمون على مَنْ حضره من أهل بيته، فقال لهم: هل فيكم أحد يجيب عن المسألة بمثل هذا الجواب، أو يطرف القول فيما تقدّم من السؤال؟ قالوا: لا والله إنّ أمير المؤمنين أعلم بما رأى...^(٩٦).

٣. روى العياشي، عن زرقان صاحب ابن أبي دؤاد^(٩٧) وصديقه بشدة، قال: رجع ابن أبي دؤاد ذات يوم من عند المعتصم وهو مغتم، فقلت له في ذلك. فقال: وددت اليوم أنّي قد متّ منذ عشرين سنة.

قال: قلت له: ولم ذاك؟.

قال: لما كان من هذا الأسود، أبي جعفر محمد بن علي بن موسى عليه السلام اليوم بين يدي أمير المؤمنين المعتمد.

قال: قلت له: وكيف كان ذلك؟.

قال: إنَّ سارقاً أقرَّ على نفسه بالسرقة، وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحدِّ عليه، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه، وقد حضر محمد بن علي (عليه السلام)، فسألنا عن القطع في أي موضع يجب أن يقطع؟.

قال: فقلت: من الكر سوع^(٩٨).

قال: وما الحجّة في ذلك؟.

قال: قلت: لأنَّ اليد هي الأصابع، والكفّ إلى الكرسيّ، لقول الله في التيمم: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾^(٩٩)، وافق معي على ذلك قوم. وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق.

قال: وما الدليل على ذلك؟.

قالوا: لَأَنَّ اللَّهَ لَمَّا قَالَ: ﴿وَأَيَّدِيكُمْ إِلَى الْمُرَافِقِ﴾^(١٠٠)، فِي الْغَسْلِ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ حَدَّ الْيَدِ هُوَ الْمُرْفِقُ.

قال: فالتفت إلى محمد بن علي عليه السلام، فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟.

فقال: قد تكلم القوم فيه يا أمير المؤمنين.

قال: دعني ممّا تكلموا به، أي شيء عندك؟.

قال: اعفني عن هذا، يا أمير المؤمنين.

قال: أقسمت عليك بالله لما أخبرت بما عندك فيه؟.

فقال عليه السلام: أما إذا أقسمت عليّ بالله، إني أقول: إنهم أخطأوا فيه السنة،

فإن القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع، فيترك الكف.

قال: وما الحجّة في ذلك؟.

قال عليه السلام: قول رسول الله ﷺ: السجود على سبعة أعضاء: الوجه واليدين

والركبتين والرجلين، فإذا قطعت يده من الكر سوع أو المرفق لم يبق له يد

يسجد عليها، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾^(١٠١)، يعني به

هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها، ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(١٠٢)،

وما كان الله لم يقطع.

قال: فأعجب المعتصم ذلك، وأمر بقطع يد السارق من مفصل

الأصابع دون الكف...^(١٠٣).

٤- روى العياشي، عن أحمد بن الفضل الخاقاني من آل رزين، قال: قطع

الطريق بجلولاء^(١٠٤) على السابلة^(١٠٥)، من الحجاج وغيرهم، وأفلت القطّاع.

فبلغ الخبر المعتصم، فكتب إلى العامل له كان بها: تأمر الطريق بذلك،

فيقطع على طرف أذن أمير المؤمنين، ثم انفلت القطّاع فإن أنت طلبت

هؤلاء وظفرت بهم وإلا أمرت بأن تضرب ألف سوط، ثم تصلب بحيث

قطع الطريق.

قال: فطلبهم العامل حتى ظفر بهم واستوثق منهم، ثم كتب بذلك

إلى المعتصم، فجمع الفقهاء وابن أبي دؤاد، ثم سأل الآخرين عن الحكم

فيهم، وأبو جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام الحاضر.

فقالوا: قد سبق حكم الله فيهم في قوله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾^(١٠٦)، ولأمير المؤمنين أن يحكم بأي ذلك شاء فيهم.

قال: فالتفت إلى أبي جعفر عليه السلام، فقال له: ما تقول فيما أجابوا فيه؟.

فقال: قد تكلم هؤلاء الفقهاء، والقاضي بما سمع أمير المؤمنين.

قال: وأخبرني بما عندك؟.

قال عليه السلام: إنهم قد أضلوا فيما أفتوا به، والذي يجب في ذلك أن ينظر أمير المؤمنين في هؤلاء الذين قطعوا الطريق، فإن كانوا أخافوا السبيل فقط، ولم يقتلوا أحداً، ولم يأخذوا مالاً، أمر بإيداعهم الحبس، فإن ذلك معنى نفهم من الأرض بإخافتهم السبيل، وإن كانوا أخافوا السبيل، وقتلوا النفس، أمر بقتلهم، وإن كانوا أخافوا السبيل، وقتلوا النفس، وأخذوا المال، أمر بقطع أيديهم، وأرجلهم من خلاف، وصلبهم بعد ذلك.

قال: فكتب إلى العامل بأن يمثل ذلك فيهم^(١٠٧).

الختامة ونتائج البحث:

بعد هذا الشوط من البحث في مناظرات الإمام محمد الجواد عليه السلام مع علماء عصره وغيرهم يمكن أن نعرض بعض النتائج التي يرى الباحث أنها جديرة بالاهتمام، وهي:

١- تُعدّ المناظرات من الأساليب القديمة التي كانت تعقد بين العلماء في مجالات مختلفة، تهدف إلى تحري الحق وطلب الواقع، ولم يكن هناك خط أحمر بلحاظها.

٢- ظهر من خلال مناظرات الإمام الجواد عليه السلام مع شخصيات مختلفة من حيث العلم والتوجه أخلاق الإمام عليه السلام واعتماده عليه قواعد المناظرة وأدائها.

٣- تعتبر المناظرات من وسائل نشر الفكر والثقافة الصحيحة، ولذلك نجد أن الإمام الجواد عليه السلام لم يتعد عن توظيف هذا الأسلوب في مجال نشر الفكر والعقيدة.

٤- واجه الإمام الجواد عليه السلام تحديات لم يواجهها أحد من آبائه الذين سبقوه، وقد ساعد على ذلك بعض الظروف.

٥- كان من أبرز مناظرات الإمام الجواد عليه السلام هو ما يرتبط بإمامته عليه السلام، وذلك بسبب حادثة سنه عليه السلام حين تقلده الإمامة.

الهوامش:

- ١ - المجلسي، بحار الانوار، ٦٨ / ٣٢٧.
- ٢ - المصدر نفسه، ٦٨ / ٣٢٨.
- ٣ - الزخرف: ٥١ - ٥٤.
- ٤ - الاعراف: ١٧٩.
- ٥ - النحل: ٤٣.
- ٦ - المعتزلي، شرح نهج البلاغة، ٢ / ١٩٠، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٣ / ٣٥٠.
- ٧ - ينظر: الجوهري، الصحاح، ٢ / ٣٨٠، ابن منظور، لسان العرب، ٥ / ٢١٥، ابوهلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، ٤٨٨.
- ٨ - الجرجاني، التعريفات، ١٨٧.
- ٩ - محمد الأمين الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة، ١٣٩. تحقيق: سعود بن عبدالعزيز العريفي، الناشر: دار عالم الفوائد، مجمع الفقه الاسلامي بجدة.
- ١٠ - طاشكبري زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ٢ / ٥٥٥.
- ١١ - البقرة: ٣٠.
- ١٢ - الأعراف: ١٢.
- ١٣ - المقدمة، ٥٧٩.
- ١٤ - الباجي، المنهاج، ٨.
- ١٥ - سبط ابن الجوزي، الايضاح لقوانين الاصلاح، ٩٩.
- ١٦ - المرعشي، ترتيب العلوم، ١٤١.
- ١٧ - أبو منصور البغدادي، عيار النظر، ٢٠٨.
- ١٨ - المرعشي، ترتيب العلوم، ١٤١.
- ١٩ - الطرطوشي، سراج الملوك، ٦٣.
- ٢٠ - انظر: حسن السيد دياب، الأشراف على علم أصول الاختلاف، ٢ / ٣٢٩ - ٣٣٢.
- ٢١ - الحجرات: ٦.
- ٢٢ - الإسراء: من الآية ٣٦.
- ٢٣ - انظر: المفيد، الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، ٢ / ٢٧٤ - ٢٩٥، الطبري، دلائل الإمامة، ٣٨٣ - ٤٠٧، الطبرسي، إعلام الوري بأعلام الهدى، ٢ / ٩١ - ١٠٦، ابن الصباغ المالكي، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ٢ / ١٠٣١ - ١٠٥٩.
- ٢٤ - انظر: الكليني، الكافي، ١ / ٣٢٣، حد ١٤.

٢٥ - الطبرسي، الاحتجاج، ١/ ٢٥ - ٩٦.

٢٦ - الملل والنحل، ٢٤.

٢٧ - الشهرستاني، الملل والنحل، ٢٦ - ٢٧.

٢٨ - نهاية المرام، ١/ ١٧ - ١٨.

٢٩ - الشهرستاني، الملل والنحل، ١٣٦.

٣٠ - الكليني، الكافي، ٦/ ٤٧.

٣١ - «العدلية: هم المعتزلة أنفسهم، وهذا الاسم من ألقابهم، لقولهم بالعدل والتوحيد، ويطلق هذا الاسم على الشيعة أحياناً، وذلك لأنهم متفقون مع المعتزلة في عقيدة العدل». محمد جواد مشكور، موسوعة الفرق الإسلامية، ٣٨٧.

٣٢ - «الجبرية: هم المعتقدون بالجبر، ويسندون جميع أفعال العباد إلى الله، ولا اختيار لعباده فيها». محمد جواد مشكور، موسوعة الفرق الإسلامية، ١٩٠.

٣٣ - «القدرية يقولون: إن زمام الأمور بأيدينا، والطاعة والمعصية والخير والشر من فعل العباد، لا من فعل (القضاء) و(القدر)، ولا من فعل شخص آخر، ولا شغل لإرادة الله جلّ جلاله ومشيتّه بأفعالنا». محمد جواد مشكور، موسوعة الفرق الإسلامية، ٤١٣.

٣٤ - «المفوضة فرقة من القدرية، يقولون: إن الناس موكلون إلى أنفسهم بالتفويض دون توفيق الله وهداه.

ومنه صنف زعموا أن الله عزّ وجلّ جعل إليهم الاستطاعة تاماً كاملاً لا يحتاجون إلى أن يزدادوا فيه، فاستطاعوا أن يؤمنوا، وأن يكفروا، ويأكلوا، ويشربوا، ويقوموا، ويقعدوا، ويرقدوا، ويستيقظوا، وأن يفعلوا ما أرادوا، وزعموا أن العباد كانوا يستطيعون أن يؤمنوا، ولولا ذلك ما عذبهم على ما لا يستطيعون إليه». محمد جواد مشكور، موسوعة الفرق الإسلامية، ٤٨٣.

٣٥ - الشهرستاني، الملل والنحل، ١٣ - ١٤.

٣٦ - الأوائل، ٢٥١.

٣٧ - شرح نهج البلاغة، ١/ ٣٤٠.

٣٨ - طبقات المعتزلة، ٦، البحر الزخار، ١/ ٣٩.

٣٩ - بحوث في الملل والنحل، ١/ ٦٨ - ٧١.

٤٠ - الشهرستاني، الملل والنحل، ١/ ٧٩، علوم الحديث ومصطلحه، ٢٠٩.

٤١ - ابن منظور، لسان العرب، ٣/ ٢٩٧.

٤٢ - معجم مقاييس اللغة، ٤/ ٨٦.

٦٦ - المصدر نفسه، ١٨٩/٢ - ١٩٠.

٦٧ - ابن منظور، لسان العرب، ١٢/٢٤.

٦٨ - الأنبياء: ٧٣.

٦٩ - القصص: ٤١.

٧٠ - إبراهيم الأميني، دراسة عامة في الإمامة، ٣٧.

٧١ - المقداد السيوري، اللوامع الإلهية في المباحث الكلامية، ٣١٩.

٧٢ - الأدمة: السمره، لون مُشربٌ سواداً أو بياضاً. ابن منظور، لسان العرب، ١١/١٢ (أدم).

٧٣ - قرب الاسناد، ٣٩٣، حد٦٣٧، المجلسي، بحار الانوار، ٤٩/٤٥، حد٤٠.

٧٤ - عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ٢/٣٨٦، حد١٣، المجلسي، بحار الانوار، ٤٩/٣٤، حد١٣.

٧٥ - «القائف: المتبع للأثر، والذي يعرف النسب بفراسته ونظيره إلى أعضاء المولود... والجمع قافة». علي المشكيني، مصطلحات الفقه، ٤٣٣.

٧٦ - الكافي، ١/٣٢٢، حد١٤.

٧٧ - دلائل الإمامة، ٣٨٤، حد٣٤٢.

٧٨ - يوسف: من الآية ١٠٨.

٧٩ - الكافي، ١/٣٨٤، حد٨.

٨٠ - الكافي، ١/٣٨٣، حد٣.

٨١ - الفصول المهمة، ٢/١٠٤٠.

٨٢ - ق: ١٦.

٨٣ - الاحزاب: من الآية ٧.

٨٤ - الحج: من الآية ٧٥.

٨٥ - الانفال: ٣٣.

٨٦ - الاحتجاج، ٢/١٩٥ - ١٩٨.

٨٧ الكافي، ١/٣٥٣، حد٩، المجلسي، بحار الانوار، ٥٠/٦٨، حد٤٦.

٨٨ - الأعراف: من الآية ٣٢.

٨٩ - غالية: هو نوع من الطيب مركب من مسك وعنبر وعود ودهن البان. ابن منظور، لسان العرب، ١٥/١٣٤، (غلا)، الطريحي، مجمع البحرين، ١/٣١٩، (غلا).

٩٠ - البحراني، مدينة المعاجز، ٧/٤١٢ - ٤١٦، حد٢٤١٩، المجلسي، بحار الانوار، ٥٠/٨٧.



- ٩١ - محمد باقر الصدر، دروس في علم الاصول، ١/ ٦١.
- ٩٢ - بلس: الإيلاس: الحيرة. والخرس: ذهاب الكلام عيًّا أو خلقة. ابن منظور، لسان العرب، ٦/ ٣٠، ٦٢، (بلس) و(خرس).
- ٩٣ - تحف العقول، ٢٩١ - ٢٩٢.
- ٩٤ - المسور: هو متكأ من آدم كالمسورة. تاج العروس، ٣/ ٢٨٤، (سور).
- ٩٥ - التلجلج والجلجلة: التردد في الكلام. تاج العروس، ٢/ ٩٢، (لج).
- ٩٦ - الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، ٢/ ٢٨١ - ٢٨٧، الطبرسي، إعلام الوري بأعلام الهدى، ٢/ ١٠١ - ١٠٥.
- ٩٧ - اسمه أحمد، كان قاضياً في بغداد في عهد المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، وكان بينه وبين ابن الزيات عداوات، وفي سنة ٢٣٧ سخط المتوكل عليه وعلى ولده ابي الوليد محمد بن أحمد، وكان على القضاء، وأخذ من ابي الوليد مائة وعشرين الف دينار، وجوهرًا بأربعين الف دينار، وسيره إلى بغداد من سر من رأى، وفي سنة ٢٤٠ كانت وفاة ابي دواد، وروي أنه سعى في قتل مولانا ابي جعفر الجواد (عليه السلام) عند المعتصم، فابتلي في آخر عمره بنكبة الزمان والفالج، وتوفي بعد ثكله بولده محمد بعشرين يوماً ببغداد. عباس القمي، الكنى والألقاب، ١/ ١٩٤.
- ٩٨ - الكرسوع: طرف الزند الذي يلي الخنصر. أقرب الموارد، ٢/ ١٠٧٧، (كرسع).
- ٩٩ - المائة: من الآية ٦.
- ١٠٠ - المائة: من الآية ٦.
- ١٠١ - الجن: من الآية ١٨.
- ١٠٢ - الجن: من الآية ١٨.
- ١٠٣ - المجلسي، بحار الانوار، ٥/ ٥٠، حد، ٧٦، ١٩٠، حد ٣٣.
- ١٠٤ - جلولا: من مدن العراق قرب خانقين تقع النهر الذي يمتد إلى بعقوبا. الحموي، معجم البلدان، ٢/ ١٥٦.
- ١٠٥ - السابلة: الطريق المسلوك، يقال: سبيل سابلة أي مسلوكة، والمازون عليه. أقرب الموارد، ١/ ٤٩٢، (سبل).
- ١٠٦ - المائة: من الآية ٣٣.
- ١٠٧ - الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٢٨/ ٣١١، با/ ١ من أبواب حد المحارب، حد ٨.

المصادر والمراجع: القرآن الكريم

منشورات الفجر للطباعة والنشر
والتوزيع، الطبعة الاولى، ١٤٢٩هـ -
٢٠٠٨م، بيروت - لبنان.

* أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل
العسكري.

الأوائل، دار الكتب العلمية، بيروت
- لبنان، الطبعة الاولى، ١٤٠٧هـ -
١٩٨٧م.

* الحسين بن محمد بن الفضل، ابو
القاسم الراغب الاصفهاني، ت:
٥٠٢هـ

مفردات الفاظ القرآن، الأميرة للطباعة
والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان،
الطبعة الاولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

* حسن البنا.

العقائد، علّق عليها وحقق أصولها
رضوان محمد رضوان، دار الدعوة
للطبع والنشر والتوزيع، الاسكندرية،
د. ط.

* حسن محمد مكي العاملي.

الالهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل
- محاضرات الشيخ جعفر السبحاني،
الناشر: مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)،
المطبعة: إعتاد، ط ٤، ١٤١٧هـ - ق، ايران
- قم.

* عبد الحميد بن هبة الله المعتزلي، ت:
٦٥٦هـ.

شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو
الفاضل إبراهيم، دار إحياء الكتب
العربية، ط ٢: ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

* المبارك بن محمد الجزري ابن الاثير،
ت: ٦٠٦هـ.

النهاية في غريب الحديث والأثر،
تحقيق: محمود محمد الطناحي،
مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر
والتوزيع، ايران - قم، ١٣٦٤هـ.

* أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي،
ت: ٦٢٠هـ.

الاحتجاج، تعليق: محمد باقر الموسوي
الخراساني، الناشر ذوي القربى،
المطبعة ظهور، الطبعة الاولى،
١٤٢٦هـ، ايران - قم.

* إبراهيم الأميني.

دراسة عامة في الإمامة، ترجمة كمال
السيد، مؤسسة انصاريان، قم،
١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، د. ط.

* أحمد فتح الله، الدكتور.

معجم ألفاظ الفقه الجعفري، مطابع
المدوخل، السعودية - الدمام،
الطبعة الاولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
* أحمد صعب.

دروس جليلة في عقائد الإمامية، دار
المحنة البيضاء، الطبعة الاولى،
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، بيروت - لبنان.

* الحسن بن علي بن الحسين بن
شعبة الحراني، من أعلام القرن
الرابع.

* تحف العقول عن آل الرسول (عليه السلام)،

- * عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، ت: ٨٠٨هـ.
- * محمد بن علي بن الحسين الصدوق، ت: ٣٨١هـ.
- المقدمة، تحقيق: الاستاذ حجر عاصي، دار مكتبة الهلال، بيروت - لبنان، ١٩٨٨م.
- * علي بن محمد بن أحمد المالكي ابن الصباغ، ت: ٨٥٥هـ.
- الفصول المهمة في معرفة الأئمة، تحقيق: سامي الغريزي، دار الحديث للطباعة والنشر، المطبعة ستارة، الطبعة الاولى، ١٤٢٢هـ، ايران - قم.
- * عباس القمي، ت: ١٣٥٩هـ.
- الكنى والألقاب، منشورات مكتبة الصدر، ط ٥، ١٤٥٩هـ، ايران - طهران.
- * علي المشكيني.
- مصطلحات الفقه، الناشر: دفتر نشر الهادي، المطبعة: الهادي، الطبعة الاولى، جمادى الثاني ١٤١٩ مهر ١٣٧٧، ايران - قم.
- * محمد بن جرير الطبري، من اعلام القرن الخامس الهجري.
- دلائل الامامة، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، ط ٢، ١٤٣٧هـ، ق، ايران - قم.
- محمد بن يعقوب الكليني، ت: ٣٢٩هـ.
- الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الاضواء، بيروت - لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- * محمد بن علي بن الحسين الصدوق، ت: ٣٨١هـ.
- عيون اخبار الرضا (عليه السلام)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لأحياء التراث، الطبعة الاولى، ربيع الأول، ١٤٣٧هـ، المطبعة الوفاء، ايران - قم.
- * محمد بن الحسن الطوسي، ت: ٤٦٠هـ.
- الفهرست، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، الناشر نشر الفقه، ط ٤، ١٤٣٥هـ، ق، المطبعة: سليمان زاده، ايران - قم.
- * محمد بن الحسن، الحر العاملي، ت: ١١٠٤هـ.
- وسائل الشيعة، تحقيق مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، ط ٣، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، بيروت - لبنان.
- إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، المطبعة العلمية بقم المقدسة، تكملة ابوابه: ابو طالب تجليل التبريزي.
- * محمد باقر المجلسي، ت: ١١١هـ.
- بحار الانوار، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- * محمد أحمد الخطيب، أستاذ العقيدة والفرق والاديان في الجامعة الاردنية كلية الشريعة..
- أصول العقيدة الإسلامية ومذاهبها، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط ٢، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- * محمد جواد مالك.

العقائد الإسلامية دراسة منهجية في أصول الدين، مؤسسة البلاغ، الطبعة الاولى، بيروت - لبنان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

* محمد عميم الإحسان البركتي. التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، لبنان - بيروت، ط ٢.

* محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المفيد، ت: ٤١٣هـ.

الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام، لتحقيق التراث، الناشر: دار الهدى، الطبعة الاولى، ١٤٣١هـ. ق، المطبعة: ظهور، ايران.

* محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، ت: ٥٤٩هـ.

الملل والنحل، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الاولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، بيروت - لبنان.

* محمد باقر الصدر.

دروس في علم الاصول، طبع ونشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط ٥، ١٤١٨هـ.

* محمد جواد مشكور.

موسوعة الفرق الإسلامية، تعريب: علي هاشم، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية للدراسات والنشر، الطبعة الاولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، بيروت - لبنان.

* هاشم بن سليمان البحراني.

مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر، تحقيق: لجنة التحقيق برئاسة الشيخ عباد الله الطهراني الميانجي، مؤسسة المعارف الإسلامية، الطبعة الاولى، ١٤١٥هـ. ق.

* ياقوت بن عبدالله الحموي، ت: ٦٢٦هـ..

معجم البلدان، الناشر: دار إحياء التراث العربي، تصحيح: محمد عبدالرحمن المرعشي، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، بيروت - لبنان.

مع المستشرق «الالماني مادلونج» في بحثه الإمام محمّد الجواد عليه السلام في دائرة المعارف الإسلاميّة (عرض ونقد)

م.د حسين علي جبر
كلية الإمام الكاظم عليه السلام / أقسام ميسان

المستخلص:

مضى على الدراسات الاستشراقية للإسلام عهد طويل يرجع إلى قرون متقدّمة من التاريخ الإسلامي، لكن الأبحاث الأكاديمية والمنهجية الغربية حول الشيعة لم يتجاوز عمرها قرناً من الزمان. وقد نمت بشكل ملحوظ في العقود الأخيرة من القرن الماضي وبدوافع مختلفة، وتناولت معظمها عقائد الشيعة، وسيرة الأئمة وتاريخهم، ومن الأعمال الأكاديمية التي نالت إهتمام الغرب ومدارسها الاستشراقية موسوعة دائرة المعارف الإسلامية حيث خُصص فيها أبحاث عن الأئمة المعصومين عليهم السلام ومنها بحث «الإمام محمّد الجواد عليه السلام» للمستشرق الألماني «ولفرد مادلونج». وهو بحث مع احتوائه على معلومات قيّمة عن الإمام عليه السلام مختصر جداً، قد غفل الباحث فيه عن محطات مهمة من حياة الإمام الجواد عليه السلام من قبيل اضطهاد السلطة السياسيّة الحاكمة له، ودوره في توعية وتثقيف وتهيئة أتباعه، ومواجهته للأفكار والتيارات المنحرفة. ولو أنّ الباحث أعتمد على المصادر الشيعية المتقدّمة والحديثة لما وقع في هذه الاشكالات التي غيّبت الكثير من الحقائق التاريخيّة للإمام العسكري عليه السلام.

الكلمات المفتاحية: الإمام محمّد الجواد عليه السلام - الاستشراق - دائرة المعارف الإسلاميّة

المقدمة:

تُعد الإمامة أحد أهم التعاليم، والأسس في المذهب الاثني عشري، وهي المائز الذي يتميز به الشيعة عن سائر الفرق والمذاهب الإسلامية الأخرى. ولأهمية هذه العقيدة وما يرتبط بها من جوانب دينية وإجتماعية، وسياسية لدى الشيعة، بدأت الحركة الاستشراقية تُركز جهودها ودراساتها الأكاديمية على معرفة أئمة الشيعة، وكانت الريادة لهذا النوع من الدراسة للمستشرق «دونالدسون»^(١) في كتابه «عقيدة الشيعة»^(٢) سنة ١٩٣٣م، وكتاب «فاطمة وبنات محمد» للمستشرق لامنس^(٣) في سنة ١٩١٢م، ثم تلت ذلك محاولات بسيطة أخرى نُشرت عن الشيعة والأئمة الاثني عشرية، إلا أن العمل الموسوعي الكبير والذي هو نتاج عمل صفوة من علماء الغرب والمهتمين بالدراسات الإسلامية ظهر تحت مسمى «دائرة المعارف الإسلامية» ما بين عامي ١٩١٣ و ١٩٣٦ في طبعات ثلاث بالإنجليزية والألمانية والفرنسية. واستمرّ المركز «إي جى بريل» في لايدن بهولندا باصدار النسخة الثانية^(٤) وهي نسخة مُقحّحة تختلف كثيراً عن النسخة السابقة، والمقال الذي يراد دراسته هو من الموسوعة في نسختها الثانية ويحمل عنوان الإمام «محمد الجواد عليه السلام» للمستشرق الألماني «مادلونج» وللأسف لم يتمّ ترجمة هذا البحث إلى اللغة العربية ضمن كتاب «مختصر دائرة المعارف الإسلامية»^(٥).

وأهمية دراسة هذا البحث تمكن في علاقه بحياة الإمام الجواد عليه السلام كأحد أئمة الشيعة الاثني عشرية ومن جانب آخر أن الكاتب مستشرق يهودي صاحب اختصاص في الدراسات الشيعية وسبق له أن خاض مضمار الكتابة عن حياة وسياسة الإمام الجواد عليه السلام وعليه أن محتوى البحث يستحق الوقوف على ما يتضمن من معلومات عن حياة وسيرة الإمام الجواد عليه السلام.

ترجمة البحث:

حمل المدخل الخاصّ بالإمام الجواد عليه السلام عنوان (محمد بن عليّ الرضا) وتحدّث المستشرق «مادلونج» في ثلاث صفحات ^(٦) بـ ٧٠٥ كلمة باللغة الانكليزيّة حيث قال: محمد بن عليّ الرضا بن موسى بن جعفر أبو جعفر الجواد أو التقي هو الإمام التاسع من أئمة الشيعة الاثني عشرية ولد في رمضان من عام ١٩٥ هـ في ملكي ثريا التي تعود إلى جده بالقرب من المدينة. أمه أم ولد تعرف بالسبيكة من أهل النوبة (هي أرض تقع في مصر والسودان اليوم) يقولون أنّ أمه هي من اسرة ماريّا القبطية زوجة النبي صلّى الله عليه وآله وأم إبراهيم، وحسب الأقوال اسمها الحقيقي درّه، والإمام الرضا عليه السلام اطلق عليها اسم الخيزران. كان الإمام محمد عليه السلام ذا بشرة سمراء، ويظهر أنّ احد أسباب مخالفة العباسيين من تزويج المامون ابنته أم الفضل إلى الإمام يعود لهذا السبب، ويظهر أنّ السياسة التي اتخذها المأمون في تعامله الحسن مع العلويين تقف وراء عداء العباسيين للإمام الجواد عليه السلام.

عند وفاة الرضا سنه ٢٠٣ هـ كان سن محمد الجواد عليه السلام لا يتجاوز السبع سنين، وقد حصل شجار واختلاف بين اتباع أبيه بخصوص ولاية العهد بسبب صغر سن محمد الجواد، منهم من ذهب إلى اختيار عمّ الإمام الجواد وهو أحمد بن موسى، وفريق آخر انضموا إلى فرقة الواقفة الذين يدعون بأنّ الكاظم عليه السلام هو آخر الأئمة وينتظرون ظهوره، وفريق آخر انضم إلى الجوامع السنية والفرقة الزيدية، وهؤلاء كان انتمائهم للإمام الرضا لمنافع شخصيّة.

وأما الذين قالوا بإمامة محمد فيعتقدون بأنّ الإمام عالم بجميع المعارف الدينيّة عن طريق الالهام الالهي، وهناك من ذهب بأنّ محمد اكتسب العلوم بعد سن البلوغ من خلال تراث أبيه.

تمّ العقد من أم الفضل في غياب الإمام الجواد عليه السلام عندما كان طفلاً وقد ذكر الطبري ذلك عند وقائع سنة ٢٠٢ هـ يعني بنفس السنة الذي زوج المأمون ابنته الثانية أم حبيب إلى الرضا عليه السلام. لكن اليعقوبي يرى بان عقد الزواج وقع بعد رجوع المأمون إلى بغداد في عام ٢٠٤ هـ وأمّا الزواج تحقّق سنه ٢١٥ هـ يعني في الوقت الذي استدعى المأمون الجواد من المدينة، وقد عاش في ساحل نهر دجلة بأمر من المأمون مع زوجته أم الفضل ثمّ غادر مع زوجته إلى مكة، ثمّ اتّجه بعد ذلك إلى المدينة حيث موقع سكنهم في المدينة. وقد ولد أبنة عليّ في عام ٢١٢ هـ جريّة من أم ولد، ولم تنجب له أم الفضل ولداً. وقد شكت أم الفضل نوع المعاملة التي تظهر بينها وبين الإمام وزوجاته التي كانت معه لكن المأمون رفض أن يلبي لها هذه الشكوى. وبعد عام من تسنم المعتصم الخلافة قام باستدعاء محمّد دون معرفة الأسباب من وراء ذلك، وقد وصل إلى بغداد في محرّم عام ٢٢٠ وفي نهایه العام نفسه توفي محمّد الجواد عليه السلام. يظهر أنّ وفاته كانت في السادس من ذي الحجة من العام نفسه، أمّا المسعودي فقد أخطأ عندما ذكر سنه وفاه محمّد ٢١٩ هـ.

يظهر أنّ الخطأ ناشئ من الرواية التي تقول بأنّ الواثق (حكم من ٢٢٧ إلى ٢٣٢) لكن في وقته لم يكن خليفة بل ولي العهد.

بعض المصادر الشيعية يتهمون أم الفضل بأنّها هي التي دست إليه السم، لكنّ الشيخ المفيد ينكر ما ذهب إليه أصحاب هذا الرأي، وقد دفن إلى جانب جدّه موسى الكاظم في مقابر قريش في الساحل الغربي من نهر دجلة المكان الذي ضمّ جثمان هذين الإمام ين يعرف بالكاظمين.

١- المستشرق مادولونج^(٧):

ويلفريد مادولونج، مستشرق ألماني. ولد في شتوتغارت في ألمانيا في ٢٦ ديسمبر ١٩٣٠ م، وحاز على درجة الدكتوراه سنة ١٩٥٧، درس في جامعة شيكاغو حيث شغل منصب أستاذ التاريخ الإسلامي وبعدها شغل منصب أستاذ اللغة العربية بجامعة أوكسفورد. من سنة ١٩٧٨ إلى ١٩٩٨.

أمّا بحوث المستشرق (مادولونج) المثيرة للجدل فقد ركّزت على عقيدة الشيعة في الإمامة والتي نشرها في دائرة المعارف الدينيّة بعنوان «الإمامة»، وأشار فيها إلى أنّ الإمام عند الشيعة هو قائد السلطة الإلهيّة والسياسيّة في آنٍ واحد بما يعادل مفهوم *divinely uider*، ثم كتب بحثاً آخر في دائرة المعارف الإسلاميّة تحت عنوان «إمامة Imama»، تناول فيه نظريّة الإمامة عند مختلف الفرق الإسلاميّة. ووقف عند هذا المحور في بحوثه الخاصّة عن العلامة الطوسي ورسالته الموسومة بـ «رسالة في الإمامة»^(٨).

له مؤلفات كثيرة معظمها لها علاقة بالشيعة الفاطميّة والزيدية والإماميّة ونذكر منها: الإسماعيليّة تكوينها وحركتها عبر التاريخ، كتاب (الأكلّة وحقائق الأدلّة) للقاضي محمّد نجاد بن موسى، العلويّون في جيلان وديلمان بعد الداعي الحسن بن القاسم، السياسة الدينية للفاطمين، كتاب الفائق في أصول الدين لركن الدين بن الملاحمي الخوارزمي، هوية مخطوطين يمينيين تاريخيين (مجهولين)، موقف الزيدية إزاء الصوفيّة، أخبار أئمة الزيدية في طبرستان وديلمان وجيلان.

كما له مساهمات ليست بالقليلة في دائرة المعارف الإسلاميّة الطبعة الثانية، وبحثنا هو دراسة ونقد أحد بحوثه في هذه الموسوعة الذي حمل عنوان الإمام (محمّد بن علي الرضا عليه السلام)، هذا البحث الذي لم يسبق أنّه ترجم إلى اللغة العربيّة حسب تتبعي وعليه قمت بترجمته بمساعدة بعض أصحاب اللغة، وقد وجدنا بعض الهفوات في هذا البحث من حيث قلة المصادر ومعلومات مفقودة لم تذكر ومنها لا تمت إلى حياة الإمام الجواد عليه السلام بصلّة.

٢- بحث الإمام محمد الرضا عليه السلام في ميزان النقد:

تناولنا بحث «الإمام محمد الجواد عليه السلام» للمستشرق الألماني «مادلونج» من خلال ثلاثة محاور: دراسة هيكلية البحث، المصادر المعتمدة، والمحتوى العلمي.
١-٢: هيكلية البحث:

كما هو واضح لدى أصحاب الفن والبحث العلمي إنَّ اعتماد الباحث على هيكلية مناسبة للبحث تسمح له ترتيب أفكاره وتنظيم دراسته، وتبعده عن العشوائية، والفوضى في تنظيم المادة، وعليه إنَّ نجاح البحث ووصوله إلى نتائج مقبولة ومثبتة بالأدلة التاريخية، مرهون بوضع خطة علمية محكمة للبحث، وهذا ما افتقده بحث «مادلونج»؛ إذ وجدناها من بداية البحث وحتى النهاية كانت معلوماته تنطوي تحت عنوان واحد دون أن يبوب بحثه حسب المواضيع التي تناولها، فمثلاً: لو كانت هيكلية البحث تحت هذه العناوين: الحياة الشخصية، والحياة العلمية، والسياسية والمكانة الدينية والتي منها: وقوفه بوجه الأفكار المنحرفة^(٩) وغيرها، لكان البحث أفضل وأليق وفي نفس الوقت يجعل القارئ أكثر انجذاباً وتعطشاً لقراءة البحث من ألفه إلى يائه.

وأنَّ المنهجية والهيكلية العلمية التي كان يفترض تطبيقها من قبل المستشرق «مادلونج» ليست بالأمر الغريب فإنَّ زملائه الذين تكفلوا الكتابة عن الأئمة عليه السلام في موسوعة «دائرة المعارف الإسلامية» جسدوا تلك المنهجية في بحوثهم ومن هؤلاء بحوث المستشرق الإيطالية (لورا فيجا فالري)^(١٠) في مدخل الإمام علي عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام حيث استوفت معظم حياة الأئمة عليه السلام مع ذكر عناوين منفصلة لكل محور من بحثها مثلاً: علي بن أبي طالب مع الحاكمين، أو علي بن أبي طالب في حرب الجمل، وعلى نفس الهيكلية استمرت هذه المستشرقية لإظهار حياة الإمام ين الحسن والحسين عليه السلام^(١١).

من الإشكالات التي ترد دائماً على معظم الدراسات الإستشراقية للمذهب الشيعي عدم رجوع أصحابها للمصادر والمراجع المعتمدة لدى الشيعة، والإكتفاء بما موجود من معلومات مغلوطة، ومغرضة في مصادر وأبحاث الفرق الإسلامية الأخرى، ولذا كانت معظم أبحاثهم بعيدة عن الموضوعية والحقيقة والإنصاف^(١٢). يقول المستشرق دونالدسون في مقدمة كتابه «عقيدة الشيعة»: «إننا مازلنا لا نمتلك مقالة شاملة وجازمة بأي لغة أوروبية عن العقيدة الشيعية. وهذا الأمر دعاني لتكريس جهد دام قرابة خمسة عشر سنة كي يخرج كتابي «عقيدة الشيعة» في العام ١٩٣٣م^(١٣).

وأشار إلى ذلك المستشرق «براون» بأننا حتى سنة ١٩٢٤م مازلنا نفتقر إلى مؤلف شامل عن عقيدة الشيعة بأي لغة غربية^(١٤) و ذكر أيضاً صاحب كتاب «المهدي المنتظر عند الشيعة الاثني عشرية» في مقدمة كتابه بأن الشيعة الإمامية الذين يشكلون الاغلبية بين غير السنين، فليست هناك حتى يومنا هذا دراسة علمية حديثة شاملة حول الاثني عشرية^(١٥).

وهذه الأقوال تؤيد بأن المذهب الشيعي من المذاهب المجهولة لدى الغرب، وأمّا المبادرات التي خاضها بعض المستشرقين فهي بسيطة وخجولة لا تفني بالغرض فضلاً على أن مؤلفيها اعتمدوا على مصادر غير الشيعة في تدوينها وعرضها في الوسط الغربي.

وأما المستشرق «مادلونج» في بحثه «الإمام محمد بن عليّ الرضا عليه السلام» سعى و في مجالات ليست بالقليلة للوقوف على المصادر الشيعية لتدوين بحثه، فقد وضع في آخر المدخل ثبناً بالمصادر والمراجع التي اعتمد عليها في كتابه وقسمها إلى قسمين: مصادر إسلامية شيعية ك كتاب الكافي للكليني (ت ٣٢٩هـ) وكتاب فرق الشيعة للنوبختي (توفي في القرن

٤هـ) وكتاب الإرشاد للشيخ المفيد (ت٤١٣هـ) وكتاب مروج الذهب للمسعودي (ت٣٤٦هـ) وكتاب تاريخ يعقوبي لليعقوبي (ت) وكتاب البحار للعلامة المجلسي (ت١١٠هـ) وكتاب أعيان الشيعة للحر العاملي بالاضافة إلى مصادر غير شيعية ككتاب (كتاب بغداد) لابن طيفور (ت٢٨٠هـ) وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ).

وكنت أتمنى أن أرى في قائمة المصادر والمراجع الشيعية كتاب « كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الإثني عشر لإبي القاسم الخزاز (ت٤٠٠هـ) » وكتاب « روضة الواعظين للفتال النيسابوري (ت٥٠٨هـ) » وأعلام الوري للطبرسي (ت٥٤٨هـ) ومناقب آل أبي طالب لأبن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ) ^(١٦)؛ لأن تلك المصادر تحتوي على معلومات غزيرة تخص حياة الإمام الجواد عليه السلام فضلاً عن الدراسات الحديثة التي كانت في متناول يد «مادلونج» ^(١٧).

وعند مراجعة البحث وجدنا أن الكاتب اخفق في توثيقه للمعلومة التي ذكرها ولم يتبع المنهج العلمي في توثيق المعلومة، فقد ذكر في الصفحة الأولى من المقال: ولد محمد الجواد في رمضان سنة ١٩٥ هـ في قرية «صريا» ^(١٨) لكنه لم يذكر اسم المصادر التي استقى منها معلوماته، كما وجدناه يُكثر من الإعمامات في نقله للمعلومة من قبيل «قالوا بأن أمه لها صلة قرابة بهاراية القبطية» و«حسب الاقوال» و«ينقل» ^(١٩) وما أكثر هذه الإعمامات التي ورد ذكرها في متن البحث لكنها غير موثقة بمصدر. وهذا يعتبر إشكال واضح في التأليف والبحث، ولا تغتفر مثل هذه الأخطاء لمن يكتب في موسوعة علمية تحمل درجة علمية كدائرة المعارف الإسلامية، إذ كيف يمكن للقارئ أو الباحث تقييم مثل هذه المعلومات دون معرفة مصدرها؟ فهذه المعلومات هي عبارة عن ادعاءات واهية

لا أساس ولا سند لها. وأمّا فَهَرَسْتُ بعض المصادر والمراجع كما فعل «مادلونج» في نهاية المقال فهي خُدعة أصبحت معروفة لدى أصحاب الفن البارعين في التأليف والبحث العلمي، ولا ينخدع بها إلا بعض الأميين ممن ليس لهم باع في الكتابة والبحث العلمي.

٢-٣: نقد المتن:

افتتح (مادلونج) المقال باسماء الإمام والقابه الثلاث (أبو جعفر، الجواد، التقي) ^(٢٠)، والذي لم يتجاوز بحثه الصفحتين وب ٧٠٥ كلمة انكليزية. وكان البحث مع ما يتضمن من معلومات جميلة، ومفيدة عن الحياة الشخصية، لكن «مادلونج» غفل عن جوانب مشرقة يفترض تسليط الضوء عليها كالمكانة الدينية، والعلمية، والسياسية، وارتباطه بشيعته وأتباعه وهم الوكلاء والأبواب.

وأمّا الملاحظات التي ترد على الباحث «مادلونج» في بحثه عن «الإمام الجواد عليه السلام» أوردناها في النقاط الآتية:

أولاً: ذكر «مادلونج» في مطلع المقال: إن الإمام محمد الجواد عليه السلام ولد في شهر رمضان من العام ١٩٥ هـ. وهذا ما أجمع عليه علماء الشيعة من المتقدمين منهم والمتأخرين ^(٢١). وقد اكتفى بالسنة دون ذكر اليوم الذي اختلف فيه العلماء، فأن جمهور علماء الطائفة أكدوا على السابع عشر من شهر رمضان ^(٢٢) وأمّا ابن شهر آشوب ذهب إلى ١٥ رمضان ^(٢٣). في حال أن الشيخ الطوسي في كتابه «مصباح المتعبد» ذهب إلى أن ولادته كانت في العاشر من شهر رجب ^(٢٤).

أمّا قوله بأن الإمام ولد في منطقة تعرف بصريا تعود إلى جدّه فأن هذا الخبر لم يرد ذكره في كتب التاريخ وإنّما هذه القرية ورد ذكرها بأنّها كانت مسقط رأس أبنه الإمام الهادي عليه السلام كما ورد في المأثور عن الطبرسي:

ولد عليه السلام «بصرياً»^(٢٥) من المدينة في النصف من ذي الحجة سنة اثنتي عشرة ومائتين . وفي رواية ابن عياش : يوم الثلاثاء الخامس من رجب^(٢٦) .

ثانياً: قال «مادلونج»: إنّ كون الإمام شديد السمرة، هو الأمر الذي جعل العباسيين يستنكرون زواج ام الفضل من الإمام الجواد عليه السلام .

أما قوله بأنّ الإمام كان شديد السمرة فهذا فيه خلاف بين المؤرخين، فقد ورد بأنّ ملامح الإمام عليه السلام كانت كملامح آبائه التي تحكي ملامح الأنبياء عليهم السلام فكانت أسارير التقوى بادية على وجه الكريم، وقد وصفته بعض المصادر بأنّه (كان أبيض معتدل القامة)^(٢٧) ونصّ بعض المؤرخين على أنّه كان شديد السمرة، وأثبت ذلك رواية شاذة^(٢٨) إلا أن السيّد الخوئي دلل على أنّها من الموضوعات.^(٢٩)

وأما من جهة الأم فإنّ أمه ممّن تنتمي إلى مارية القبطية زوجة الرسول الأعظم ﷺ، ومارية لم تكن سوداء بل ذكرها ابن سعد في طبقاته بأنّها: (كانت بيضاء جعدة جميلة)^(٣٠) .

وإذا تنازلنا بأنّ الإمام كان شديد السمرة، لكن لم نقف على مصدر يذكر بأنّ مخالفة العباسيين للزواج كان بسبب السمرة الشديدة الذي يتّصف بها الإمام الجواد عليه السلام . وإنّما الذي ذكرته المصادر أنّ التخوف كان بسبب صغر سن الإمام عليه السلام وجهله بأمور الدين فقد ذكر الطبرسي رواية تبين ذلك فقالوا للمأمون: إنّّه صبي لا معرفة له، فأمهله ليتأدّب ويتفقه في الدين ثمّ اصنع ما تراه . فقال لهم: ويحكم، إنّّي أعرف بهذا الفتى منكم، وإنّ أهل هذا البيت علمهم من الله تعالى ومواده وإلهامه، ولم يزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حدّ الكمال، فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر حتّى يتبين لكم ما وصفت لكم من حاله^(٣١) .

أ: عدم إحاطة الكاتب بالمصادر الشيعية؛ لأنّ المصادر الشيعية المتقدّمة ذكرت أنّ الإمام الجواد عليه السلام تمّ النصّ على «إمامته» في روايات عديدة عن الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام كما احصى تلك الروايات والأخبار صاحب كتاب «حياة الإمام الجواد»^(٣٢).

ب: أنّ الإمام الرضا عليه السلام بيّن لشيعته بالنصّ وفي مواطن مختلفة بأنّ الإمامة من بعده للإمام الحسن العسكري عليه السلام حتّى لا يبقى اتباعه في حيرة من أمرهم ومن هذه النصوص قوله عليه السلام: عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن صفوان بن يحيى قال: قلت للرضا عليه السلام: قد كنا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر فكنت تقول: (يهب الله لي غلاماً) فقد وهبه الله لك، فأقر عيوننا، فلا أرانا الله يومك، فإن كان كون ف إلى من؟ فأشار بيده إلى أبي جعفر عليه السلام وهو قائم بين يديه، فقلت له: جعلت فداك هذا ابن ثلاث سنين؟ قال: (وما يضره من ذلك، قد قام عيسى بالحجّة وهو ابن أقلّ من ثلاث سنين)^(٣٣). وقال أيضاً: وعنه، عن بعض أصحابنا، عن محمّد بن علي، عن معاوية بن حكيم، عن ابن أبي نصر البزنطي قال: قال لي ابن النجاشي: من الإمام من بعد صاحبك؟ - ولم يكن رزق أبا جعفر - فدخلت على الرضا عليه السلام فأخبرته بما سألتني عنه ابن النجاشي فقال: (الإمام بعدي ابني) ثمّ قال: (وهل يجترئ أحد أن يقول ابني وليس له ولده؟!)^(٣٤).

وعليه أنّ الحديث عن حدوث شقاق أو خلاف بين شيعة الإمام الرضا عليه السلام الخُلص لم يكن كما صورته لنا «مادلونج» بل العكس صحيح، أنّ الشيعة وجدت خصائص الإمام والإمامة قد تجلّت وتجسّدت في الإمام الجواد عليه السلام لما يمتلك من صفات علميّة، وأخلاقيّة عالية ميزته عن بقيّة بني هاشم، شهد بها العباسيين الذين أرادوا النيل من شخصيّة وعلميّة

الإمام الجواد عليه السلام حيث ورد: تقدّمه على كافة أهل عصره فيما يوجب له الإمامة، ويقتضي له الرئاسة، من العلم والزهد، وكمال العقل والعصمة، والشجاعة، والكرم وكثرة الأعمال المقرّبة إلى الله جلّ اسمه^(٣٥).

ثالثاً: ذكر المؤلف بأنّ «بابه» هو «عثمان بن سعيد»^(٣٦) واكتفى بـ «عثمان بن سعيد» دون الإشارة إلى عدد أو أسماء الرواة لاحاديثه من أصحابه، ومواليه الذين بلغ عددهم حسب الدراسات الحديثة إلى ٢١٣ راوياً، وهؤلاء كانوا من المقرّبين إلى الإمام عليه السلام ونقلوا عنه بلا واسطة، وكانت مروياتهم متنوعة في العقائد، والفقه، والأخلاق وجوانب أخرى^(٣٧). لكن الباحث غفل عن ذكر هذا الجانب المشرق من حياة الإمام عليه السلام الذي يعتبر نافذة بارزة استطاع الإمام عليه السلام من خلالها نشر علومه لاتباعه من الشيعة في مختلف بقاع الأمة الإسلامية.

رابعاً: يذهب «مالدلونج» إلى القول بأنّ الإمام انتقل عن الدنيا دون سبب، ثمّ يقول: إنّ بعض مصادر الشيعة ترى إنّ الإمام مات مسموماً على يد زوجته أم الفضل لكن هذا الرأي رفضه الشيخ المفيد.

قد يكون مُحققاً في نقل رأي عدد من علماء الطائفة المتقدّمين في سبب وفاة الإمام عليه السلام لكن دراسة الحياة السياسية، والاجتماعية للإماميين تؤيد رحيلهم عن الدنيا من قبل السلطة الحاكمة بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وإلا لماذا تمّ استدعاء الإمام عليه السلام مع أبنه الإمام الهادي عليه السلام من المدينة المنورة إلى مركز الخلافة في بغداد^(٣٨)؟ ولماذا الحاكم يُرسل عدد من مستشاريه والمقرّبين إليه إلى بيت الإمام أثناء المرض؟

وهذه الاستفهامات وغيرها تشير إلى أنّ السلطة العباسية متدمرة كثيراً من الإمام عليه السلام ومكانته الاجتماعية والدينية بين الناس، وتعمل بكلّ حرفة لتصفية الإمام جسدياً.

وأضف إلى هذا هناك أخبار صريحة وردت إلينا من مصادر شيعية تؤيد شهادة الإمام (عليه السلام) بالسّم من قبل المعتصم العباسي. ^(٣٩) ودليل آخر يُعْضد كلامنا وهو وجود عدد من الروايات في التّراث الشيعي تتحدث بأنّ الأئمّة (عليهم السلام) لا يخرجوا عن الدنيا إمّا بالسّم أو بالسيف منها: روي عن الإمام الحسن (عليه السلام) قال: ما منا الا مسموم أو مقتول ^(٤٠) وكذلك رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «والله ما منّا إلّا مقتول شهيد» ^(٤١).

أضف إلى هذه الأدلّة التي سقناها ذهب المستشرق «يان ريشار» في كتابه الاسلام الشيعي أنّ الإمام محمّد الجواد (عليه السلام) مات بالسّم من قبل زوجته بنت المأمون ^(٤٢).

خامساً: قال: ولما توفي الإمام الرضا (عليه السلام) دبّ شقاق آخر في صفوف الشيعة فقد اختلفوا حول من يخلفه، ثمّ أشار إلى ظهور انقسامات وذكرهم بـ أربعة أقسام.

إنّ الكاتب هنا أكتفى بسرد الآراء في عدد الفرق التي ظهرت بعد إستشهاد الإمام الرضا (عليه السلام) ولم يبحث الأسباب التي أدّت إلى ظهور هذا العدد من الفرق، وأهمّها عوامل سياسيّة كان لها أثر كبير في نشوء و تطور الفرق، ولم يشر إلى الموقف العدائي لحكام العباسيين من الأئمّة (عليهم السلام) الذين يسعون دائماً لايجاد شرح في الوسط المحبّ والموالي للأئمّة (عليهم السلام) نعم المصادر الشيعيّة وغير الشيعيّة تحدثت عن وجود خلاف برز في الساحة بعد أن غيّب الموت الإمام عن الحياة بين اتباعه وشيعته حول من هو الخليفة الشرعي، وهذا أمر طبيعي كثيراً ما يحدث بعد وفاة الشخصيات ذات التأثير السياسي والديني في المجتمع، أمّا عدد الفرق التي ذكرها «مادلونج» يظهر أنّه قد اعتمد على النوبختي في كتابه فرق الشيعة الذي ذكر الفرق وانقسامتها بقوله: اختلف أصحابه فصاروا فرقاً فرقة منهم

قالت بالإمامة بعد عليّ بن موسى لابنه محمّد بن عليّ ولم يكن لها غيرهم تابعين في ذلك الوصيّة، وفرقة أخرى قالت بإمامة أحمد بن موسى بن جعفر اخو الإمام الرضا، وفرقة منهم تسمى المؤلفة من الشيعة قد كانوا نصرّوا الحقّ وقطعوا على إمامة عليّ بن موسى وموت أبيه فصدقوا بذلك فلما توفي الرضا عليه السلام رجعوا إلى الوقف بعد موسى بن جعفر، وفرقه أخرى تعرف بالمحدثّة كانوا من أهل الإرجاء وأصحاب الحديث فدخلوا في القول بإمامة موسى بن جعفر وبعده بإمامة علي بن موسى وصاروا شيعه رغبه في الدنيا وتصنعاً فلما توفي عليّ بن موسى رجعوا إلى ما كانوا عليه، وفرقه كانت من الزيدية الاقوياء منهم والبصره فدخلوا في إمامة عليّ بن موسى عندما أظهر المأمون فضله وعقد بيعته تصنعاً للدنيا فلما توفي عليّ بن موسى رجعوا إلى قومهم من الزيدية.^(٤٣)

ما لم يتناوله المستشرق مادلونج:

حاول المأمون العباسي، الذي كان يخشى كغيره من الحكام العباسيين من نفوذ الأئمة المعصومين عليه السلام وانتشار فضائلهم بين الناس، أن يضع الإمام الرضا عليه السلام ثمّ أبنه الإمام الجواد عليه السلام تحت أنظاره. وكان من الأساليب التي استخدمها المأمون فيما يتعلّق بالإمام الجواد عليه السلام هو تشكيل جلسات المناقشة والمناظرة؛ أراد المأمون ومن بعده المعتصم العباسي أن يوقع الإمام عليه السلام في مشكلة بهذه الطريقة.

وقد عاش الإمام الجواد عليه السلام في فترة نمت وتطورت فيها مختلف المذاهب الإسلامية وغير الإسلامية، وعاش في هذا العصر علماء كبار، وتقدّمت علوم الأمم الأخرى، وترجمت العديد من الكتب إلى اللغة العربية وأصبحت متاحة^(٤٤).

ونظراً للحصار الأمني الذي كانت السلطة العباسية تفرضه على الإمام الجواد عليه السلام، فقد أوعز عليه السلام لأصحابه بالتحرك في المجالات التي تتعسر عليه الحركة فيها، وقد حافظ الإمام الجواد عليه السلام على نظام الوكالة، وبالإضافة إلى الوكلاء المعتمدين له، أرسل ممثلين خاصين إلى مختلف المناطق للقيام بالمهام الموكلة إليهم. ويبدو أن ثلاثة عشر شخصاً كانوا مسؤولين عن الإمام الجواد عليه السلام. وقد ورد في النصوص الإسلامية أسماء بعض هؤلاء المحامين؛ فمثلاً علي بن مهزيار بالأهواز، ويحيى بن أبي عمران بالري، ويونس بن عبد الرحمن وأبو عمرو هزاع بالبصرة، وعلي بن حسن الواسطي ببغداد، وعلي بن أسباط بمصر، وزكري بن آدم بقم. محامون تلك الحقبة^(٤٥).

وبركة الإمام الجواد عليه السلام أصبحت شبهات الواقفية^(٤٦) غير فعالة، وأسكت الفتنة التي كان يعاني منها الشيعة الإمامية؛ لأنه قبل ولادة الإمام الجواد عليه السلام كانت هناك مخاوف بين الشيعة، أن اتباع الفرقة الواقفية استخدمت ذلك كذريعة لإنكار إمامة الرضا عليه السلام. ولهذا السبب، بعد ولادة الإمام الجواد عليه السلام، اعتبر الشيعة هذه الولادة ظاهرة مباركة عند الشيعة، وأعلنوا أن هذا الطفل يفصل بين الحق والباطل.

وكما كان هناك تياران منحرفان داخل الشيعة كان الإمام يواجههما؛ الواقفية التي مرّ ذكرهما والغلاة الذين كانوا يشكلون طيفاً منحرفاً لعب دوراً كبيراً في تشويه سمعة الشيعة. وقد لعن الإمام الجواد عليه السلام أبا الخطاب بالذات، وهو أحد زعماء الغلاة وأصحابه. وقد واجه الإمام معتقداتهم الباطلة وحاول إبعاد الشيعة عن المعتقدات الباطلة.

نتائج البحث:

- ١- أن مؤلف المقال ابتعد كثيراً على ما سار عليه من سبقه من المستشرقين فيما يخص النظرة القسريّة للاثني عشرية.
- ٢- الاعتماد على المصادر الشيعيّة المتقدّمة، وإن كانت قليلة فهي أحد أهم الميزات التي اتّصفت بها هذه الدراسة.
- ٣- أن الدراسة كانت مختصرة جداً وقد غيّبت الكثير من الجوانب العلميّة والاجتماعيّة والدينيّة للإمام محمد الجواد عليه السلام.
- ٤- أن المؤلّف فضّل القول بوفاة الإمام بسبب المرض على استشهاده بدس السم من قبل حاكم عصره، وهذا ما تمّ الردّ عليه من خلال الأدلّة التاريخيّة والتي لها علاقة بتراث الشيعة.
- ٥- أن الشيعة بعد استشهاد الإمام الرضا عليه السلام كانت ذات دراية بإمامة الإمام الجواد عليه السلام وذلك بسبب النصوص الواردة عن النبي ﷺ وشخص الإمام الهادي عليه السلام ولم تك في حيرة من أمرها كما ذكر ذلك مؤلف المقال.

الهوامش:

١- D. Donaldson

٢- كتاب the Shiite Religion « والكتاب تم ترجمته من قبل ع.م بعنوان «عقيدة الشيعة» في ٣٩٨ ص ويحتوي على مقدمة وثلاث وثلاثون باباً، خصص لكل امام من الائمة الاثني عشر باباً خاصاً والابواب الاخرى احتوت على عناوين مختلفة منها: الفرق الشيعية، ودولهم وعقائد الشيعة. مع فهرس للمصادر والاعلام، وقد تحدث دونالدسون في الباب العشرين عن الإمام الحسن العسكري في تسع صفحات.

٣- Henri Lammens وكان كتابه هذا بعيد كل البعد عن الموضوعية ويصف الزهراء بأنها غير مرغوب بها كأمرأة والا امام علي كان مجبر في الزواج منها وتحامل من هذا النوع كثير (انظر: الحسني، هاشم معروف، سيرة الائمة ج ١، ص ٧٧) وكتب ايضا مدخل الحسن والحسين في دائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الاولى وتم استبدال هذين المدخلين في النسخة الثانية وكتبت المستشرق الايطالية لورا فيجا فالري عن الحسن والحسين (عليه السلام) وذلك بسبب الاخطاء الكبيرة وعدم الموضوعية لما كتبه لامنس) (انظر: ناجي، التشيع والاستشراق، ص ١٨٠). وكان لا يسوق اي دليل نقلي او عقلي ولا يرجع الى مصادر عن السيرة بل هو يلقي الكلام جزافاً ويعتمد على تحكيمات ذهنية استقرت حسب معاني ذهنية سابقة (انظر: بدوي، عبدالرحمن، موسوعة المستشرقين، ص ٥٠٤).

٤- أنظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، المقدمة.

٥- مترجم مقال الإمام الحسن العسكري هو خورشيد، ج ١٢، ص ٣٠١-٣٠٢. أكتفى المترجم بالترجمة فقط دون شرح أو توضيح لبعض من الكلمات أو العبارات الغامضة التي يصعب على القارئ فهمها كهذه العبارة: ((وكان الباب الذي يدين به هو عثمان بن سعيد)) مصطلح «الباب» عند الشيعة الاثني عشرية بحاجة التي نوضح اكثر، فأنا اخفق الكاتب في تعريف مثل هذه المفردات يصبح لازماً على المترجم توضيح هذه المفردة وامثالها.

٦- في حين ان المستشرق دونالدسون (D. Donaldson) كتب عن الامام الجواد ع في كتابه عقيدة الشيعة المؤلف سنة ١٩٣٣ م ثمان صفحات حاول الاحاطة بمعظم حياة الامام عليه السلام.

٧- Wilferd Ferdinand Madelung

٨- الحساني، كريم جهاد، الإمام زين العابدين (عليه السلام) في فكر المستشرقين (دراسة وتحليل) مجلة دراسات استشراقية، العدد: ١٥، السنة الخامسة - صيف ٢٠١٨م / ١٤٣٩هـ.

٩- قد كتب عدد من اصحاب الإمام كتباً تحت عنوان: الرد على الواقفة للخشاب، و«الرد على الزيدية للسمرقندي». أنظر: الحياة الفكرية والسياسية للائمة، ج ٢، ص ١٦٩-١٧٠.

١٠- Laura Vecchia Vaglieri

- ١١ - ينظر: مختصر دائرة المعارف الإسلامية، مدخل الإمام علي، ج ١٢، ص ٣٥٠. وكذلك نفس المصدر عن مدخل الحسن بن علي والحسين بن علي، ج ١٢، ص ٣٠٣؛ وج ١٢، ص ٣٤٩.
- ١٢ - جواد علي، الاختيار والجبر في صدر الإسلام، المجمع العلمي، العدد ١، سنة ١٩٥٠، ص ٣٦٨-٣٧٠.
- ١٣ - دونالدسون، عقيدة الشيعة، ص ٤٣.
- ١٤ - دونالدسون، عقيدة الشيعة، ص ٣.
- ١٥ - أنظر: جواد، علي، المهدي المنتظر، ص ٨.
- ١٦ - تحدث الخزاز عن الإمام العسكري ع من صفحة ٤٠٣-٤٣٠؛ والفتال النيسابوري من صفحة ٢٤٧-٢٥٦؛ وابن شهر آشوب في ٢٠ صفحة عن الإمام العسكري، ج ٣، ص ٥٢٢-٥٤٢؛ وأما الطبرسي تحدث عن الإمام ع في ٢٢ صفحة من ج ٢، ص ١٢٩-١٥١.
- ١٧ - جورزف الياش كما ذكرنا في الصفحات الأولى من هذا البحث بأنه زار إيران وكتب عن الشيعة هناك وهذا يدل على أنه ذو معرفة وإطلاع بالمصادر الشيعة كان بالامكان مراجعة الدراسات الحديثة الخاصة بالإمام الحسن العسكري عليه السلام.
- ١٨ - الحسن العسكري، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج ١٢، ص ٣٠١.
- ١٩ - المصدر السابق، ج ١٢، ص ٣٠٢-٣٠٣.
- ٢٠ - ذكر الطبرسي للإمام خمسة القاب وهي: التقي، والمتعجب، والجواد، والمرتضى. ويقال له: أبو جعفر الثاني، اعلام الوري، ج ٢، ص ٩١.
- ٢١ - انظر: الكليني، الكافي، ج ١، ص ٤١١؛ المفيد، الارشاد، ج ٢، ص ٢٧٣، كفاية الطالب، ص ٤٥٨، المناقب لابن شهر آشوب، ص ٤، ص ٣٧٩.
- ٢٢ - أنظر: الكليني، الكافي، ج ١، ص ٤١١؛ المفيد، الارشاد، ج ٢، ص ٢٧٣، كفاية الطالب، ص ٤٥٨.
- ٢٣ - أنظر: الاشعري، المقالات والفرق، ص ٩٩؛ المناقب لابن شهر آشوب، ص ٤، ص ٣٧٩.
- ٢٤ - أنظر: الطوسي، مصباح التهجد، ص ٨٠٥.
- ٢٥ - صريا: قرية أسسها الإمام موسى بن جعفر عليه السلام على ثلاثة أميال من المدينة، مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٣٨٢.
- ٢٦ - الطبرسي، اعلام الوري، ج ٢، ص ١٠٩.
- ٢٧ - أنظر: نوار الأبصار، ص ١٤٦؛ ابن الصباغ، الفصول المهمة، ص ٢٥٢.
- ٢٨ - أنظر: الانصاري، المكاسب، كتاب القيافة.
- ٢٩ - أنظر: الخوئي، مصباح الفقاهة: ص ٣٨٤.
- ٣٠ - أنظر: ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ١٣٧.

- ٣١- اعلام الوري، ج ٢، ص ١٠١-١٠٢.
- ٣٢- القرشي، باقر، ص ٢٤-٤١.
- ٣٣- الارشاد، ج ٢، ص ٢٧٦؛ الكافي، ج ١، ص ٢٨٥؛ اعلام الوري، ج ٢، ص ٩٣؛
المسعودي، اثبات الوصية: ١٨٥، كفاية الأثر، ص ٢٧٩، قتال النيسابوري، روضة
الواعظين، ص ٢٣٧.
- ٣٤- أنظر: المصادر اعلاه؛ الطوسي، الغيبة، ص ٧٢-٧٣.
- ٣٥- المفيد، الارشاد، ج ٢، ص ٣١٢.
- ٣٦- وهو ابو عمر عثمان بن سعيد العمري أول السفراء الخاصين للإمام المهدي المنتظر
وأب للنائب الثاني، بينما يرى ابن شهر آشوب إن الحسين بن روح النوبختي هو باب
الإمام الحسن العسكري عليه السلام. أنظر: ابن شهر آشوب، مناقب ال أبي طالب، ج ٣، ص ٥٢٥.
- ٣٧- للمزيد راجع: الطوسي، حياة الإمام الحسن العسكري، ص ٢٤٨-٢٥٢.
- ٣٨- ذكرت المصادر بأن الإمام تعرض للاعتقال والسجن لعدة مرات سواء كانت في
عهد ابيه الامام الهادي عليه السلام أو بعد ذلك، وجلبهم من مدينة جدهم والتضييق عليهم وهو
لا يختلف عن السجن، وسجنه من قبل المهدي في سنة ٢٥٥هـ (الطوسي، الغيبة، ص ١٣٦)
ومرة أخرى من قبل المعتمد العباسي سنة ٢٥٦هـ (البحار، ج ٥، ص ٣١٤) ويرى الباحث
«جعفران» بأن الصحيح هو في السنة التي استشهد فيها وهي سنة ٢٥٩هـ وليس ٢٥٦هـ
(الحياة الفكرية والسياسية، ج ٢، ص ١٨٥).
- ٣٩- أنظر: الطبرسي، اعلام الوري، ج ٢، ص ١٣١؛ مجمل التواريخ والقصص، ص ٤٥٩؛
- ٤٠- أنظر: الصدوق، الامالي، ص ١٢٠؛ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٣٥١،
المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ٣٢٠.
- ٤١- أنظر: الخزار، كفاية الأثر، ص ١٦٢؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ج ٢، ص ٢٠٩.
- ٤٢- أنظر: يان ريشار، الاسلام الشيعي، ص ٦٧.
- ٤٣- أنظر: النوبختي، فرق الشيعة، ص ١٣٦-١٦٨.
- ٤٤- لعل من أعقد المشاكل السياسية التي أبطل بها المسلمون في ذلك العصر هي محنة خلق
القرآن فقد أشاعت الفتن والخطوب في البلاد، فقد أظهر المأمون هذه المسألة في سنة (٢١٢ هـ).
- ٤٥- أنظر: القرشي، باقر، حياة الإمام محمد الجواد عليه السلام، ص ١٣٩-١٤١.
- ٤٦- وهي إحدى طوائف الشيعة منقرضة، وهم الذين وقفوا على الإمام السابع للشيعة
موسى الكاظم، فلم يقولوا بإمامة من بعده، حيث زعموا أن موسى الكاظم لم يموت وأنه
حي، وأنهم ينتظرون خروجه حيث أنه دخل في غيبة. للمزيد راجع، النوبختي، فرق
الشيعة، ص ٨٤-٨٦.

المصادر والمراجع

- * ابن خلكان، وفيات الأعيان، دار نشر صادر - بيروت - لبنان، سنة النشر، ١٩٧٨ م.
- * الاشعري، سعد بن عبدالله، المقالات والفرق، تحقيق د. محمد مشكور، مؤسسة مطبوعاتي عطائي، ط١، طهران، سنة ١٩٧٢ م.
- * بدوي، عبدالرحمن، موسوعة المستشرقين، الدار العلمية للفلسفة، بلا تاريخ.
- * جعفریان، رسول، الحياة الفكرية والسياسية لائمة اهل البيت، ج٢، ص١٣٦. منشورات دار الحق للطبعة: الاولى ١٩٩٤
- * الحاكم، المستدرك على الصحيحين، تحقيق عبدالرحمن المرعشي، دار المعرفة، بيروت، لا تاريخ.
- * الحسني، هاشم معروف، سيرة الائمة (عليه السلام)، منشورات الرضي، الخزار، علي بن محمد، كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثني عشر (عليه السلام)، تحقيق، عبد اللطيف الحسيني، انتشارات بيدار، قم، ايران، سنة ١٤٠١ هـ.
- * الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار النشر، المكتبة العربية ; مكان النشر . دمشق ; تاريخ النشر ١٩٤٥ م.
- * الخصيبي، الحسين بن حمدان، الهداية الكبرى، الناشر: مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، بيروت، لبنان، سنة ١٩٩١ م.
- * دوايت، دونالسون، عقيدة الشيعة، مؤسسة المفيد للطباعة والنشر، الطبعة: الثانية ١٩٩٠ م.
- * السمعاني، الأنساب، دار الجنان، عمان، الاردن، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.
- * الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، التحقيق. أمير علي مهنا. دار المعرفة، الطبعة ٢، سنة ١٩٩٣ م.
- * الصدوق، من لا يحضره الفقيه، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام الهادي (عليه السلام)، قم، ١٤١٥ هـ.
- * الصدوق، الامالي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.
- * الطبرسي، الفضل بن الحسن، اعلام الوري باعلام الهدى، دار النشر مؤسسة آل البيت، قم، ايران، سنة النشر ١٤١٧ هـ.
- * الطبري، ابن رستم، دلائل الإمامة، بيروت. دار النشر مؤسسة الاعلمي. سنة النشر. ١٩٨٨.
- * الطبسي، حياة الإمام الحسن العسكري، ص٢٤٨-٢٥٢. مركز النشر، مكتب الاعلام الاسلامي، ١٩٩٢ م.

- * الطوسي، محمد بن الحسن، الغيبة، الشيخ الطوسي، الغيبة، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٤٢٣ هـ.
- * الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الاحكام، تحقيق وتعليق السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، ايران، الطبعة الرابعة، سنة ١٤١٨ هـ.
- * العبد اللطيف، عبد العزيز، مقالات الفرق والمذاهب، دار الوطن - الرياض - الطبعة الأولى - ١٤١٣ هـ ق.
- * جواد، علي، المهدي المنتظر عند الشيعة الإمامية، ترجمة الدكتور أبو العبد دودو، دار الجمل، ١ ط، سنة ٢٠٠٧ م
- * الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، المتوفى سنة (٥٩٧ هـ) - مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى - حيدر آباد - ١٣٥٨ هـ ق.
- * جواد علي، بحث الاختيار والجبر في صدر الإسلام، مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد ١، سنة ١٩٥٠ م.
- * الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الخامسة، سنة ١٤١٦ هـ.
- * مجتبى الساده، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، خريف ٢٠٢١ م / ١٤٤٢ هـ.
- * المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٣ هـ.
- * مختصر دائرة المعارف الإسلامية، موجز دائرة المعارف الإسلامية تحرير: م. ت. هوتسا، ت. و. أرنولد، ر. ياسيت، ر. هارتمان، المحقق: إبراهيم زكي خورشيد - أحمد الشنتناوي.
- * المرتضى، رسائل المرتضى، تقديم، السيد أحمد الحسيني، مطبعة الخيام دار القرآن الكريم، قم، سنة ١٤٠٥ هـ.
- * المرتضى، علي بن الحسين، الانتصار، تقديم السيد محمد رضا، مكتبة الشريف الرضي، قم، لا تاريخ.
- * المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب، تحقيق امير مهنا، مؤسسة الاعلمي، بيروت، الطبعة الاولى، سنة ٢٠٠٠ م.
- * المسعودي، علي بن الحسين، التنبيه والاشراف، دار مكتبة الهلال، بيروت، سنة ١٩٩٣ م.
- * المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الناشر المطبعة الحيدرية، تاريخ النشر: ١٩٦٢
- * المفيد، المقنعة، مؤسسة النشر الإسلامي الطبعة: الثانية سنة الطبع: ١٤١٠ هـ
- * مهرداد عباسي، الغرب والتشيع، مجلة المنهاج، العدد ٤٤، ص ١٩٥.

* ناجي، عبد الجبار، التشيع والاستشراق، دار الجمل، سنة ٢٠٠٩ م.

* النيسابوري، الفتال، روضة الواعظين، تحقيق، غلام محسن المجيدي - مجتبى الفرجي، منشورات دليل ما، طهران، الطبعة الاولى ١٤٢٣ هـ.

* النويختي، الحسن بن موسى، الفرق الشيعية، دار الأضواء، ط ٢، بيروت، لبنان.

* يان، ريشارد، الاسلام الشيعي، دار عطية للطباعة والنشر، ط ١، بيروت، سنة ١٩٩٦.



قراءات تربوية في مرويات الإمام محمد الجواد عليه السلام - التربية الأخلاقية مثلاً -

أ.د. فاضل محسن يوسف الميالي
جامعة الكوفة / كلية التربية

ملخص البحث

يهدف البحث الى تبيان المضامين التربوية في مرويات الإمام محمد الجواد عليه السلام في التربية الأخلاقية باعتماد المنهج الوصفي التحليلي للمرويات الشريفة وقراءة نصوصها واستنطاق مضامينها التربوية في مجال التربية الأخلاقية، في مباحث تشمل التمهيد، ومفاهيم البحث، والأخلاق على المستوى الفردي وفيه محاور تتضمن بناء الذات، وبناء المنظومة القيمية، والتعبير عن الحاجات الفردية؛ ومبحث الأخلاق على المستوى الجماعي وفيه عدة محاور منها العيش المشترك والتسامح.

ويجسد الإمام محمد الجواد عليه السلام في منهجه الإصلاحية دوراً مكماً للدور الرسالي للرسول الأكرم عليه السلام وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام بثبات وصلابة في قيادة الوعي المعرفي وعلى أساس ديني قرآني، فأسهل بحديثه النوراني في بناء منظومة قيمية وأخلاقية أرسى البناء النفسي الذاتي بمكوناته الفكرية وأنساقه الثقافية ومضامينه الاجتماعية، ومنها قوله عليه السلام أن ((عنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه)) و((عنوان السعيد حسن الشاء عليه)) و((من أطاع هواه فقد أعطى عدوه مناه)) وبذلك فقد بين الإمام عليه السلام وحذر من إطلاق العنان للهوى الذي يفضي الى الانسياق نحو الطرق الخاطئة في

التعبير عن الحاجات، ما يؤدي إلى تحريك الشهوات المؤدية إلى الزلل في السلوك، وفي مجال الأخلاق على المستوى الجماعي فقد تم ذكر مرويّات الإمام عليه السلام وما تضمّنته من مقاصد تربويّة وأخلاقيّة نحو بناء مجتمع يميل للعيش المشترك، ويعتمد مبدأ التسامح في خطابه وتعامله.

الكلمات المفتاحيّة: التربية الاخلاقية، بناء الذات، المنظومة القيمية، الحاجات الفردية، العيش المشترك، التسامح.



المقدمة:

أنَّ للأئمة الأطهار (عليهم السلام) دوراً مكملاً لدور الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في قيادة وتوجيه الأمة الإسلامية وهدايتها باتجاه مرضاة الله تعالى، أذ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنها لن يفرقا حتى يردا علي الحوض»^(١)، في ما يستهدف الدين الأكمل من بلوغه من أهداف نحو التكامل في شخصية الإنسان المؤمن، وتحقيق المعنى التام لوجوده في هذه الحياة، قال الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢) وقوله ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾^(٣)

وأمام هذا الدور الرسالي للأئمة الهداة (عليهم السلام) يتعين على الأمة الإسلامية أن تكون بمستوى الوعي لمعرفة وفهم دورهم، وأن تجعل من كلامهم ومروياتهم وتعاليمهم هدياً ودليلاً لنموذج التربية الأخلاقية، لبلوغ الصالح من العمل والحياة الطيبة.

يهدف البحث الى تبيان المضامين التربوية في مرويات الإمام محمد الجواد (عليه السلام) في التربية الأخلاقية باعتماد المنهج الوصفي التحليلي للمرويات الشريفة وقراءة نصوصها واستنتاج مضامينها التربوية في مجال التربية الأخلاقية، في مباحث تشمل التمهيد، ومفاهيم البحث، والأخلاق على المستوى الفردي وفيه محاور تتضمن بناء الذات، وبناء المنظومة القيمية، والتعبير عن الحاجات الفردية؛ ومبحث الأخلاق على المستوى الجماعي وفيه عدّة محاور تشمل النظرة للمجتمع ومفهوم التعايش السلمي المقترن بوعي أخلاقي على الصعيدين الفردي والجماعي، أساساً متيناً في صرح البناء الاجتماعي السليم.

وبذلك فقد بين الإمام (عليه السلام) وحذر من إطلاق العنان للهوى الذي يفضي إلى الانسياق نحو الطرق الخاطئة في التعبير عن الحاجات، ما يؤدي إلى تحريك الشهوات المؤدية إلى الزلل في السلوك، وفي مجال الأخلاق على المستوى الجماعي فقد تمّ ذكر مرويّات الإمام (عليه السلام) وما تضمنته من مقاصد تربويّة وأخلاقيّة نحو بناء مجتمع يميل للعيش المشترك، ويعتمد مبدأ التسامح في خطابه وتعامله.

مفهوم الأخلاق:

الخُلُق والأخلاق مفردة تستعمل للتعريف أو لوصف إنسان معيّن أو جماعة معيّنة بأنهم على خُلُق، وفي الغالب هم يقصدون بذلك ما يتّصف به الإنسان من صفات نبيلة تجعله محلّ تقدير واحترام، وقد وصف الله رسوله (صلى الله عليه وآله) بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٤) ومعناه «على دين عظيم وهو دين الإسلام، وقيل معناه إنّك متخلق بأخلاق الإسلام، وقيل الخلق العظيم الصبر على الحق.. وقيل سمي خلقه عظيماً لاجتماع مكارم الأخلاق فيه ويعضده قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) «إنّا بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، وقوله «أدبني ربّي فأحسن تأديبي»^(٥)

الأخلاق جمع خُلُق، والخُلُق هو الدين والطبع والسجّية (وهو ما خُلِقَ عليه مِنَ الطَّبَع) والمروءة، وحقيقة الخُلُق أنّه لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصّة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها^(٦)

ويعرفه الجرجاني اصطلاحاً الخُلُق: بأنّه عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويّة، فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقاً سيئاً^(٧)

الأخلاق منظومة من القيم والمعايير السلوكية التي يقرّها ويجيزها ويرتضيها المجتمع لنفسه، ومن خلالها يقصد فضائل الحق والخير والجمال، التي تؤدّي وظيفتها بتوجه الفرد إلى ما يجب عليهم القيام به وتنهى عمّا يجب تجنبه في مختلف المواقف الحياتيّة والإنسانيّة.

الأخلاق على المستوى الفردي:

بناء الذات:

الذات تمثل المفهوم الذي يكونه الشخص عن نفسه، الذي يحدّده التأثير والتأثر في السياق الاجتماعي والثقافي المحيط به، وهو مجموعة من التنظيمات النفسيّة بوظائفها العقليّة والوجدانيّة الداخليّة، والمظاهر التنظيميّة السلوكيّة التي تصدر عنه نحو المجتمع وبالخصوص السياق الذي يعيش فيه، ويتألف مفهوم الذات من عدّة أبعاد^(٨)

وفي وصيّة للأمام محمد الجواد عليه السلام لرجل طلب منه ذلك: فقال «توسد الصبر واعتنق الفقر وارفض الشهوات وخالف الهوى واعلم أنك لن تخلو من عين الله فانظر كيف تكون»^(٩)

أنّ وصيّة الأمام الجواد عليه السلام ترسي قواعد أساسيّة في بناء الذات العصاميّة عند الفرد باعتماد الصبر ومخالفة الهوى الذي تحركه الشهوات التي يصعب أن تجتمع مع انتظام واستقرار في ذات الإنسان، فكيف تريد من شخص يقف موقف قوّة وثبات لا يتزعزع إلا بمخالفة الشهوات عنده وردع الهوى بالصبر:

كيف يحصل ذلك؟ وماهي مقوّماته؟

وفي كلام للإمام محمد الجواد عليه السلام يقول فيه «لن يستكمل العبد حقيقة الأيمان حتّى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك حتّى يؤثر هواه وشهوته على دينه»^(١٠) و «حقيقة الأيمان عند المؤمن تتحقق بالدين»^(١١)

وهو العلم بالمعارف الإلهية، المتضمنة بالقرآن الكريم وهو كتاب هداية للمؤمنين أهل التقوى، قوله تعالى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(١٢) و ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رُسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾^(١٣) وسنة رسوله الكريم ﷺ وسيرة أهل بيته الطاهرين ﷺ وتعليماتهم وهم عدل القرآن الكريم، أذ قال رسول الله ﷺ «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتهم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأتتهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»^(١٤)

أن المعرفة وما فيها من حكمة - والمعرفة الدينية في مقدمتها - تعدّ الأساس في بناء الذات عند الانسان المؤمن، فقد بين الله تعالى في محكم كتابه ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(١٥)

والإمام محمد الجواد عليه السلام يمثل بموقفه امتداداً لرسول الله ﷺ في تعليم الكتاب والحكمة للمؤمنين لتبنى بهم ذواتهم وتصلح أنفسهم، فقوّة الذات عند الانسان لا تتمثل بالجانب المادي من أموال وأموال ومقتنيات أخرى، وإتّما بالعلم والمعرفة عنده والقدرات الذهنية في نشاطه الذهني؛ فقال عليه السلام «أربع خصال تعين المرء على العمل: الصّحة، والغنى، والعلم والتوفيق»^(١٦) و «الدين عز، والعلم كنز، والصمت نور»^(١٧) و «إظهار الشيء قبل أن يستحكم مفسدة له»^(١٨)، وأشار الدكتور محمد حسين الصغير في كتابه الإمام محمد الجواد عليه السلام معجزة السماء في الأرض إلى أن «الأصل الطبيعي لعلم الإمام هو ذلك الموروث العلمي الذي يتوارثه كلّ إمام عن آبائه عليه السلام عن رسول الله ﷺ حتى انتهى الأمر إليه وهذا العلم

غير قابل للردّ من جهة، وغير خاضع لعملية الاجتهاد من جهة أخرى وغير معارض فيهما فهو نصّ...»^(١٩)

أنّ قوّة الذات عند الإنسان التي لا يعترها الهوان والحزن تتطلب الإيمان الذي يستند إلى المعرفة والحكمة والعقيدة، ويكشف عن ذلك كلام الله تعالى ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢٠) بناء المنظومة القيمية:

أنّ الإنسان بطبيعته النفسيّة والاجتماعيّة ينطوي على أنساق قيمية منظمة في واقعه النفسي الذاتي، يسهم في تشكيلها عنده عدّة مكونات تشمل المكونات الفكرية، والأنساق الثقافيّة، والسياق الاجتماعي، وتعدّ القيم أحد العوامل الرئيسيّة التي تهيؤ الفرد لإصدار الأحكام التي تمثل جوهر ومضمون الاتجاهات التي يتبناها.^(٢١)

عرف المختصون في علم النفس الاجتماعي ومنهم «كرتش بأنّ القيمة هي عبارة عن معتقد يتعلّق بما هو جدير بالرغبة، يفرض على صاحبه مجموعة من الاتجاهات التي تعبر عن هذه القيمة؛ وعرفها روكيتش بأنّها معتقد فردي من نوع خاص جداً يختص بشكل من أشكال السلوك أو بهدف من أهداف الحياة»^(٢٢)

وبهذا فإنّ وجود قيمة معيّنة عند الشخص يبيّن تبنيه لمعتقد ثابت نسبياً، يعمل على تحديد التفضيل الاجتماعي والشخصي لشكل من أشكال السلوك، عندئذٍ، يتمّ تفعيلها كمعيار لتوجيه السلوك وتحديد الاتجاهات والأحكام الأخلاقيّة للذات أو للآخرين في مواقف التفاعل الاجتماعي. ومن هذا فقد توجه الأئمة الأطهار (عليهم السلام) في مرويّاتهم والإمام محمد الجواد (عليه السلام) إلى توجيه وتصحيح البنية القيمية عند الإنسان كونها تعدّ من الموجهات الرئيسيّة لسلوكه، فالقيم تمثل مرتكزات مؤثرة في السلوك

تؤدي إلى تحريكه وتحديد وجهته في المواقف الاجتماعية، والمضمون الإيجابي والطيب من هذه القيم، سينعكس في المظاهر السلوكية المعبرة عنها.

وفي حقبة تميزت بتفروق وتشظي العالم الإسلامي إلى فرق وجماعات، ساد فيها الجدل والنقاش الذي لا يخلو من الصخب والضجيج والتناحر العقائدي بتأثير وتوجيه من السياسة ومريديها فأَنَّ الإمام محمد الجواد (عليه السلام) قد ابتعد بثقله الرسالي عن تلك المظاهر واتجه إلى اصلاح ما فسد من عقائد واثراء الشعلة الوهاجة في درب الموحدين^(٢٣) وقراءة أحاديث الإمام ومروياته واستنطاقها يشير إلى مضامينها التربوية العالية التي تتجه نحو البناء القيمي والأخلاقي وترميم ما ضعف منه في أنفس الناس وإعادة إحياء وتنشيط الإرادة الذاتية وتثبيت الأنساق القيمة، وهي مكونات مهمة في تشكيل السلوك الإنساني وتوجيهه.

فقد قال الإمام محمد الجواد (عليه السلام) «أفضل العبادة الإخلاص»^(٢٤) و«القصدي إلى الله تعالى بالقلوب ابلغ من إتيان الجوارح بالإعمال»^(٢٥)، فإذا اعتقد الانسان بالله في توجيهه نحوه وأخلص في عبادته له فإنه يشعر بتمام الاطمئنان، وكل الارتياح، وبثبات منظومته القيمة، عندئذ تكتمل وظيفتها كمرتكزات في توجيه السلوك، وفي قول الله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٢٦) وقال الإمام (عليه السلام) «عز المؤمن غناه عن الناس»^(٢٧) و«ثلاث يبلغن بالعبد رضوان الله تعالى: كثرة الاستغفار، وخفض الجانب وكثرة الصدقة»^(٢٨) وقال (عليه السلام) «المؤمن يحتاج الى توفيق من الله وواعظ من نفسه وقبول ممن ينصح»^(٢٩)

أَنَّ قراءة وتأمل كلام الإمام محمد الجواد (عليه السلام) يجد مضامينها موجهة نحو بناء ذوات بهمم عالية، تركز إلى الأنساق القيمة، وبهذا فإن الإمام (عليه السلام) يريد أن يجعل مضمون تلك القيم نابعة من المعرفة الإلهية في القرآن الكريم،



وتعاليم أهل البيت عليهم السلام فالإصلاح يبدأ من إصلاح الأنفس عند المؤمنين، وفي قول الله تعالى ﴿يَا بَنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ^(٣٠) و ﴿وَلَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ^(٣١) و ﴿لَتَبْلُغُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ^(٣٢)، وقال الإمام عليه السلام « عنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه، وعنوان صحيفة السعيد حسن الثناء عليه » ^(٣٣)

وبهذا الحديث الشريف فقد حدّد الإمام عليه السلام الأخلاق كهدف يشير كمال تربيتها إلى كمال الإيمان عند المؤمن، و التربية الأخلاقيّة تصون و تعطي ثباتاً للإيمان عند المؤمن، بتمثلها في مظاهر السلوك والتعامل بمواقف فعلية في المجتمع.

التعبير عن الحاجات الفردية:

أنّ الأئمة الأطهار عليهم السلام هم الأدلاء لرضوان الله تعالى، فهم امتداد رسول الله صلى الله عليه وآله وهم عدل القرآن، فهم الثقل الأصغر، وهم الراسخون في العلم بكتاب الله العزيز الحكيم، ومن هذا انطلق دورهم الرسالي في إصلاح الإنسان المؤمن، وحدّدوا له التعليمات المناسبة لفطرته في التعامل مع حاجاته ومحيطه الاجتماعي، والتي أقرتها الشريعة المقدّسة. أنّ الإنسان بطبيعته الفطريّة والبيولوجيّة والنفسيّة والاجتماعيّة، تحرّكه مجموعة من الحاجات الأساسية، وبغياب الأساس الشرعي والعرفي والإطار القانوني في تلبّتها ومن خلال عمل صالح، يصعب عليه أن يعيش ويحيى الحياة الطيبة، التي خطها الله تعالى وفصلها في كتابه الحكيم وشرعه المقدّس، وفي قول الله تعالى ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ

ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٤﴾

وهنا يأتي دوره المبارك محمداً ومبيناً السبيل الواضح لذلك كأبائه
الطاهرين (عليه السلام)، انطلاقاً من علم يستند إلى الكتاب الحكيم والسنة المطهرة،
وقد أمروا بتقيد العلم وتثبيته وتدوين الحديث وضبط روايته، ويعود
ذلك للدور التأسيسي للإمامين الباقر وولده جعفر الصادق (عليه السلام) ذا عمق
أصيل في ترسيخ دعائم هذا المنهج، وتسلم ذلك وسار به من بعدهم
الأئمة موسى الكاظم وعلي الرضا والجواد (عليه السلام) فكانت جهودهم مركزة
ووقفت حائلاً أمام التوجهات المناهضة للتوجه التشريعي وإلغاء العقل
الإنساني، وأتخذ الإمام محمد الجواد (عليه السلام) دوره بثبات وقوة في قيادة الوعي
المعرفي وتوجيهه عند الفرد وفي المجتمع الاسلامي (٣٥)

وقد روي عنه (عليه السلام) «راكب الشهوات لا تقال عثرته» (٣٦) وهذا الحديث
الشريف للإمام ينطوي على مضمون تربوي وقيمي وأخلاقي كبير،
فيه تنبيه وتحذير إلى أن الانجرار وراء الشهوات يؤدي إلى العثرات وما
يترتب عليها من آثار، ويستدعي تجنبها ضبط تلك الشهوات والتحكم
بها؛ وحديث آخر للإمام (عليه السلام) يقول فيه «من أطاع هواه فقد أعطى عدوه
مناه» (٣٧) فإطلاق العنان للهوى يفضي إلى الانسياق نحو الطرق الخاطئة في
التعبير عن الحاجات، والتي عندها تتدفق الشهوات الممهدة لحدوث الزلل
في السلوك، فتكامل تلك الحاجات لا يتحقق إلا بالتكامل مع الأخلاق
وميزاتها الإيجابية، التي تتيح المجال لحياة طيبة يشعر بها الإنسان المؤمن
بالسعادة والرضا.

الأخلاق على المستوى الجماعي:

النظرة للمجتمع:

للمجتمع دور مهم في حياة الفرد، فهو يمثل حاضنة يتربى بها، وينشأ فيها طبقاً للأنماط الثقافية، والأنساق القيمية، والقواعد الأخلاقية، وتكمن دلالة الوسط الاجتماعي للفرد بالدعم النفسي، والأسناد العاطفي، والروابط الوجدانية التي تسود فيه.

وقد قال الإمام محمد الجواد عليه السلام « ثلاث خصال تجلب فيهن المودة: الأنصاف في المعاشرة، والمواساة في الشدة، والانطواء على قلب سليم »^(٣٨)، وعن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال « عليكم بالتواصل والموافقة وإياكم والمقاطعة والمهاجرة »^(٣٩)، وعنه عليه السلام قال « صلة الأرحام من أفضل شيم الكرام »^(٤٠)، وعن الإمام محمد الجواد عليه السلام « ملاقة الأخوان مسرة وتلقيح للعقل، وإن كان نزرًا قليلاً »^(٤١)

أن أحاديث الأئمة عليهم السلام تنطوي على مضمون أخلاقي وتربوي يشير الى أهمية بناء الأخلاق في بنية المجتمع بمساعي وأسهم أفراد، وبهذه الصورة يكتمل البناء الأخلاقي بتحقيق الدعم الاجتماعي والمشاركة الوجدانية التي تبعث على الشعور بالمسرة والإثراء في العقل، وتؤدي دور تربوي يؤدي كحاضنة أخلاقية مربية، يؤسس لحياة طيبة، وتعيش سلمي مشترك.

مفهوم التعايش السلمي:

ويتركب المفهوم من كلمتين هما التعايش وصفته السلمي، والكلمة الأولى التعايش على وزن تفاعل ومعناه المشاركة، والكلمة الثانية «السلمي» تنسب إلى السلم؛ فالتعايش لا يستكمل معناه إلا بالسلم، وهذا اللفظ سلم (بالسين واللام والميم معظم بابه من الصحة والعافية وأن يسلم الإنسان



من العاهة والأذى^(٤٢)، وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٤٣)

وبهذا المعنى فإنّ التعايش السلمي يشير إلى السلم والمسالمة وهو حصول المودة والقبول والوئام وتشارك العيش مع الآخرين على أساس تبادل المصلحة والمودة والتسامح والوئام وعدم التقاطع معهم؛ ويتضمن حاجة كلّ منهم إلى الآخر وهي حاجة متأصلة عند الإنسان وجزء من فطرته السليمة، ولا يبلغ التعايش السلمي مداه، ما لم يكن الشخص قادراً للعطاء للآخرين، كما يريد أن يأخذ منهم، وبوعي وإرادة منه، فضلاً عن ذلك معرفته بإمكانياته وقدراته ومستوى حاجته للآخرين، وحجم المساهمة التي قد يوظفها في عطائه للآخرين، وكذلك أن يكون بحالة سلام داخلي يكون فيه متصالحاً مع ذاته، يشعر بالارتياح والاستقرار والالتزان الانفعالي

ويرتبط مفهوم التعايش السلمي بالسلم وهو حالة تنطلق من أو ضمن الذات، لتتخلل العلاقة مع الآخرين فيكون، التصالح والتقبل المتبادل والمودة، هو المهد لمفهوم التعايش بين الناس^(٤٤) ويقصد به أيضاً: الاحترام المتبادل والتعاون بين عامة المواطنين، وفي مختلف المجالات الثقافية والتجارية والسياسية وهو يرسخ ويقوّي المواطنة بين أفراد المجتمع كافة. الوعي الفردي والجماعي بالأخلاق في التعايش السلمي:

يتحقّق التعايش السلمي بالإرادة والوعي والسعي الحثيث من قبل الفرد والجماعة على حدّ سواء، بمعنى أنّ مظاهر التعايش السلمي السلوكية تحصل بوعي وتخطيط وقصد من الفرد والجماعة معاً، لا يمكن للتعايش أن يحصل بمجرد أمنيات ولا أقوال، فهذا المظهر السلوكي في التعامل والشعور به كتجربة وجدانية لا يمكن أن تحدث دون الوعي بها والعمل على بلوغها كهدف قد

وضع، ولا يبلغ مداه الفعلي في المجتمع دون الإطار الأخلاقي سواء في النية أو الفعل في المواقف الاجتماعية، وليأخذ حيز من نشاط الفرد المعرفي والذهني ومتبنى أيضاً من قبل الوعي الجمعي عند المجتمع على هذا النحو فإن الفرد والمجتمع يكون عارف ومدرك لما يظهره من ميزات وخصائص سلوكية تكشف لهما مدى التعايش السلمي، إلى جانب ادراك الآثار الإيجابية المترتبة على ذلك معنوية كانت أم بشكل منجزات متمثلة بنوعية الأداء والإنتاج الذي يسهم بتقديمه الفرد والجماعة^(٤٥)

الأخلاق مرتكز في البناء الاجتماعي:

تمثل الأخلاق مرتكز في حياة الأفراد والمجتمعات، فيها يتم تجاوز الكثير من المشكلات والصعوبات، وتفتح آفاق التعاون باتجاه تحقيق منفعة الفرد والمجتمع، ومنها تنبثق قواعد الأمن والاستقرار في المجتمعات، فتتوجه جهود أصحابها إلى العمل المثمر والإنتاج المتنوع فيها، والاسهام في تطويرها وتقدمها وازدهارها.

أن البناء الاجتماعي يعتمد على دعائم الأخلاق بين أفرادها، وقد دعا الله في كتابه العزيز أن يكون هذا البناء قائم على التقوى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٤٦)

ذلك أن التعارف والتواصل الذي يكرم به الإنسان لا يتحقق إلا بتقوى الله تعالى، ونتيجته القبول والمودة والتعايش السلمي بين الناس.

وأولى البنى الاجتماعية المهمة في تشكيل السلوك الاجتماعي للفرد وإرساء قواعده الأخلاقية هي الأسرة لدورها المهم في التربية التي تحصل ضمن سياقها كحاضنة أولى له، وفيها تتشكل شخصية الفرد في بنائها النفسي والذهني والوجداني.

الاستنتاجات:

وفي ختام البحث نجمل الاستنتاجات الآتية:
أنّ فهم دور الإمام محمد الجواد عليه السلام هو هدف تربوي وأخلاقي لكلّ مسلم وفي مقدّمته النخب الأكاديمية والثقافية.
أنّ معرفة مرويات الإمام محمد الجواد عليه السلام والأئمة الأطهار عليهم السلام لا يكون بمستوى الاطلاع، وإنّما يتمّ بدراستها وفهم مضامينها التربوية والأخلاقيّة.
أنّ استنطاق النصوص المرويّة عن الإمام محمد الجواد عليه السلام يسهم في وضع منهج تربوي أخلاقي في الأسرة وفي المؤسسة التعليميّة بمختلف مستوياتها.
إعادة تقييم ومراجعة المناهج التربوية السائدة وتصحيح مسارها
الفعلي الواقع في التربية الأخلاقيّة ضمن الأسرة والمجتمع، أو في المؤسسات التربويّة والثقافيّة.

اصلاح الذات وأنساقها القيمية ومنهجها الأخلاقي لا يتمّ دون الانطلاق من معرفة وفهم مرويات الإمام محمد الجواد عليه السلام والأئمة الأطهار عليهم السلام وجدهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسيرتهم، ضمن هداية كتاب الله تعالى العزيز الحكيم.

اعتماد مرويات الإمام محمد الجواد عليه السلام والأئمة الأطهار عليهم السلام في اصلاح الخلل في الواقع الاجتماعي والتراجع الملحوظ في منظومته الأخلاقيّة،
ليتمكن المجتمع من تحقيق العيش الآمن بسلام وتعايش.
الأخلاق تمثل مرتكزاً أساسياً في بناء المجتمع وتنعكس في وظيفته التربويّة.

المهامش

- (١) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ : ٦٦
- (٢) الذاريات : ٥٦
- (٣) البينة : ٥
- (٤) القلم : ٤
- (٥) بحار الأنوار : ج ٦٨ ص ٣٨٢
- (٦) لسان العرب لابن منظور : ١٠ / ٨٦
- (٧) إحياء علوم الدين للغزالي : ٣ / ٥٣
- (٨) علم النفس الاجتماعي : ص ٨١
- (٩) تحف العقول : ص ٣٣٥
- (١٠) نفسه : ص ٣٣٥
- (١١) نفسه : ص ٣٣٥
- (١٢) البقرة : ٢
- (١٣) البقرة : ١٥١
- (١٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ : ٦٦
- (١٥) آل عمران : ١٦٤
- (١٦) بحار الأنوار : ج ٦٢ ص ٦
- (١٧) ميزان الحكمة : ج ٢ ص ٩٤٤
- (١٨) تحف العقول : ص ٤
- (١٩) الإمام محمد الجواد عليه السلام معجزة السماء في الأرض : ص ١٥٢
- (٢٠) آل عمران : ١٣٩
- (٢١) الاتجاهات التعصبية : ص ٣٢
- (٢٢) نفسه : ص ٩٠
- (٢٣) الإمام محمد الجواد عليه السلام معجزة السماء في الأرض : ص ٢٣٢
- (٢٤) بحار الأنوار : ج ٧٦ ص ٥
- (٢٥) نفسه : ص ٧
- (٢٦) الرعد : ٢٨
- (٢٧) تحف العقول : ص ٨٨
- (٢٨) بحار الأنوار : ج ٦٢ ص ٢
- (٢٩) تحف العقول : ص ٣٣٦



٣٠ (لقمان: ١٧)

٣١ (الشورى: ٤٣)

٣٢ (آل عمران: ١٨٦)

٣٣ (بحار الأنوار: ج ٦٢ ص ٦)

٣٤ (النحل: ٩٧)

٣٥ (معجزة السماء: ص ١٣٩)

٣٦ (بحار الأنوار: ج ٦٢ ص ٩٧)

٣٧ (مستدرک سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي: ١٠ / ٣٩٠)

٣٨ (ميزان الحكمة: ج ١ ص ٤٩٦)

٣٩ (غرر الحكم: ص ٢٥٦)

٤٠ (غرر الحكم: ص ٢٣٩)

٤١ (كلمة الامام الجواد عليه السلام: ص ١٧٥)

٤٢ (تداولية خطاب التعايش السلمي في نهج البلاغة: ص ١-٥)

٤٣ (البقرة: ٢٠٨)

٤٤ (المنهج القرآني والتعايش السلمي في المجتمع الإنساني: ص ٣١)

٤٥ (علم النفس الاجتماعي: ص ٥٠-٥٢)

٤٦ (الحجرات: ١٣)



المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

* الإمام محمد الجواد عليه السلام معجزة
السماء في الأرض، د. محمد حسين
الصغير، مؤسسة البلاغ للطباعة
والنشر والتوزيع، بيروت لبنان،
ط ١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

* احياء علم الدين، الغزالي، دار
الفكر، بيروت، لبنان.

* الاتجاهات التعصبيه، معتز سيد عبد الله، عالم المعرفة، ١٣٧، ١٩٨٩م.

* بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر
المجلسي، بيروت، لبنان ج ٦٢، ٦٨،
ط ٣، ١٩٨٣.

* تداولية خطاب التعايش السلمي
في نهج البلاغة، صادق علي خليل،
جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات،
رسالة ماجستير غير منشورة،
(٢٠١٧).

* تحف العقول عن آل الرسول،
الشيخ البحراني، تقديم وتعليق
الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة
الأعلمي للطبوعات، بيروت،
لبنان ٧، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
* علم النفس الاجتماعي، آمال محمد
يعقوب، بيت الحكمة، جامعة
بغداد (١٩٨٩).

* عيون اخبار الرضا عليه السلام، محمد بن
علي بن بابويه الصدوق، تصحيح

وتعليق الشيخ حسين الأعلمي،
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،
بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤.

* غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس
من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب عليه السلام، القاضي ناصح الدين
أبي الفتح عبد الواحد بن محمد
التميمي الأمدي، المؤسسة الفكرية
للمطبوعات، بيروت، لبنان،
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

* کلمۃ الإمام محمد الجواد (علیہ السلام)،
السید حسن الشیرازی، مطبوعات
الإمام الشیرازی.

* لسان العرب، محمد بن مكرم
ابن منظور الأنصاري الافريقي
(ت ٧١١هـ) الناشر: أدب الحوزة،
١٤٠٥هـ.

* مستدرك سفينة البحار، الشيخ
علي النمازي الشاهرودي، تحقيق
وتصحيح الشيخ حسين بن علي
النمازي.

* المنهج القرآني والتعايش السلمي
في المجتمع الإنساني، د. وجدان
فريق عناد، مجلة الملوية للدراسات
الآثارية والتاريخية، مجلد ٤، ع ٨،
السنة الرابعة، حزيران ٢٠١٧م.
* ميزان الحكمة، محمد الريشهري (ت
١٤٤٣هـ) تحقيق ونشر دار الحديث،
ط ١، قم المقدسة، ١٤١٦هـ.

استراتيجيات التخاطب في كلام الامام محمد الجواد عليه السلام قراءة في ضوء نظرية الفعل التواصل لهابرماس.

أ.د. كريمة نوماس محمد المدني
جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الانسانية

المقدمة

تمثل خطابات الأئمة المعصومين عليه السلام تناسقاً كلامياً فاعلاً في تحقيق المقاصد المختلفة الدينية والثقافية والاجتماعية والسياسية عبر آليات خطابية ومؤثرات فاعلة ومحفزات نصية تؤثر أقصى التأثير في المتلقي، وهذا ظاهر سعة في مساحة خطاباتهم وتعدد مقاصدهم وتنوع دلالتها ومقاصدها الإيحائية والمباشرة، ومن هذه الخطابات، تم اختيار باقة منتخبة من اقوال الامام محمد الجواد عليه السلام يظهر منها جلياً الدور الفاعل والمؤثر في تحقيق مقاصد وتفسير مواقف ابن السلالة الطاهرة المطهرة عليه وعليهم الصلاة والسلام.

اما الية البحث فسيكون من مقدمة ومدخل يحتوي على ثلاثة محاور، المحور الأول سيتم فيه بيان مفهوم مصطلح الاستراتيجية التوجيهية في خطاب الإمام عليه السلام وفي المحور الثاني بين مفهوم العقلانية التواصلية لهابرماس وعلاقة الترابط بينها بين استراتيجيات التخاطب، وفي المبحث الأول ستم دراسة الاستراتيجية التوجيهية اما في المبحث الثاني يسلط الضوء على الاستراتيجية الأفعائية وفي المبحث الثالث سأهتم بدراسة الاستراتيجية التضامنية، ثم ذكر أهم النتائج التي توصل اليها البحث.

المدخل : الخطاب والتواصل

يعد مصطلح الاستراتيجية والخطاب من المصطلحات المتعددة المفاهيم والتي تنقلت بين حقول معرفية متعددة، لما لها من أهمية معرفية وقيمة أدبية ولسانية تحدد كثير من المفاهيم الأخرى المرتبطة بها، وقد أرتبط مصطلح الاستراتيجية بالطرق والاليات المستعملة في الخطط العسكرية والسياسية^١، ثم انتقل الى حقول أدبية واجتماعية نفسية، اما مصطلح الخطاب فترتبط دلالاته قديماً بمفهوم الحوار والحديث، وقد وردت اللفظة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾، فتنبئ الآية المباركة على أهمية الحوار والمخاطبة بين الرسل وأقوامهم الذين بعثوا إليهم، أما في المعاجم اللغوية العربية فقد احتلت لفظة الخطاب أهمية كبيرة عبر التعريفات التي دارت عليها فهي تعني: المخاطبة والحوار ومراجعة الكلام، وكذلك أشار بعض اللغويين وأصحاب المعاجم انها تعني توجيه الكلام نحو الغير للأفهام، وفصل الخطاب يعني الحكم بالبيّنة^٢.

وقد دخل مصطلح الخطاب في الحقول النقدية وهو يحمل دلالة التحرك بالأفكار وتبادلها عبر الجدل والقعل والنظام وقد ورد في نظرية الفعل التواصل عند هابرماس المبني على التواصل العقلاني اللغوي الاجتماعي المدعم بالحجج والأدلة اليقينية، وله دلالات وجذور في اللسانيات والحقول اللغوية وعلم النفس والفلسفة حتى أصبح مصطلحاً معروفاً ومشاعاً لدى جميع المختصين في الدراسات اللسانية والنقدية الادبية^٣.

رؤية حول فلسفة الفعل التواصلي

يُعدُّ مفهوم التواصل من المفاهيم اللسانية التداولية المركزية في الحياة الاجتماعية؛ بمقتضى ما يجترحه هذا المفهوم من إبلاغ نفعي وتشكيل جمالي ضمن آليات معرفية، بين أنواع الخطاب، كما انه يمثل مجالاً للتفاعل الخطابي الفكري بين الباحث والمتلقي من خلال التنوع السياقات الدينية والاجتماعية والسياسية والتربوية والثقافية فيه، ومن هنا عُرِفَ التواصل بأنه: (العملية التي يتفاعل فيها المراسلون والمستقبلون للرسائل في سياقات إجتماعية معينة)٤.

ومن المعلوم ان اللغة لها وظيفة اجتماعية قائمة على التواصل بين أفراد المجتمع، حيث تختلف دلالاتها باختلاف الغايات والمقاصد والسياقات المتنوعة، وقد أشار علماء اللغة والنقاد القدماء الى مكونات العملية التواصلية، واهتم علماء الاجتماع بالفعل التواصلي، وأكدوا على أهميته في دراسة الخطاب ومعرفة أصناف المتكلمين، وكذلك اشار النفسانيون الى مركزية الفعل التواصلي وركزوا على الجوانب الشعورية والحسية والانفعالية. وقد اشتهر بهذه الرؤية الكاتب يورغن هابرماس (في كتابه) نظرية الفعل التواصلي، وغايته من هذه النظرية هو الانتقال بالعقلانية من كونها ممارسة الذات الى ممارسة المجتمع، اي انتقالها من عقلانية الفرد الى عقلانية المجتمع، إذ تتجلى في كافة ممارسات الحياة اليومية.٥

ولا يخفى ان هذه الرؤية تؤكد على دور اللغة في قيامها بدور المنظم المركزي القانوني في العملية التواصلية، ولذا يخضع الفعل التواصلي بين المرسل والمتلقي الى عملية اسئلة واستفهام وتلقي الخبر والتأني في فهم الاشكالات وطريقة حلها كما ان الفعل التواصلي هو مبدأ اتفاق بين الناس من أجل تحقيق متطلباتهم وحقوقهم الحياتية بشكل عقلاني منظم.

وتجدر الإشارة ان الفعل التواصلي لا يقف عند حدود التبادل المعرفي في سياقاته الاجتماعية المختلفة، وانما يقوم بعملية التأويل وتختلف درجات التأويل باختلاف القارئین والمسؤولين والمتلقين على مختلف مستوياتهم الثقافية.^٦

وينبغي ان يكون الفعل التواصلي حاملاً لقضايا إنسانية فيها قيم اخلاقية واجتماعية ودينية؛ لان العلاقات الانسانية في اي مجتمع هي علاقات تتصف بالصدق وحياناً بالتمثيل والخداع ولهذا اقترح هابرماس نظرية سمّاها اخلاق المحادثة ((وهي فلسفة تعتقد بأن الفعل التواصلي ينبغي ان يخضع لمعيار الأخلاق الذي يتفق عليه افراد المجتمع))^٧

ويبدو ان الطرح الجديد في فكر هابرماس في الفعل التواصلي وقد أعتمد على قاعدتين اساسيتين في المحادثة هما قاعدة حرف (u) وهي التي تسمى بالقاعدة الكونية؛ لأجل خلق لغة تواصل شمولية، والقاعدة الثانية هي قاعدة (D) الديمقراطية، ومفهومها انها قاعدة تؤكد على ان افراد المجتمع شركاء متقفون على لغة تواصلية، وتؤكد على كلية وشمولية اللغة وديمقراطيتها، وتشاور الناطقين بها، وقد طور هابرماس المفاهيم الأساسية لنظريته مثل، الاجماع، الاتفاق، التفاهم، الفعل التواصلي، النسق المجتمعي، العالم المعيش.^٨

ومن هنا يخضع الفعل التواصلي بين المرسل والمتلقي الى عملية استفهام وتوقف وتأي في تلقي الخبر؛ لان الكلام يكون مبنياً على الإخبار او الإبهام او الإغراء- وبالتالي كان من اللازم تحليل الخطاب التواصلي، وإخضاعه لميزان العقل.

كما ان هابرماس اعتبر الفعل التواصلي انه اتفاق بين الناس من أجل تحقيق متطلباتهم الحياتية بشكل عقلائي منظم تربط بينهم علاقات اجتماعية

حيث تغدو لغة التواصل (عاملاً من عوامل الاندماج الاجتماعي حيث اللغة تصبح وسيلة تركيبية لربط العلاقات القانونية والإدارية بين مكونات المجتمع، أي أن اللغة تقوم بدور الموحد بين أفراد المجتمع بطريقتين: الأولى تزامنية بأفعال تواصلية تميز الترابطات الاجتماعية، وأخرى تعاقبية من خلال أفعال تواصلية أيضاً تتم بها العلاقات الثقافية، وهذا يؤكد العلاقة الجدلية بين اللغة والعقل التي يؤكد لها برماس)^{١٢}.
وتتمثل وظائف الفعل التواصل في ما يأتي:

الوظيفة النفعية.

الوظيفة التنظيمية.

الوظيفة التمثيلية.

الوظيفة التفاعلية.

الوظيفة الشخصية.

وهذا الفعل التواصل يحتاج إلى استراتيجيات تخاطبية، أهمها الاستراتيجيات التوجيهية والتخاطبية والأفناعية.



المحور الأول: الاستراتيجية التوجيهية

وتُعرف بأنها ((الاستراتيجية التي يرغب المرسل بها بتقديم توجيهات ونصائح وأوامر ونواهي يُفترض أنها لصالح المخاطب أو المرسل إليه)).^{١٣} وتجدر الإشارة إلى أن القيم التوجيهية بكل مسوغاتها لا تُعد أفعالاً لغوية فحسب، وإنما تعد من الوظائف التي تُعنى بالعلاقات الشخصية بحسب تصنيف هاليداي، إذ يعد اللغة تعبير عن سلوك المرسل وتأثيره في توجيهات المرسل إليه وسلوكه.

وقد صنف باخ الأفعال التوجيهية ضمن الأصناف الأربعة التي حددها للأفعال الكلامية وهي الأفعال التقريرية أو الوصفية والتوجيهية والالتزامية، وأفعال التعبير عن المشاعر وتشمل الأفعال التوجيهية عند باخ الأصناف الآتية.^{١٤}

الطلبات: وتأتي على شكل سؤال أو تضرع أو توسل أو مناشدة أو الحاح أو دعوة أو طلب أو حث أو استدعاء أو ابتهاج أو حجاج.

الأسئلة: وتأتي في الأمور السؤال، الاستعلام، الاستجواب التشكك. المتطلبات: وتمثل العرض، التكليف، الأمر، الطلب، الارشاد، المنع، التعليم، الغرض.

التحريمات: وتمثل (المنع، الحظر، التحريم، التقييد). أفعال النصح: وتأتي على أشكال منها (الحث، النصح، التحذير، الاقتراح، الإنذار، التوصيات).

ومثلت الاستراتيجية التوجيهية حضوراً مكثفاً في خطب الامام محمد الجواد ويعتبر الفعل الإنجازي - التوجيهي من خلال نتيجته إلزاماً للمرسل إليه؛ لأنه خاضع لسلطة المرسل؛ لان الأفعال التوجيهية قائمة على علاقات سلطوية بين المرسل والمرسل إليه وفي هذه الحالة هي

مؤشر لنجاح هذه الأفعال، وتتمثل هذه الاستراتيجية في ايضاح الفرق بين المرسل والمرسل اليه بممارسة السلطة الدينية والتشريعية في خطابه، وتفاوت هذه العلاقة من التباين الشديد حتى التقارب الملموس وتشكل عاملا من عوامل نجاح الاستراتيجية التوجيهية .

ومن امثلة ذلك ما ورد في مخاطبات الامام محمد الجواد عليه السلام في كتابه الى عبد الرحمن بن ابي نجران في التحذير من عبادة الألفاظ والأسماء دون المسمى :
(عن عبد الرحمن بن ابي نجران : قال كتبت الى ابي جعفر عليه السلام : جعلني الله فداك نعبد الرحمن الرحيم الواحد الأحد الصمد . قال : فقال ان من عبد الاسم دون مسمى بالأسماء، اشرك وكفر وجحد ولم يعبد شيئا، بل أعبد الله الواحد الأحد الصمد، المسمى بهذه الأسماء دون الأسماء، ان الأسماء صفات وصف بها نفسه)^{١٥}.

ومما يتضح من مقتضى الخطاب عند الامام الجواد عليه السلام الرؤية البينية لبناء الفرد انطلاقا لبناء المجتمع من خلال بيان كيفية التعامل مع أمور عبادية تستلزم على الفرد المسلم ان يتبعها والتي تعد استراتيجية توجيهية غاياتها المقصدية التأكيد والحث على العبادة اليقينية لله الواحد الاحد وحفاظاً على الرسالة السماوية، وتمثلت تلك الاستراتيجية بقوله عليه السلام : ان من عبد الاسم دون مُسمًى بالأسماء، اشرك وكفر وجحد، بل اعبد الله الواحد الاحد .

ومن امثلة ذلك أيضا في باب الاستراتيجية التوجيهية، كتابه عليه السلام الى علي بن مهزيار في البراءة من القائلين بالتجسم :

(عن محمد بن الحسن الصفار، عن العباس بن معروف، عن علي بن : مهزيار، قال كتبت الى ابي جعفر محمد بن علي بن موسى الرضا عليه السلام : جعلت فداك اصلي خلف من يقول بالجسم ومن يقول بقول يونس بن عبد الرحمن ؟ فكتب محمد الجواد عليه السلام :

لا تصلوا خلفهم، ولا تعطوهم من الزكاة، وابروا منهم، برئ الله منهم)^{١٦}.



ان طبيعة الاستراتيجيات التوجيهية تبتني على حقائق ومنطلقات من الواقع، وفي نص الرواية عن الامام الجواد عليه السلام نجد أنه قد امتزجت الضلالات ببعض الحقائق في عقول تلك الفئة الضالة ومن تلك الأمور، الاعتقاد بالجسم والصورة، وقد سُئل الامام عليه السلام عن مسألة الصلاة خلف من يعتقد أو يقول بذلك، فجاء جوابه عليه السلام قاطعاً بالجزم بأنه لا يحق لأي مسلم يؤمن بالله ورسوله ﷺ، ان يصلي خلف تلك الفئة الضالة ولا يحق له إعطاء الزكاة لهم ويجب البراءة منهم . وتوجيهاته الاستراتيجية المهمة الفاعلة جاءت لتنقذ المجتمع الإسلامي من اعتقادات خطيرة صارت تستشري في جسد الأمة آنذاك وهو القول بالجسم والصورة، فكانت المسألة الحجاجية واضحة لدى الامام عليه السلام بالجواب القاطع بالمنع، وهي من ضمن عناصر التوجيه الحجاجي لتأسيس أسس قويمه تهدف الى بناء مجتمع إسلامي ونواته الحقيقية.

ومن مخاطباته عليه السلام كتابه الى ابي طالب القمي :

محمد بن مسعود، قال : حدثني حمدان بن احمد النهدي، قال : حدثنا أبو طالب القمي _ يعني عبدالله بن الصلت، قال كتبت الى ابي جعفر بن الرضا عليه السلام، فأذن لي ان ارثي أبا الحسن عليه السلام، اعني إياه، قال : وكتبت الي : اندبني واندب ابي(١٧)

ومن ذلك أيضا ورد في بيان معجزاته وكراماته في كتابه الى جماعة : يروى احمد بن علي بن كلثوم السرخسي : قال رأيت رجلا من اصحابنا يعرف بأبن زينة فسألني عن احكم بن بشار المروزي، وسألني عن قصته وعن الأثر الذي في حلقه، وقد كنت رأيت في بعض حلقه شبه الخيط كأنه اثر الذبح، قال كنا سبعة نفر في حجرة واحدة ببغداد في زمان ابي جعفر الثاني، فغاب عنا احكم من عند العصر ولم يرجع في تلك الليلة، فلما كان جوف الليل جائنا توقيع من ابي جعفر عليه السلام :

ان صاحبكم الخراساني مذبوح مطروح في لبد في مزبلة كذا وكذا،
فاذهبوا فداووه بكذا وكذا، فذهبنا فوجدناه مذبوحا مطروحا كما قال،
فحملناه وداويناه بما امر به فبرء من ذلك .^{١٨}

من عدل الله تعالى أن جعل السنن الإلهية التي تحكم حركة المجتمع
بالإثابة والعقاب، ومن لطف الله سبحانه أن سنَّ قوانين وشرائع للبشر كي
يسيروا عليها ويلتزموا بها لأجل عمارة الأرض وتنشئة الحياة الإسلامية
تنشئة سوية تقود الإنسان نحو تكامله ليستحق بعدها المقامة في نعيم دار
الخلود، ولكن لا تخلو الأرض من المنافقين والكفار والمشركين، وقد انعم
الله تعالى علينا بفضل وجود نبيه المصطفى وعترته الطاهرة المكّلة لمسيرته
السماوية، فكان الامام الجواد عليه السلام هو وليّ الامر الذي وجه المسلمين لكل
صواب وعمل زاكي يرضي الله ورسوله، وقد وظّف الامام عليه السلام تلك
الأسس والتعاليم الإلهية التوجيهية لحفظ المجتمع في ابسط أمور الحياة
واعقدها، ولعل هذه الحادثة التي يرويها لنا احكم بن بشار المروزي،
تبين العناية الإلهية التي خص الله سبحانه اهل بيته بها وبكرامات ومنزلة
سامقة تكشف عن أنهم في أعلى المراتب عند الله تعالى .



محمد بن الحسن بن احمد بن الوليد، عن محمد بن الحسن الصفار،
عن العباس بن معروف، عن علي بن مهزيار، قال كتبت الى ابي جعفر
محمد بن علي بن موسى الرضا عليه السلام : جعلت فداك أصلي خلف من يقول
بالجسم ومن يقول بقول يونس بن عبد الرحمن ؟ فكتب عليه السلام :

لا تصلوا خلفهم، ولا تعطوهم من الزكاة، وابدؤوا منهم، برئ الله منهم .
في النص المتقدم حجة قوية تحدث بها الامام الجواد عليه السلام ، اذ جعلها
مدخلا لكل الحجج التي تُطْرَقُ مِنْ قِبَلِ الآخرين حول هذا الموضوع
ليكون قانونا تضامنيا والجميع عليه تطبيقه والالتزام به وان كان السائل
يمثل طرفا واحدا، لكنه يمثل الفئة المسلمة عموما، ولذلك جاء جواب
الامام عليه السلام بلغة الجمع (لا تصلوا خلفهم، ولا تعطوهم الجزية، وابدؤوا
منهم)، اذ أحدثت هذه العبارات التخاطبية عقلا جمعيًا تضامنيا ضد هذه
الظاهرة . وهذه الرؤية ترفع الالتباس لمثل هكذا موضوعات، ضمن مبدأ
التعاون التضامني الذي أشار اليه الامام عليه السلام بكلامه في صيغة الجمع .
ولعل أطول نص ورد عند الامام الجواد عليه السلام في كتابه في (الوصية
والنص على ابي الحسن الثالث):

الحسين بن محمد، عن الخيرانى، عن أبيه انه قال : كان يلزم باب
ابي جعفر عليه السلام للخدمة التي كان وكل بها، وكان احمد بن محمد بن عيس
يجيء في السحر في كل ليلة، ليعرف خبر علة ابي جعفر عليه السلام ، وكان
الرسول الذي يختلف بين ابي جعفر وبين ابي اذا قام احمد وخلا به ابي،
فخرجت ذات ليلة وقام احمد عن المجلس وخلا ابي بالرسول، واستدار
احمد فوقف حيث يسمع الكلام، فقال الرسول لأبي : ان مولاك يقرأ
عليك السلام ويقول لك : اني ماض والأمر صائر الى ابني علي، وله
عليكم بعدي ما كان عليكم بعد ابي .

فلما مضى أبو جعفر عليه السلام ذكر أبي انه لم يخرج من منزله حتى قطع على يديه نحو من اربعمائة انسان، واجتمع رؤساء العصابة عند محمد بن الفرج يتفاوضون هذا الامر، فكتب محمد بن الفرج الى أبي يعلمه باجتماعهم عنده وان لولا مخافة الشهرة لصار معهم اليه ويسأله ان يأتيه، فركب أبي وصار اليه، فوجد القوم مجتمعين عنده، فقالوا لأبي: ما تقول في هذا الامر؟

فقال أبي لمن عنده الرقاع: احضروا الرقاع، فأحضرها فقال لهم هذا ما امرت به.

فقال بعضهم: قد كنا نحب ان يكون معك في هذا الامر شاهد اخر؟ فقال لهم: قد اتاكم الله عز وجل به هذا أبو جعفر الاشعري يشهد لي بسماع هذه الرسالة وسأله ان يشهد بما عنده فأنكر احمد ان يكون سمع من هذا شيئا.

فدعاه أبي الى المباهلة: فقال لما حقق عليه قال: قد سمعت ذلك، وهذا مكرومة كنت احب ان تكون لرجل من العرب، لا لرجل من العجم، فلم يبرح القوم حتى قالوا بالحق جميعا. ٢٢

من الخطابات الحجاجية التي أجاب عليها الامام الجواد عليه السلام، والتي مثلت خطابا موجها الى عامة الجمهور من المتلقين، الذي بين فيه الامام عليه السلام ضرورة اقناعهم عبر تضامنهم الجمعي بترسيخ القيم الإسلامية التي تفضل بها علينا الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله واهل بيته الكرام عليه السلام، فجاء الحجاج المبني على الحقائق والسنن الإلهية التي عرضها الامام عليه السلام والتي أراد بها اقناع المقابل (الجمهور الخاص) فئة المواليين لأهل بيت النبوة، فالقصد التواصل يتحقق بتعرف المخاطب على القصد الاخباري. ٢٣

المحور الثالث: الاستراتيجية الإقناعية

هي إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمرسل إليه، وهذه الاستراتيجية يُقصد من خلالها إقناع المرسل إليه بمختلف الوسائل بوجهة موقفه أو رجاحة فكرة، أو أفضلية خطابه بحسب السياق وموضوع الحوار الدائر بين المرسل والمرسل إليه، وكذلك بحسب طبيعة العلاقة الرابطة بينهما، ومسوغات الاستراتيجية الحجاجية كثيرة منها:^{٢٤}

- * قوة تأثيرها في المرسل إليه.

- * طلب المرسل إليه لها في بعض السياقات.

- * الرغبة في تحصيل الإقناع بما عند المرسل عن أفكار

ومن أبرز الامثلة التي وردَ فيها الحجاج واضحاً في كتابه عليه السلام الى إبراهيم بن شيبه في صلاة الجماعة :

عن احمد بن محمد بن ابي نصر، عن إبراهيم بن شيبه : قال : كتبت الى ابي جعفر عليه السلام اسأله عن الصلاة خلف من يتولى امير المؤمنين عليه السلام وهو يرى المسح على الخفين او خلف من يحرم المسح وهو مسح ؟

فكتب : ان جامعك واياهم موضع فلم تجد بدا من الصلاة، فأذن لنفسك وأقم، فان سبقك الى القراءة فسبح .^{٢٥}

ومن امثلة ذلك أيضا كتابه عليه السلام الى علي بن مهزيار في إتمام الصلاة في الحرمين، عن علي بن مهزيار : قال كتبت الى ابي جعفر الثاني عليه السلام الرواية قد اختلفت عن آبائك عليهم السلام في الاتمام والتقصير للصلاة في الحرمين، فمنها ان يأمر بتميم الصلاة ولو صلاة واحدة، ومنها ان يأمر بتقصير الصلاة ما لم ينو مقام عشرة أيام، ولم ازل على الاتمام فيهما الى ان صدرنا من حجتنا في عامنا هذا، فان فقهاء اصحابنا أشاورا علي بالتقصير اذا كنت لا تنوي مقام عشرة، وقد ضقت بذلك حتى اعرف رأيك ؟

فكتب بخطه عليه السلام: قد علمت يرحمك الله فضل الصلاة في الحرمين على غيرهما، فأنا أحب لك إذا دخلتهما ان لا تقصر وتكثر فيهما من الصلاة فقلت له بعد ذلك بستتين مشافهة: اني كتبت اليك بكذا فأجبت بكذا، فقال نعم، فقلت: أي شيء تعني بالحرمين؟ فقال: مكة والمدينة، ومتى إذا توجهت من منى فقصر الصلاة، فإذا انصرفت من عرفات إلى منى وزرت البيت ورجعت من منى، فأتم الصلاة تلك الثلاثة الأيام، وقال بأصبعه ثلاثاً. ٢٦

ان تأثير القول الحجاجي غالباً ما يؤدي الى حصول الاقتناع، لكن حصول الاقتناع لدى المتلقي لا يكون الا بعد مطابقة القول الحجاجي لصاحبه، ومبدأ الانتهاض الى العمل المحوري في كل الجوانب التواصلية والخطابية والتعاملية. ٢٧

فان خصائص الخطاب الحجاجي _ الاقتناعي لدى الامام الجواد عليه السلام كانت واضحة في النص المتقدم حول موضوعة إتمام الصلاة او تقصيرها عند السفر واجاباته الاقتناعية لدى السائل، فالحجج الموجهة التي وظفها الامام عليه السلام مثلت فعلاً استدلالياً وفعلاً تقويمياً بالوقت نفسه لإقناع المتلقي، وهذا يتبع اليات الحوار الحجاجي التي اتبعها الامام عليه السلام تأسيساً لجدلية واقع يجب على الفرد المسلم اتباعها وهو الإقرار بضرورة التقصير للصلاة اثناء السفر للأماكن البعيدة

الختامة

يمثل الفعل التواصلي قيمة اجتماعية عليا ومحور أساس لكل انواع التواصل بين افراد المجتمع على اختلاف مستوياتهم الثقافية، فهو يتبلور ويتطور في إطار اجتماعي توافقي تداولي يمثل لديهم قانوناً تواصلياً.

تعد لغة التواصل عاملاً من عوامل الاندماج الاجتماعي حيث تصبح اللغة وسيلة تركيية لربط العلاقات الاجتماعية والإدارية بين مكونات المجتمع، وقيمة هذه اللغة التواصلية تكمن في مفهوم ما يسمى بالتخلق او اخلاق المحادثة) وهي فلسفة تعتقد ان الفعل التواصلي ينبغي ان يخضع لمعيار الاخلاق الذي يكون مبدأ اتفاق بين افراد المجتمع.

تمثل مخاطبات الامام الجواد عليه السلام مصدراً تأسيسياً بكل حيثياته الدينية والثقافية والاجتماعية والسياسة والاقتصادية والتربوية ومنهلاً عذباً لزرع القيم الخلقية والمبادئ العليا لتصحيح المسار الديني ووصولاً الى تحقيق وبناء مجتمع سليم، اذ استطاعت ان تؤثر في المتلقي لاعتماده استراتيجيات تواجه روح وعقل المخاطب.

وقد ظهرت استراتيجيات عديدة لهذه الخطب الدينية الوعظية ومن أهمها الاستراتيجية التوجيهية فهي تمثل القيم التوجيهية بكل مسوغاتها في الحفاظ على التعاليم السماوية العليا ورسالة الوحي الالهي.

ومثلت الاستراتيجية التضامنية من أهم الاستراتيجيات الموظفة في مخاطباته عليه السلام لتفعيل التضامن في علاقات المجتمع وتحسين صورة الدين والتسامح مع افراد المجتمع الإسلامي.

تمثل الاستراتيجيات الحجاجية- الاقناعية ذاتاً فاعلة اجتماعية لإنتاج المعطيات الايجابية- الاقناعية لتحقيق نجاعة الغايات المتبغى تحقيقها وصولاً الى الاهداف الفكرية والدينية والسياسية التي تمثلت بكل وضوح في مخاطبات الامام الجواد عليه السلام.



الهوامش:

- ١ _ تحليل الخطاب واشكالية نقل المفاهيم : محمد الصفار، دار النهضة، مج ٦، ١١٤، ٤
- ٢ _ كشف اصطلاحات الفنون والعلوم : محمد علي التهانوي، تح رفيق العجم وعلي دحروج، بيروت، ١٩٩٦، ٤٥
- ٣ _ مصطلح الخطاب وتحليلاته في الدراسات الحديثة : د. زياد الزعبي، جامعة اليرموك، ٢٠١٣
- ٤ _ نظرية الفعل التواصلي ليورغن هابرماس : الناشر مجموعة باحثين، بيروت، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، ٢٠٠٥، ٥٤.
- ٥ _ هابرماس ودراسة فرانكفورت النظرية النقدية التواصلية، تقديم برهان غليون، الطبعة الأولى ن المركز الثقافي العربي، بيروت _ لبنان، ٢٠٠٥، ١٢٧
- ٦ _ الفعل التواصلي عند هابرماس النظرية والتطبيق، أ جلول مقورة، جامعو مسيلة، ٥٤
- ٧ _ المصدر نفسه
- ٨ _ ينظر يورغن هابرماس (المعرفة والمصلحة)، ترجمة حسن صقر، الطبعة الأولى، منشورات الجمل، المانيا، ٢٠٠٧، ١٦٩
- ٩ _ هابرماس ومدرسة فرانكفورت النظرية النقدية التواصلية، تقديم برهان غليون، الطبعة الأولى ن المركز الثقافي العربي _ بيروت / لبنان /، ٢٠٠٥، ١٢٧
- ١٠ _ المصدر نفسه
- ١١ _ نظرية هابرماس النقدية، علاء طاهر، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الانماء القومي، العدد ٤١، بيروت، لبنان، ٥٨
- ١٢ _ الفعل التواصلي عند هابرماس : نظرية وتطبيق، جلول مقورة،
- ١٣ _ استراتيجيات الخطاب _ مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤، ٦٥
- ١٤ _ استراتيجيات الخطاب عند ابن المقفع في كتاب كليله ودمنة، عبد الله الحسني، مجلة اداب اللغة العربية،
- ١٥ _ الكافي : ج / ٧٨ : ١
- ١٦ _ الأملّي للصدوق : ٣٥٢، بحار الانوار : ٣، ٢٩٢
- ١٧ - بحار الأنوار: ٢٦ / ٢٣٢، ب فضل إنشاد الشعر في مدحهم...، ح ٨.
- ١٨ _ مكاتيب الاثمة : ٥، ٣٢٦
- ١٩ _ الاستراتيجية التخاطبية في السنة النبوية : ادريس مقبول، مجلة كلية العلوم

الإسلامية، جامعة الموصل، العراق، المجلد الثامن، العدد ١٥ / ٢ / ٥٤٣، ٢٠١٤
٢٠ الادباء للراغب الاصفهاني، معمر بن الغويني، مجلة إشكالات في اللغة والادب،
المجلد التاسع، العدد الأول، لسنة ٢٠١٤: ٢٠ _ استراتيجيات الخطاب في محاضرات

٢١ _ ينظر الامالي للصدوق: ٣٥٢، مكاتيب الائمة / ٥: ٣١١

٢٢ _ ينظر الكافي: ١ / ٣٢٤، بحار الانوار: ٥ / ١١٩، مكاتيب الائمة: ٥ / ٣١٨

٢٣ _ التداولية اليوم علم جديد في التواصل: أنروبول _ جاك موشلار، ترجمة د، سيف
الدين دغفوس ود. محمد الشيباني، ط ١، المنظمة العربية للترجمة، نشر وتوزيع دار
الطلیعة، بيروت _ لبنان: ٢٠٠٣، ٣٥

٢٤ _ استراتيجيات الخطاب _ مقارنة لغوية تداولية، د. عبد الهادي ظافر الشهري،
دار الكتاب الجديد، ليبيا، ط ١، ٢٠٠٤، ٥٣

٢٥ _ ينظر مكاتيب الائمة: ٥ / ٣٥٣

٢٦ _ ينظر تهذيب الاحكام: ٥ / ٤٢٨، وسائل الشيعة، / ٨ / ٥٢٥

٢٧ _ عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج: د. عبد
السلام عشير، افريقيا الشرق، الدار البيضاء _ المغرب: ١٣٤، ٢٠٠٦



المنهج الفكري والسياسي عند الإمام الجواد عليه السلام وأثره في تربية المجتمع

الباحثة سندس سعدون مهدي علي الشمري

الملخص

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين
محمد وعلى آله الطاهرين.

ثار الجدل والنقاش حول شخصية الإمام الجواد عليه السلام وإمامته بسبب
صغر سنه، وكان عمره نحو (سبع سنوات) عندما استشهد والده الإمام
الرضا عليه السلام بتوهم عدم جواز أن يكون إمام الزمان صبيّاً فتنفّرق بعض أتباع
أهل البيت عليهم السلام عن الإمام وحلّت بالأمة الإسلامية الكثير من الانحرافات،
وقد تجرّؤا على العقائد الأساسية الحقّة التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا
ما دعانا لاختيار المحور الثاني: التربية الدينية (العقدية والفقهية) وصغنا
لهذا البحث عنوان (المنهج الفكري والسياسي عند الإمام الجواد عليه السلام وأثره
في تربية المجتمع).

انعقد هذا البحث ليرسم لنا صورة جلية للإسلام المحمّدي الأصيل،
وإبراز القضايا التي أولاها الإسلام الحنيف وأهمها الأصول العقدية
والفقهية. والأخذ من منبعها الأصيل، بالإضافة إلى قضية تربية المجتمع
الإسلامي روحياً وعقلياً؛ لاسيما الشريحة المتمثلة بالشباب، تأسيساً بشباب
الجواد عليه السلام والدعوى لتأهيلهم لنصرة الإمام الموعود صاحب الزمان عليه السلام.

وعليه جاءت خطّة البحث لترسم من مقدّمة وتمهيد ومبحثين، انعقد التمهيد لبيان المفاهيم اللغوية والاصطلاحية التي وردت في العنوان، أما المبحث الأوّل تناول (الوضع السياسي في عصر الإمام الجواد عليه السلام) ضمن ثلاث مطالب جاء في الأوّل (الإمامة المبكرة) والثاني (أبرز الثورات التي حدثت في عهد الإمام الجواد عليه السلام)، بينما تحدّث الثالث عن موقفه عليه السلام من الحركات السياسية والدينية في عصر حكام بني العباس، وانبرى المبحث الثاني لبيان (مكانة الإمام في المجتمع) هو الآخر احتوى على ثلاث مطالب (الأوّل المكانة العلمية للإمام عليه السلام)، واشتمل المطلب الثاني على بيان (أثر التربية الأسرية في بناء المجتمع) واختتم الثالث بالتمهيد للظهور، ثمّ الخاتمة مع مجموعة من النتائج والتوصيات.

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على محمّد وآله الطاهرين



Abstract

In the name of god, the most gracious, the most merciful

Praise be to god, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the Master of the Prophets and Messengers, Muhammad, and upon his pure family.

Controversy and discussion arose about the personality of Imam Al-Jawad (peace be upon him) and his imamate due to his young age. He was about (seven years old) when his father, Imam Al-Ridha (peace be upon him), was martyred due to their belief that it is not permissible for the Imam of the Age to be a boy, so some of the followers of Ahl al-Bayt (peace be upon them) separated from The Imam, and many deviations befell the Islamic nation, and they dared to adhere to the true basic beliefs brought by the Messenger of god (may god's prayers and peace be upon him and his family). This is what prompted us to choose the second axis: religious education (doctrinal and jurisprudential), and we formulated a title for this research (the intellectual and political approach according to Imam Al-Jawad - Peace be upon him - and his impact on the education of society)

This research was held to draw for us a clear picture of authentic Muhammadan Islam, and to highlight the issues given priority to by true Islam, the most important of which are the doctrinal and jurisprudential principles, and taking from their original source, in addition to the issue of educating the Islamic community spiritually and mentally. Especially the segment represented by the youth, following the youth of Al-Jawad (peace be upon him) and the call to qualify them to support the Promised Imam, the Master of the Age (may god hasten his honorable appearance). Accordingly, the research plan came to be drawn up from a preface, an introduction, and three sections.





The purpose of the preface is to explain the linguistic and terminological concepts that were mentioned in the title, either the first section. It included (the political situation in the era of Imam Al-Jawad (peace be upon him)) within three demands, the first of which came (the early imamate) and the second (the most prominent revolutions that occurred during the era of Imam Al-Jawad - peace be upon him -), while the third spoke about his position (peace be upon him) regarding political movements. And religion in the era of the Abbasid caliphs. The third topic set out to explain (the position of the Imam in society). It also contained three demands (the first was the scholarly status of the Imam - peace be upon him). The second topic included a statement (the impact of family interaction in building society) and the third concluded with a preface. To appear and then conclude with a set of results and recommendations.

Praise be to god, Lord of the Worlds, and may god's blessings be upon Muhammad and his pure family.

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي كشف لنا أستار النبوة والرسالة بمعجزات القرآن ولو كره المشركون، وأزاح عن آثار الإمامة والوصاية بينات الفرقان وإن أنف المنكرون، والصلاة والسلام على محمد سيد المرسلين وعلى أهل بيته الطاهرين.

لا ريب أن الإمامة الشرعية قد تجتمع مع السلطة التي تسمى بالحكومة أو الخلافة، وإلا ففي الأعم الأغلب تكون الحكومات غير الشرعية جائرة وغير عادلة وهمها التسلط والاضطهاد والقهر والغلبة، بل تقييد الإمام من ممارسة عمله بحرية. ثار الجدل والنقاش حول شخصية الإمام الجواد عليه السلام وإمامته بسبب صغر سنه، وكان عمره نحو (سبع سنوات) عندما استشهد والده الإمام الرضا عليه السلام بتوهم عدم جواز أن يكون إمام الزمان صبيًا، فتفرق بعض أتباع أهل البيت عليه السلام عن الإمام وحلت بالأمة الإسلامية الكثير من الانحرافات، وقد تجرؤا على العقائد الأساسية الحقّة التي جاء بها رسول الله ﷺ.

إنّ الفترة التي عاشها الإمام الجواد عليه السلام في مرحلة صراع وتوتر الأحداث في الخلافة العباسية مما سمح للإمام عليه السلام بالتحرك في صفوف الأمة والتصدي لشتى أنواع الانحراف، وهذا هو الهدف الأساسي لواجبات الإمام الهدايا والرشاد، مهما بلغ عمره فالسن لا يحدد بالنسبة للإمام الشرعي المنصب من قبل الله تعالى.

انعقد هذا البحث ليرسم لنا صورة جلية للإسلام المحمّدي الأصيل، وإبراز القضايا التي أولاها الإسلام الحنيف وأهمها الأصول العقديّة والفقهية، والأخذ من منبعها الأصيل، بالإضافة إلى قضية تربية المجتمع الإسلامي روحياً وعقلياً؛ لاسيما الشريحة المتمثلة بالشباب، تأسيساً بشباب الجواد عليه السلام والدعوى لتأهيلهم لنصرة الإمام الموعود صاحب الزمان عليه السلام.

وعليه وقع الاختيار على محور: التربية الدينية (العقدية والفقهية) وتناولنا المنهج الفكري والسياسي عند الإمام الجواد عليه السلام مع بيان الأثر المترتب عليه في تربية المجتمع فلذا جاء عنوان البحث (المنهج الفكري والسياسي عند الإمام الجواد عليه السلام وأثره في تربية المجتمع).

مشكلة البحث: من أهم الأمور التي واجهها البحث وهي الإمامة المبكرة. هل يمكن أن يكون الفتى صغير السن إماماً مفترض الطاعة؟ سوف أسعى للحصول على الإجابة من خلال الآيات القرآنية والأحاديث وتحليلها، لعلنا نتوصل للحقيقة.

هدف البحث: تنطلق أهمية البحث من أهمية الشخصية المبحوث فيها، وهو الإمام الجواد عليه السلام وإبراز دوره الفكري والسياسي والتصدي للقضايا المنحرفة، وربط الأمة الإسلامية بقضية الإمامة المبكرة، والتمهيد لظهور الإمام عليه السلام.

جاءت خطة البحث لترسم من مقدمة وتمهيد ومبحثين، انعقد التمهيد لبيان المفاهيم اللغوية والاصطلاحية التي وردت في العنوان، وتناول المبحث الأول (الوضع السياسي في عصر الإمام الجواد عليه السلام) ضمن ثلاث مطالب جاء في الأول ليتكلم عن (الإمامة المبكرة)، والثاني يتحدث عن (الإمامة والوضع السياسي في عصر الإمام الجواد عليه السلام) وأبرز الثورات التي حدثت في عهد الإمام الجواد عليه السلام، بينما تحدث الثالث عن موقفه عليه السلام من الحركات السياسية والدينية في عصر خلفاء بني العباس، وانبرى المبحث الثاني لبيان (مكانة الإمام في المجتمع) هو الآخر احتوى على ثلاث مطالب (الأول المكانة العلمية للإمام عليه السلام)، وانعقد المطلب الثاني على بيان (أثر التربية الأسرية في بناء المجتمع) واختتم الثالث بالتمهيد للظهور، ثم الخاتمة مع مجموعة من النتائج والتوصيات.

التمهيد

قبل الخوض بمطالب البحث يجدر بنا أن نتعرّف معنى الإمام وماذا تعني الإمامة، وكذلك بيان معنى العصمة لأنّها موضوع واحد لا ينفكّان، مع بيان مفردات الألفاظ الأخرى التي وردت في العنوان (السياسة، التربية).
أولاً: مفهوم السياسة في اللغة والاصطلاح

١ - «السياسة» في اللغة:

جاء في «المصباح المنير»: «سَاسَ زيد الأمر يسوسه: أي دبّره وقام بأمره»^١، وجاء في لسان العرب: «السَّوْسُ الرياسة»، قال: ساسوهم سَوْساً... وساس الأمر سياسة: قام به... ويقال: سُوِسَ فلان أمر بني فلان، أي كُلف سياستهم... والسياسة: القيام على الشيء بما يصلحه»^٢. وفي الصحاح سياسة: (س و س) - (ساس) الرعية يسوسها (سياسة) الكسر^٣.

٢ - تعريف السياسة اصطلاحاً:

السياسة الشرعية في اصطلاح العلماء منها:

١- ما يراه الإمام أو يصدره من الأحكام والمقررات، زجراً عن فساد واقع، أو وقاية من فساد مُتوقع، أو علاجاً لوضع خاص^٤.

٢- تدبير شؤون الدولة الإسلامية، التي لم يرد بحكمها نصّ صريح، أو التي من شأنها أن تتغير وتتبدّل بما فيه مصلحة الأمة، ويتّفق مع أحكام الشريعة وأصولها العامّة^٥.

وترى الباحثة إنّ السياسة الشرعية هي: تدبير شؤون الدولة القائمة على قواعد الشرع وأحكامه وتوجيهاته من خلال المعرفة الدقيقة بأحكام الشريعة مع مراعاة المصالح العامّة ودرء المفاصد والمخاطر عن أبناء الأمة.

ثانياً: مفهوم (الإمام) في اللغة والاصطلاح

١ - الإمام في اللغة: من أتم، وأم القوم أي تقدّمهم والأمام: من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم، أو كانوا ضالين فهي من الناحية



اللغوية تعم الهدى والضلال^٦، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ (الإسراء: ٧١).

الإمام الصقع من الأرض والطريق، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَإِمامٌ مُبِينٌ﴾ والإمام الذي يقتدى به وجمعه (أئمة)، وقوله تعالى ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ قال الحسن في كتاب مبين^٧. إن الإمامة مصدرها فعل (أم) إذ يقال: (أمهم وأم بهم تقدّمهم)، وأم القوم وأم بهم: تقدّمهم وهي الإمامة والإمام كلما اتّم به من رئيس أو غيره^٨.

٢- الإمام في الاصطلاح

١- رأي الشيعة: «إن الإمام يمتلك كلّ مناصب النبي ﷺ سوى النبوة والرسالة، وكما أنّ أحاديثه حجّة في بيان الحقائق والتشريعات والأحكام الإسلامية فكذلك تجب طاعته وأوامره وأحكامه في مختلف القضايا الحكومية»^٩.

٢- الإمام عند أهل السنة: الإمام هو القائد العام للمسلمين الذي يخلف النبي محمد ﷺ في كلّ أو بعض لم يمت له صلة^{١٠}. والإمام: (هو صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا)^{١١}.

الإمامة في مصطلح علم الكلام: «عبارة عن الرئاسة والقيادة العامّة الشاملة على الأمّة الإسلاميّة من كلّ الأبعاد والجوانب الدينيّة والدينيّة، وإنما ورد ذكر كلمة الدينيّة لأجل التأكيد على سعة ميدان الإمامة ومجالها وإلا فإن تدبير القضايا الدينيّة للأمّة الإسلامية وإدارتها جزء من الدين الإسلامي»^{١٢}.

الإمامة في الاصطلاح الشرعي: هي المنصب الإلهي الذي أولاه الله تعالى بمن اختاره قدوة للناس في أمور الدين والدنيا^{١٣}.

ثالثاً: تعريف (العصمة) في اللغة والاصطلاح

١- العصمة في اللغة: عصم: «العصمة في كلام العرب: المنع، وعصمة الله لعبده: أن يعصمه مما يوبقه. عصمه يعصمه عصماً: منعه ووقاه. وفي

التنزيل: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾، أي لا معصوم إلا المرحوم، وقال الزجاج في قوله تعالى: سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ أي: يَمْنَعُنِي مِنَ الْمَاءِ وَالْمَعْنَى: مَنْ تَغْرِيقِ الْمَاءِ»^{١٤}.

العصمة هي : لطف يفعله الله سبحانه بالملكف؛ بحيث يمتنع منه وقوع المعصية، وترك الطاعة، مع قدرته عليها^{١٥}.

ومن هنا يتضح أن المراد من العصمة، أتمها الأساس في الهداية، فكيف بشخص يدّعي الهداية وهو غير معصوم؟ وكيف له أن يهدي الناس وهو لا يعرف الهداية؟

ثالثاً: مفهوم (التربية) في اللغة والاصطلاح

٢ - التربية اصطلاحاً :

وتعرف التربية بأنها: عملية تشكيل لعقل الفرد وجسمه وخلق، أي

التنشئة الاجتماعية والفردية المتكاملة للفرد، ومنها العملية التي تتولى فيها مجموعة من الأفراد التوجيه المقصود لتطوير أفراد آخرين^{١٨}.

وعرفها عالم الاجتماع الفرنسي أميل دوركهايم بأنها التأثير الذي تمارسه الأجيال الأكبر سناً على تلك الأجيال التي لم تؤهل بعد للحياة الاجتماعية، وإنها تستهدف إيقاظ القدرات الفيزيكية والعقلية والأخلاقية في الطفل وتنميتها في ضوء متطلبات المجتمع والبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها.

وعرفها جان جاك روسو: بأنها تهيئة الفرص لتنمية الطفل حسب طبيعته وانطلاقاً من ميوله. وعرفها جون ديوي: بأنها الحياة، وهي عملية تكيف بين الفرد وبيئته.

وعرفها الغزالي: بأنها صناعة وهي أشرف الصناعات، بهدف غرس الفضيلة والتقرب إلى الله تعالى.

نلاحظ من خلال التعريفات السابقة التي أوردناها أنها شملت تعريفات العلماء في العصور السابقة للتاريخ المعاصر، فمنهم من يرى بأنها تهيئة الفرد للتكيف مع مجتمعة ومستقبله، ومنهم من يرى بأن التربية تهذيب للأخلاق الحميدة، ومنهم من يرى بأنها عملية روحية هدفها تعميق صلة الإنسان بربه^{١٩}.

فقد تعددت تعريفات التربية تبعاً لتغير الأزمنة وتطور المفاهيم، وظهرت الفلسفات والنظريات المختلفة على مرّ العصور والثقافات، واختلاف الأشخاص القائمين على التعريف وفقاً لفلسفتهم.

وترى الباحثة أن التربية: هي المبادئ والأسس التي تشمل جميع المفاهيم الأخلاقية في تعامل الإنسان وتصرفاته بينه وبين الآخرين من خلال النظم التي وضعها الشارع المقدس مما يؤدي إلى التقرب من الله تعالى ونيل رضاه.

المبحث الأول

الإمامة والوضع السياسي في عصر الإمام الجواد عليه السلام

ثار الجدل والاضطراب حول إمامة الجواد عليه السلام المكنى بـ(أبي جعفر الثاني) غير المعهودة من قبل بسبب صغر سنه، والاختلاف الذي حصل في صفوف الأمة الإسلامية، والصراع الذي حصل بين صفوف مراكز القوى ومحاور السلطة العباسية وعلاقة الإمام عليه السلام بالأوضاع السياسية التي عاشها في تلك الفترة وهي فترة حياة المأمون والمعتصم.

المطلب الأول: (الإمامة المبكرة)

لعله يتبادر لدينا سؤال: هل يمكن أن يكون الطفل الصغير إماماً؟
يمكن الاستدلال على ذلك من خلال الأدلة النقلية والعقلية:
أما عقلاً: فلا دليل على استحالة ذلك؛ فيكون من الممكنات.
الدليل النقلية:

لقد بينّا آنفاً من خلال التعاريف أنّ منصب الإمامة منصب إلهي، وأنّ الله تعالى يختار ويعيّن الأئمة كما الأنبياء، ولذلك لا يبقى للسن والعمر دخلاً في الاختيار، وأنّ صفات الكمال من العلم والمعرفة والعصمة وغيرها هي الصفات التي يتحلّى بها المصطفون من عباده، كما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٣٣) وقوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٢٤)

ويتضح أنّ ظاهرة الإمامة المبكرة ليس بالشئ الغريب ولا العجيب فهي ظاهرة لها سوابق تاريخية بين الأنبياء والرسل، فهناك آيات وروايات كثيرة ثبت من خلالها إمكان بل وقوع النبوة والتبليغ والإمامة والقيادة للأئمة بسنّ صغيرة، قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (مريم: ٢) فقد

تولى يحيى عليه السلام منصب النبوة وهو ابن تسع سنوات، وأمّا عيسى عليه السلام فقصته أغرب؛ لأنه ولد نبياً وتكلم وهو في المهد، وبما أنّ الإمامة امتداد للنبوة فمن الممكن أن تكون في سن مبكر أيضاً.

وقبل عيسى ويحيى عليه السلام جعل الله سليمان بن داود عليه السلام نبياً ورسولاً، وحاكماً بعد أبيه، وهو ابن عشر سنين قال تعالى ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾. وفي الكافي: عن حريز قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «جعلت فداك ما أقل بقاءكم أهل البيت، وأقرب آجالكم بعضها من بعض، مع حاجة الناس إليكم؟ فقال: إن لكل واحد منا صحيفة فيها ما يحتاج إليه أن يعمل به في مدته، فإذا انقضى ما فيها ممّا أمر به عرف أن أجله قد حضر، فأتاه النبي صلى الله عليه وآله ينعى إليه نفسه، وأخبره بما له عند الله»^{٢٠}. وكان الأئمة الذين نصّ عليهم آبائهم عليهم السلام شباناً، أو كهولاً، معروفين بالعلم والتقوى من زمن آبائهم. حتى كانت إمامة الرضا عليه السلام، فكان الناس يسألونه لمن الأمر بعده فيقول: «إلى ولدي، ولم يكن عنده ولد، فكان ذلك آيةً للشيعة»^{٢١}.

وبعد الخمسين من عمره رزقه الله ولداً، فكان يرشد الشيعة إليه ويقول: إنّ صغر السن لا يمنع من الإمامة، كما لم يمنع من نبوة عيسى ويحيى وسليمان عليه السلام.

روى عبد الرحمن بن محمد عن كلثم بن عمران قال: قلت للرضا عليه السلام: ادع الله أن يرزقك ولداً، فقال عليه السلام: إنّما أرزق ولداً واحداً وهو يرثني، فلما ولد أبو جعفر عليه السلام قال الرضا عليه السلام لأصحابه: قد ولد لي شبيه موسى ابن عمران عليه السلام فالحق البحار: وشبيه عيسى بن مريم عليه السلام قدّست أمّ ولده، فلما ولدته طاهرة مطهرة^{٢٢}.



فقد كان عمر الجواد عليه السلام نحو سبع سنوات عندما استشهد والده الإمام الرضا عليه السلام فتفرق بعض أتباع أهل البيت عليه السلام عن الإمام عليه السلام، ودارت مناظرات عديدة بينهم حول مؤهلات الإمام ولياقته للإمامة في هذا السن المبكر، وعن هذا يقول الشيخ المفيد في كتاب الفصول: «ثم إن الإمامية استقرت على القول بأصول الإمامة طوال أيام أبي الحسن الرضا فلما توفي، وخلف ابنه جعفر عليه السلام وله عند وفاة أبيه سبع سنين، اختلفوا وتفرقوا ثلاث فرق فرقة مضت على سنن القول في الإمامة، ودانت بإمامة أبي جعفر عليه السلام ونقلت النص عليه، وهي أكثر الفرق عدداً. وفرقة ارتدت إلى قول الواقفة...، وفرقه قالت بإمامة أحمد بن موسى عليه السلام... واعتل الفريقان الشاذان عن أصل الإمامة بصغر سن أبي جعفر عليه السلام، وقالوا ليس يجوز أن يكون إمام الزمان صبيّاً، لم يبلغ. الحلم... إلى أن قال: على أن ما اشتبه عليهم من جهة سن أبي جعفر عليه السلام فإنه بين الفساد، وذلك أن كمال العقل لا يستنكر لحجج الله تعالى مع صغر السن، قال الله تعالى: ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً﴾ * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً ﴿سورة مريم: ٢٩-٣٠﴾، وقال في قصة يحيى ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾ * ٣٣.

ولم يقتصر أمر التشكيك والخيرة في إمامة الإمام الجواد على عوام الشيعة بل امتد إلى علمائهم؛ فقد ذكر ابن رستم الطبري أيضاً: اختلف الناس في جميع الأمصار، واجتمع الريان بن الصلت وصفوان بن يحيى ومحمد بن حكيم وعبد الرحمن بن الحجاج في بركة زلزل ييكون ويتوجعون من المصيبة.

فقال لهم يونس: دعوا البكاء! من لهذا الأمر؟! يفتي المسائل إلى أن يكبر هذا الصبي - يعني أبا جعفر - وكان له ست سنين وشهور ثم قال: أنا ومن مثلي.

فقام إليه الريان بن الصلت فوضع يده في حلقه ولم يزل يلطم وجهه ويضرب رأسه ثم قال له: إن كان أمر من الله جل وعلا كأبن يومين مثل أبن مائة سنة، وإن لم يكن من عند الله فلو عمر الواحد من الناس خمسة آلاف سنة كان يأتي بمثل ما يأتي به السادة أو بعضه وهذا مما ينبغي أن ينظر فيه، وأقبلت العصابة على يونس تعذله^{٢٤}.

ولكن لم يطول هذه الاضطراب الذي أصاب الأمة وجاء الحل السريع من خلال معرفتهم الواضحة لشروط الإمامة التي هي المنصب الإلهي الذي أولاه الله تعالى بمن اختاره قدوة للناس في أمور الدين والدنيا. لذا توجهوا إلى بعض من ادعى الإمامة ثم ذهبوا إلى الإمام الجواد لطرح بعض المسائل التي من خلالها يمكن معرفة الإمام الحقيقي.

وفي هذا المجال ينقل العلامة المجلسي: ... وكان وقت الموسم، فاجتمع من فقهاء بغداد والأمصار وعلمائهم ثمانون رجلاً فخرجوا إلى الحج، وقصدوا المدينة ليشاهدوا أبا جعفر فلما وفدوا أتوا دار جعفر الصادق عليه السلام لأنها كانت فارغة، ودخلوها، وجلسوا على بساط كبير، وخرج إليهم عبد الله بن موسى (عم الجواد عليه السلام)، فجلس في صدر المجلس، وقام مناد، وقال هذا ابن رسول الله ﷺ فمن أراد السؤال فليسأله، فُسئل عن أشياء أجاب عنها بغير الواجب، فورد على الشيعة ما حيرهم وغمهم، واضطربت الفقهاء، وقاموا وهموا بالانصراف وقالوا في أنفسهم، لو كان أبو جعفر عليه السلام يكمل لجوابه المسائل لما كان من عبد الله ما كان، ومن الجواب بغير الواجب.

ففتح عليهم باب من صدر المجلس، ودخل موفق وقال: هذا أبو جعفر عليه السلام، فقاموا إليه بأجمعهم، واستقبلوه، وسلموا عليه، فدخل (صلوات الله عليه)، فجلس وأمسك الناس كلهم، فقام صاحب المسألة فسأله عن مسأله، فأجاب عنها بالحق ففرحوا ودعوا له، وأثنوا عليه،

وقالوا له : إنَّ عمَّك عبد الله أفتى بكيت وكيث، قال : لا إله إلا الله يا عمَّ
إنَّه عظيم عند الله أن تقف غداً بين يديه، فيقول لك : لما تفتي عبادي بما لم
تعلم، وفي الأُمَّة من هو أعلم منك^{٢٥}.

إنَّ هذه النصوص وغيرها دليل على إثبات إمامة الإمام الجواد عليه السلام،
وإنَّ خلافة الإمام والسن المبكر تعني أنَّه إمام بكلِّ ما تحمله الإمامة من
محتوى فكري وروحي.

المطلب الثاني: الوضع السياسي في عصر الإمام الجواد عليه السلام .

انتاب الوضع السياسي في عصر الإمام الجواد عليه السلام اضطرابات شملت
أغلب المسلمين نتيجة الصراع بين السلطة الحاكمة في عهد المأمون
والمعتصم.

استمر هذا الصراع والاختلاف بعد أن جعل المأمون الإمام الرضا عليه السلام
ولي للعهد، إضافة إلى ما أظهره من شعار سياسي كاذب، وهو تفضيل علي
بن أبي طالب على البشر كافة بعد رسول الله ﷺ في عصر الامام الجواد عليه السلام.
والغاية من هذا استقطاب المواليين لأهل البيت عليه السلام وامتصاص غضب
الثوار العلويين، وكسب الموقف الجماهيري لمواجهة النتائج السياسية التي
تركها نزاعه مع أخيه الأمين، وقتله إياه، حيث انعكس هذا الأمر سلباً
على المأمون، لأنَّه سبب نقمة عارمة من قبل العباسيين على المأمون باعتباره
قاتل الخليفة العباسي (الأمين).

واستفاد الإمام الجواد عليه السلام من هذا الاضطراب السياسي في نهضته
الرسالية تمهيداً للمستقبل، ورغم كل هذه الأجواء لم تتوقف الحركات
والثورات المناهضة للحكم العباسي الذي يمثل للناس الخلافة المغتصبة
من أهلها الحقيقيين، وكان من أبرز هذه الثورات^{٢٦}:

أ - ثورة عبد الرحمن بن أحمد في اليمن

فقد تحرّك عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، وكان سببها سوء المعاملة التي كان يبدّيها عمال الخليفة هناك، وراح يدعو إلى الرضى من آل محمد ﷺ، فبايعه الناس، والتفوا حوله واستجابوا لدعوته، فاضطر المأمون إلى إرسال جيش كثيف بقيادة دينار بن عبد الله لمواجهة الثورة وإخمادها وأرسل مع هذا القائد أماناً للثائر العلوي، فقبل عبد الرحمن الأمان، وسالم السلطة العباسية ولم يذكر المؤرخون السبب في هذا الموقف^{٢٧}.
ب - انتفاضة القميين:

إنّ القبضة الحديدية للسلطة العباسية تجاه أهل البيت ﷺ وشيعتهم، لم تمنع من ظهور الحركات والثورات ضد التعسف والجور العباسي بين الفينة والأخرى، من هذه الحركات حركة أهالي قم وانتفاضتهم عام (٢١٠ هـ)، ومعلوم تشييع القميين وولاؤهم لأهل البيت ﷺ، فإنّهم وتبرماً من كثرة ما يدفعون من خراج إلى السلطان الذي فرض عليهم، إذ كان عليهم دفع (مليون درهم) سنوياً، فاستكثروا هذا المبلغ وطلبوا تخفيفه أسوة بما لحق الري من حطيطة خراجهم. ورُفِعَ طلبهم إلى المأمون، فرفض إجابتهم إلى ما سألوا، فامتنعوا من أداء خراج هذا العام، وثاروا فخلعوا واليهم وطردوه، ونجحوا في السيطرة على البلد، لكن المأمون تدارك أمرهم بعلي بن هشام على رأس جيش أتبعه بآخر بقيادة عفيف بن عنبسة، ثم ألحقها بسرية كانت عائدة من خراسان.

فالتقى الطرفان في حرب غير متكافئة بالعدة والعدد حتى ظفر علي بن هشام بالقميين وقتل رئيسهم يحيى بن عمران، وهدم سور المدينة، وفرض عليهم بدل المليونين سبعة ملايين درهم سنوياً، جباها منهم في سنته، فدفعوها إليه صاغرين^{٢٨}.

ج - الثورة العلوية (ثورة محمد بن القاسم العلوي)

وهي من أهم الثورات العلوية الشيعية التي حدثت في زمن إمامة الإمام الجواد عليه السلام ثورة محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام الملقب بالصوفي؛ لبسه ثياب الصوف والمكنى بأبي جعفر. كان من أهل العلم والفقه والدين والزهد.

قال الطبري في أحداث سنة تسع عشرة ومائتين: (فمن ذلك ما كان من ظهور محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالطالقان من خراسان يدعو إلى الرضا من آل محمد ﷺ، فاجتمع إليه بها ناس كثير وكانت بينه وبين قواد عبد الله بن طاهر وقعات بناحية الطالقان وجبالها فهزم هو وأصحابه، فخرج هارباً يريد بعض كور خراسان، كان أهله كاتبوه...

فلما كان ليلة عيد الفطر احتال محمد بطريقة فهرب بها من السجن وغاب عن الأنظار ولم يعرف له خبر بعد ذلك. وقيل: إنه رجع إلى الطالقان فمات بها، وقيل أنه انحدر إلى واسط، وذلك الصحيح^{٢٩}.

(والملاحظ أن التاريخ لم يُصرّح عن حجم العلاقة بين الإمام عليه السلام وهؤلاء الثائرين، إلا أنه من الواضح لدى الأمة آنذاك بالدعوة إلى ولاية أهل البيت عليه السلام؛ لأن كل إمام معصوم من أئمة أهل البيت عليه السلام يُشكل مقاماً قيادياً عميق الأثر في وجدان الأمة، وكان الإمام الجواد عليه السلام على رأس كيان سياسي، وعقائدي سري الخفاء، وكانت علاقته بالأئمة من خلال الرسائل التي يرسلها إلى وكلائه، والتي تكشف بوضوح النشاط السياسي للإمام الجواد، ولأصحابه)^{٣٠}، وكذلك من خلال الأحاديث والوصايا التي كان يصدرها لأصحابه.



المطلب الثالث: موقفه عليه السلام من الحركات السياسية والدينية في عصر
حكام بني العباس

الإمام الجواد عليه السلام وحكام بني العباس:
احتل الإمام الجواد عليه السلام مركزاً رفيعاً في النفوس وتوجهت إليه الأمة
باعتباره الممثل لإمامة أهل البيت عليه السلام.

لذلك نجد العباسيون يعيشون حالة الخوف من شخصية الإمام، وخير
دليل على ذلك الحوار الذي دار بين أعمدة الأسرة العباسية الحاكمة مع
المأمون، حين أقدم على تزويج ابنته للإمام عليه السلام، حيث يبرز الخوف المستحكم
من الذهنية العباسية في شخصية الإمام الجواد عليه السلام القيادية والسياسية .

روى الشيخ المفيد هذه الوقائع بقوله: «... لما أراد المأمون أن يزوج ابنته
أم الفضل أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام بلغ ذلك العباسيين، فغلظ عليهم
واستكبروه، وخافوا أن ينتهي الأمر منه إلى ما انتهى إليه مع الرضا عليه السلام
فخاضوا في ذلك، واجتمع أهل بيته الأذنون منه، فقالوا: «نشدك الله يا
أمير المؤمنين أن تقيم على هذا الأمر الذي عزمت عليه من تزويج ابن
الرضا، فإننا نخاف أن يخرج به عنا أمراً قد ملكنا الله، وتنزع منا عزا
قد ألبسناه، فقد عرفت ما بيننا، وبين هؤلاء القوم، قديماً وحديثاً، وما
كان عليه -الخلفاء الراشدون- قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم، وقد
كنا في وهلة من عملك مع الرضا ما عملت، حتى كفانا الله المهم من
ذلك، فالله الله أن تردنا إلى غمٍّ قد انحسر عنا، واصرف رأيك عن ابن
الرضا واعدل إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غير، فقال
لهم المأمون: أما ما كان بينكم، وبين آل أبي طالب، فأنتم السبب فيه، ولو
أنصفتهم القوم لكانوا أولى بكم...»^{٣١}.

ولم يسمع المأمون كلامهم وينصاع إلى توجيهاتهم، ودخل في نزاع مع
أعمامه بني العباس .

فقد خطط المأمون لأجل السيطرة على الإمام الجواد عليه السلام والتخلص منه بخطة محكمة من رجل داهية وأخطر رجل من حكام بني العباس وهو أن يزوجه من ابنته الصغيرة (زينب) المكناة بـ (أم الفضل) مهما يكن الأمر؛ باعتقاده أنه سيحقق نفس النتائج التي حصل عليها بفرض الولاية كما حصل مع أبيه الرضا عليه السلام فأحضر الإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد سنة (٢٠٤ هـ - ٨١٩ م) وزوجه ابنته (أم الفضل) ٣٢؛ ليحقق أهدافه السياسية من خلال الآتي:

١ - للتجسس عليه من خلال ابنته وخدمها وتتبع تحركاته ومعرفة المقربين منه من الشيعة ووضع تحت سيطرته .

٢ - التقرب من البيت العلوي باعتباره عم ابنهم الإمام الجواد عليه السلام وجد لحفيدهم في المستقبل الذي يتسبب إلى رسول الله ﷺ، وهذا مكسب سياسي واجتماعي في غاية الأهمية محاولة منه لاستيعاب موقف الإمام الجواد عليه السلام، واحتواء حركته في المجالين الفكري والسياسي ويمنع الإمام عليه السلام من ممارسة نشاطه بدقة واتقان.

فلو تحقق ما خطط له سوف تتم السيطرة على آل أبي طالب ومنع أي تحرك لهم، مع معرفته بأحقيتهم بالخلافة، ومن فضل الله تعالى لم تنجب ابنته. عن الكليني: بإسناده إلى محمد بن الريان قال: «احتال المأمون على أبي جعفر عليه السلام بكل حيلة فلم يمكنه فيه شيء، فلما أراد أن يبني عليه ابنته، دفع إلى مائتي وصيفة من أجهل ما يكون، إلى كل واحدة منهنّ جاماً فيه جوهر يستقبلن أبا جعفر عليه السلام إذا قعد في موضع الأخيار فلم يلتفت إليهنّ، وكان رجل يقال له مخارق صاحب صوت وعود وضرب طويل اللحية، فدعاه المأمون فقال: يا أمير المؤمنين إن كان في شيء من أمر الدنيا فأنا أكفيك أمره، فقعد بين يدي أبي جعفر عليه السلام، فشقق مخارق شهقة اجتمع عليه أهل

الدار، وجعل يضرب بعوده ويغني، فلما فعل ساعة وإذا أبو جعفر لا يلتفت إليه لا يميناً ولا شمالاً، ثم رفع رأسه وقال: اتق الله يا ذا العثنون، قال: فسقط المضرب من يده والعود فلم ينتفع بيديه إلى أن مات»^{٣٣}.

وبعد انتهاء حياة المأمون بدأت حياة المعتصم، فكان كسلفه العباسيين على خوفه من إمامة أهل البيت (عليه السلام) فقد احتال هو الآخر للتخلص منه، وإيجاد حيلة ومبرر لسجنه، ثم قتله، لكن فشلت محاولته، فاستدعى الإمام الجواد من المدينة إلى بغداد عام (٢١٩هـ)، ليكون على مقربة من مركز السلطة .

وفعلاً تم استقدام الإمام الجواد (عليه السلام) إلى بغداد، ولم يلبث إلا مدة قصيرة حتى توفي سنة (٢٢٠هـ) من خلال السم الذي دسه له المعتصم في طعامه، وصرح بعض الرواة أن المعتصم أغرى بنت أخيه بالمال زوجة الإمام الجواد (عليه السلام) أم الفضل بالأموال فдست إليه السم^{٣٤} .

وهكذا انتهت حياة إمامنا العظيم بعد تاريخ طويل مليء بالجهاد العلمي والسياسي.

المبحث الثاني

(مكانة الإمام في المجتمع)

لا شك أنّ للمنهج الثقافي دوراً في بناء المجتمع، ولا فضيلة كالعلم فإنّ به ترتقي الشعوب، ويرتقي الفرد ويعلو شأنه أمام الآخرين، كما جعل الله تعالى على العبادة؛ لأنه يدل صاحبه على العمل الأفضل والأصوب عند الله سبحانه ويتنفع به الناس كافة.

المطلب الأول : المكانة العلمية للإمام (عليه السلام)

لا شك في أن أهل بيت (عليهم السلام) قد زقوا العلم زقاً، وقد اقتبسوا وتزودوا العلم عن طريقين : الأول (النبي ﷺ)، وكما قال في حقهم ﷺ: « لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم »^{٣٥}، والطريق الآخر (الإلهام) أو (التحديث) كالإلهام الذي حصل للخضر وذو القرنين ومريم وأم موسى (عليهم السلام) وقد عبر في القرآن الكريم عن بعضهما بالوحي وليس المقصود منه وحي النبوة، وبمثل هذا العلم بلغ بعض الأئمة الأظهر مقام الإمامة في فتره طفولتهم، كمثّل الإمام الجواد (عليه السلام)، حيث كانوا يعلمون بكل شيء ولم يحتاجوا للعلم ودراسة لدى آخرين، فإن علمهم (عليهم السلام) لدني عن الله تعالى وهم ورثة الأنبياء (صلوات الله عليهم)، ففي حديث طويل عن الإمام الرضا (عليه السلام) «... وإن العبد إذا اختاره الله (عز وجل) لأمر عباده، شرح صدره لذلك، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فلم يعي بعده بجواب، ولا يحير فيه عن الصواب، فهو معصوم مؤيد، موفق مسدد، قد أمن الخطايا والزلل والعتار، يخصه الله بذلك ليكون حجته على عباده، وشاهده على خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. فهل يقدرّون على مثل هذا فيختارونه أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدمونه»^{٣٦}



لا ريب أن العلم يكشف الحقائق من المسائل الغامضة ويبين الحق من الباطل والصحيح من الفاسد، ويخرج الإنسان من ظلمات الوهم إلى نور الفهم بإظهار الحقائق المنطوية تحته ؛ وإرشاد الناس إلى طريق الصواب والشرعية المنزلة من الله عز وجل.

فإن رغم قصر عمر الإمام الجواد عليه السلام، فقد كان أعلم علماء زمانه واستطاع أن يثبت مكانته العلمية بين أواسط العلماء والفقهاء، عندما خاض معهم المناظرات الكلامية والفقهية وانتصر عليهم وأقروا له بالفضل والتفوق عليهم.

وقد انظم إليه عدد كبير من العلماء والفقهاء والرواة، وهم يقتبسون من سعة علومه التي ورثها من جده الأعظم رسول الله صلى الله عليه وآله وكانوا يكتبون أحاديثه وكل ما يتفوه من علم وحكم، وإن هؤلاء الأعلام الفضل في تدوين التراث العلمي والفكري الذي خلفه الإمام والأحاديث، والتي يرجع إليها فقهاء الإمامية في استنباطهم للأحكام الشرعية.

وهذا يثبت أفضليته على جميع العلماء بما كان يتمتع به من علم الإمامة. ومن علمه عليه السلام في الفقه وأحكام الشريعة : كمثّل الفتوى التي أصدرها الإمام عليه السلام عندما أشار في قطع يد السارق، من خلال العرض على القرآن الكريم واستدلّاه به، والتي كانت سبباً في اغتياله عن طريق الوشاية به أبي داود السجستاني حينما أخذ المعتصم برأي الإمام وترك بقية آراء الفقهاء وإليكم نص الحديث: عن زرقان صاحب ابن أبي داود وصديقه بشدة قال: « رجع ابن أبي داود ذات يوم من عند المعتصم وهو مغتم، فقلت له في ذلك، فقال: وددت اليوم أنّي قد متّ منذ عشرين سنة، فقلت: ولمّ ذاك؟ قال: لما كان من أبي جعفر الجواد اليوم بين يدي الخليفة المعتصم، قلت له: وكيف كان ذلك؟

فقلت: من الكر سوع فقال: وما الحجة في ذلك؟
فقلت: لأن اليد هي الأصابع والكف إلى الكر سوع (المعصم) لقول الله في التيمم: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾، واتفق معي في ذلك قوم، وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق، قال الخليفة: وما الدليل على ذلك؟ قالوا: لأن الله لما قال: ﴿وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ في الغسل دل ذلك على أن حد اليد هو المرفق.

فالتفت المعتصم إلى محمد بن علي (عليه السلام) فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟

فقال (عليه السلام): «قد تكلم القوم فيه فاعفني عن هذا»
قال: أقسمت عليك بالله لما أخبرت بما عندك فيه.
فقال: «أما إذا قسمت عليّ بالله إنّي أقول إنهم أخطأوا فيه السنة، فإنّ القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع فيترك الكف».
قال المعتصم: وما الحجة في ذلك؟

قال الإمام: «قول رسول الله ﷺ: «السجود على سبعة أعضاء: الوجه واليدين والركبتين والرجلين» فإذا قطعت يده من المعصم أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها وما كان لله لم يقطع».

قال ابن أبي داود: فأعجب المعتصم ذلك وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف، وتميّت أنّي لم أك حياً^{٣٧}.

علمه ﷺ في تفسير القرآن

إن منهج رسول الله ﷺ وهو منهج الثقلين حيث قال: «إني قد تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما كتاب الله وعترتي أهل بيتي ...»^{٣٨} فالكتاب والعترة صنوان لا يفترقان وثقلان لا يتجزآن وإن كل واحد يبين صاحبه، فكان آل محمد قيّموا القرآن كما كان جدهم رسول الله ﷺ قيماً على القرآن فهم ﷺ عدل القرآن وترجمانه.

ومن أمثلة تفسير الإمام الجواد ﷺ، للقرآن الكريم عن داود بن القاسم أبي هاشم الجعفري قال: قلت لأبي جعفر ﷺ سائلاً عن معنى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ (الأنعام: ١٠٣).

فقال ﷺ: «يا أبا هاشم، أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند، والبلدان التي لم تدخلها، ولا تدركها ببصرك، وأوهام القلوب لا تدركه، فكيف أبصار العيون؟!»^{٣٩}.

وعن السيد عبدالعظيم بن عبدالله الحسني، عن أبي جعفر محمد بن علي الرضا ﷺ أنه قال: سألت عماً أهلاً لغير الله. قال: «ما ذبح لصنم أو وثن أو شجر، حرّم الله ذلك كما حرّم الميتة والدم ولحم الخنزير» ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ (البقرة: ١٧٣) أن يأكل الميتة». قال: فقلت له: يا بن رسول الله، متى تحلّ للمضطر الميتة؟ فقال: «حدّثني أبي عن أبيه، عن آبائه ﷺ أن رسول الله ﷺ سئل ف قيل له: يا رسول الله إنا نكون بأرض فتصيبنا المخمصة، فمتى تحلّ لنا الميتة؟ قال: ما لم تصطبحو أو تغتبقوا أو تحتفئوا بقلأ، فشأنكم بهذا»^{٤٠}.

قال عبدالعظيم: فقلت له: يا بن رسول الله فما معنى قوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾؟ قال: «العادي: السارق، والباغي: الذي يبغي الصيد بطراً ولهوّاً؛ ليعود به على عياله، ليس لهما أن يأكلا الميتة إذا

اضطراً، هي حرام عليهما في حال الاضطراب كما هي حرام عليهما في حال الاختيار، وليس لهما أن يقصّرا في صوم ولا صلاة في سفر...»^{٤١}.

قلت: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾؟ قال: «كانوا في الجاهلية يشتركون بعيراً فيما بين عشرة أنفس، ويستقسمون عليه بالقداح، وكانت عشرة، سبعة لهم أنصباء وثلاثة لا أنصباء لها. أما التي لها أنصباء: الفذّ، والتوأم، والنافس، والحلّس، والمسبل، والمعلّى، والرقب ... فلما جاء الإسلام حرّم الله تعالى ذكره ذلك فيما حرّم، وقال: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَكُمْ فِسْقٌ﴾ يعني حراماً»^{٤٢}.

دوره ﷺ في ترسيخ العقائد الإسلامية:

بعد رحيل الإمام الرضا ﷺ انتشرت المذاهب الكلامية والعقائدية المنحرفة، من مشبهة ومجبرة والغلاة، وما إلى ذلك من تصورات خاطئة بخصوص أصول العقيدة الحقّة.

وهذا مما ساعد السلطة الحاكمة في عصر الجواد ﷺ أن تستغل الوضع كيفما يحلو لها واستغلال المجتمع الساذج، بل تفتعل هذه التيارات المنحرفة وتبذل لنشرها الأموال الطائلة مهما بلغت الأثمان.

لكن حنكة الإمام ﷺ وسعة علمه، وقف إزاء ذلك بالمرصاد، حيث تصدى للتيارات المنحرفة وأهل البدع وجاهد في ترسيخ العقائد الإسلامية والدفاع عنها، وتصحيح المعتقدات المنحرفة.

فعندما يُسأل من قبل عبدالرحمن بن أبي نجران عن التوحيد حين قال له: أتوهم شيئاً؟

فقال ﷺ: «نعم، غير معقول ولا محدود، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه، لا يشبهه شيء، ولا تدركه الآوهام، كيف تُدركه الآوهام وهو خلاف ما يُعقل، وخلاف ما يُتصوّر في الآوهام؟ إنّما يتوهم شيء غير معقول ولا محدود»^{٤٣}.

نستلهم من التجربة التي مارسها الإمام ﷺ في مواجهة الانحرافات

والوقوف بوجه السلطة الحاكمة درس في غاية الأهمية وهو الحرص - من له اليد - على الاهتمام بشؤون الأمة والتركيز على خدمة الشعب وتلبية مطالب الناس، وعدم الخنوع والانشغال بأمور الرئاسة وإعادة ثقة الشعوب بحكومتها، كما نرى أين وصل الحال بالشعوب من الحروب والبطالة والانقلاب على السلطة والمظاهرات بين الفينة والأخرى وإلى آخره.

نستنتج من كل ذلك: أن للعلم والتعليم أهمية بالغة على حياة البشر، وقد حث أهل البيت (عليهم السلام) على طلبه وخصوصاً في علم الشريعة، بحيث أصبح واجباً في مذهبهم، فعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): « طلب العلم فريضة على كل مسلم ... به يطاع الرب، وبه توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال والحرام. العلم إمام العمل والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء »^{٤٤}.

ومن الوصاية والرسائل التي كان يكتبها الجواد (عليه السلام) إلى أصحابه: كتب إلى أحد أصحابه وكان متولياً لأعماله في نشر الفكر المحمّدي وجمع الحقوق الشرعية وصيته لعلي بن مهزيار الأهوازي: « أحسن الله جزاك وأسكنك جنته، ومنعك من الخزي في الدنيا والآخرة، وحشرك الله معنا، يا عليّ، قد بلوتك وخبرتكم في النصيحة والطاعة والخدمة والتوقير والقيام بما يجب عليكم فلو قلت إنّي لم أر مثلك، لرجوت أن أكون صادقاً، فجزاك الله جنّات الفردوس نُزلاً، فما خفي عليّ مقامك ولا خدمتك في الحرّ والبرد، في الليل والنهار، فأسأل الله إذا جمع الخلائق للقيامة أن يحبوك برحمة تغتبط بها إنّه سميع الدعاء »^{٤٥}.

هذه الرسالة تدلّ على أسلوب الإمام الجواد (عليه السلام) المحفز للمخلصين من أصحابه الذين يتولّون مسؤوليّة رسميّة في مواقعهم في الدولة، ليوجّههم إلى أن يكونوا القدوة الصالحة للمؤمن المسؤول في الإخلاص في العمل ومحاسبة النفس وفي قضاء حوائج الناس، وهذا خير درس ينبغي الأخذ به

والعمل به وبالأخص المسؤولين في الدولة وإيثار الآخرين على مصالحهم، فضلاً عن قضاء حوائجهم.

المطلب الثاني: أثر التربية الأسرية في بناء المجتمع

إن التربية في المفهوم الإنساني لها أسس وقيم ينبغي على الإنسان المسلم أن يتصف بها، ولا بد أن تجتمع في الشخصية النموذجية الناجحة من خلال التنشئة والتربية العقائدية الصحيحة بالإيمان بالله تعالى وغرس حب أهل البيت (عليه السلام) في نفوس الأولاد، والتربية السليمة التي نصت عليها الشريعة الإسلامية من الحلال والحرام والتحلي بالأخلاق الرفيعة، وغيرها من المفاهيم والقيم التربوية، ومن المسلم إن اللبنة الأساسية في بناء المجتمع هي (الأسرة)، ولا يمكن أن يبنى المجتمع الصالح ويتكامل دون أن تبنى الأسرة الصالحة، لذلك نجد أن الإسلام يؤكد أهمية دور الأسرة في المجتمع، وإن قوة الأسرة وصلاحها وتماسكها وتكاملها واتصافها بالمواصفات المطلوبة هي التي تمكنها أن تحوّل المجتمع إلى مجتمع صالح متكامل.

وقد سعى الإسلام لحث المسلم على العمل من دون فرق بين المكلفين، كما في قوله تعالى ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ (التوبة: ١٠٥)، وحث المسلم بتخليد نفسه بالعمل الصالح، فلقد كانت الخطابات القرآنية موجهة لكل من الرجل والمرأة من دون تمييز، إذ ميز الله تعالى كل جنس بخصوصيات وقابليات مختلفة؛ ليكون تعدد في الأدوار وتكامل في العمل، ولا يوجد تقاطع البتة بينهما، بل كل واحد منهما يدعم الآخر.

ويعتبر الطفل البرعم الذي يتغذى القيم الأخلاقية في محيطه الأسري تلك القيم المستوحاة من الشريعة الإسلامية المقدسة؛ لينتج مجتمع صالح بعيد عن الانحرافات والعادات المستهجنة التي نراها اليوم التي ما أنزل الله تعالى بها من سلطان .



ولعلنا نأخذ الدروس والعبر في التربية من النبي وآل بيته الكرام (صلوات الله عليهم) فهم الأسوة والقدوة الحسنة لجميع طوائف البشر. وبما إن مورد البحث بخصوص شخصية الإمام الجواد عليه السلام، فحري بنا أن نعكف على لمحة من سيرته المباركة لنقتبس منها ومضة الدروس والعبر. عاش الإمام الجواد عليه السلام في كنف أبيه وفي ذرى عطفه وهو محاط بالتكريم والمودة، فكان الإمام الرضا عليه السلام لا يذكره باسمه، وإنما كان يكتنيه بأبي جعفر. وكان من سمو تربية الإمام الرضا لولده الجواد عليه السلام أنه كان يحثه على البر والمعروف والإحسان إلى الفقراء، فقد كتب إليه حينما كان في خراسان هذه الرسالة، وجاء فيها بعد البسملة: « فدتك نفسي، بلغني أن الموالى إذا ركبت أخرجوك من باب البستان الصغير وإنما ذاك من بخل بهم لئلا ينال أحد منك خيراً، فأسألك بحقي عليك لا يكن مدخلك ومخرجك إلا من الباب الكبير، وإذا ركبت إن شاء الله فليكن معك ذهب وفضة لا يسألك أحد شيئاً إلا أعطيته ... »^{٤٦}.

لقد غرس الإمام الرضا عليه السلام في أعماق نفس ولده الجواد عليه السلام مكارم الأخلاق والصفات الحميدة؛ ليكون قدوة وأسوة حسنة للأمة الإسلامية. ومن وصايا الجواد عليه السلام للناس في طريقة التعامل بين الآخرين من الآداب والسلوك قال عليه السلام: « عنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه، وعنوان صحيفة السعيد حسن الثناء عليه، والشكر زينة الرواية، وخفض الجناح زينة العلم، وحسن الأدب زينة العقل، والجمال في اللسان، والكمال في العقل .. »^{٤٧}.

ومن وصاياه في الصبر وتحمل المصائب فقد ورد في الكافي عن ابن مهران قال: كتب أبو جعفر الثاني عليه السلام إلى رجل: « ذكرت مصيبتك بعلي ابنك، وذكرت أنه كان أحبّ ولدك إليك، وكذلك الله عزّ وجلّ إنّما يأخذ من الولد وغيره أذكى ما عند أهله؛ ليعظم به أجر المصاب بالمصيبة.

فأعظم الله أجرك، وأحسن عزاك، وربط على قلبك، إنه قدير، وعجل الله عليك بالخلف، وأرجو أن يكون الله قد فعل إن شاء الله تعالى»^{٤٨}.

ومن وصاياه في بر الوالدين ونقل المجلسي في بحاره بسند رفعه إلى بكر بن صالح قال: كتب صهر لي إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام أن أبي ناصب خبيث الرأي، وقد لقيت منه شدة وجهداً، فأريك - جعلت فداك - في الدعاء لي، وما ترى جعلت فداك؟ أفترى أن أكشفه أم أداريه؟

فكتب: «قد فهمت كتابك وما ذكرت من أمر أبيك، ولست أدع الدعاء لك إن شاء الله، والمدارة خير لك من المكاشفة، ومع العسر يسر، فاصبر إن العاقبة للمتقين ثبتك الله على ولاية من توليت، نحن وأنتم في وديعة الله الذي لا يضيع ودائعه».

قال بكر: فعطف الله بقلب أبيه حتى صار لا يخالفه في شيء»^{٤٩}.

وهكذا كان إمامنا الجواد عليه السلام يربي المجتمع تربية إيمانية وإرشادهم إلى السلوك القويم بوضع منهج سليم في كيفية التعامل مع أبناء المجتمع الإنساني الواحد وغرس القيم الفاضلة والمثل العليا، ولا يسع المجال لذكر أقواله (سلام الله عليه) ونكتفي بهذا القدر كومضة لعلنا نقتبس جذوة من سجاياه.

لا يخفى على الأمة الإسلامية، بل كل الأمم بالإجماع بأن هناك مصلح ومخلص للبشرية من الظلم والعنف ويسط العدل على يديه، فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً ويقيم شرعة الحق بين الناس كما في قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ في هذه الآية تمهيد لدولة الحق وبما أن أهل البيت عليهم السلام هم عدل القرآن ومنهم الإمام الجواد عليه السلام، فكيف مهد الإمام الجواد عليه السلام لظهور المصلح المنتظر؟ إن الإمام الجواد عليه السلام من المهديين بل أوائل المهديين من الأئمة عليهم السلام لظهوره، وله أثر وبصمات على الحركة المهدوية، فقد حدد شخصيته



وهويته وما هو تكليف الشيعة في غيبته الصغرى، ثم بعد ذلك، فهنا يريد أن يشير إلى امكانيته عليه السلام وولايته التكوينية، يقول تطوى له الأرض ويذل له كل صعب وأن الله تعالى يرفع أمره في ليلة، فقد بين عليه السلام الخطوط العريضة لحركة الإمام المهدي عليه السلام.

الأمر الآخر: وجود الإمام الجواد عليه السلام تَمَّ القضية المهدوية، فإن الأمة لم تأنف أن يكون إمامها صغير السن وهي قضية الإمامة المبكرة، وقد أعطى عليه السلام لقضية التشيع دعم وقوة، وجعل هذه القضية أمام الأمر الواقع تحسب لها السلطات حسابها، بأن الإمام سيظهر، وهو آخر الأئمة من ولده عليه السلام وسيكون عمره خمس سنوات وإن الأمة لم تفاجئ بصغر السن؛ لأنها مرت بتجربة حكيمة وقوة المذهب وقوة الطائفة وقوة الفكرة وقوة القيم وهي إمامة الجواد المبكرة وإمامة الهادي والإمام الحسن العسكري عليه السلام مبكرة والإمام اليوم المهدي عليه السلام سيستلمها مبكرة.

فقد روى الشيخ الصدوق رحمه الله بسنده عن الشاه عبد العظيم الحسيني عليه السلام إنه قال: دخلت على سيدي محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن القائم، أهو المهدي أو غيره. فابتدأني فقال لي: «يا أبا القاسم! إنَّ القائم منا هو المهدي الذي يجب أن يُنتظر في غيبته، ويطاع في ظهوره، وهو الثالث من ولدي، والذي بعث محمدًا ﷺ بالنبوة وخصنا بالإمامة، إنَّه لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يخرج فيه، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. وإنَّ الله تبارك وتعالى ليصلح له أمره في ليلة، كما أصلح أمر كليمة موسى عليه السلام إذ ذهب ليقبّس لأهله ناراً فرجع وهو رسولٌ نبيٌّ.

ثم قال عليه السلام: أفضل أعمال شيعةنا انتظار الفرج» °.

وبسنده عن سهل بن زياد الأدمي عن عبد العظيم الحسيني، قال:

قلت لمحمد بن علي بن موسى عليه السلام: «أني لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمد، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً».

فقال عليه السلام: «يا أبا القاسم، ما منّا إلا وهو قائم بأمر الله عز وجل، وهاد إلى دين الله، ولكن القائم الذي يطهر الله عز وجل به الأرض من أهل الكفر والجحود ويملأها عدلاً وقسطاً، هو الذي تخفى على الناس ولادته، يغيب عنهم شخصه، ويحرم عليهم تسميته، وهو سمي رسول الله ﷺ وكنيته.

وهو الذي تطوي له الأرض، ويدلّ له كل صعب، ويجتمع إليه من أصحابه عدّة أهل بدر: ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أقاصي الأرض، وذلك قول الله (عز وجل): ﴿أَيُّهَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٤٨).

فإذا اجتمعت له هذه العدّة من أهل الإخلاص، أظهر الله أمره. فإذا كمل له العقد وهو عشرة آلاف رجل خرج بإذن الله عز وجل، فلا يزال يقتل أعداء الله حتّى يرضى الله عز وجل.

قال عبد العظيم: فقلت له: يا سيدي فكيف يعلم أن الله قد رضي؟

قال: يلقي في قلبه الرحمة، فإذا دخل المدينة أخرج اللات والعزى فأحرقهما.

وفي حديث الصقر بن أبي دلف، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام يقول: «إن الإمام بعدي ابني عليّ، أمره أمري، وقوله قولي، وطاعته طاعتي، والإمام بعده ابنه الحسن، أمره أمر أبيه، وقوله قول أبيه، وطاعته طاعة أبيه، ثم سكّ. فقلت له: يا بن رسول الله، فمن الإمام بعد الحسن؟

فبكي عليه بكاءً شديداً، ثم قال: إنّ من بعد الحسن ابنه القائم بالحق المنتظر.

فقلت له: يا بن رسول الله، لم سمّي القائم؟ قال: لأنّه يقوم بعد موت ذكره، وارتداد أكثر القائلين بإمامته.

فقلت له: ولم سمّي المنتظر؟

قال عليه السلام: لأنَّ له غيبة يكثر أيامها ويطول أمدها، فينتظر خروجه المخلصون، وينكره المرتابون، يستهزئ بذكره الجاحدون، ويكذب فيها الوقّاتون، ويهلك فيها المستعجلون، وينجو فيها المسلمون^{٥١} وغيرها من الأحاديث.

وعليه الاقتداء بشباب جواد الأئمة عليه السلام والاستعداد لتمهيد الظهور للإمام الحجة عليه السلام وبالخصوص الشباب فهم الأساس الذي يقوم البناء وذلك بناء قاعدة نموذجية صالحة لاحتضان المشروع المهدوي وتلبية مشاريعه القيادية وجميع برامج الحضارية، وينشأ من الحرص على تركية النفس، بأن يسعى الإنسان ويتوب إلى الله تعالى ويتوجه له سبحانه، فلا بد من التكامل والخشوع والخضوع والتفاعل في تمهيد الطريق للظهور، حتى يكونوا قرة عين الإمام المنتظر عليه السلام.

الخاتمة

بعد هذه الجولة البحثية في التطلع على النزر القليل من شخصية الإمام الجواد عليه السلام وما تضمنه من كلام في إمامته عليه السلام توصل البحث إلى نتائج عدة منها:

١ - إن للإمامة منزلة عظيمة عند الله تعالى باعتبارها تنصيب منه سبحانه فإن حالة تولي الإمام محمد الجواد عليه السلام في سن مبكر ماهي إلا تمهيداً، وأيضاً أخبار للفكر الإسلامي وتقديم للقضية المهدوية التي من الممكن أن يتولى الشخص الإمامة وهو في سن مبكر، كما في عهد أسلافه الأنبياء والمرسلين.

٢ - الإمامة المبكرة تعني التقدم العلمي على الناس في كل فروعه، فقد أثبت الإمام الجواد عليه السلام رغم صغر سنه مكانته العلمية وانتصر على جميع علماء عصره وأبهرهم بمناظراته في شتى العلوم.

- ٣- تصدى الامام الجواد عليه السلام للمعتقدات المنحرفة وأهل البدع الذين كان لهم تأثير فكري وسياسي في المجتمع الإسلامي.
- ٤- اندلاع الثورات كان نتيجة العنف الذي أصاب الناس من السلطة الجائرة، وولاء المخلصين لأهل البيت عليهم السلام.
- ٥ - أهمية اختيار القدوة وأثرها في بناء المجتمع الصالح له الأثر الكبير في التربية وترسيخ مفهوم ثقافة الانتظار.
- ٦ - مهد الإمام الجواد عليه السلام لحفيده المهدي المنتظر ويُنّ للأمة شخصيته وهويته فعليا إنسانية جمعاء الاستعداد استعداداً تاماً للتمهيد لظهور الإمام المنتظر عليه السلام.

التوصيات:

١. الاهتمام بالشباب والحث على العلم والتحصيل العلمي والابتعاد عن اللهو، وعدم فسح المجال لأصحاب المستويات الضعيفة بنيل الشهادات العالية، وقبولهم في الكليات والمعاهد التي أكبر من استحقاقهم؛ نتيجة دفع الأموال إزائها، فيغبن حق الطالب المجتهد، وبهذا يتردى المستوى العلمي للأمة وتدني نهضتها.
٢. العمل بتوصيات الإمام واستغلال فترة الشباب لأنها فترة العطاء، فهم الركيزة الذي تستند عليها الأمة في التصدي لأهل الفساد وإصلاح ما فسد والوقوف بوجه الظلم والظالمين إن تمكنوا منه.
٣. مجاهدة النفس والسيطرة على جماح هواها ليكونوا من خير الممهدين لمشروع الإمام المنتظر عليه السلام ودولته حتى ينالوا سعادة الدنيا وفلاح الآخرة ورضا الله تعالى والإمام.

الهوامش:

- ١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن الفيومي ، ص ١٧٧ .
- ٢- لسان العرب : ابن منظور، ج ٦، ص ١٠٨ .
- ٣- مختار الصحاح : الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، ص ٣٢١ .
- ٤- السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها : د. يوسف القرضاوي، ص ٣ .
- ٥- نظام الدولة في الإسلام : د. محمود الصاوي ص ٣٩ .
- ٦- نظرات في عقيدة الإنسان المسلم : عبد الرزاق فرج الله ، ص ١٣٩
- ٧- مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ص ٢٦ .
- ٨- القاموس المحيط : محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ص ٧٨ .
- ٩- دروس في العقيدة الإسلامية ، محمد تقي مصباح اليزدي ، ج ٢ ، ص ٣٤٠ - ٣٤١ .
- ١٠- علم الأئمة المعصومين مقارنة فلسفية كلامية ، ش. خليل رزق ، ص ١٦ .
- ١١- مقدمة ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، ص ١٩١ .
- ١٢- دروس في العقيدة الإسلامية ، محمد تقي مصباح اليزدي ، ج ٢ ، ص ٣٤٠
- ١٣- نظرات في عقيدة الإنسان المسلم : ص ١٣٩ .
- ١٤- لسان العرب : ابن منظور ج ١٢ ، ص ٤٠٣ .
- ١٥- النكت الاعتقادية : الشيخ المفيد، ص ٣ .
- ١٦- الجواهر النورانية في العلوم الإنسانية : محمد حسين الطباطبائي ، اعداد : رضوان سعيد فقيه ، ص ١٥١ .
- ١٧- أسس ومبادئ التربية والتعليم : محمد فرحان الربيعي ، نصير محمد الجبوري ، ص ١١ ط ٣ .
- ١٨- موقع إلكتروني / <https://businessdictionary.com>
- ١٩- المصدر السابق : ص ١٢ .
- ٢٠- الكافي : ج ١ ، ٢٨٣ .
- ٢١- محمد الجواد (عليه السلام) شبيه عيسى ويحيى وسليمان (عليهم السلام): موقع الشيخ علي الكوراني العالمي.
- ٢٢- عيون المعجزات : حسين بن عبد الوهاب ، ص ١٠٧ - ١٠٨ .
- ٢٣- ينظر : حياة الرسول وأهل بيته (عليهم السلام) : باقر شريف القرشي ج ٢ ، ص ٣٢ .
- ٢٤- دلائل الإمامة، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري، ص ٢٠٠ - ٢٠١ .
- ٢٥- بحار الأنوار : المجلسي، ج ٥٠ ، ص ١٠٠ .
- ٢٦- دروس في سيرة الأئمة الأطهار (عليهم السلام): ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

- ٢٧- المصدر السابق : ص ٢٣٩ .
- ٢٨- الثورات والانتفاضات في عهد الإمام الجواد (عليه السلام) ، <http://holykadmia.com/ar/html/1/06.html> .
- ٢٩- ينظر : مقاتل الطالبين : أبو فرج الاصفهاني ، ص ٣٨٢ - ٣٩١ .
- ٣٠- دروس في سيرة الأئمة الأطهار (عليهم السلام) : ص ٢٤٠ .
- ٣١- الإرشاد ، الشيخ المفيد ، ص ٢٨١ ، المكتبة الشيعية .
- ٣٢- الحياة الفكرية للإمام محمد الجواد (عليه السلام) - (دراسة تاريخية) : م . د . حكمة لفتة صكر ، الجامعة المستنصرية / كلية التربية .
- ٣٣- مناقب آل أبي طالب : أبي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني ، ج ٤ ، ص ٧١٠ .
- ٣٤- نفحات من سيرة أهل البيت (عليهم السلام) : باقر شريف القرشي ، تحقيق : مهدي باقر القرشي ، ص ٣٢٠ .
- ٣٥- دروس في العقيدة الإسلامية : محمد تقي المصباح اليزدي ، ص ٣٦٣ .
- ٣٦- مسند الإمام الرضا (ع) : الشيخ عزيز الله عطاري ، ج ١ ، ص ١٠١ .
- ٣٧- وسائل الشيعة (آل البيت) : الحر العاملي ، ج ٢٨ ، ص ٢٥٣ .
- ٣٨- كتاب سليم : سليم بن قيس الهلالي ، ص ٣٠٠ .
- ٣٩- الكافي : الشيخ الكليني ، ج ١ ، ص ٩٩ .
- ٤٠- من لا يحضره الفقيه : الشيخ الصدوق ، ج ٣ ، ص ٣٤٣ ، المكتبة الشيعية
- ٤١- ينظر : موسوعة الإمام الجواد (عليه السلام) : السيد الحسيني القزويني ، ج ٢ ، ص ١٨٨ - ١٩٣ .
- ٤٢- ينظر المصدر السابق : ص ٣٤٤ - ٣٤٥ .
- ٤٣- الكافي ، كتاب التوحيد : الشيخ الكليني : ج ١ ، ص ٨٢ ، المكتبة الشيعية .
- ٤٤- بحار الأنوار : المجلسي ، ج ١ ، ص ١٧٢ ، ح ٢٤ .
- ٤٥- الغيبة : الشيخ الطوسي ، ج ١ ، ص ٣٧٠ ، المكتبة الشيعية .
- ٤٦- ينظر : نفحات من سيرة أهل البيت (عليهم السلام) : باقر شريف القرشي ، تحقيق : مهدي باقر القرشي ، ص ٣٠٨ .
- ٤٧- المصدر السابق ، ص ٣١٥ .
- ٤٨- الفروع من الكافي : ج ٣ ، ص ٢٠٥ .
- ٤٩- بحار الأنوار : المجلسي ، ج ٥٠ ، ص ٥٥ .
- ٥٠- كمال الدين : الشيخ الصدوق ، ج ١ ، ص ٤٠٥ - ٤٠٦ .
- ٥١- المصدر السابق نفسه .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

* الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الشيخ المفيد، ط ٢، دار المفيد، بيروت. لبنان، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

* أسس ومبادئ التربية والتعليم : محمد فرحان الربيعي، نصير محمد الجبوري، ط ٣، يطلب من (مكتبة القمة) داخل الحرم الجامعي لكلية الإمام الكاظم (عليه السلام) أقسام بابل

* الأصول من الكافي : أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٨ - ٣٢٩ هـ)، دار الكتب الإسلامية مرتضى آخوندي، طهران - بازار سلطاني، ط ٣، ١٣٨٨ هـ.

* أعيان الشيعة : محسن الأمين (ت ١٣٧١)، تحقيق: حسن الأمين، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

* بحار الأنوار : المجلسي محمد باقر (ت ١١١) مؤسسة الوفاء، بيروت، المكتبة الشيعية.

* تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: الفقيه محمد بن الحسن الحر العاملي، (ت ١١٠٤ هـ): تحقيق مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، ط ٢، جمادى الآخرة ١٤١٤ هـ.

* الجواهر النورانية في العلوم الإنسانية:

محمد حسين الطباطبائي، اعداد: رضوان سعيد فقيه، دار المحجة البيضاء.

* حياة الرسول وأهل بيته (عليه السلام)، المكتبة الشيعية.

* دروس في العقيدة الإسلامية: محمد تقي مصباح اليزدي، ط ٨، دار الرسول الأكرم (عليه السلام)، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٩ م.

* دلائل الإمامة، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري، الأعلمي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

* كتاب سليم بن قيس الهلالي: سليم بن قيس الهلالي، تحقيق محمد باقر الأنصاري الزنجاني، دار زهرايون، ط ١، بيروت - لبنان، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م.

* السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها : د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، مصر.

* علم الأئمة المعصومين مقارنة فلسفية كلامية، ش. خليل رزق، دار الهادي، ط ١.

* عيون المعجزات: حسين بن عبد الوهاب (من علماء القرن الخامس)، الناشر: محمد كاظم الشيخ صادق الكتبي، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م.

- * الغيبة: الطوسي أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١) تحقيق: عباد الله الطهراني و علي أحمد ناصح، ط ١، قم المقدسة - إيران، ١٤١١ هـ. ق، المكتبة الشيعية.
- * الفروع من الكافي: أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط ٣، حيدري، دار الكتب الإسلامية - طهران - ردمك، ١٣٦٧ ش.
- * القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، مؤسسة الرسالة، ط ٨، دار الجليل - بيروت، لا ت.
- * الكافي: الشيخ الكليني، مطبعة الخيام، قم، ١٤٠٧ هـ (١٩٨٢ - ١٩٨٧ م).
- * كمال الدين وتمام النعمة: الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١)، صححه: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة - إيران، محرم الحرام ١٤٠٥ هـ.
- * لسان العرب: محمد بن مكرم ابن منظور، ط بلا، دار صادر، بيروت - لبنان.
- * مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، دار إحياء التراث بيروت - لبنان، ط ١.
- * مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ت (٦٦٦ هـ)، دار الرسالة، الكويت، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- * مسند الإمام الرضا أبي الحسن علي بن موسى عليه السلام: عزيز الله العطاردي الخبوشاني، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، مؤسسة آستان قدس الرضوي، ربيع الاخر ١٤٠٦ هـ.
- * المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن علي الفيومي (ت ٧٧٠)، ط ١، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢١ هـ.
- * مقاتل الطالبيين: أبو الفرج الأصفهاني، إشراف كاظم المظفر، ط ٢، مؤسسة دار الكتاب، قم - إيران، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.
- * مناقب آل أبي طالب: أبي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني، الأعلمي، بيروت لبنان، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- * من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق، المكتبة الشيعية
- * موسوعة الإمام الجواد عليه السلام: السيد الحسن الفزويني، تحقيق: إشراف: أبي القاسم الخزعلي، مؤسسة ولي العصر عليه السلام للدراسات الاسلامية ط ١، المطبعة أمير - قم المشرفة، ١٤١٩ هـ، المكتبة الشيعية.

* ٢٩. نفحات من سيرة أهل البيت (عليه السلام):

باقر شريف القرشي، تحقيق: مهدي باقر القرشي، ط٧، ستارة، النجف الأشرف، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١١ م.

* ٣٠. النكت الاعتقادية: الشيخ

المفيد، المكتبة الشيعية

* ٣١. نظرات في عقيدة الإنسان

المسلم: عبد الرزاق فرج الله، مركز

الأمير الاحياء التراث الإسلامي،

ط١، دار الاعتصام، ١٤٢٧ هـ

* ٣٢. نظام الدولة في الإسلام: د.

محمود الصاوي ص٣٩ ط١، دار

الهداية، مصر، ١٤١٨ هـ.

* البحوث السابقة والمواقع الإلكترونية

* الثورات والانتفاضات في عهد

الإمام الجواد (عليه السلام)، [http://www.holykadhmiya.com/ar/](http://www.holykadhmiya.com/ar/html/06/html/1-8)

[html/06/html/1-8](http://www.holykadhmiya.com/ar/html/06/html/1-8)

* محمد الجواد (عليه السلام) شبيه عيسى ويحيى

وسليمان (عليه السلام): موقع الشيخ علي

الكوراني العاملي. <https://www.alameli.net/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%85%D8%A7%D9%85>

* الثورات والانتفاضات في عهد

الإمام الجواد (عليه السلام)، <http://www.holykadhmiya.com/ar/html/06/html/1-8>

* الحياة الفكرية للإمام محمد الجواد (عليه السلام)

- دراسة تاريخية - م. د. حكمة لفته

صغر، الجامعة المستنصرية / كلية

التربية.



المحتويات

مؤتمر الإمام الكاظم (عليه السلام)

مرويات الامام الكاظم (عليه السلام) في كتاب المكاسب المحرمة للشيخ الانصاري
أ.م. د. الشيخ محمود العيداني..... ٦

مرويات الإمام الكاظم (عليه السلام) في تفسير الميزان عرض وتحليل
م.د. عباس خلف كامل العسكري..... ١٠٨

منهج الإمام الكاظم (عليه السلام) في معالجة التشطي العقدي والانحرافات الفكرية
أ.د. شهيد كريم محمد..... ١٣٤

منهج النص في حياة الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)
د. سعد مهدي جابر أبو رغيف - د. مروة ياسر محسن..... ١٦٨

أساليب الإمام الكاظم (عليه السلام) في التعامل مع المجتمع والسلطة الحاكمة
الباحث: باقر جميل الماجد..... ١٩٠

المحتويات

مؤتمر الإمام الرضا (عليه السلام)

فقه المعاملات في أجوبة الإمام الرضا (عليه السلام) مقارنة في إعداد الجماعة الصالحة
أ.د حميد جاسم الغرابي ٢٢٢

التأسيس الشخصي "النفسي" في منهج الإمام الرضا (عليه السلام)
م.م. زينب حازم كشيش ٢٥٢

التفكير القرآني في مناظرات الإمام الرضا (عليه السلام) دلالة الاصطفاء اختياراً
الشيخ منتظر الواعظ الخراساني ٢٧٨

الاصطفاء الإلهي لآل محمد في رواية الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)
-قراءة تفسيرية عقدية موازنة-
الدكتور الشيخ عماد الكاظمي ٣٠٤

شرح حديث رأس الجالوت للمولى محمد مهدي النراقي (ت ١٢٩٧هـ)
-دراسة في المنهج والمضامين التربوية -
أ. د. مزاحم مطر حسين ٣٤٤

المحتويات

مؤتمر الإمام الجواد (عليه السلام) الدولي الثاني

- الأثر الفقهي والعقائدي لمناظرات المعصومين (عليهم السلام) في العصر العباسي الأول
مناظرة الإمام الجواد (عليه السلام) مع يحيى بن أكثم (إنموذجاً)
الباحث حسين جويد الكندي ٣٧٦
- مرويات الامام محمد بن علي الجواد (عليه السلام) في تفسير عقيدة التوحيد
م. د. امل حمودي رشيد ٤٢٢
- مناظرات الإمام الجواد (عليه السلام) وأثرها في نشر الفكر الديني
أ.م.د. جبار محارب عبدالله ٤٤٤
- مع المستشرق «الالمانى مادلونج» في بحثه الإمام محمد الجواد (عليه السلام) في
دائرة المعارف الإسلامية (عرض ونقد)
م.د. حسين علي جبر ٤٩٤
- قراءات تربوية في مرويات الإمام محمد الجواد (عليه السلام) - التربية الأخلاقية مثلاً -
أ.د. فاضل محسن يوسف الميالي ٥١٦
- استراتيجيات التخاطب في كلام الامام محمد الجواد (عليه السلام) قراءة في ضوء
نظرية الفعل التواصلى لهابرماس
أ.د. كريمة نوماس محمد المدني ٥٣٤
- المنهج الفكري والسياسي عند الإمام الجواد (عليه السلام) وأثره في تربية المجتمع
الباحثة سندس سعدون مهدي علي الشمري ٥٥٢